تاريخ لبنان

السياسي والاجتماعي

دراسة في العلاقات العربية التركية

١٩٠٨-١٩١٨م

تأليف

الدكتور علي معطي

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

Bibliotheca Alexandrina
0130829

الإهـــداء

إلى أُمي وأبي . .
وإلى إخوتي وأخواتي . .
وإلى كل العاملين في سبيل وحدة الأرض والشعب . . .
أُهدي هذا العمل المتواضع .

11231

956.920
34
ع ٣ ع ا
ت

تاريخ لبنان

السياسي والاجتماعي

دراسة في العلاقات العربية التركية

١٩٠٨-١٩١٨م

تأليف
الدكتور علي معطي

الهيئة العامة لمكتبة الاسكندرية
رقم التصنيف 956.92034
ع م ت
رقم التسجيل 16611

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر

الإدارة: ٨٣٤٧٤٨/٩ ~ ٨٢١٨٤٣ - المخازن: ٨٣١٦٤٠ ~ المطابع: ٨٣٧١٤٢٠
فاكس: ٨٢٠٣٧٨ - تلكس: ٢٠٣٩٣
بناية لاندمارك - بئر حسن - ص.ب: ١٣/٥٢٥١ - بيروت - لبنان

المقدّمة

خضع لبنان[1] منذ عام ١٨٦١ لنظام إداري خاص عُرف بنظام المتصرفية . ففي عام ١٨٦١ ، وإثر حوادث ١٨٦٠ الطائفية ، قررّت الدولة العثمانية ، بالاتفاق مع الدول الأوروبية العظمى إنشاء متصرفية جبل لبنان . وبموجب هذا النظام كان اللبنانيون يقومون بتصريف شؤونهم الخاصة ، ضمن إطار السلطنة العثمانية وسياستها العامة ، على أن يتولى الحكم فيه متصرف مسيحي من التابعية العثمانية ومن غير أهله .

وفي عام ١٨٨٨ أنشأت حكومة الباب العالي ولاية بيروت التي كانت تضم المناطق التالية : القسم الجنوبي ويشمل ألوية بيروت وعكا ونابلس . والقسم الشمالي ويشمل لوائي طرابلس الشام واللاذقية .

وقد كانت العلاقة بين متصرفية جبل لبنان وولاية بيروت علاقة فريدة ومّميزة ، وبخاصة مدينة بيروت التي كانت تكلّلها أراضي جبل لبنان من ثلاث جهات امتداداً من نهاية الرملة البيضاء جنوباً ، مروراً بفرن الشباك شرقاً ووصولاً إلى نهر بيروت شمالاً[2] .

وكانت مرافىء صيدا وبيروت وطرابلس منافذ هامة للبنانيين ، حيث كان هؤلاء ينطلقون من خلالها إلى الخارج ، ويصدرّون منتوجاتهم الزراعية والصناعية ،

---

(١) كانت كلمة لبنان تُستخدم مرادفة لجبل لبنان وللمتصرفية فيه . وهذا ما تؤكده تقارير القناصل وبروتوكولات المتصرفية نفسها . وعندما نذكر كلمة لبنان في هذه الأطروحة لا نعني بذلك حدود جمهورية لبنان الحالية .

(٢) انظر ملحق رقم ١٧ ـ خريطة متصرفية جبل لبنان السياسية وطرق المواصلات .

وخصوصاً مادة الحرير الخام إلى فرنسا بصورة رئيسية ، ويستوردون من أوروبا المصنوعات والمنتوجات المختلفة كالحبوب والحيوانات والأقمشة .

وكانت مدن ولاية بيروت مراكز لنشاط اللبنانيين السياسي وذلك لأسباب عدّة أهمّها : كون هذه المدن وبخاصة بيروت مركزاً لقناصل الدول الأجنبية ومكاناً لوجود المؤسسات التعليمية الكبرى والمؤسسات الاقتصادية ، وبخاصة التجارية منها ، فوجد هؤلاء اللبنانيون أن أصواتهم ستضيع في أرجاء الجبل بينما في بيروت ستصل بالتأكيد إلى آذان المسؤولين الأتراك والمعتمدين الأجانب . ولذا شارك هؤلاء في الأحزاب والجمعيات الاصلاحية التي تأسست في ولاية بيروت ولعبوا دوراً مؤثّراً فيها عن طريق المساهمة في وضع برامجها ونشر أفكارها خارج البلاد ، خدمة لمطالبهم الخاصة التي التقت مع مطالب جميع سكان الولاية . نذكر على سبيل المثال الجمعية الاصلاحية البيروتية التي كان من أعضائها : يوسف الهاني وقيصر اده وخليل الخوري وسليم الحلو وانطوان مخيبر . وجميع هؤلاء كانوا من جبل لبنان .

لذلك كان لزاماً علينا أن نأخذ هذه العلاقة بعين الاعتبار أثناء دراستنا،وأن نتطرق لجميع النشاطات التي قام بها اللبنانيون في جبل لبنان وفي ولاية بيروت وفي بلاد الاغتراب .

وتكتسب الفترة التي تقع بين عامي ١٩٠٨ و١٩١٨ . والتي هي موضوع دراستنا أهميّة خاصة في تاريخ لبنان الحديث وذلك للأسباب التالية :

١ ـ لقد حدث في هذه الفترة الانقلاب العثماني الكبير الذي أطاح بالسلطان عبد الحميد الثاني فانتقلت السلطة في الدولة العثمانية من حكم عبد الحميد الذي كان يستمد قوته من الشريعة الإسلامية إلى حكم جمعية الاتحاد والترقي التي استمدت قوتها من تطبيق الدستور العثماني الذي كان يُعرف بدستور ١٨٧٦ . وقد كان لهذا الانقلاب ولهذه السياسة الجديدة أثرهما على أوضاع لبنان الداخلية والخارجية على حدّ سواء .

٢ ـ بلغ الصراع العربي ـ التركي الذي بدأ في عهد السلطان عبد الحميد الثاني ذروته في ذلك الحين ، وخصوصاً بعد أن سلك الحكام الجدد في الآستانة طرقاً شتى لنشر اللغة التركية ولتغليبها على اللغة العربية ومن ثم الحضارة العربية حتى أضحت معها جميع المحاولات التي كانت ترمي لاصلاح الدولة غير مفيدة وغير مجدية . وقد

قام اللبنانيون بمحاولات جادة ، آنئذٍ للدفاع عن فكرة القومية العربية ، عن طريق إحياء التراث العربي القديم كبطرس البستاني الذي وضع معجماً باللغة العربية تحت عنوان « محيط المحيط » و« دائرة المعارف » التي أصدر منها ستة مجلدات ، وناصيف اليازجي الذي وضع كتاب « فصل الخطاب في أصول لغة الإعراب » وكتاب « مجمع البحرين » .

٣ ـ لقد كانت هذه الفترة تشكّل المرحلة الأخيرة من عمر جبل لبنان . ففي هذه المرحلة التي حدثت فيها الحرب العالمية الأولى انهارت السلطنة العثمانية وتمّ انفصال البلاد العربية عنها ، ومنها لبنان الذي وقع تحت الانتداب الفرنسي .

وقد قسمّنا هذه الدراسة إلى ثمانية فصول وخاتمة . ففي الفصل الأول تحدّثنا عن الوضع السياسي والثقافي في لبنان في ظل العهد الحميدي وأشرنا إلى الانقلاب العثماني الذي قامت به جمعية الاتحاد والترقي ضد السلطان عبد الحميد الثاني .

وفي الفصل الثاني تحدثنا عن موقف اللبنانيين من إعلان الدستور وعن سياسة الأتراك الجدد وأثر ذلك على الوضع الداخلي في جبل لبنان .

أمّا في الفصل الثالث فقد عرضنا بشيءٍ من التفصيل لجميع الأحزاب والجمعيات التي أنشأها اللبنانيون والسوريون لمناهضة سياسة الاتحاديين في البلاد العربية وبالأخص في بلاد الشام كما تحدّثنا عن سياسة المؤتمرات التي اعتمدها الاصلاحيون لإعلان مطالبهم .

وبسطنا في الفصل الرابع لأوضاع جبل لبنان الاقتصادية والعوامل المؤثرة فيها في الفترة الواقعة ما بين ١٩٠٨ و١٩١٤ .

في حين تحدثنا في الفصل الخامس عن سياسة جمال باشا في لبنان خلال الحرب العالمية الأولى .

أما في الفصل السادس فقد عرضنا لحالة الجبل الاقتصادية خلال الحرب التي كانت سيئة للغاية ، والتي أدّت إلى مجاعة شاملة أودت بحياة عددٍ كبير من الأشخاص .

بينما عرضنا في الفصل السابع لسياسة الأرهاب التي اعتمدها جمال باشا في لبنان

وسوريا للقضاء على المعارضة المحلية فيهما .

أما في الفصل الثامن فقد درسنا ردّة الفعل عند اللبنانيين والسوريين التي تمثّلت في قيام الثورة العربية الكبرى في الحجاز بقيادة الشريف حسين والتي انتهت بالإنفصال عن الأتراك في نهاية الحرب العالمية الأولى .

المؤلـف

الفصـــل الأول

لبنان منذ اعتـلاء عبد الحميد الثاني العرش
حتى سقوطـه

١ ـ لبنان في ظل العهد الحميدي :

انضوت بلاد الشام (بما فيها لبنان) تحت حكم الأتراك العثمانيين إثر الانتصار الساحق الذي حقّقه السلطان العثماني سليم الأول على سلطان المماليك قانصوه الغوري في معركة مرج دابق ، شمالي حلب ، عام ١٥١٦ .

وقد أبقى الأتراك العثمانيون على التقسيمات الإدارية التي كانت قائمة أيام المماليك ، ولم يجروا عليها سوى تغييرات طفيفة .

ونتيجة للحوادث التي وقعت في دمشق وجبل لبنان عام ١٨٦٠ ، أنشأت الدولة العثمانية بالإتفاق مع الدول الأوروبية الكبرى الخمس - بريطانيا ، فرنسا ، روسيا ، بروسيا ، النمسا(*) ـ متصرفية جبل لبنان وأخضعتها لنظام إداري خاص عُرف باسم « النظام الأساسي » وكان ذلك في عام ١٨٦١[١] .

وفي ٦ أيلول من عام ١٨٦٤ أدخل الباب العالي، بعد موافقة الدول العظمى، بعض التعديلات التي وجدها ضرورية لهذا النظام[٢] .

وكانت متصرفية جبل لبنان تتألف من سبعة أقضية وهي : جزين والشوف والمتن

(*) اشتركت ايطاليا لأول مرة في الموافقة على تعيين المتصرفين لجبل لبنان عند تعيين المتصرف فرنكو باشا عام ١٨٦٨ .

(١) وقد صدر هذا النظام بفرمان سلطاني في ٣٠ ذي القعدة ١٢٧٧ هـ . الموافق ٩ حزيران ١٨٦١ .
Adel Ismaîl, Documents. T. II, p 102- 111.

(٢) راجع النص الكامل للنظام الأساسي المعدل .
Adel Ismaîl, Documents T 12, p 32- 40.

وكسروان والبترون والكورة وزحلة[٣] . وكان كل قضاء مشتملاً على عدة مديريات بينها مديريتان ممتازتان مرتبطتان مباشرة بقاعدة الحكم وهما دير القمر والهرمل[٤] .

وكان يتولى الحكم في جبل لبنان متصرف مسيحي من التابعية العثمانية ومن غير أهله ، يرشحه الباب العالي ، وتوافق عليه الدول الأوروبية الكبرى ، ثم يصدر السلطان إرادة سنية بتعيينه لمدة تتراوح بين خمس سنوات وعشر[*] . ويكون تابعاً للباب العالي مباشرة[٥] . وكان يساعده في حكم البلاد مجلس إدارة من اثني عشر عضواً يمثلون مختلف الطوائف اللبنانية[٦] .

وقد أنشأت الحكومة اللبنانية ضابطة محلية من أبناء البلاد ، مهمتها حفظ الأمن وإقرار النظام في الجبل ، وكان عدد أفرادها لا يتجاوز الألف في معظم الحالات ، إلّا

---

(٣) كانت متصرفية جبل لبنان تتألف ، كما ينص بروتوكول ١٨٦١ في مادته الثالثة ، من ستة أقضية ، ولكن بعد تعديل هذا النظام عام ١٩٦٤ أصبحت هذه المتصرفية تتألف من سبعة أقضية (المادة الثالثة) وذلك نتيجة تقسيم قضاء كسروان إلى قضائين : قضاء كسروان وقضاء البترون .

Adel Ismaîl **Documents,** T 11, P 103 et T12, P 34.

أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية ص ٣٦ و٥٧ .

(٤) ـ لحد خاطر عهد المتصرفين في لبنان ، بيروت ١٩٦٧ ص١٣ .

يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٨٠ ص١٣ يذكر Vital cuinet في مؤلفه عن لبنان عام ١٨٩٦ أن تقسيم لبنان من الناحية الإدارية يشمل سبعة أقضية ومديرية واحدة هي مديرية دير القمر و٤٦ ناحية Vital cuinet, **Syrie, Liban et Palestine, Geographie administrative, statestique descriptive et raisonné**, Paris, 1896, P. 205.

(*) عُين داود باشا لمدة ثلاث سنوات على سبيل التجربة .

Mounir Ismaîl, **Le Liban sous Les Mutaçarrifs** , p. 168- 170.

(٥) « المادة الأولى » من النظام الأساسي المعدل Adel Ismaîl **Documents,** T12, p32.

(٦) كان مجلس الإدارة يتشكل على النحو التالي : اثنان عن الموارنة ، واثنان عن الدروز ، واثنان عن الأرثوذكس ، واثنان عن السنّة ، واثنان عن الشيعة ، واثنان عن الكاثوليك .

Adel Ismaîl **Documents,** T11, P 102

وبعد أن أُدخلت على النظام الأساسي بعض التعديلات عام ١٨٦٤ ، أصبح مجلس الإدارة يتكون على الشكل التالي : أربعة عن الموارنة ، وثلاثة عن الدروز ، واثنان عن الأرثوذكس ، وواحد عن السنة ، وواحد عن الشيعة ، وواحد عن الكاثوليك ،

Adel Ismaîl **Documents,** T12, p33- 34.

أنه بعد عام ١٩١٢ بلغ هذا العدد ألفاً ومئتين(٧) ، بمعدل سبعة أنفار عن كل ألف من المواطنين ، وفي الحالات غير العادية وعند الضرورة القصوى كان يحق للمتصرف أن يطلب من القيادة العسكرية العثمانية في سورية إمداده بالجنود النظامية(٨) . كما كان بتصرفه في بيت الدين مفرزة من الجيش العثماني ، ترابط بصورة دائمة في هذا المركز ، لا يزيد عدد أفرادها عن الخمسين . ومّما يؤثر عن رجال هذه المفرزة ، بشهادة جميع اللبنانيين ، كمال التهذيب وحُسن التدريب وعدم التدخل في شؤون اللبنانيين طيلة عهد المتصرفية(٩) .

وكانت ميزانية الجبل تتراوح بين ٣٥٠٠ كيس و٧٠٠٠ كيس(*) ، تُجبى من ضريبتي الأعناق والأرزاق ، كانت تُنفق على إدارة حكومته ورواتب موظفيه وعلى المشاريع العامة في الجبل كشق الطرقات وإنشاء الجسور . . . وعند حصول عجز في ميزانية الجبل ، كانت الحكومة العثمانية ، كما ينص البروتوكول ، تقوم بسد هذا العجز من خزينة السلطنة العثمانية(١٠) .

ومن الواضح أن نظام متصرفية جبل لبنان ، باستثناء الامتيازات التي كان يتمتع بها سكان الجبل ، لم يكن فريداً في قلب الأمبراطورية العثمانية ، ذلك أن الحكومة العثمانية قد منحت باقي الولايات نظاماً إدارياً جديداً كان مماثلاً في مبادئه وإطاره العام لنظام الجبل(١١) .

ولدى ارتقاء السلطان عبد الحميد الثاني العرش كان على رأس السلطة في جبل لبنان المتصرف رستم باشا (١٨٧٣ - ١٨٨٣) الذي وصل إلى بيروت لإستلام مهامه في

---

(٧) يوسف الحكيم ، **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص١٧ .

(٨) - المادة الثالثة عشرة من النظام الأساسي المعدل Adel Ismaîl, **Doucements.** T12, p. 38 .

(٩) يوسف الحكيم ، **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص١٨ .

(*) كان يُقدر الكيس بخمسة آلاف ليرة عثمانية ذهبية . يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص١٩ .

(١٠) « **المادة الرابعة عشرة** » من النظام الأساسي المعدل ، Adel Ismaîl **Documents,** T12, P. 39 .

(١١) Dominique Chevallier, **la société du Mont-Liban à l'époque de la Révolution Insudtriel-le en Europe, Paris 1971, P 291.**

الجبل في الثامن من شهر آب ١٩٧٣(١٢) .

باشر المتصرف الجديد عهده بأن أبعد ذوي النفوذ من التدخل في شؤون القضاء ، فأمّن العدالة للجميع ، ثم تعقّب المجرمين حتى فرض الأمن والنظام في كافة أنحاء البلاد ، كما أنه أخضع الموظفين لمراقبة شديدة لمنع الرشوة وصيانة حقوق الأهلين وعدم العبث بالقانون(١٣) .

وفي عهده فرضت ضريبة جديدة عُرفت باسم « المهملات »(**) لسد العجز الحاصل في خزينة الجبل فخفّف بذلك عن خزينة الدولة العثمانية ما كان مفروضاً عليها من أموال ، وأمّن للبنان استقلاله المالي الذي هو أساس استقلاله الإداري والاجتماعي (١٤) .

وفي أيام رستم باشا بدأ الأتراك يسعون إلى حمل اللبنانيين على إرسال من يمثلهم في مجلس « المبعوثان » ، إثر إعلان الدستور العثماني عام ١٨٧٦ ، وقد حدّد عدد الممثلين اللبنانيين بإثنين . أمّا اللبنانيون فقد رفضوا مبدأ الانتخاب مكتفين بما ضمن لهم البروتوكول من « امتيازات ضمن السلطنة »(١٥) .

على أن الوضع في عهد رستم باشا لم يدم على استقراره وذلك بسبب خلافه مع الأكليروس الماروني ، بخاصة مع المطرانين بطرس البستاني ويوسف الدبس ، فقد اتهمه هؤلاء بالاستبداد والظلم وعدم المحافظة على أموال المواطنين والعبث بمقدرات البلاد والخروج عن حدود القانون والتدخل في العنعنات الحزبية المحلية(١٦) .

---

(١٢) Adel Ismaîl **Documents,** T13, p. 308- 309.

(١٣) لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ، ص ٥٢ - ٦٤ .

(**) وهي ضريبة كانت تُفرض على الماعز والأغنام وعلى الصيد والطرق وعائدات شركة حصر التبغ والتنباك وعلى الأملاك السلطانية .

(١٤) يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢١ .

(١٥) Mounir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs**, p. 399.

(١٦) Adel Ismaîl, **Documents,** T 13, p. 173.

لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان ، ص ٦٩ - ٨٢ .

وقد كان رد المتصرف عنيفاً إذ اتهم المطرانين بطرس البستاني ويوسف الدبس بإقلاق الراحة ، والعمل على إثارة الخواطر بين الدروز والنصارى وإعادة عهد ١٨٦٠ وأن المطران البستاني يملأ كرسي المطرانية بالأسلحة لأجل تلك الغاية(١٧) . ويبدو أن فريقاً من اللبنانيين اتخذوا جانب المتصرف وأعلنوا تأييدهم للسياسة التي كان يسير عليها في حكم البلاد(١٨) . وبذلك يكون اللبنانيون قد انقسموا على أنفسهم مما ساعد رستم باشا على استصدار قرار من الباب العالي بنفي البستاني إلى القدس بعد موافقة كل من سفيري فرنسا وبريطانيا في القسطنطينية(١٩) . ولكن الحكومة الفرنسية عادت وتدخلت لدى الباب العالي لإعادة المطران البستاني ، فعاد على باخرة فرنسية إلى جونيه في ٩ تشرين الثاني ١٨٧٨ بعد تبرئته من التهم الموجهة إليه(٢٠) .

يلخص الأب ابراهيم حرفوش أسباب الخلاف بين رستم باشا والمطرانين يوسف الدبس وبطرس البستاني بالنقاط التالية :

١ ـ كان البستاني والدبس من أنصار يوسف بك كرم ويعملان على إعادته إلى لبنان .

٢ ـ تدخل المتصرف في حادثة الرهبان البلديين التي جرت في شمالي لبنان عام ١٨٧٤ .

٣ ـ محاولة المتصرف إدخال ضريبة الطوابع إلى جبل لبنان .

الأب ابراهيم حرفوش : **دلائل العناية الصمدانية** : جونية لبنان ١٩٣٥ ص ٧٦ ـ ١١٧ .

أما توفيق توما فقد أورد ، نقلاً عن مذكرات جورجي صفا الذي عاش تلك الحقبة التاريخية أسباباً أخرى عن الخلاف الذي كان قائماً بين المطران بطرس البستاني والمتصرف رستم باشا ، كقضية نبع الماء والمرأة التي طلبت الطلاق من زوجها وتحريض المطران لأهالي دير القمر كي يطلبوا من المتصرف بتجديد إقامته في بيت الدين مدة شهرين .

(١٧) لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص ٨٢ .

(١٨) لحد خاطر : **المصدر السابق** ص٧٦ ـ ٧٨ .

(١٩) Toufic Touma: **Paysans et institutions féodales chey les Druses et le marounites du liban** du XVII[e] siècle à 1914. p. 325

ثمرات الفنون : جمادى الآخرة ١٢٩٥ (١٨٧٨) خبر .

الجوائب : ٦ آب ١٨٧٨ ، خبر .

(٢٠) Mounir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs**, p.407- 411.

البشير : ١٠ تشرين الثاني ١٨٧٨ . خبر .

طُيرت برقيات احتجاج ضد قرار نفي المطران بطرس البستاني إلى عواصم الدول الكبرى وخصوصاً إلى روما وباريس والقسطنطينية من قبل البطريرك الماروني ورجال الدين التابعين له ومن عددٍ كبير من المواطنين الموارنة ، كما نقلت قناصل الدول العظمى في بيروت عدداً كبيراً من عرائض الاحتجاج مرسلة

أما رستم باشا الذي ترك البلاد في ٣ شباط ١٨٧٩ وسافر إلى الآستانة لتقديم شكواه وتسويه الوضع هناك ، عاد إلى بيروت بعد أن رفضت الحكومة العثمانية استقالته فاستقبله انصاره من اللبنانيين بالترحاب وذلك في ٢٩ أيار من السنة نفسها[٢١] .

وقد استمر المتصرف في حكم جبل لبنان حتى نهاية ولايته عام ١٨٨٣ ، فاختار الباب العالي وممثلو الدول الأوروبية الضامنة لنظامه الأساسي ، واصا باشا خلفاً له في الجلسة التي عقدوها في ٨ أيار من العام نفسه[٢٢] .

باشر المتصرف الجديد مهمته في لبنان في ١٠ حزيران ، فنظم الإدارة وبنى لها الدور في المركز والملحقات وجهّزها بالمعدات الضرورية والأثاث الفاخر ، ثم أنشأ في بعبدا سرايا فخمة جعلها مركزاً شتوياً دائماً لدوائر المتصرفية ، ثم أقام في بيت الدين مستشفى كبيراً وأصلح سجنها واهتم بالآثار والتنقيب عنها[٢٣] .

ولم يخل عهد واصا باشا من بعض المساوىء ، وخاصة في أيامه الأخيرة ، بعد أن انتابه المرض وتولاه الضعف ، إذ استغل صهره كوبليان ، الذي كان مديراً لدائرته السياسية ورئيساً للقلم الأجنبي ، حالته الصحية هذه ، فأخذ يجمع المال بشتى الأساليب حتى عمّت الرشوة وانتشر الفساد دوائر المتصرفية ، ولم يكن باستطاعة واصا باشا وضع حدّ لها ، فضجّ اللبنانيون من هذه الحالة المزرية في البلاد[٢٤] . ولكن هذا الوضع في جبل لبنان لم يطل ، فقد انتهى بوفاة المتصرف واصا باشا في ٢٩ حزيران ١٨٩٢[٢٥] .

من مختلف المناطق اللبنانية ، وقد شاركت في هذه العرائض جميع الطوائف اللبنانية وحتى الإسلامية منها .

Toufic Touma, op. cit. p. 327.

(٢١) Mounir Ismaïl, **le Liban sous les Mutaçarrifs**, p.327.

(٢٢) Adel Ismaïl, **Documents,** T 15, p. 32- 33.

(٢٣) **لبنان مباحث علمية واجتماعية** ، تحقيق فؤاد أفرام البستاني ، ج٢ ، بيروت ١٩٧٠ - ص٦٢٢ .

(٢٤) لحد خاطر ، **عهد المتصرفين في لبنان** ، ص ١٤٣ - ١٤٩ .

(٢٥) دُفن واصا باشا في الحازمية على مقربة من ضريح زوجته وابنته . **الإقبال** ، عدد ٢٠٣ ، ١ تموز ١٩٠٧ ، خبر .

لحد خاطر ، **عهد المتصرفين في لبنان** ، ص١٤٩ .

أما نعوم باشا الذي خلفه في حكم جبل لبنان (١٨٩٢ ـ ١٩٠٢) ، فقد وطّد الأمن والنظام في الربوع اللبنانية ، وحاول إصلاح الإدارة والقضاء على أسباب الفساد فيها ، فخلال الشهر الذي تلا وصوله إلى بيت الدين ، أقصى جميع الموظفين الذين أثروا عن طريق الرشوة(٢٦) . وخلال العامين الأولين من ولايته ، حرص نعوم باشا على التقرّب من رجال الدين والعائلات الأرستقراطية المارونية ، وآثر الاعتماد على الحزب اليزبكي الدرزي ، مثبّتاً ممثله الأمير مصطفى ارسلان في مركزه كقائمقام للشوف ، دون أن يظهر معارضة للحزب الجنبلاطي ، ثم حاول كسب ودّ الطائفة الأرثوذكسية عن طريق الاعتماد على أحد وجهائها اسكندر التويني الذي كان يثق به ويستشيره في كل شؤون الحكم(٢٧) .

وفي عهد نعوم باشا استطاعت شركة التبغ العثمانية أن تضمن تبغ الجبل لقاء قرشين عن كل كيلوغرام ، تدفعها الشركة إلى حكومة المتصرفية . وبذلك استطاع نعوم باشا أن يؤمن مبلغاً من المال ، يقدّر بـ ٢٠٠٠٠٠ قرش في السنة(٢٨) . كان يُنفق على المشاريع العامة كبناء الجسور وشقّ الطرقات وإقامة المباني العامة وتجهيزها بالأثاث اللازم(٢٩) .

وفي أيلول من عام ١٩٠٢ انتهت ولاية نعوم باشا ، فاختير خلفاً له مظفر باشا (١٩٠٢ ـ ١٩٠٧) الذي تقدّم فور وصوله ببرنامج إصلاحي إلى مجلس الإدارة ، واعداً أعضاءه بتحديث الإدارة وإعادة تنظيمها وبتحسين أحوال الجنود اللبنانيين ، وإعادة النظر بقانون الانتخاب وتسوية الحدود مع ولاية بيروت وتعيينها بشكلٍ نهائي ، كما وعد بمنع التهريب وإعداد ميزانية على قواعد جديدة وتحسين وضع الموظفين بتعيين أصول التقاعد وتأسيس صندوق له في المتصرفية والقيام بمشاريع عمرانية وإنشائية

---

(٢٦) Mounir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs**, p.494.

(٢٧) Ibidem, p. 496- 497

(٢٨) Ibidem, p. 502- 503

(٢٩) لبنان ـ مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ، ص ٦٢٢ .
يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٢ .
لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ، ص١٦٣ ـ ١٧٥ .

جديدة وإنماء الاقتصاد اللبناني بتحسين حال الفلاح واستصلاح الأراضي وتشجيع الصناعة والحِرف والاعتناء بالغابات والأحراج والبحث عن المعادن وإستخراجها . . .(٣٠) .

لم يستطع المتصرف الجديد تنفيذ أي شيءٍ من برنامجه ، إمّا لمقاومة الحكومة العثمانية له(٣١) ، وإمّا لضعفه وسوء إدارته(٣٢) . وهكذا سقطت هيبة الحكم وقلّت ثقة الناس به ، وكثر المجرمون ، وتفشّت الفوضى في كل مكان وسيطر الخوف على الأهلين ، وأخذ الناس يهاجرون بالآلاف إلى الخارج(٣٣) .

وتحت تأثير المحافل الماسونية التي كثر قيامها في الجبل(٣٤) حاول مظفر باشا القضاء على نفوذ رجال الدين والعائلات الأرستقراطية اللبنانية(٣٥) . ولمّا حاول فرض ضرائب جديدة على الشعب تكتلت جميع القوى على الساحة اللبنانية ضده وطالبت بإقالته من منصبه(٣٦) لكن المنية عاجلته في ٢٨ حزيران من عام ١٩٠٧(٣٧) فخلفه يوسف فرنكو باشا(٣٨) (١٩٠٧ - ١٩١٢) الذي حدثت في أيامه ثورة جمعية الاتحاد والترقي التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد .

---

(٣٠) مظفر باشا في لبنان (المؤلف مجهول) ، الاسكندرية ١٩٠٧ ، ص٩ - ١٠ .
Georges Samné, **La Syrie**, Paris 1920, p. 217.
لحد خاطر ، **عهد المتصرفين في لبنان** ، ص١٦٣ - ١٦٤ .
(٣١) لحد خاطر ، **عهد المتصرفين في لبنان** ، ص١٦٤ .
(٣٢) ابراهيم الأسود ، **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان** ، بيروت ، ١٩٢٥ ، ص٦٥ .
يوسف مزهر ، **تاريخ لبنان العام** ، **الجزء الثاني** ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص٨١٦ .
(٣٣) الأب إبراهيم حرفوش **دلائل العناية الصمدانية** ص ٤٣٧ - ٤٤٠ .
Mounir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs**, p.514- 516.
(٣٤) مظفر باشا في لبنان ، المصدر السابق ص ٣٥ - ٣٧ .
(٣٥) Mounir Ismaîl, op. cit, p. 514
(٣٦) رفع أهالي جبل لبنان شكوى إلى المراجع المختصة في استامبول، ذكروا فيها المساوىء والأخطاء التي ارتكبها مظفر باشا بحق اللبنانيين ثم طالبوا أخيراً بإقالته وتعيين متصرفٍ آخر مكانه . **مظفر باشا في لبنان** : المصدر السابق ص ٣ - ٥ .
(٣٧) **الإقبال** : عدد ٢٠٦ - ٢٠ تشرين الأول ١٩٠ ، والعدد ٢٠٣ - ١ تموز ١٩٠٧ خبر .
(٣٨) **الإقبال** : عدد ٢٠٨ - ٥ آب ١٩٠٧ ، فرمان تعيين المتصرف يوسف فرنكو باشا على الجبل .

٢ ـ النهضة الفكرية والأدبية في لبنان خلال عهد المتصرفية :

شهد جبل لبنان في عهد المتصرفية نهضة فكرية وأدبية واسعة شاركت فيها معظم الفئات اللبنانية ، كما شاركت فيها أيضاً البعثات التبشرية التي أمّت لبنان في أوائل القرن التاسع عشر . وكانت هذه البعثات فئتين :

ـ البعثات التبشيرية الكاثوليكية وجلّ أفرادها من الفرنسيين .

ـ البعثات التبشيرية الأنجيلية (البروتستانتية) وجلّ أفرادها من الأميركان(٣٩) .

وقد تركّزت جهود هذه البعثات ، بشكلٍ رئيسي في إنشاء المدارس التي كانت تعلم الآداب العربية والأجنبية واللغات والعلوم الحديثة(٤٠) .

ومن المدارس التي أسستها البعثة الأنجيلية الأميركية : مدرسة البنات في سوق الغرب عام ١٨٥٨ ، وقد نقلها المرسلون الأميركان إلى صيدا عام ١٨٦١ ، ومدرسة البنات في طرابلس عام ١٨٧٢ ، ومدرسة « معهد الفنون » للصبيان في صيدا التي تحولت إلى مدرسة داخلية في عام ١٨٨١ ، والمدرسة اللبنانية في سوق الغرب التي ابتاعتها البعثة الأميركية من الإرسالية الاسكتلندية عام ١٨٨٩(٤١) . وقد بلغ عدد المؤسسات التربوية التي فتحتها البعثة الأنجيلية الأميركية في لبنان في الفترة الواقعة ما بين عامي ١٨٢٠ و١٨٦٠ لا يقل عن ٣٣ مؤسسة تربوية(٤٢) .

ومن مدارس البعثات الكاثوليكية الفرنسية ، مدرسة عينطورة التي أعاد اللعازاريون فتحها عام ١٨٣٤ . والمدارس التي أنشأها اليسوعيون في بيروت وصيدا ودير القمر وغزير وبكفيا وتعنايل وزحلة ودمشق وحلب ، ومدارس راهبات المحبة والرهبنات الأخرى التي أسستها في مختلف أنحاء البلاد(٤٣) .

---

(٣٩) نقولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبناني الحديث : جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص١٩١ .
(٤٠) المرجع نفسه ص ١٩١ .
(٤١) كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ١٨٠ .
(٤٢) زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٢ ـ ص ٥١ .
(٤٣) لبنان ، مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ، ص ٥٧٩ ـ ٥٨٢ .
Mounir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs** T.5 p 120- 125 et 246- 249

لكن أضخم مؤسستين تربويتين أُنشئتا في تلك الفترة هما : الكلية السورية الأنجيلية في بيروت عام ١٨٦٦ (وتُعرف اليوم باسم الجامعة الأميركية) وتمثل ذروة الجهود التربوية التي قام بها الأميركان(٤٤) . والثانية « جامعة القديس يوسف » التي أسسها اليسوعيون في بيروت عام ١٨٧٥ . وهي لا تزال إلى اليوم تؤدي خدمات جلى في مجالات التربية والتعليم في مختلف مراحله(٤٥) .

كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، ص ١٨١ .

ولمزيدٍ من الاطلاع على انتشار المدارس الأجنبية في ولاية بيروت ومتصرفية جبل لبنان ، يمكن الرجوع إلى التقرير الذي وضعه « سوهارت Souhart، قنصل فرنسا العام في بيروت ، والذي أرسله إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسية ، في ٣١ آذار ١٨٩٦ :

Adel Ismaïl, **Documents,** T 16, p 298- 318.

(٤٤) كان منهاج الكلية السورية الانجيلية في سنتها الأولى (١٨٦٦ - ١٨٦٧) يشمل تدريس اللغات : العربية والانكليزية والفرنسية والتركية واللاتينية ، ثم الرياضيات : الحساب والجبر والهندسة . وتاريخ العرب القديم ، وتاريخ الديانات والتوراة . وكانت الهيئة التعليمية تتألف من ثلاثة عشر معلماً ، وعدد التلاميذ ١٦ تلميذاً . وفي السنة الدراسية (١٨٧٨ - ١٨٧٩) تبدل منهاج الكلية بعد أن اكتملت صفوفها وأصبح على الشكل التالي :

ففي السنة الأولى - فرنشمن - كان الطلاب يدرسون : الصرف والنحو واللغة الانكليزية والأدب والجبر والهندسة ، والكتاب المقدس ، والموسيقى والإنشاء والخطابة وفي السنة الرابعة كانت الدروس تشمل : الفلك والفلسفة العقلية والأخلاق والتاريخ وعلم طبقات الأرض وعلم النبات والحيوان والموسيقى والإنشاء والخطابة والكتاب المقدس .

وكان عدد الطلاب المؤهلين لنيل الشهادة في السنة الرابعة « خمسة طلاب » . وفي عام ١٨٦٧ أنشأت الكلية السورية الإنجيلية كلية للطب والصيدلة ، كجزءٍ منها ، وبدأت التدريس باللغة العربية حتى عام ١٨٨٧ ، حينما أصبح بعد ذلك باللغة الإنكليزية . كانت دراسة الطب فيها لأربع سنوات . وقد بدأت الكلية بأربعة عشر طالباً ، ولم يتجاوز عدد الطلبة الخمسين حتى عام ١٨٩٩ . ثم زاد تدريجياً حتى بلغ ١٢٠ طالباً عام ١٩٠٩ . أما عدد خريجي الكلية بين ١٨٧١ و١٩٠٧ فلم يزد عن ١٥٤ خريجاً من بلاد الشام و٧٥ خريجاً من مصر وثلاثة من العراق و٦٩ خريجاً من بقية ولايات الدولة العثمانية .

الهلال : السنة ٢٢ . ج٦ ، ٦ آذار ، ص ٤٤٦ - ٤٤٧ : المدرسة الكلية السورية .

(٤٥) في الرسالة التي بعثها « M. Jules Ferry » وزير الشؤون الخارجية الفرنسية ، إلى Patrimonion قنصل فرنسا العام في بيروت ، في ٨ كانون الأول ١٨٨٣ تفصيل وافٍ لنظام جامعة القديس يوسف بكلياتها وبرامجها ومواد التدريس فيها .

Adel Ismaïl, **Documents,** T 15, p 58-68

ويظهر أثر المدارس التبشيرية في إدخال اللغة العربية وآدابها في برامجها التعليمية ، في حين كانت الدولة العثمانية في عهد الاتحاديين تعمل من أجل القضاء على هذه اللغة وآدابها ، بمنع تدريسها في مؤسساتها التربوية التي انتشرت في معظم الولايات العثمانية(٤٦) .

ويظهر أثر هذه البعثات التبشيرية كذلك في تأليف الكتب ونشرها وخصوصاً بعد أن نقلت الإرسالية الأميركية مطبعتها من مالطة إلى بيروت ١٨٣٤ ، وبعد أن أسس اليسوعيون أول مطبعة لهم في بيروت عام ١٨٤٧(٤٧) .

وكانت البعثات التبشيرية حافزاً مهماً لمعظم طوائف لبنان لزيادة نشاطها وفتح مدارس جديدة في مختلف أنحاء البلاد . نذكر من هذه المدارس : المدرسة « الداودية » في عبيه التي أنشأها عام ١٨٦٢ المتصرف داود باشا تلبية لرغبة الطائفة الدرزية . ومدرسة « الحكمة » في بيروت التي أسسها المطران يوسف الدبس عام ١٨٧٤ ، ومدرسة « الثلاثة أقمار » التي أنشأتها مطرانية الروم الأرثوذكس في سوق الغرب عام ١٨٥٢ ثم نقلتها إلى بيروت . والمدرستين اللتين أنشأتهما مطرانية الروم الكاثوليك في بيروت وزحلة في عامي ١٨٦٥ و١٨٩٨ وقد عُرفت الأولى باسم « الكلية البطريركية » وعُرفت الثانية باسم « الكلية الشرقية » . و« المدرسة العثمانية » التي افتتحها الشيخ أحمد عباس

= محمود صالح منسى : **حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي** ، الجزء الأول القاهرة ١٩٧٢ ، ص٤٦ .

أنشأ الآباء اليسوعيون كلية للطب والصيدلة في بيروت ١٨٨٣ ، كجزء من جامعة القديس يوسف . وكانت في بداية الأمر تمنح دبلوماً في الطب بعد دراسة ثلاث سنوات ثم أصبحت سنوات التدريس أربعاً اعتباراً من عام ١٨٨٧ . بدأت الكلية بتسعة طلاب عام ١٨٨٣ ، ونما هذا العدد تدريجياً حتى بلغ ٢٣٧ طالباً عام ١٩٠٥ . أما خريجو الكلية بين عامي ١٨٨٣ و١٩٠٨ فقد بلغ تعدادهم ٢٨٠ خريجاً منهم ٢٢٠ خريجاً من سورية و٩٣ خريجاً من مصر .

علي المحافظة : **الاتجاهات الفكرية والأدبية في عصر النهضة** (١٧٩٨ - ١٩١٦) الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ٢١٢ .

(٤٦) ساطع الحصري ، **البلاد العربية والدولة العثمانية** ، الطبعة الثالثة بيروت ١٩٦٥ ، ص ٢٢٢ .

(٤٧) لبنان ، **مباحث علمية واجتماعية** ، الجزء الثاني ، ص٥٧١ و٥٧٣ .

الأزهري(*) في بيروت ١٨٩٧ ، ومدارس البنات والذكور التي أسستها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية ابتداءً من عام ١٨٧٨ في بيروت وصيدا وطرابلس(٤٨) .

هذا وساهم معظم المفكرين والأدباء اللبنانيين في هذه النهضة عن طريق تأليف الكتب وترجمتها وإصدار الجرائد والمجلات في لبنان ومصر وبلاد الاغتراب . . . منهم : بطرس البستاني وناصيف وابراهيم اليازجيان وأحمد فارس الشدياق ويوسف الأسير .

أما بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣) فقد اشترك مع ناصيف اليازجي ويوسف الأسير وايلي سميث(*) وكورنيلوس فانديك(**) في نقل الكتاب المقدس إلى العربية وعمل في حقل التأليف . فألف الكتب المدرسية ، ووضع معجماً للغة العربية صدر في سنة ١٨٧٠ في مجلدين تحت عنوان « محيط المحيط » ، وشرع في وضع موسوعته العربية وظهر منها حتى وفاته ستة مجلدات من ١٨٧٦ إلى ١٨٨٣ . وعلى أثر حوادث عام ١٨٦٠ أصدر صحيفة اسبوعية بعنوان « نفير سوريا » ، وهي أول صحيفة صدرت في تلك الفترة . كان هدفها الدعوة إلى المحبة والوحدة الوطنية ونبذ التعصب الطائفي . وفي ١٨٦٣ أسس « المدرسة الوطنية » لتلقين التلاميذ من مختلف الأديان المبادىء الوطنية

(*) وُلد الأزهري في بيروت ودرس في القاهرة في الأزهر ، وعاد وانخرط في سلك التعليم في مدرسة بطرس البستاني في عبية . وفي أثناء الحرب العالمية الأولى أُغلقت مدرسته ونُفي إلى استامبول .
فيليب حتي : **لبنان في التاريخ** . ترجمة الدكتور أمين فريحة ومراجعة الدكتور نقولا زيادة ، بيروت ١٩٥٩ ، ص٥٦٠ .

(٤٨) **لبنان ، مباحث علمية واجتماعية** ، الجزء الثاني ، ص٥٨٠ - ٥٨١ .
نقولا زيادة : **أبعاد التاريخ اللبناني الحديث** ص ١٩٢ - ٢٠٠ .
كمال الصليبي : **تاريخ لبنان الحديث** . ص ١٨١ - ١٨٣ .

(*) كان سميث من المبشرين الأميركان ، أشرف في مالطه على مطبعة البعثة . وفي ١٨٢٧ جاء إلى بيروت ، ولكنه غادرها ، بعد سنة ، مع البعثات التبشيرية التي نزحت خوفاً من الحرب . وفي ١٨٣٤ عاد إليها . وقد توفي في بيروت ١٨٥٧ .
جورج انطونيوس : **يقظة العرب** ، ترجمة : الدكتور ناصر الدين الأسد ، والدكتور إحسان عباس ، ط٣، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٩٨ - ٩٩ الهامش .

(**) كان فانديك من المبشرين المشيخيين ، ومن المتخصصين في علم الطب المدني . وصل بيروت ١٨٤٠ ، فتعلم اللغة العربية حتى أتقنها وألّف بها كتباً في مختلف الموضوعات . وقد توفي في بيروت ١٨٩٥ .
جورج انطونيوس : **يقظة العرب** ص ١١٢ الهامش .

الصحيحة . وفي ١٨٧٠ أصدر صحيفة أسبوعية « الجنة » كان يحررها ابنه سليم ، ثم مجلة سياسية أدبية نصف أسبوعية « الجنان » كان شعارها حب الوطن من الإيمان ، كما أصدر ١٨٧١ « الجنينة » التي كان يحررها نسيبه سليمان البستاني(٤٩) .

وكان أحمد فارس الشدياق (١٨٠٥ - ١٨٨٧)(*) أديباً نشيطاً . أُلحق في مدرسة الإرسالية الأميركية في مالطه عام ١٨٣٤ ، مدّرساً فيها ومحرّراً لمنشوراتها وفي عام ١٨٤٨ ، ساهم في ترجمة الكتاب المقدس في لندن ، وفي باريس وضع كتاباً تحت عنوان « الساق على الساق في ما هو الفارياق » ضمّنه آراءه في اللغة العربية وأظهر فيه سخطه على البطريركية المارونية التي قتلت أخاه أسعد(٥٠) . وفي عام ١٨٦٠ سافر إلى استامبول بدعوة من السلطان العثماني ، حيث أصدر هناك جريدته المشهورة « الجوائب » التي أصبحت من أعظم الصحف العربية في القرن التاسع عشر ، وقد استمرت في الصدور حتى عام ١٨٨٣(٥١) .

أما ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) فقد برز في مجال تأليف الكتب المدرسية والأدبية ، ككتاب « فصل الخطاب في أصول لغة الاعراب » الذي صدر في مالطه

---

(٤٩) جرجي زيدان : **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر** ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٢٢ - ص٢٧ - ٣٣ . ألبرت حوراني : **الفكر العربي في عصر النهضة** : الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ١٢٧ - ١٣٠ .
جورج انطونيوس : **يقظة العرب** . ص ١١٢ - ١١٦ .

(*) كان أحمد فارس الشدياق كأخيه أسعد من خريجي مدرسة « عين ورقة » ثم التحق بالأمير حيدر الشهابي ناسخاً ومساعداً . ولما اضطهد الأكليروس الماروني أخاه ترك الكنيسة المارونية وتحول إلى المذهب الانجيلي عام ١٨٢٦ ، وأُعجب به المرسلون الأميركيون فأخذوه إلى مصر ثم إلى مالطة . . . وأثناء وجوده في باريس تعرّف إلى باي تونس الذي دعاه إلى عاصمته حيث أسند إليه تحرير المجلة الرسمية « الرائد التونسي » وهناك اعتنق الإسلام وسمى نفسه أحمد .
البرت حوراني : **الفكر العربي في عصر النهضة** ، ص١٢٥ .
كمال الصليبي : **تاريخ لبنان الحديث** ، ص ١٨٩ .

(٥٠) البرت حوراني : **المصدر السابق** ، ص١٢٥ .

(٥١) البرت حوراني : **المصدر السابق** ، ص١٢٥ - ١٢٦ .
كمال الصليبي : **المصدر السابق** ص ١٨٩ - ١٩٠ .

١٨٣٦ ، وكتاب « مجمع البحرين » الذي نُشر في بيروت ١٨٥٦ . وكان دأبه العمل على إحياء التراث القديم وإبراز محاسنه ودعوة العرب عامة واللبنانيين خاصة إلى التعمق في هذا التراث باعتباره القاسم المشترك الذي يلتقي عنده جميع العرب على إختلاف أقطارهم ومشاربهم(٥٢) .

وأما يوسف الأسير (١٨١٥ - ١٨٨٩) فقد عمل في مجال القضاء والتعليم ، فتولى رئاسة قلم محكمة بيروت الشرعية في عهد قاضيها مصطفى عاشر ، وتولى بعد ذلك مركز الإفتاء في عكا ، ثم مدعياً عاماً لمتصرفية جبل لبنان وأخيراً أستاذ اللغة العربية في دار المعلمين الكبرى في الآستانة ، ولكنه لم يطل مقامه هناك إذ قدم استقالته وقفل عائداً إلى بيروت . وفي بيروت وضع كتاباً في الفرائض سماه « رائض الفرائض » وشرح كتاب « أطواق الذهب » للزمخشري ، وترك لنا ديواناً في الشعر تحت عنوان « الروض الأريض »(٥٣) . وقد شارك غير هؤلاء في النهضة الفكرية والأدبية عن طريق إنشاء الجرائد والمجلات أمثال : خليل الخوري الذي أسس جريدة « حديقة الأخبار » سنة ١٨٥٨ في بيروت، وعبد القادر قباني الذي أصدر جريدة « ثمرات الفنون » عام ١٨٧٥ في بيروت ، وخليل سركيس الذي انشأ جريدة لسان الحال في بيروت سنة ١٨٧٧ ، ويعقوب صروف وفارس نمر اللذين أصدرا جريدة « المقطم » في القاهرة سنة ١٨٨٩ ، ومجلة « المقتطف » في بيروت سنة ١٨٧٦ والأب لويس شيخو الذي أنشأ مجلة « المشرق » عام ١٨٩٨ في بيروت، وجرجي زيدان الذي أسس مجلة « الهلال » في القاهرة ١٨٩٢، وأحمد عارف الزين الذي أنشأ مجلة العرفان في صيدا عام ١٩٠٩(٥٤) .

بالإضافة إلى ما تقدم فقد قام معظم هؤلاء المفكرين والأدباء بتأليف جمعيات أدبية وعلمية . كان لها أثر واضح في هذه النهضة خاصة ، وفي اليقظة العربية عامة ، إذ كانت النواة الأولى للجمعيات والأحزاب السياسية التي أُنشئت في العهد الحميدي

---

(٥٢) جرجي زيدان : التراجم . الجزء الثاني . ص ١٣ - ٢١ .
لبنان ، مباحث علمية واجتماعية ، ص٥٧٦ - ٥٧٧ .

(٥٣) أسد رستم آراء وأبحاث ، بيروت ١٩٦٧ ، ص ٨٦ - ٨٧ .

(٥٤) نقولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبناني الحديث . ص ٢١٤ - ٢٢٠ .
لبنان ، مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ص ٥٧٥ .
فيليب حتي : لبنان في التاريخ ص ٥٦٥ - ٥٦٨ .

والعهد الاتحادي ومن هذه الجمعيات جمعية « الآداب والعلوم » التي أسسها المرسلون الأميركيون بالتعاون مع بطرس البستاني وناصيف اليازجي في بيروت ١٨٤٧(٥٥) .

والجمعية الشرقية التي ألفها اليسوعيون عام ١٨٥٠(٥٦) . وجمعية « زهرة الآداب » التي أُنشئت عام ١٨٧٣ وكان من أعضائها : أديب إسحاق وأسكندر عازار وسليم النجار ونخلة التويني(٥٧) .

وكانت الجمعية « العلمية السورية » التي ظهرت عام ١٨٤٧ ، أهم هذه الجمعيات وأكثرها تأثيراً في عالم الفكر والأدب . فقد بلغ عدد أعضائها ١٥٠ عضواً . أمثال : الأمير محمد أرسلان الذي تولى رئاستها عدة سنوات ، وحسين بيهم وبطرس البستاني وناصيف اليازجي وعالي سميث وكورنيلوس فانديك ووليم طمسون . وقد أوقفت هذه الجمعية أعمالها من عام ١٨٥٢ حتى ١٨٦٨ ، بسبب حوادث ١٨٦٠ في دمشق والجبل . وكان للجمعية مجلة شهرية اسمها « مجموعة العلوم » تنشر المقالات العلمية والأدبية والاقتصادية(٥٨) .

ولا ريب فإن الجمعية « العلمية السورية » هي التي أطلقت الصيحة الأولى للثورة العربية الكبرى في اجتماع سري عقده بعض أعضائها ، كان من بينهم إبراهيم اليازجي الذي ألقى قصيدة وطنية دعا فيها العرب إلى نبذ خلافاتهم والوقوف صفاً واحداً في وجه الأتراك(٥٩) .

---

(٥٥) جرجي زيدان : التراجم ، الجزء الربع ، ص ٦٥ - ٦٦ .
جورج انطونيوس : يقظة العرب . ص ١١٦ - ١١٧ .

(٥٦) لبنان ، مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ، ص٥٧٤ .

(٥٧) جرجي زيدان ـ التراجم ـ الجزء الرابع . ص ٦٨ - ٦٩ .
أنشأ اللبنانيون في المهجر جمعيات أدبية واجتماعية وخيرية . كان منها في البرازيل خصوصاً ، عدد لا يُستهان به . نذكر على سبيل المثال رواق أبي العلاء المعري ١٩٠٠ كان من أعضائه ، توفيق ضعوّن ونعوم لبكي .
توفيق ضعوّن ـ ذكرى الهجرة ـ بيروت (لا تاريخ) ص١٨٦ - ١٨٧ .

(٥٨) لبنان ، مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ، ص٥٧٤ .
لمزيد من الاطلاع على نشاطات هذه الجمعية وأسماء أعضائها راجع : نقولا زيادة : أبعاد التاريخ اللبناني الحديث ، ص ٢٠١ - ٢١٣ .

(٥٩) تبدأ القصيدة بالبيت التالي :

٣ ـ الحركات المناهضة للحكم الحميدي في بلاد الشام ودور لبنان فيها :

أدّت سياسة عبد الحميد المركزية التي سار عليها في حكم الولايات العربية إلى أن تثير حوله المتاعب في الداخل وفي الخارج . فقد قامت في وجهه معارضة عربية ومعارضة تركية . تجلّت المعارضة العربية في الثورات التي وقعت في الفترة الممتدة من ١٨٩٦ حتى ١٩٠٤ ، والتي قامت بها القبائل العربية في حوران وجبل الدروز وفي اليمن والحجاز حيث ثارت عشائر الخوازم والميمون والفضل وبني حرب والهذيل . كما ثارت في سوريا عشائر البدو بين غزة والحبرون وبحر الميت ورفضوا دفع الضرائب . وقد رفضت بعض الفرق العسكرية في دمشق ، ومعظم أفرادها من العرب ، أن تحارب الثائرين في اليمن وانضم عدد كبير من أفرادها إلى هذه الثورات بكامل عدتهم وسلاحهم(٦٠) .

وقد برزت هذه المعارضة كذلك في مواقف وكتابات جماعة من المصلحين السياسيين الذين اقترحوا حلولاً لمشاكل دولتهم . نذكر منهم : عبد الرحمن الكواكبي ونجيب عازوري .

وقد دعا الكواكبي إلى نبذ الخلافات الطائفية وإلى المساواة بين سائر رعايا السلطان لتحقيق العدالة والتماسك الاجتماعي بين السكان . كما دعا إلى الإستقلال الإداري لكل القوميات الداخلة في نطاق السلطنة العثمانية(٦١) . ومع أن الكواكبي في دعوته ظل في نطاق الوحدة الإسلامية . إذ طالب بإقامة خلافة عربية محل الخلافة العثمانية(٦٢) ، فإن برنامجه الإصلاحي يُعتبر خطوة جريئة في بناء القومية العربية(٦٣) .

تنبهوا واستفيقوا أيها العرب فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب

توفيق برو : **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني** ، جامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٦٠ ح ٢٦ . جورج انطونيوس . **يقظة العرب** . ص١٢ .

(٦٠) René Pinon, **L'Europe et l'Empire Ottoman** Paris 1917, P.378.

(٦١) عبد الرحمن الكواكبي ـ أم القرى ـ القاهرة ١٩٢٢ ص١١٤ ـ ١١٦ و١٦٨ .

(٦٢) عبد الرحمن الكواكبي ـ أم القرى ـ ص٢٣٩ .

(٦٣) أما جمال الدين الأفغاني فقد دعا في كتاباته إلى توحيد جميع الشعوب الإسلامية تحت لواء حكومة إسلامية يقوم على رأسها خليفة لا منازع له في سلطته كما كان الأمر في الأيام الأولى للإسلام . كما دعا إلى الحرية الدينية والأخذ بأسباب المدنية الحديثة . أحمد أمين ، **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** القاهرة ١٩٤٨

أما نجيب العازوري وهو لبناني ، فقد هرب إلى باريس خوفاً من عبد الحميد وأنشأ فيها سنة ١٩٠٥ جمعية باسم « رابطة الوطن العربي » . وكان هدفها دعوة العرب إلى التحرر من الأتراك . ولشرح مبادئه وأفكاره أصدر كتاباً باللغة الفرنسية عنوانه « يقظة الأمة العربية » ومجلة « الاستقلال العربي » التي ظهر العدد الأول منها في نيسان ١٩٠٧[٦٤] .

وقد هاجم عازوري الطائفية في كتابه ودعا إلى قيام دولة عربية تضم المسلمين والمسيحيين وتشمل البلاد العربية الآسيوية بحيث تظل مصر وشمالي افريقيا خارجها[٦٥] . ولعل من أهم الأمور أن يكون عازوري أول من نبه في كتابه إلى المطامع الصهيونية في فلسطين[٦٦] . لكن دعوة عازوري هذه كانت محدودة النتائج في البلاد العربية لظهورها في عاصمة أجنبية ، وبلغة أجنبية . أما في أوروبا فقد كان أثرها جليلاً إذ أوضحت للفرنسيين حقيقة القضية العربية وأهدافها[٦٧] .

أ ـ جمعية بيروت السرية :

سلك هؤلاء المعارضون طرقاً أخرى للوصول إلى أهدافهم القومية ولجأوا إلى أسلوب العمل السري المنظم ، واتخذوا من سوريا ولبنان منطلقاً لعملهم السياسي . وعلى هذا الأساس أقامت نخبة من متنوري العرب جمعية سياسية سرية في بيروت عام ١٨٧٥ كان جلّ أعضائها من نصارى لبنان الذين درسوا في الكلية السورية الانجيلية في بيروت .

ص٨٣ .

محمد أنيس : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر القاهرة (لا تاريخ) . ص ٥٨ . ولم يخرج الإمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا في دعوتهما عن إطار الجامعة الإسلامية التي دعا إليها جمال الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي .

أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ص ٥٨ ـ ٥٩ .

(٦٤) نجيب عازوري ، يقظة الأمة العربية ، ترجمة أحمد أبو ملحم بيروت (لا تاريخ) ص ١٩ ـ ٢٠ .

(٦٥) المرجع نفسه ص ٢١٩ .

(٦٦) المرجع نفسه ص ٤٩ ـ ٥٠ .

(٦٧) عادل اسماعيل : السياسة الدولية في الشرق العربي ، الجزء الرابع بيروت ١٩٦٤ ، ص ١٣٢ ـ ١٣٣ .

وإن فكرة إنشاء هذه الجمعية ضد الأتراك قد نبتت في مخيلة سليم عمون الذي راح يعمل مع زميله في الجامعة الدكتور فارس نمر لتحقيقها وقد وُفقا إلى ذلك في سنة ١٨٧٥ حين أسسا جمعية سياسية سرية هدفها استقلال سوريا ولبنان عن جسم السلطنة العثمانية(٦٨) ، وكان أبرز أعضائها المؤسسين ضاهر الزعني وأمين مغبغب ومراد البارودي وبشارة زلزل وأمين أبو خاطر وملحم فليحان وإبراهيم اليازجي وإبراهيم الحوراني ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وسليم موصلّي وداود نحوّل ووليم فانديك والياس حبالين(٦٩) .

وبينما يحدّد جورج انطونيوس عدد أعضاء الجمعية باثنين وعشرين عضواً(٧٠) . يرفع زين نور الدين هذا العدد إلى السبعين(٧١) .

ومهما قيل عن عدد أعضاء الجمعية فإن أنشط هؤلاء الأعضاء كان الياس حبالين أستاذ اللغة الفرنسية في الكلية السورية الإنجيلية في بيروت من سنة ١٨٧١ إلى سنة ١٨٧٤ وعضو المحفل الماسوني في المدينة(٧٢) . وكان حبالين بالإضافة إلى تعليم اللغة الفرنسية يلقن تلاميذه وجوب التحرر من الأتراك والثورة عليهم والتخلص من حكمهم(٧٣) . ومنذئذٍ تعاون المسلمون والنصارى على محاربة الأتراك ومطالبتهم بتحقيق المساواة بينهم وبين العرب وإجراء الإصلاحات الضرورية في البلاد العربية ، لكن عندما أصرّ النصارى على الهدف الأسمى للجمعية وهو طرد الأتراك من بلاد الشام ، اختلفوا مع المسلمين فأضاعوا « فرصة سانحة قلّ أن يجود الزمان بمثلها » كما ذكر فارس

---

(٦٨) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية . بيروت ٩٧٣ ، ص٢٤٨ .

(٦٩) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية . ص٢٤٨ .
زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ص ١٩٦ الهامش .

(٧٠) جورج انطونيوس : يقظة العرب . ص ١٥٢ .

(٧١) زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ص ١٩٦ الهامش .
وقد يكون هذا التفاوت في العدد يعود إلى زمن مختلف لم يذكره أحد المؤرخين .

(٧٢) فيليب دي طرازي : تاريخ الصحافة العربية بيروت ١٩١٣ ص ١١٥ - ١١٦ .

(٧٣) المقتطف : ج ٣٦ أيار ١٩١٠ ص ٢٥٠ - ٢٧٠ مقال فارس نمر تحت عنوان النهضة الدستورية والسياسة العثمانية في الديار المصرية .

تمر بذلك(٧٤) .

وكان أعضاء هذه الجمعية السرية يعقدون اجتماعاتهم في مكانٍ أمين على الشاطىء عند رأس بيروت المعروف بالروشة بعيداً عن أعين السلطة وجواسيسها وذلك لوضع الخطط الكفيلة بتنفيذ برنامجهم السياسي(٧٥) .

وكان أسلوب لصق المنشورات في الشوارع تحت جنح الظلام هو الوسيلة التي لجأ إليها هؤلاء الأعضاء لتحقيق غايتهم . وقد ظهرت أولى المنشورات في عام ١٨٧٩ حين أقدم هؤلاء الأعضاء على نشر سينية الشيخ إبراهيم اليازجي عضو الجمعية وتعليق نسخ منها على أبواب الجوامع والكنائس في بيروت ودمشق وطرابلس وصيدا في آنٍ واحد ومما جاء فيها :

دع مجلس الغيد الأوانس ... وهوى لواحظها النواعس
فالترك قومٌ لا يفـو ... ز لديهم إلا المشاكس
أولستم العرب الكـرا ... م ومن هم الشم المعاطس
فاستوقدوا لقتالهم ... ناراً تروع كل قابس

ثم أتبعوها ببائيته الشهيرة ومطلعها :

تنبهوا واستفيقوا ايها العرب ... فقد طمى الخطب حتى غاصت الركب
فيمَ التعلل بالآمال تخدعكم ... وأنتم بين راحات الفنا سلب
أقداركم في عيون الترك نازلة ... وحقكم بين أيدي الترك مغتصب
لنطلبن بحد السيف مأربنا ... فلن يخيب لنا في جنبه أرب(٧٦)

وفي ١ حزيران سنة ١٨٨٠ ظهرت في بيروت ودمشق مناشير تُطالب بالإستقلال الذاتي لبلاد الشام وبتحقيق الامتيازات التي منحها الباب العالي إلى المقاطعات الأخرى(٧٧) .

---

(٧٤) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية . ص ٢٤٩ . زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ص ٦١ .
(٧٥) زين زين : نشوء القومية العربية ص ٦٠ .
(٧٦) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية . ص٢٤٩ - ٢٥٢ .
(٧٧) Adel Ismaïl, **Documents,** T 14, p194- 198.

كما ظهرت في ٣٠ كانون الأول من السنة نفسها مناشير جديدة في مدن صيدا وبيروت ودمشق وبعض المدن الأخرى تدعو للثورة على الأتراك وتطالب بطردهم من البلاد وبتعيين قائمقام من أصلٍ عربي في صيدا(٧٨) .

وفي اليوم التالي ظهرت مناشير مماثلة في كل من بيروت ودمشق كانت تطالب بالاستقلال لبلاد الشام عسكرياً وسياسياً . كما أُلصقت مناشير أخرى في دمشق وطرابلس في أول كانون الثاني ١٨٨١ تدعو للثورة على الأتراك(٧٩) . ويمكننا تلخيص احداها في النقاط التالية :

يبدأ المنشور بتذكير السوريين بطغيان الأتراك واستبدادهم بالأمور وبتصرفاتهم اللاأخلاقية ثم يعدد مساوئهم على كل صعيد . وكيف أن حفنة من الأتراك سلبت العرب حريتهم وحقوقهم ودنّست مقدّساتهم واستغلت أرضهم وبلادهم ، وينتهي أخيراً بتهديد صريح بالثورة إذا لم ينفذ الأتراك المطالب التالية :

١ ـ إعطاء الاستقلال لسوريا على أن تتحد مع لبنان .

٢ ـ جعل اللغة العربية رسمية في البلاد وإلغاء القيود المفروضة على حرية التعبير والنشر .

٣ ـ استخدام الضباط والجنود من أصل عربي في مهماتٍ عسكرية داخل البلاد العربية(٨٠) .

---

(٧٨) Ibidem, p. 249- 252

(٧٩) Adel Ismaïl, **Documents,** T 14, p25- 253.

(٨٠) Ibidem, p. 275- 276

وتجدر الاشارة إلى ما ورد في كتاب « نشوء القومية العربية » لزين نور الدين زين وكتاب « يقظة العرب » لجورج انطونيوس من أن وكيل القنصل العام الانكليزي في بيروت السيد « جون ديكسون John Dkison قد ذكر في رسائله التي وجهها عام ١٨٨٠ إلى السفير البريطاني في استامبول السيد غوشن Goshen أن هذه المناشير التي ظهرت في مختلف المدن السورية لا يزال يوجد في مكتب السجلات العامة في وزارة الخارجية البريطانية ثلاثة منها تحت رقم ١٩٥ ـ ١٣٠٦ .

فالمنشور الأول كان يلوم العرب على استكانتهم واستسلامهم لطغيان الأتراك كما كان يدعوهم إلى التضامن والوحدة ونبذ الخلافات فيما بينهم وفي أعلى المنشور شعار يمثل سيفاً مسلولاً كتب تحته البيت التالي من الشعر :

ومع أن الحكومة العثمانية قد أعطت أهمية لهذه المناشير وحاولت معرفة ناشريها إذ وجهت أمراً إلى والي سوريا ، حمدي باشا ، بضرورة إتخاذ جميع التدابير التي تكفل إعادة الأمن والنظام إلى ربوع البلاد ومن ثم إلقاء القبض على كل المشبوهين . إلا أن قناصل الدول الأجنبية لم يعطوا أهمية لهذه المناشير وأستبعدوا قيام ثورة شاملة في بلاد الشام ، في تلك الفترة على الأقل ، لأن مسلمي سوريا كانوا في وضع سيء للغاية إذ لم يكونوا موحدي الكلمة ، ولم يكن لديهم زعيم ذو شهرة واسعة يتولى قيادتهم كما أنهم ليسوا على استعداد للتعاون مع قناصل الدول الأجنبية في هذا السبيل(٨١) . لذلك أسرع زعماء بيروت إلى توجيه رسالة إلى والي بيروت يعربون فيها عن استنكارهم لكل حركة ثورية ويعلنون عن استعدادهم لملاحقة مثيري الشغب وكاتبي المناشير ويقدمون الولاء والطاعة للسلطان(٨٢) .

على أنه لا يمكن التقليل من أهمية هذه المناشير ودورها في بلورة المشاعر الساخطة وترجمتها إلى حركة سياسية ثورية ، وخاصة بعد أن وضعت برنامجها الإصلاحي وحددّت فيه معالم الطريق للجمعيات والأحزاب التي ستأتي .

وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار جمعية بيروت السياسية السرية خطوة جريئة إلى الأمام على طريق الحركة العربية التحررية ، وأول تعبير عن الأهداف السياسية للدول العربية العتيدة .

ولما اشتدّت مراقبة الحكومة العثمانية أقدم أعضاء الجمعية على حرق أوراقهم

لنطلبن بحد السيف مأربنا فلن يخيب لنا في جنبه أرب

أما المنشور الثاني فكان أكثر عنفاً في مهاجمة الأتراك . لعدم تنفيذهم الاصلاحات التي وعدوا بها . ثم طالب الدولة العثمانية بمنح سوريا الاستقلال الذاتي . وأما المنشور الثالث فقد أُلصق على الجدران في ليلة ٣١ كانون الأول ١٨٨٠ وفيه تهديد صريح بالثورة إذا لم تنفذ السلطة العثمانية المطالب العربية .

جورج انطونيوس : **يقظة العرب** . ص ١٥٣ ـ ١٥٤ . زين زين **نشوء القومية العربية** ص ٦٢ ـ ٦٣ و١٦٤ ـ ١٦٥ (باب الملاحق) .

(٨١) Adel Ismaîl, **Documents,** T 14, p 250-253.

رسالة وكيل القنصل البريطاني في بيروت إلى السفير البريطاني في استامبول السيد غوشن . (٣ تموز ١٨٨٠) نقلاً عن زين زين **نشوء القومية العربية** ص ٦٦ .

(٨٢) Adel Ismaîl, op. cit, p 274

وسجلاتهم في حفرة في الأرض في ليلة من ليالي تشرين الثاني سنة ١٨٨١ بين كلية الطب في الجامعة الأميركية وبين بيت الدكتور جورج بوست(٨٣) .

إن تهمة كتابة المناشير ولصقها في شوارع المدن الرئيسية قد وُجهت إلى جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية التي أنشأها وجهاء المسلمين في دمشق وإلى فروعها في مختلف المدن الشامية(٨٤) .

ويبدو أن الهدف الظاهري لهذه الجمعية كان تطوير المسلمين وتعليم أبنائهم(٨٥) . أما الهدف الخفي لمؤسسيها كان تحقيق مآرب سياسية . لذلك استخدموا مناشير مغفلة لإثارة مشاعر الحقد ضد الأتراك ولإظهار رغبتهم بالإنفصال عن الدولة العثمانية(٨٦) . وقد شاع هذا الرأي بين الناس حتى أخذ بعض المفسدين ، على حد تعبير سليم علي سلام ، يدسّون على الجمعية في بيروت لدى الوالي حمدي باشا بأنها وإن تكن قد تأسست تحت اسم خيري ، إلّا أنها جمعية سياسية تسعى لمناوأة الحكومة ، فأصدر الوالي أمره بحل الجمعية وإلحاقها بنظارة المعارف وسماها « شعبة المعارف الأهلية »(٨٧) .

ويعزو سينكيويكز « Sienkiewics » قنصل فرنسا العام في بيروت آنذاك إلى مدحت باشا(*) الدور الأكبر في الهياج في بلاد الشام في ذلك الحين وذلك في جميع رسائله

---

(٨٣) أسد رستم : لبنان في عهد المتصرفية . ص٢٥٢ .

(٨٤) Adel Ismaîl, Documents, t14, p249- 251

(٨٥) بدأت الجمعية نشاطها التربوي في بيروت بإنشاء مدرسة للبنات في مطلع شوال من عام ١٢٩٦ هـ ، في محلة الباشورة ، وكان عدد طالباتها ٢٣٠ تلميذة ثم بادرت الجمعية كذلك إلى افتتاح مدرسة ثانية للبنات في شهر جمادى الثاني من السنة نفسها في دار بني البربير استأجرته الجمعية بمبلغ ٢٥٠٠ قرش سنوياً . وكان عدد تلميذاتها ٢٠٠ تلميذة . ثم اتبعتها الجمعية بافتتاح مدرستين للذكور واحدة في وسط المدينة في سوق البازركان . والثانية في محلة الباشورة في الطابق الثاني من المكتب السلطاني .
جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت : الفجر الصادق . بيروت ١٨٧٨ . ص ١٧ ـ ١٨ .

(٨٦) Adel Ismaîl, op; cit, P 251

(٨٧) تأسست جمعية المقاصد الخيرية في بيروت سنة ١٨٧٨ م الموافقة ١٢٩٥ هـ . سليم علي سلام ، مذكرات ص ٥ . (ميكروفيلم الجامعة الأميركية في بيروت) .

(*) كان مدحت باشا والياً على دمشق ما بين ١٨٧٨ ـ ١٨٨٠ .

التي عالجت هذا الموضوع . ففي إحداها يقول : « إن الجمعيات التي أُنشئت حديثاً في سوريا قامت بتحريض من الوالي مدحت باشا لتحريك الأوضاع في البلاد كي يتسنى له توسيع صلاحياته . ومن ثم الاستقلال في ولاية سوريا بدعم من الإنكليز وحمايتهم كما هو الحال في مصر[٨٨] . ويذكر محمد جميل بيهم في كتابه « العرب والترك » إن هذا الوالي كان يطمح في أن يستقل بسوريا كإستقلال الخديوي بمصر وأيده في هذا المسعى المشير أحمد أيوب باشا بالإتفاق مع فرنسا[٨٩] . وأورد هذا الكلام أيضاً الدكتور أسد رستم نقلاً عن رواية رياض الصلح ورواية الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الذي ذكر بأن طرابلس في أيام مدحت باشا كادت أن تثور على الأتراك[٩٠] .

ولا بد من الإشارة إلى ما ورد في كتاب نشوء القومية العربية « من أن فارس نمر باشا قد اعترف للمؤلف بأن جمعيتهم السرية كانت مسؤولة عن كتابة عدد من هذه المناشير وإن عدداً منها كان بخط يده »[٩١] .

بعد هذا يمكننا القول أن نشاط أعضاء جمعية بيروت السرية وتحركات أعضاء الجمعيات الإسلامية الأخرى ودسائس مدحت باشا وألاعيب خديوي مصر ومن ورائه الإنكليز في سوريا كانوا المسؤولين عن كتابة هذه المناشير وتوتير الأجواء في البلاد[٩٢] .

ب ـ مؤتمر دمشق السري وحركة أحمد الصلح :

ومن الحركات السياسية الثورية التي قامت في بلاد الشام ما بين ١٨٧٥ ـ ١٨٨١ الحركة الاستقلالية التي اتخذت من بيروت مركزاً لها . لأن أحمد الصلح محرك هذه

(٨٨) Adel Ismaîl, **Documents**., T14, p180-181

يذكر رشاد دارغوث في مقال له تحت عنوان « الشيخ الرئيس مؤسس جمعية المقاصد الخيرية الأولى » أن أول جمعية نشأت في صيدا باسم « جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية » كان بحضور وتوجيه مدحت باشا والي دمشق آنذاك . **مجلة العربي** . عدد ٣٧ كانون الأول ١٩٦١ ، رشاد دارغوث : **الشيخ الرئيس مؤسس جمعية المقاصد الخيرية** ص٦٣ ـ ٦٤ .

(٨٩) محمد جميل بيهم : **العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب** ، بيروت ١٩٥٧ ، ص ١٤٩ .

(٩٠) أسد رستم : **لبنان في عهد المتصرفية** . ص٢٥٣ .

(٩١) زين نور الدين زين ، **نشوء القومية العربية** ص ٦٢ .

(٩٢) Adel Ismaîl, op. cit. p 272- 274

الحركة كان مقيماً في هذه المدينة . وبعد أن تخيّل أحمد الصلح الحل لأوضاع البلاد الشامية، بدأ يتصل ببعض العاملين المؤيدين في بيروت وصيدا وجبل عامل ، أمثال الحاج إبراهيم آغا الجوهري والسيد محمد الأمين والشيخ علي الحر . ثم سافر مع محمد الأمين ومنح الصلح إلى دمشق حيث اتصلوا ببعض أصحاب الرأي والمكانة فيها . كمفتي المدينة ونقيب أشرافها السيد حسن تقي الدين الحصني ، وعرضوا عليهم الفكرة فلاقوا منهم التشجيع والتأييد . ثم قصدوا بعد ذلك إلى دمّر ، مصيف الأمير عبد القادر الجزائري ، وتباحثوا معه في الأوضاع المضطربة في البلاد وعواقب هذا الاضطراب ووسائل إنقاذها من هذا الوضع . وبعد أن استكمل هؤلاء الزعماء كل الوسائل الممكنة لإنجاح هدفهم عقدوا مؤتمراً سرياً في دمشق[٩٣] .

وفي هذا المؤتمر الذي بلغ عدد أعضائه ثلاثين شخصاً تقرّر العمل لتحقيق استقلال البلاد الشامية (سوريا والأردن وفلسطين ولبنان) . وقدّم أحمد الصلح اقتراحاً بترشيح الأمير عبد القادر الجزائري ملكاً على هذه البلاد . فوافق المجتمعون على هذا الاقتراح . وبتكليف من المؤتمر حمل أحمد الصلح القرار إلى الأمير الذي كان من رأيه أن يظل الإرتباط الروحي بين البلاد الشامية والخلافة العثمانية قائماً ، وأن يبقى السلطان العثماني خليفة للمسلمين . وأن تتم البيعة للأمير من أهل البلاد جميعاً . وقد أيّد المؤتمرون رأي الأمير في البيعة والخلافة وأمّا فيما يتعلق بالإستقلال المنشود فإن المؤتمرين أرجأوا البت فيه إلى ما بعد انتهاء الحرب الروسية ـ العثمانية وانجلاء وضع الدولة ومصيرها . وكان يروج بين أعضاء المؤتمر أنه إذا تبين أن إحدى الدول الأجنبية تهدف إلى الاستيلاء على بلاد الشام فلا بد من طلب الاستقلال التام . أما إذا تبين أنه ليس ثمة من عزم على احتلال البلاد فتكون الغاية تحقيق الاستقلال الذاتي كما هي الحال في مصر وبعض بلاد البلقان .

---

(٩٣) كان يمثل جبل عامل في ذلك المؤتمر ، السيد محمد الأمين من الأشراف الحسينيين سكان شقرا والحاج علي عسيران رأس الأسرة العسيرانية المعروفة في صيدا ، والشيخ علي الحر الجبيعي ، وشبيب باشا الأسعد الوائلي . وكان هذا المؤتمر أول مؤتمر اشترك فيه الشيعيون للنظر في استقلال بلاد الشام وفصلها عن جسم السلطنة العثمانية وقد عُقد سراً في دمشق في نهاية الحرب العثمانية ـ الروسية سنة ١٨٧٨ .
عادل الصلح . سطور من الرسالة . تاريخ حركة استقلالية قامت في الشرق العربي عام ١٨٧٧ ، بيروت ١٩٦٦ ص ٩٦ .

وقد تقرر بعد ذلك أن يقوم الأمير بجولات دعائية لهذه الحركة في المدن الشامية تمهيداً لتنفيذ البيعة المطلوبة وإرسال وفود إلى أوروبا لشرح القضية السورية وكسب تأييدها لهذا الاستقلال . وقد قام الأمير بهذه الجولة الدعائية فزار صيدا وجبل عامل وعكا ويافا والقدس ونابلس وبعلبك وغيرها . كما تلقى عدة رسائل تأييد من يوسف كرم والمطران يوسف الدبس وغيرهما . مما يؤكد على أهمية الدور الذي لعبه اللبنانيون في الحركات السرية المناهضة للأتراك في ذلك الحين . وعندما شعر السلطان عبد الحميد بهذه الحركة أخذ يطارد أعضاءها ونفى بعضهم إلى خارج البلاد ، كما نفى محمد الأمين إلى طرابلس الشام ومنع الإتصال بين الأمير وأحمد الصلح(٩٤) .

وقد وجد أركان هذه الحركة فيما بعد ، أن تنفيذ هدفها هو أمر مستحيل بعد أن تمّ الإتفاق بين الدول الأوروبية على مهادنة الدولة العثمانية ، في مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨(٩٥) .

ج - جمعية النهضة العربية :

وفي ٢٣ كانون الأول ١٩٠٦ أنشأ رهط من السوريين واللبنانيين في الأستانة « جمعية النهضة العربية » التي اعتمدت السرية في العمل ووضعت برنامجاً سياسياً يقوم على المطالبة بالحرية والمساواة وتطبيق اللامركزية في الحكم . ولمّا افتضح أمرها أخذ السلطان العثماني يضيق الخناق على أعضائها وأودع بعضهم غياهب السجون(٩٦) .

وقد ضاق عبد الحميد ذرعاً بهذه الجمعيات وتحركات رجالها المعادي للسلطة ،

---

(٩٤) عادل الصلح : سطور من الرسالة ... ص ٩٢- ١٢٧ .
ذكر محمد جميل بيهم نقلاً عن رواية راشد بيهم أن والد هذا الأخير وهو حسين بيهم كان هو والأمير محمد أرسلان على إتصال بالشريف عبد المطلب أمير مكة وكان هذا الأمير يعمل لحركة ثورية ضد تركيا بالاتفاق مع الأمير عبد القادر الجزائري الذي كان يُقيم في دمشق وربما كان لفرنسا يد في هذه المحاولة .
محمد جميل بيهم ، العرب والترك ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .
(٩٥) عادل الصلح سطور من الرسالة ص ١٢٦ .
(٩٦) عادل إسماعيل : السياسة الدولية ج٤ ، ص ١٣٣ .

فشدّد النكير على الأحرار والمفكرين(٩٧) حتى اضطر بعضهم إلى الهرب خارج البلاد . وكان من بين الفارين المبعوثان ، خليل غانم والأمير أمين أرسلان وهما من أصل لبناني وبعض الصحفيين اللبنانيين كجرجي زيدان ويعقوب صروف وفارس نمر . واتخذوا من مصر وأوروبا وأميركا موئلاً جديداً لهم وميداناً رحباً لنشاطهم السياسي(٩٨) . وكان من أبرز هؤلاء وأكثرهم نشاطاً خليل غانم الذي هرب إلى أوروبا بعد تعطيل مجلس « المبعوثان » فأصدر في جنيف جريدة باسم « الهلال » ثم التجأ إلى باريس فأسس فيها جريدة « تركيا الفتاة » ١٨٩٥ بالإتفاق مع الأمير أمين أرسلان كما كتب مقالاتٍ كثيرة في بعض الصحف الفرنسية هاجم فيها حكم عبد الحميد(٩٩) . وترك لنا عدة مؤلفات قيمة كان أهمها كتابه الشهير « Les Sultans Ottomans »(١٠٠) .

وحينما التجأ أحمد رضا إلى باريس عام ١٨٨٩ التقى خليل غانم واشتركا معا في إصدار وتحرير جريدة « مشورت » ويُعتبر خليل غانم وأحمد رضا من أبرز الرجال الذين عملوا في جماعة تركيا الفتاة في باريس(١٠١) .

٤ ـ جمعية الاتحاد والترقي :

وفي عام ١٨٨٩ شكّل جماعة من طلبة المكتب الحربي السلطاني (الكلية الحربية) في استامبول جمعية سريّة باسم « الاتحاد العثماني » كان على رأسهم إبراهيم تمو الألباني الماسوني(١٠٢) ، وإسحق سكوتي، وشركسي محمد رشيد ، وعبدالله جودت ، وكرديان

---

(٩٧) Gilles Roy- **Abdel- Hamid, Le Sultan Rouge** Paris 1936, P 141.

(٩٨) محمد أنيس : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، القاهرة (لا تاريخ) ص ١٦٨ .

(٩٩) توفيق برو : العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ص٥٠ .

محمد أنيس : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(١٠٠) Khairallah, T, Khairallah, **La Syrie**, Paris 1921, P120.

(١٠١) المنار : م١١ ، ج١١ ، ص ٨٥١ الشيخ رشيد رضا « تركيا الفتاة » .

Georges Samné, **La Syrie**, p 62

(١٠٢) محمد أنيس : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر . ص١٦٨ .

أرنست رامزور **تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨** ، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي . بيروت ١٩٦٠ ، ص ٤٩ .

ونيازي(١٠٣) . وقد انتقل بعض أعضاء هذه الجمعية إلى أوروبا واتخذوا من جنيف وباريس منطلقاً لنشاطهم وأصدر اثنان منهم ، وهما إسحق سكوتي وعبدالله جودت مجلة « عثمانلي » في جنيف لتأليب الرأي العام على السلطان وجماعته(١٠٤) .

تابع الأحرار العثمانيون نشاطهم السياسي في المنفى ، فألّفوا الجمعيات للوقوف في وجه السلطان عبد الحميد . وكان منها « الجمعية الإصلاحية التركية ـ العربية » بزعامة الأمير أمين أرسلان ، وقد عاشت ردحاً من الزمن(١٠٥) . و« جمعية الشورى العثمانية » التي تأسست في القاهرة سنة ١٨٩٧ ، وكان من مؤسسيها محمد رشيد رضا ورفيق العظم ، وقد أُنشيء لها فروع في بعض المدن العثمانية . وكان هدفها محاربة السلطان عبد الحميد الثاني وإعادة الحياة النيابية . وكانت منشوراتها تُطبع بالعربية والتركية وترسل مع المسافرين وبحارة السفن الروسية إلى الموانىء التركية على البحر الأسود حيث يستلمها الرسل السرّيون ويوزعونها على أفراد الشعب ، في كافة بلاد الشام بصورة خاصة . وقد حلّت هذه الجمعية نفسها بعد سيطرة « جمعية الاتحاد والترقي » على السلطة عام ١٩٠٨(١٠٦) .

ولم يكن الأحرار العثمانيون في المنفى متفقين سوى على نقطة واحدة هي محاربة عبد الحميد والقضاء على سلطته . بينما كانت اتجاهاتهم السياسية حول كيفية إدارة الدولة وإصلاحها متشعبة ومتضاربة . فلذا تحركت المساعي لوضع خطة عمل مشتركة تلتقي عندها كل الآراء والاتجاهات(١٠٧) .

ولتنظيم حركة مقاومة جماعية ضد السلطان عبد الحميد(١٠٨) . عقد الأحرار

---

(١٠٣) أحمد نيازي ، خواطري ، ترجمة ولي الدين يكن القاهرة ١٩٠٩ ، ص ١٢ ـ ١٣ .

(١٠٤) حسان حلاق ، موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٤ ، بيروت ١٩٧٨ ، ص٢٨٧ .

(١٠٥) Ernest Ramsaur, **The Young Turks, prélude to the Revolution of 1908, Princeton** 1957, p63.

(١٠٦) المنار م١٢ . ج١ . ص ١٣ . مقال محمد رشيد رضا ـ الاستبداد الحميدي .

(١٠٧) Ernest Ramsaur, op. cit; p 65

(١٠٨) عادل إسماعيل . السياسة الدولية ، ج٤ ، ص ١٣٢ .

العثمانيون من ٤ ـ ٩ شباط ١٩٠٢ مؤتمراً في دار الأمير صباح الدين في باريس ، حضره ممثلون عن جميع الأجناس في الدولة وطوائفها(١٠٩) . وفي ختام جلساته اتخذ المؤتمرون قراراً يقضي بإقامة نظام حكم يتفق مع المبادىء الدستورية التي من شأنها أن تضم جميع العناصر العرقية والطائفية في السلطنة ، وأن تكفل لها العدالة والحرية وتأييد صيانة حقوقها التي أقرتها إعلانات السلاطين وعززتها المعاهدات الدولية(١١٠) .

ولتحقيق ذلك ألّف الأمير صباح الدين جمعية برئاسته باسم « اللامركزية »(١١١) كان هدفها الحكم على أساس اللامركزية وتوسيع الصلاحية في الولايات . ولنشر أفكارها أصدرت هذه الجمعية سنة ١٩٠٦ جريدة « ترقي » التركية التي كان يحرّرها سكرتير الجمعية أحمد فُضلي(١١٢) .

وبينما راجت مبادىء الأمير بين العناصر غير التركية والطوائف غير الإسلامية ، والتف حوله الكثير من رجالات العرب الأحرار ودخلوا في عداد الجمعية اللامركزية ، مال معظم الأتراك وخاصة الأحرار منهم إلى آراء أحمد رضا في تعزيز القومية التركبة والتمسك بمبدأ « المركزية » في تنظيم إدارة الدولة . وكانت آراء أحمد رضا تتجاوب مع أهداف « الجمعية العثمانية الحرّة » التي تأسست بصورة سرية في سلانيك وكان من مؤسسيها جمال باشا وطلعت باشا(١١٣) .

وفي عام ١٩٠٧ توحدت « الجمعية العثمانية الحرة » مع جمعية « الاتحاد العثماني » ومع الجمعية السريّة التي أسسها عام ١٩٠٦ اليوزباشي مصطفى كمال في دمشق بعد أن

---

(١٠٩) توفيق برّو : **العرب والترك** ص ٥٤ أ
عادل إسماعيل . **المصدر السابق** ، ص ١٣٢ .

(١١٠) عادل إسماعيل . **المصدر السابق** ، ص ١٣٢ .

(١١١) كان اسم الجمعية « جمعية التشبث الشخصي واللامركزية الإدارية » ثم اختصر هذا الاسم إلى « عدم مركزيت » بالتركية و« اللامركزية » بالعربية .
ساطع الحصري . **البلاد العربية والدولة العثمانية** . ص١٢٠ .

(١١٢) Ernest Ramsaur, **The Young Turks** .. P 86
توفيق برّو : **العرب والترك** ص ٥٥ ـ ٥٦ .

(١١٣) محمد أنيس . **المشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** . ص ١٧٣ .
Paul Fesh, **Constantinople Aus Derniers Jours D.Apdul- Hamid** Paris 1909, P 380.

نقل مركزها إلى سلانيك(١١٤) . ثم اتصلت هذه الجمعيات بأحمد رضا وجماعته في باريس واتفقوا على توحيدها كلها بما فيها منظمة « المركز العمومي » في باريس تحت اسم « جمعية الاتحاد والترقي »(١١٥) .

اتهمت « جمعية الاتحاد والترقي » جمعية « صباح الدين » بأنها تخدم مصالح الأرمن ومتأثرة بمطالبهم ، وبذلك أسقطتها من أعين المواطنين(١١٦) . ثم أعادت تنظيم نفسها من جديد وأخذت تتغلغل بين صفوف الشعب العثماني ، واستغلت التدخل الأوروبي المستمر في البلقان وأعلنت أن « الأمبراطورية العثمانية للعثمانيين »(١١٧) . ودعت إلى عقد مؤتمر عام في باريس .

وفي كانون الأول ١٩٠٧ عقد المؤتمر الذي عُرف بمؤتمر باريس الثاني ، وحضره ممثلون عن معظم شعوب الدولة ، وقد جاءت مقرراته أكثر وضوحاً وأشدّ صلابة من سابقاتها . إذ طالب المؤتمرون بتنازل عبد الحميد عن العرش وإجراء تبديلات أساسية في الإدارة العثمانية وإعادة الدستور وإعلان الحرية والمساواة بين جميع عناصر الدولة العثمانية(١١٨) .

---

(١١٤) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية . ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي الطبعة السابعة ، بيروت ١٩٧٧ ، ص ٥٩٨ ، الهامش .

(١١٥) محمد أنيس : المشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر . ص ١٧٣ .
استفادت جمعية الاتحاد والترقي من الحركة الماسونية الحرة في مقدونية. حول هذه النقطة راجع : جواد رفعت اتلخان : الخطر المحيط بالإسلام ، الصهيونية وبروتوكولاتها ، ترجمة وهبي عزّ الدين ، بغداد ١٩٦٥ . ص١٥٠ وما بعدها . وأيضاً
Lord Eversley, **The Turkish Empire** Lahore, 1959, p 370 . .

(١١٦) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص١٢٠ .

(١١٧) T. G. Djuvara, **Cent Progets de Partage de la Turquie** 1281- 1914, Paris 1914, p 503 .
زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ص ٧٥ - ٧٦ .

(١١٨) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص١٠٧ .
وتحدثت المنار عن مؤتمر « ويانة » الذي دعت إليه الجمعية الأرمنية مع جمعية الاتحاد والترقي ، والذي حضره جماعة من الترك والأرمن والمقدونيين والروم والكرد والعرب واليهود والأرناؤوط . وقد نتج عنه المقررات التالية :

ولتنفيذ مقررات مؤتمر باريس راحت جمعية « الاتحاد والترقي » تعد العدّة للثورة على السلطان الذي وقع ضحية « دسائس الدول الغربية » وممّا ساعدها على ذلك انضمام عدد كبير من الضباط العرب في الجيش التركي إلى مركزها الرئيسي في سلانيك .

٥ ـ ثورة ١٩٠٨ وإعادة الدستور :

وقد اتخذت « جمعية الاتحاد والترقي » من مقدونية[١١٩] مركزاً لنشاطها السياسي والعسكري ، واعتمدت السريّة في تحركاتها وراحت تنشر مبادئها بين المدنيين والعسكريين . فتمكنت من اجتذاب شخصيات عسكرية هامة إليها ، ولم يكتشف موظفو الحكومة في تلك الولايات أمر هذه الجمعية إلا في ربيع ١٩٠٨[١٢٠] .

ولمّا حاول موفدو السلطان معرفة أسرارها وملاحقة رجالها حكمت عليهم بالموت . وعينّت فدائيين من أعضائها « بالقرعة أو بالتراضي » لتنفيذ هذه المهمة[١٢١] . ثم أُعلنت الثورة في مقدونية ، ووُجهت في ٢١ و٢٢ و٢٣ تموز ١٩٠٨ كتباً إلى المابين والمفتش العام ووالي مناستر تطلب فيها إعادة القانون الأساسي وإفتتاح مجلس « المبعوثان » . ولكنها أكدّت على « بقاء الذات الشاهانية وحفظها في مقام شرفها الفاخر » لأن الأمة لا تحاسبها على ما سلف من السيئات[١٢٢] .

---

١ ـ قلب الحكومة الحاضرة واستخدام كل الوسائل لتحقيق ذلك .

٢ ـ تحقيق حكومة مقيدة دستورية لجميع الرعايا العثمانيين.

٣ ـ استخدام كل الوسائل للوصول إلى هذ الهدف .

المنار . م١١ ، ج١١ ، ص ٨٥٠ .

(١١٩) كانت مقدونية تتألف من ثلاث ولايات (مناستر وقوصوه وسلانيك) ، حيث تأسست في هذه المنطقة سنة ١٩٠٣ إدارة خاصة تحت مراقبة خمس من الدول الأوروبية الكبرى وهي : بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وإيطاليا .

عادل إسماعيل . السياسة الدولية ، ج ٤ ص ١٣٣ .

ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص١٠٧ .

(١٢٠) المنار . م ١١ ج١١ ، رسالة محمد روحي الخالدي . عادل إسماعيل . المصدر السابق ، ص ٤٠ و١٣٤ .

(١٢١) المنار . م١١ . ج١١ ، رسالة محمد روحي الخالدي .

(١٢٢) أحمد نيازي ، خواطري ، ص ٨٣ ـ ٨٤ . محمد فريد المحامي . تاريخ الدولة العلية العثمانية ص٧٠٦ .

ولما امتدت الثورة إلى كافة المناطق العثمانية في مقدونية واشتركت فيها جميع الفئات الشعبية(١٢٣) . وحينها انضمت القوات العسكرية العثمانية التي أُرسلت إلى سلانيك إلى الثورة فور وصولها(١٢٤) ، وعندما شاعت الأخبار في الآستانة ومؤداها أن الثوار باتوا يفكرون في خلع السلطان ومبايعة سلطان آخر وأن الجيش في مقدونية في طريقه نحو العاصمة(١٢٥) ، أصدر السلطان عبد الحميد الثاني إرادة سنيّة بإعادة القانون الأساسي وإلغاء الرقابة على الصحف والمطبوعات وإطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين . ثم أصدر أمراً بانتخاب مجلس « المبعوثان » العثماني وأقسم يمين الولاء للدستور أمام شيخ الإسلام(١٢٦) .

وفي ١٧ كانون الأول ١٩٠٨ أفتتح السلطان العثماني مجلس المبعوثان(١٢٧) . وفي الحال أبرقت جمعية « الاتحاد والترقي » - مركز سلانيك - إلى السلطان عبد الحميد الثاني معربة عن شكرها العميق لإقدامه على افتتاح مجلس الأمة العثماني . وقد كان ردّ عبد الحميد على هذه البرقية مقروناً بالإرتياح التام ، وبتوجيه وافر التحيات السلطانية إلى جميع أعضاء الجمعية(١٢٨) .

---

(١٢٣) أحمد نيازي ، **خواطري** ، ص ١٣٥ - ١٣٨ .

(١٢٤) المنار . م١١ . ج١١ ، ص٤٥٦ . رسالة **محمد روحي بك الخالدي** . .

(١٢٥) الأقبال . عدد ٢٨٩ . ٨ آذار ١٩٠٩ . **حديث لممدوح باشا وزير الداخلية العثمانية أثناء قيام الثورة ١٩٠٨** .

(١٢٦) جون هاسلب . **السلطان الأحمر عبد الحميد** . ترجمة فيليب عطالله . بيروت ١٩٧٤ . ص ٣٠٥ - ٣٠٧ .
المقتطف . م٣٣ ، ج٨ . ١٩٠٨ . **الخط الهمايوني** .
الأقبال . عدد ٢٦١ . ٣١ آب ١٩٠٨ . **الخط الهمايوني** .

(١٢٧) الأقبال . عدد ٢٧٨ . ٢٨ كانون الأول ١٩٠٨ **خطاب السلطان عبد الحميد بمناسبة افتتاح مجلس المبعوثان** . جون هاسلب . **السلطان الأحمر عبد الحميد** ص ٣٠٩ .

(١٢٨) **الأقبال** . عدد ٢٧٩ . ١١ كانون الثاني ١٩٠٩ . **برقية جمعية الاتحاد والترقي** - ومن برقيات التهاني التي وردت إلى المابين كانت برقية مجلس النواب الانكليزي التي جاء فيها :
« إن برلمانكم دخل الأسرة البرلمانية الكبيرة كأبن ثورة سلمية ونحن واثقون بأن مساعيكم وأعمال مجلسكم ستؤكد السعادة والرفاهية لجميع عناصر السلطنة » .
الأقبال : عدد ٢٧٨ ، ٢٨ كانون الأول ١٩٠٨ .

ثم جرت احتفالات بهذه المناسبة في سائر أنحاء الدولة . . . في حين أخذ عهد عبد الحميد الثاني يتداعى ونجمه يأفل من سماء بني عثمان بعد أن كان الرجل المطاع والحاكم الفرد في السلطنة العثمانية كلها .

٦ ـ الثورة المضادة وسقوط عبد الحميد الثاني :

أخذت « جمعية الاتحاد والترقي » على نفسها كفالة الدستور وحفظه واتخذت من الآستانة مكاناً لمركزها الرئيسي لتكون قريبة من الأحداث ولتتمكن من مراقبة رجال الدولة كما افتتحت لها فروع في سائر المناطق العثمانية[١٢٩] .

ثم أخذت الجمعية بعد ذلك تلاحق رجال العهد السابق من أعضاء حكم عبد الحميد وتضيق الخناق عليهم وتودع بعضهم السجون[١٣٠] . ولكن هؤلاء الرجال لم ييأسوا بل راحوا فور نجاح ثورة ١٩٠٨ يعملون بكل الوسائل والامكانات لاسترجاع مجدهم الضائع . وعلى هذا الأساس أنشأوا جمعية دينية سياسية هدفها مناهضة جمعية « الاتحاد والترقي » والقضاء على ثورتها ومن ثم العودة إلى تطبيق القوانين والأحكام الشرعية الإسلامية . وقد عُرفت هذه الجمعية باسم جمعية« الاتحاد المحمدي » أو الجمعية « المحمدية » اختصاراً[١٣١] . وكانت أولى نشاطاتها أنها قدمت إلى مجلس النواب العثماني عريضة وقّع عليها عدد من العلماء والأهالي تطالب بتطبيق القوانين الشرعية في المحاكم والإدارات[١٣٢] .

ولما نشرت بعض الصحف التركية خبر اكتشاف مؤامرة تدبّرها جمعية « الاتحاد والترقي » للإطاحة بالسلطان عبد الحميد الثاني[١٣٣] . ثار جنود حامية القسطنطينية على

---

(١٢٩) الأقبال : عدد ٢٨١ ، ٢٥ كانون الثاني ١٩٠٩ ، انتخاب الهيئة الادارية لفروع جمعية الاتحاد والترقي في بيروت وطرابلس وباقي مدن بلاد الشام .

(١٣٠) جون هاسلب ، السلطان الأحمر ص ٣٠٨ .
ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص١٠٨ .

(١٣١) المنار . م١٢ ج٣ و٤ و٥ و١٠ ص٢٣٩ ـ ٢٤٠ و٣٤١ ـ ٣٤٢ و٧٩٥ . « الجمعية المحمدية » .
الأقبال : عدد ٢٨٨ ، ١٥ آذار ١٩٠٩ . « الجمعية المحمدية » .

(١٣٢) المنار : المصدر السابق . الأقبال المصدر السابق .

(١٣٣) المقتطف . م٣٤ . ج٣ ، آذار ١٩٠٩ ، ص٢١٠ ، خبر .

ضباطهم الأحرار(١٣٤) . واقتحم فريق منهم نادي الإتحاديين في الآستانة ودمّروه وخربوا بعض صحفهم وقتلوا من وجدوا من أنصارهم ، بينما هاجم آخرون دار البرلمان وحطموا مقاعده واعتدوا على من وجدوه من نواب جمعية الاتحاد والترقي « وقتلوا الأمير محمد أرسلان ، مبعوث اللاذقية(١٣٥) وناظم باشا وزير العدلية آنذاك ، كما حاصروا الباب العالي(١٣٦) ، وطالبوا السلطان بإسقاط الحكومة وإلغاء الدستور وإقفال المجلس النيابي وإعلان الشريعة الإسلامية وإقصاء أنصار الاتحاديين عن مراكز المسؤولية والعفو عن الثائرين »(١٣٧) .

ولم تقتصر الثورة على حامية القسطنطينية في العاصمة بل امتدت إلى بعض الولايات والألوية الشرقية والغربية ، خصوصاً في حلب وأرضروم وديار بكر وأضنة ، حيث قام رجال الجيش هناك بمظاهرات واعتداءات ، كان أشدّها هولاً ما وقع في مدينة أضنة وملحقاتها من هجوم على الأرمن وبعض المسيحيين وقتل عدد كبير منهم ونهب أموالهم وهدم منازلهم(١٣٨) .

وفي بيروت قام بعض الثوار والمشايخ بالهجوم على النادي الاتحادي ، ممّا أدى إلى إحداث بعض الاضطرابات فيها نتيجة تصدي أعضاء هذا النادي للمهاجمين .

---

(١٣٤) ساطع الحصري : **البلاد العربية والدولة العثمانية** . ص١١١ .

(١٣٥) جمال باشا ، مذكرات ، ترجمة علي أحمد شكري ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص٩٦ .
أسعد داغر مذكراتي على هامش القضية العربية . ص٣١ .
جون هاسلب ، **السلطان الأحمر** ، ص ٣١٧ .
يذكر يوسف الحكيم في مذكراته « إن قاتلي محمد ارسلان قد أخطأوا بينه وبين حسن جاهد بك الركن الاتحادي المعروف ورئيس تحرير جريدة « طنين » لسان حال الاتحاديين نظراً لقوة الشبه بينهما » .
يوسف الحكيم ، **سورية والعهد العثماني** ، بيروت ١٩٦٦ ، ص١٦٧ .

(١٣٦) يوسف الحكيم ، المصدر السابق ، ص ١٦٧ . ساطع الحصري : **البلاد العربية والدولة العثمانية** . ص١١١ .

(١٣٧) محمد فريد بك : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، ص ٧٠٧ .

(١٣٨) Georges Samné, **La Syrie** , p.66.
يوسف الحكيم ، **سورية والعهد العثماني** ص ١٦٧ - ١٦٨ .
المنار ، م١٢ ، ج٥ ، ص٣٤٢ ، خبر .

وبالرغم من ذلك فإن هذه الأحداث انتهت بسلام بعد تدخل رجال الأمن(١٣٩) .

إزاء النجاح الكبير الذي حقّقته جمعية « الاتحاد المحمدي » في ثورتها ، اضطر زعماء الاتحاديين إلى ترك العاصمة والهرب إلى معاقلهم الأولى في سلانيك(١٤٠) ، في حين قدم حسين حلمي باشا استقالة حكومته إلى السلطان . وكذلك فعل أحمد رضا رئيس مجلس المبعوثان(١٤١) . وعندما استجاب السلطان لمطالب الثوار وألّف حكومة برئاسة توفيق باشا لتنفيذها(١٤٢) تحركت جمعية الاتحاد والترقي في ١٦ نيسان ١٩٠٩ وأرسلت من سلانيك جيشاً بقيادة محمود شوكت العراقي الأصل(١٤٣) إلى العاصمة .

وبعد أسبوع من المعارك الدامية بين الجيش الذي عُرف بجيش الحركة وبين الجنود الثوار تمكن شوكت باشا من احتلال الآستانة والسيطرة على الموقف(١٤٤) ، وإحكام الطوق على قصر السلطان الذي قطع عنه الماء والزاد(١٤٥) . ولما أدرك السلطان عبد الحميد بالخطر وجّه إلى جمعية الاتحاد والترقي « كتاباً ينفي فيه علاقته بالجمعية « المحمدية » وبالفتنة العسكرية الحاضرة(١٤٦) .

والواقع أن المبررات التي أعلنها السلطان لم تجدِ فتيلاً ، ذلك أن نواب الأمة وأعيانها اجتمعوا في سان استيفانو « على بعد عشرة كيلومترات من القسطنطينية ـ وهو المقر الذي اتخذه الاتحاديون لجيش الحركة ـ ونصبوا مكانه أخاه محمد رشاد باسم

(١٣٩) عارف النعماني ، مذكرات ، ص١ .

(١٤٠) Georges Samné **La Syrie** P 66 . يوسف الحكيم : **سوريا والعهد العثماني** ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .
الأقبال : عدد ٢٩٤ ، ٢٦ نيسان ١٩٠٩ ، خبر .
ساطع الحصري : **البلاد العربية والدولة العثمانية** . ص١١٢ .

(١٤١) جون هاسلب ، **السلطان الأحمر** ، ص ٣١٧ ، محمد فريد بك المحامي : **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، ص ٧٠٧ . **الأقبال** : عدد ٢٩٤ المصدر السابق ، **استقالة حسين حلمي وأحمد رضا** .

(١٤٢) محمد فريد بك المحامي ، **تاريخ الدولة العلية العثمانية** ، ص ٧٠٧ .

(١٤٣) أسعد داغر . **مذكراتي على هامش القضية العربية** ، ص ٣٤ .

(١٤٤) Georges Samné, **La Syrie**, p 66

(١٤٥) **المنار** . م١٢ . ج٤ ، ص٢٨١ ـ ٢٨٣ ، خبر ،
محمد فريد بك المحامي ، **المصدر السابق** ، ص٧٠٨ . أسعد داغر المصدر السابق ص ٣٣ .

(١٤٦) **الأقبال** ، عدد ٢٩٨ ، ٢٤ تموز ١٩٠٩ ، **كتاب السلطان عبد الحميد إلى جمعية الاتحاد والترقي** .

« السلطان محمد الخامس » مستندين إلى فتوى شرعية أصدرها شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي(١٤٧) .

هذا وانتدب المجلس ثلاثة من أعضائه لإبلاغ هذا القرار إلى السلطان المخلوع(١٤٨) وفي ٢٨ نيسان من العام نفسه نفي عبد الحميد إلى سلانيك وسُجن في فيلا آلاثيني « Alatini » التي تقع في ضاحية من ضواحي المدينة(١٤٩) . ثم ضبطت أمواله كلها وأموال أولاده الثلاثة ، في حين حدّدت وزارة المالية راتباً شهرياً له يُقدر بألف ليرة(١٥٠) .

أما السلطان الجديد محمد رشاد فقد بلّغ قرار اعتلائه العرش في اليوم ذاته ، وبويع في وزارة الحربية بحضور زعماء جمعية الاتحاد والترقي « ونواب الأمة والصدر الأعظم وشيخ الإسلام » وبعد أن أقسم يمين الولاء للدستور وللشريعة الإسلامية في وزارة الحربية أمام ممثلي الشعب ، أُقيم احتفال مهيب بهذه المناسبة وتقلدسيف آل عثمان يوم الثلاثاء في ٢١ ربيع الآخرة ١٣٢٦ هـ (٢٧ نيسان ١٩٠٩) في جامع الصحابي أبي أيوب الأنصاري(١٥١) .

وهكذا أُسدل الستار على عهد عبد الحميد الثاني بعد أن دام قرابة ثلث قرن ليبدأ عهد جديد وحاسم في تاريخ الدولة السياسي والقومي .

---

(١٤٧) عزيز بك . سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ترجمة فؤاد ميداني ، بيروت ١٩٣٣ ص ٤ - ٦ .
محمد فريد بك المحامي . المصدر السابق ، ص٧٠٩ - ٧١٠ .

(١٤٨) عادل إسماعيل - السياسة الدولية ، الجزء الرابع ، ص ١٣٧ .
أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(١٤٩) جون هاسلب ، السلطان الأحمر ص ٣٣٣ .
المنار ، م١٢ ، ج ٤ ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

(١٥٠) وقد خصص مبلغ ٦٠٠ ليرة لكل واحد من أبنائه الثلاثة الراشدين الذين ضبطت أموالهم . وقدرت ثروة عبد الحميد الثاني بـ٢٥ مليون ليرة ، وهناك من رفعها إلى حدود ٨٠ أو ٨٥ مليون ليرة .
الأقبال ، عدد ٢٩٨ ، ٢٤ أيار ١٩٠٩ ، خبر .

(١٥١) المنار ، م١٢ ، ج٤ ، ص ٢٨٨ ، خبر ، الأقبال عدد ٢٩٧ ، ١٧ نيسان ١٩٠٩ ، خبر :
Georges Samné, **La Syrie**, p67

الفصـــل الثـاني

لــــبنـــــان والعهد الدستوري العثماني
١٩٠٨ - ١٩١٤

١ ـ موقف اللبنانيين والسوريين من إعلان الدستور وسياسة العرب الوفاقية مع الأتراك :

على اثر صدور الإرادة السلطانية عام ١٩٠٨ بإعادة تطبيق دستور ١٨٧٦ ، عمت الفرحة كافة بلاد الشام ، واندفع الأحرار وأنصارهم في الشوارع يهتفون للعهد الجديد . ففي بيروت أُقيمت الاحتفالات والزينات وتبارى الخطباء في تمجيد الحدث السعيد ، وسيطر الضباط على الولاية وكان على رأسهم اليوزباشي رضا بك الذي أصبح صاحب الكلمة الأولى فيها . في حين اعترت الوالي محمد علي بك ، الذي كان مقرباً من المابين ، الدهشة والحيرة ، ولمّا حاول الهرب عن طريق جونيه إلى قبرص ، اكتشف أمره وأُلقي القبض عليه ، فسيق إلى بيروت ، ومنها أُرسل مخفوراً إلى الآستانة . أما باقي الموظفين فقد أُقيلوا أيضاً من مناصبهم ، وتعرّض أصحاب الأملاك في الملحقات للإهانة من قبل فلاحيهم ، وهكذا عمّت الفوضى أنحاء البلاد أو ما يشبه الثورة[١] .

هذا وشكل البيروتيون وفداً إلى العاصمة استامبول للقيام بواجب التهنئة

---

(١) يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٣٦ .
Adel Ismaîl, **Documents**, T18, p62- 64
يذكر سليم علي سلام أن والي بيروت محمد علي بك تعرض للإهانة والضرب في جونية إذ صفعه الشيخ وديع حبيش على وجهه حين حاول الهرب . سليم علي سلام ، **مذكرات** ، ص١ .
إن الاحتفالات في طرابلس استمرت اسبوعاً كاملاً ، تخللها كثير من الفوضى والاضطراب ، وطالب الأهالي فيها بتطبيق الدستور وإقالة المتصرف عزيز بك ومحاكمته إذ وجهوا إليه تهمة الاستهتار بمصالح الناس وقبول الرشوة .
سميح وجيه الزين ، **تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً** ، بيروت ١٩٦٩ ، ص٣٣٨ .

والتبريك برئاسة مفتي المدينة مصطفى نجا وعضوية كل من سليم علي سلام ومنح رمضان ومتري قبطي وسليم أيوب وبطرس داغر[٢] .

أما في جبل لبنان فشكل الأهالي وفداً إلى بيت الدين وطالبوا المتصرف يوسف فرنكو باشا باتباع أحكام الدستور وبالإصلاح وبحلف يمين الولاء للدستور العثماني الجديد وبإقصاء بعض كبار الموظفين عن وظائفهم[٣] وقد استجاب المتصرف لطلب الوفد وعزل بعض كبار أعوانه وأبدلهم برجال الأحرار[٤] .

وبلغ الحماس مبلغه فطالب دروز لبنان بالإشتراك في انتخابات مجلس المبعوثان[٥] وبادر عدد كبير من اللبنانيين والسوريين إلى الانتساب للفروع التي انشأتها جمعية الاتحاد والترقي في معظم المدن الشامية ، كبيروت وصيدا وطرابلس ودمشق ، والمشاركة في نشاطاتها[٦] ، ثم اعتمدوا سياسة توفيقية بين العرب والأتراك الاتحاديين ، بدأوا بتنفيذها عن طريق إنشاء جمعيات تدعو للتآخي والوفاق كان أهمها جمعية الأخاء العربي العثماني والجامعة العثمانية .

أ ـ جمعية الأخاء العربي العثماني :

كانت جمعية الأخاء العربي العثماني أول جمعية أنشأها العرب بعد إعادة دستور ١٨٧٦ ، دلالة عن رغبة العرب في دعم التآخي العربي ـ التركي . وهذا ما أكدته المادة الأولى من قانونها الأساسي وهي معاونة جماعة الاتحاد والترقي في سبيل المحافظة على أحكام الدستور وتمكين الرابطة الجامعة بينهم من أجل خدمة الدولة العثمانية بتوحيد جميع القوميات والأجناس في الولاء للسلطان[٧] .

---

(٢) اعتذر الحاخام باشي الاسرائيلي ومحمد عبدالله بيهم عن الاشتراك في وفد التهنئة مع أنهما دُعيا لذلك .
الاقبال : عدد ٣٠٣ ـ ٢٨ حزيران ١٩٠٩ .

(٣) بشارة الخوري ، **حقائق لبنانية** ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٦٠ ، ص٥٤ ـ ٥٥ .

Khairallah, T, Khairallah, **La Syrie**, P 132- 133

(٤) الياس الشويري ، **مذكرات** ص ١٧ نشرتها جريدة الحياة عام ١٩٥٣ في الأعداد ٢١١١ ـ ٢١٥٣ .

(٥) البرق ٢٨ كانون الثاني ١٩١١ .

(٦) توفيق برو ، **العرب والترك** ، ص ٧٩ .

(٧) أمين سعيد ، **الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الأول ، القاهرة ، (لا تاريخ) ص٧ .

وكان قد أنشأ هذه الجمعية بعض سياسيي العرب في الآستانة إثر اجتماع ضمّ جمعاً غفيراً من أبناء العرب ، يوم الأربعاء في ٦ شعبان ١٣٢٦ (٢ أيلول ١٩٠٨) . وتمّ افتتاحها رسمياً بحضور بعض أعضاء جمعية الاتحاد والترقي . وقد تألفت لجنتها الإدارية من الأعضاء التالية أسماؤهم : أحمد ظافر ، الياس رسام ، الشريف جعفر باشا ، زكي مغامز ، شاكر الآلوسي ، شبيب باشا الأسعد ، شفيق المؤيد العظم ، شكري باشا الأيوبي ، شكري الحسيني ، صادق المؤيد باشا العظم ، عارف المارديني ، عبدالله الحيدري ، عمر أشرف ، محمد عبود ، محمد باشا المخزومي ، الأمير محي الدين باشا الحسيني الجزائري ، مسعود الكواكبي ، منشي أفندي ، ندره المطران ، الدكتور يوسف رامي ، يوسف شتوان ، أما الأعضاء الفخريون فكانوا من المصريين الذين لا يقيمون في دار الخلافة وهم توفيق البكري ، محمد باشا عرفي ، شريف باشا[٨] .

وفي ٣ رمضان ١٣٢٦ (٢٨ أيلول ١٩٠٨) نشرت الجمعية بلاغاً في الصحف كان بعنوان بلاغ جمعية الآخاء العربي العثماني إلى أبناء العرب خاصة وإلى العثمانيين عامة بيّنت فيه مساوىء العهد القديم ، فذكرت بأن عناصر الجامعة العثمانية أمست تتحد على الاختلاف وتختلف على الاتحاد . ولما أُعيد القانون الأساسي ، بادرت بعض الهمم من مختلف العناصر للأخذ بمؤهلات الحكومة النيابية وأهمها تشكيل الجمعيات للنظر في الشؤون الخاصة والعامة[٩] .

ويمكن اختصار مقاصد وأهداف جمعية « الآخاء العربي العثماني » بالنقاط التالية :

١ ـ المحافظة على القانون الأساسي ووقايته من كل خلل .

٢ ـ إن جميع مناطق وولايات الدولة العثمانية جسم واحد لا يمكن تجزئته أو التفريق بين أبنائه . وإن كل قطعة منها وإن بعدت هي وطن لكل فرد منهم .

٣ ـ تمتين الروابط بين العرب وسائر الفئات العثمانية .

٤ ـ التمسك بالعرش العثماني والإخلاص لمقام الخلافة الإسلامية .

---

(٨) الاقبال عدد ٢٦٦ ، ٢٨ ايلول ١٩٠٨ ، « بلاغ جمعية الأخاء العربي العثماني » .
Djamal Pacha, **La Vérité sur la Question syrienne**, Stamboul 1916, p11- 13.

(٩) الاقبال ، المصدر السابق ، بلاغ الجمعية .

٥ ـ السعي لإعلاء شأن العرب والعربية ضمن الجامعة العثمانية وإنالة أبناء العرب على اختلاف مذاهبهم ما منحتهم المساواة الدستورية من حق إحراز الوظائف والمناصب وغير ذلك من الحقوق المشروعة .

٦ ـ السعي لنشر المعرفة بين أبناء العرب وذلك بتأسيس المدارس وطبع الكتب والرسائل والصحف .

٧ ـ حث أبناء العرب على التعاون مع سائر العثمانيين لتأسيس الشركات التجارية والصناعية والزراعية .

٨ ـ مساعدة أبناء العرب وإغاثة فقرائهم ومرضاهم وأيتامهم وأراملهم(١٠) .

وقررت الجمعية إصدار ثلاث جرائد باللغات الثلاث : العربية والتركية والفرنسية . وذلك لنشر أفكارها وتحقيق أهدافها(١١) ولكنها لم تصدر سوى جريدة واحدة باسم « الأخاء العثماني »(١٢) . كما فُتحت لها فروع في جميع المقاطعات العربية .

والواقع أن الجمعية لم تعش طويلاً فقد أغلقها الاتحاديون في ٣١ آذار ١٩٠٩ بعد أن اتهموا أعضاءها بالعمل لاستقلال البلاد العربية عن الأتراك(١٣) .

ب ـ الجامعة العثمانية :

وأُنشئت أيضاً في تلك الفترة جمعية « الجامعة العثمانية » التي أُسست في بيروت في

(١٠) الاقبال : عدد ٢٦٦ ، ٢٨ ايلول ١٩٠٨ . بلاغ جمعية الأخاء العربي العثماني .
العمران م٢٠ ، السنة ١٢ عدد ٣٢ ، ٣ تشرين الأول ١٩٠٨ . ص ٩٠ ـ ٩٣ بلاغ جمعية الأخاء العربي العثماني .
محمد عزة دروزة ، حول الحركة العربية الحديثة ، المجلد الأول ، صيدا ١٩٥٠ ، ص ٢٢ .
محمد أنيس الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص٩٧ـ ٩٨ .
جورج انطونيوس : يقظة العرب . ص ١٧٧ .

(١١) الاقبال : المصدر السابق ، بلاغ الجمعية »
العمران ، المصدر السابق ، بلاغ الجمعية .

(١٢) محمد عزة دروزة ، حول الحركة العربية الحديثة ، ص٢٢ .
وجورج انطونيوس : يقظة العرب . ص ١٧٧ .

(١٣) Djamal Pacha, La **Vérité sur la question Syrienne** P 11- 13.

خريف ١٩٠٨ . وفتحت لها فروع في مختلف المدن السورية واللبنانية وفي بلاد الاغتراب وكان أنشطها فرع باريس الذي ضمّ عدداً من اللبنانيين كشكري غانم ، وجورج سمنة والفرد سرسق ،ونجيب طراد(١٤). وقد وجّه أعضاء هذا الفرع نداء إلى مواطنيهم في داخل البلاد وخارجها ، للانضواء تحت العلم العثماني باعتبار أن جميع العناصر العثمانية متساوية في الحقوق والواجبات الوطنية ومتحدة في إطار الجامعة العثمانية . داعية إياها لبذل كافة الجهود والامكانات لحفظ الأمن وحماية لدستور(١٥) .

وكان من أهداف الجامعة العثمانية تحقيق الوفاق والمساواة بين العناصر العثمانية وتطبيق اللامركزية في الحكم ونشر العلم والمعرفة بين المواطنين كافة ، ومع أن أعضاء هذه الجمعية لم يتعرضوا بشيء إلى الاتحاديين فإنهم لم ينجوا من ملاحقة هؤلاء لهم والتنكيل بهم(١٦) .

وكان فريق من المستنيرين العرب يشكون في حقيقة هذه التجربة الدستورية الجديدة فلم يشتركوا في هذه الموجة العارمة من الحماس ، ولم يدخلوا في جمعية « الاتحاد والترقي » وفروعها ، أو في الجمعيات التي أسسها العرب في هذه المرحلة(١٧) . وقد تحقّق حدسهم في النهاية وذلك عندما تسلمت جمعية الاتحاد والترقي الحكم مباشرة بعد ثورة ١٣ نيسان ١٩٠٩ ، إذ تنكرت هذه الجمعية لوعودها في إعطاء العرب حقوقهم وتنفيذ الاصلاحات الضرورية في مختلف الولايات المتحدة وضربت بالدستور عرض الحائط وسلكت دروباً شتى من الاستبداد والظلم عبرّعنها عبد الحميد الرافعي بقوله :

لا تصلح الدنيا ولا ناسها ... ما لم يلِ الأقوام أجناسها
هبوا بني العرب إلى مَ الكرى ... وقد دها الآمال دهاسها
طلبتم الإصلاح من عصبة ... توتر بالإفساد أقواسها

---

(١٤) المنار ، م١١ ، ج٩ ، ص٧٠٦ - ٧١٤ خبر .
(١٥) Georges Samné, Op. Cit. p. 62- 63
(١٥) عادل اسماعيل ، السياسة الدولية ، ج٤ ، ص١٣٦ .
المنار ، م١١ ، ج٩ ، ص٧٠٦ ، مقال لرشيد رضا .
(١٧) محمد أنيس ، الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص٩٩ .

تزعم حب الدين لكن كما   يروح السلعة دلاسها
لو تألف القرآن ما حاربت   لسانه حتى التوى فاسها[١٨]

٢ ـ الاتحاديون وسياسة التتريك في لبنان وسوريا :

ولفهم تاريخ العلاقات العربية ـ التركية في ظل العهد الاتحادي لا بد لنا من إلقاء الضوء على السياسة التي اعتمدها الاتحاديون لتتريك العناصر غير التركية في الدولة العثمانية .

والواضح أن هذه السياسة قد عبر عنها حسين جاهد في التصريح الصحفي الذي نشرته جريدة « طنين » بعد ثلاثة أشهر من إعلان الدستور حين قال : « إن الأمة التركية كانت وستظل هي الأمة الحاكمة في السلطنة العثمانية ، وإن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سامية بصفتهم فاتحين فلا مجال إذاً للإعتراف بحقوق مساوية للعناصر العرقية الأخرى وإن الدستور العثماني لا يمكنه أن يكون في شكله النهائي سوى دستور تركي »[١٩] .

صحيح أن بعض الاتحاديين قد انتقدوا هذا التصريح الصحفي انتقاداً شديداً ، ولكن السياسة التي مشى عليها أصحاب جمعية الاتحاد والترقي لم تكن تختلف في الجوهر والممارسة عن الفكرة الداعية لسمو العنصر التركي .

إن لحركة التتريك وجهتان ، إحداهما أدبية والأخرى سياسية وكانت غاية الوجهة الأولى هي تمجيد الشعوب الطورانية ونشر تاريخها . أما غاية الوجهة الثانية فهي القضاء على العنصر العربي الذي كان بنظر الاتحاديين مصيبة على الأتراك[٢٠] .

ومما قاله طلعت باشا ، أحد زعماء الاتحاديين البارزين ، في هذا الصدد : « إن الدستور ينص على المساواة بين العناصر العثمانية ، ولكن لا يمكن أن تكون هناك

---

(١٨) الأمير مصطفى الشهابي ، القومية العربية ، طبعة ثانية ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص١٠٣ .
(١٩) توفيق برو : العرب والترك ، ص ٩٥ ـ ٩٦ .
(٢٠) المنار : م١٩ ، ج٤ ، ص٢٣٥ « كيف يسعى الاتحاديون للاشاة الحضارة الإسلامية مقال كتبه مراسل شركة سنترال نيوز الانكليزية .

مساواة بين المواطنين ما لم نفلح أولاً في تتريك الأمبراطورية وهو عمل شاق طويل المدى وإني لأجرؤ على التنبوء بأننا سننجح في نهاية المطاف »[٢١] .

إن الأتراك الذين كانوا يدعون في ذلك الحين بأنهم وطنيون قد نشروا الكتب والمقالات الضافية حول هذه البدعة الجديدة ، كان من بينهم سكرتير جمعية الاتحاد والترقي ناظم بك الذي وضع أسس النهضة الطورانية الحديثة استناداً إلى كتاب « ليون كاهون » عن تاريخ الترك والمغول من أقدم الأزمنة حتى عام ١٤٠٥ م[٢٢] ، وأحمد أغايف بك الذي كتب سلسلة مقالات في جريدة تصوير أفكار[٢٣] . وجلال نوري بك[٢٤] الذي وضع كتاب « تاريخ المستقبل » . ويوسف بك أقجورا الذي نشر عدة مؤلفات ومقالات حول هذا الموضوع . وضياء بك كوكب ألب[٢٥] .

هذا ووضعت الحكومة الاتحادية منذ توليها السلطة الخطط الكفيلة بتتريك العناصر الأخرى وخاصة العرب منهم ، وأنشأت لهذه الغاية جمعية « تورك أوجاقي » التي انحصرت مهمتها :

أولاً : بالعناية بالآداب التركية والرجوع إلى أصولها وتخليصها من دخيل اللغة العربية وغير العربية .

ثانياً : تأليف الكتب القومية لهذه اللغة الجديدة .

ثالثاً : مقاومة كل كاتب تركي لا يرى هذا الرأي .

رابعاً : العمل على نشر هذه الفكرة بالتأليف وتدريس الناشئة التاريخ الطوراني

(٢١) رسالة نائب القنصل العام البريطاني في موناستير إلى لوذر السفير البريطاني في استامبول في ٢٨ آب ١٩١٠ . نقلاً عن زين نور الدين زين ، **نشوء القومية العربية** ص ٨٣ .

(٢٢) المنار م١٩ ، ج٤ ص٣٦ و٢٣٨ . رشيد رضا : **الاسلام والطورانية الحديثة** .

(٢٣) المنار م١٩ ، ج٩ ، ص ٥٥٧ **الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية** .

(٢٤) تولى جلال نوري بك رئاسة تحرير جريدة « الجون ترك » الفرنسية التي أُنشئت بأموال اليهود والتي كانت تعمل على تحقيق أغراض اليهود الخبيثة في هدم الدولة العثمانية .
أسعد داغر : مذكراتي **على هامش القضية العربية** . ص٤٠ .

(٢٥) زين نور الدين زين ، **نشوء القومية العربية** ص٨٧ .

وإقناعهم أن الشعب التركي أعظم شعوب العالم اختارته القدرة الإلهية لسيادة الأمم(٢٦) .

هذا وكان لجمعية « تورك أوجاقي » أربعة فروع : الفرع الأول : تورك يوردي أي « المملكة التركية » التي كانت مهمتها العناية بالآداب التركية بمختلف الطرق والأساليب . وثانيها : « تورك دونيكي » أي « ثبات الترك » وكانت وظيفتها بث الفكرة الطورانية بين جميع العناصر في الداخل والخارج . وأما الثالث « تورك بلكيشي » أي « العلم التركي » . ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية إلى اللغة التركية القديمة ونشرها بين الأتراك . وأخيراً « تورك كوجي » أي « القوة التركية » ومهمتها العناية بالنواحي الصحية والرياضية وذلك لتقوية الأتراك جسدياً وعسكرياً(٢٧) .

وقد افتتحت جمعية تورك أوجاقي وفروعها أندية عديدة في جميع المدن والقرى التركية لتكون مراكز للاجتماعات ومدارس لتعليم الناشئة تاريخ الأتراك القديم . وكان يشترط للدخول في هذه الجمعية وفروعها عدة أمور أهمها :

أن ينتمي طالب الدخول إلى الأصل التركي وأن يدفع رسماً شهرياً عند قبوله وأن يبدّل اسمه المتعارف به باسم طوراني قديم . فمن كان اسمه انور مثلاً صار يُعرف بين رفاقه من أعضاء الجمعية باسم ايشلداقر . ومن كان اسمه محمداً أو سليماً أو حسيناً أو سعيداً أصبح يدعى أغوزا أو تيمورا أو جنكيزا أو هولاكو . وهكذا قام الغلاة من أصحاب هذه النزعة إلى تغيير أسمائهم العربية وتسمّوا بأسماء طورانية منتزعة من التاريخ القديم ، ووضعوا كتباً عن تاريخ وتراجم أسلافهم الأول : أمثال جنكيز خان وتيمورلنك وأغوزا وأدخلوها في مدارسهم العالية هذا فضلاً عن المحاضرات اليومية التي كانت تُلقى حول هذه المواضيع على طلاب المدرسة الحربية وكليات الحقوق والهندسة والطب . . . من قبل أحمد أغايف بك وأمين بك وخالد ضيا بك وحمدالله بك . . . وذلك لترسيخ الفكرة التركية في أذهان الناشئة(٢٨) .

---

(٢٦) جامعة الدول العربية : دراسات في تاريخ النهضة العربية الحديثة ، القاهرة (لا تاريخ) ص١٠٥ .

(٢٧) المنار : م ١٩ ج٩ : ص٥٥٥ ـ ٥٥٧ : **الجمعيات الاتحادية لتكوين العصبية التركية** . .

(٢٨) ثورة العرب بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية القاهرة ١٩١٦ ، ص١٣٨ ـ ١٦١ .

وقد افتتحت وزارة الداخلية ومشيخة الإسلام ووزارة الأوقاف خزائنها لمشروع الاتحاد الطوراني . وأدخل الاتحاديون إلى المدارس كتباً في التاريخ كان بطلها جنكيزخان . وأن أمهات جرائدهم مثل : « أقدام » و« ترجمان حقيقت » و« جون تورك » قد تبنت هذا المشروع(٢٩) .

وهكذا أوغل الاتحاديون في الطورانية إلى حد أنهم راحوا يفرضونها على القوميات الأخرى في الدولة فأجبروا الطلاب العرب أن يتعلموا اللغة التركية وآدابها . ومع أن مدارس الجبل كانت تعلم اللغة العربية إلى جانب اللغات الأجنبية كالتركية والفرنسية والانكليزية والإيطالية والألمانية والروسية ، إلا أن مدارس الدولة في ولايتي بيروت ودمشق كانت تعمل على إضعاف اللغة العربية وتقوية اللغة التركية بين طلابها(٣٠) .

ليس هذا فحسب ، بل كانت هذه المدارس تقوم بتدريس القواعد العربية باللغة التركية ويقوم بتدريسها مدرّسون أتراك لا يفقهون منها شيئاً(٣١) . وفي عام ١٩١٠ أرسلت وزارة المعارف إلى المكتب الاعدادي في بيروت معلماً تركياً ليعلّم التلامذة اللغة العربية ولكن الطلاب امتنعوا عن الحضور ورفضوا متابعة دروسهم فاضطر مدير المعارف إلى إعلام الوزارة بالأمر فجاءه الجواب بإجبار التلاميذ على حضور حصص الأستاذ التركي . وقد أحدث هذا النبأ ثورة في نفوس الأهالي فأرسلوا برقيات احتجاج إلى مقام الصدارة العظمى ورئاسة مجلس النواب(٣٢) .

وبالرغم من أن مبعوث بيروت ، رضا بك الصلح ، قد بعث بتلغراف إلى سكان بيروت يطمئنهم فيه بأن وزارة المعارف العثمانية قد أصدرت أمراً بتعيين أحد علماء المدينة مكان الأستاذ الغريب ، إلّا أن مشكلة التعليم في البلاد العربية لم تحل(٣٣) ، « لأن القسم الأكبر من السكان لا يزال سارحاً في فضاءٍ من الجهل » ، على حد تعبير

---

(٢٩) محمد جميل بيهم : فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ص ١٩١ .

(٣٠) توفيق برو : العرب والترك ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٣١) رحلات الامام محمد رشيد رضا : جمعها وحققها يوسف ايبش ، بيروت ١٩٧١ ص ٦٥ .

(٣٢) الاقبال : عدد ٣٤٣ - ١٨ نيسان ١٩١٠ .

(٣٣) الأقبال : عدد ٣٤٤ - ٢٥ نيسان ١٩١٠ .

ناظم بك ، والي بيروت الدستوري(٣٤) . وذلك بسبب إهمال الاتحاديين لمدارس الدولة في البلاد العربية فكانوا يعينون فيها مسؤولين وأساتذة غير جديرين(٣٥) . علماً بأن الأهالي هناك كانوا يدفعون ضرائب للمعارف تفوق المئة ألف ليرة في السنة ولكن الحكومة لا تنفق عليهم أكثر من ٥٠ ألف ليرة والباقي تصرفه في الولايات الأخرى ، كأن تبعث إلى باريس حوالي ٥٠٠ طالب على نفقتها ، وليس من بينهم سوى ٦ طلاب من أبناء العرب(٣٦) .

وهكذا وبينما كان الأتراك يضيقون على العرب في أمر تعليمهم ولغتهم كانوا يتسامحون مع العناصر الأخرى مثل : الأروام والأرمن والبلغار باستخدام لغتهم القومية في مدارسهم الخاصة(٣٧) . هذه السياسة التعليمية المتناقضة التي سار عليهاالاتحاديون أثارت الحقد والضغينة في نفوس العرب نحو الحكم التركي(٣٨) .

وقد تمادى الاتحاديون في سياسة التتريك هذه فجعلوا اللغة التركية لغة الدوائر الرسمية في جميع الولايات . فكانت المعاملات الرسمية تجري باللغة التركية وكذلك المرافعات في جميع محاكم الدولة(٣٩) . وفرضوا على تجار العرب تقديم البيانات إلى دوائر الجمرك باللغة التركية والفرنسية . كما أمروا أن تكون المراسلات بالتركية بين فروع جمعية الاتحاد والترقي الموجودة في الولايات العربية وبين المركز الرئيسي في سلونيك . وحتى في مجلس المبعوثان فُرضت المناقشات باللغة التركية ، ومُنع استخدام اللغة العربية

---

(٣٤) الاقبال : عدد ٣٣٢ السنة التاسعة ١٩١١ ، الخطاب الذي ألقاه والي بيروت ناظم بك في المدينة بمناسبة تسلمه مهام مركزه في الولاية .

(٣٥) راجع خطبة سليم علي سلام ، مبعوث بيروت في مجلس النواب العثماني تموز ١٩١٤ مجلة الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) المجلد الثاني ص١٣ - ١٤ .

(٣٦) المفيد عدد ٩٥٨ ، ١٦ نيسان ١٩١٣ ، محاضرة ألقاها عبد الغني العريسي في باريس ١٩١٣ .

(٣٧) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص١٢٩ .
رحلات الإمام محمد رشيد رضا ص ٧١ .

(٣٨) Adel Ismaïl, **Documents**, T18, p307 et 319-320.

(٣٩) عبد الرحمن شهبندر (مذكرات) ثورة سوريا الكبرى القاهرة ١٩٥٣ ص٤٣ .
ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص١٢٨ .
محمد جميل بيهم : العرب والترك . ص١٣٩ .
Georges Samné, **La Syrie**, p. 62

في كتابة عرائض الشكاوى المقدمة إلى هذا المجلس . والحادثة التي وقعت تحت قبة البرلمان بعد شهر واحد من افتتاحه ، تدل دلالة واضحة عل نية الأتراك في القضاء على كل ما يتصل باللغة العربية وبآدابها وعلومها . ذلك أن وزير الأوقاف وهو عربي قد دُعي إلى تقديم بيان عما قامت به وزارته وعندما أنهى خطابه الذي ألقاه بالتركية بدعاء كانت كلماته عربية ، وقف النواب الأتراك صائحين محتجين على إستعمال لغة غير اللغة التركية على منبر الخطابة(٤٠) . لذا فكر بعضهم أن يترجم القرآن الكريم إلى اللغة التركية مع أن الدين الإسلامي يمنع ذلك وأن أسلوب القرآن هي المعجزة لإثبات صحة الدين ونبوءة الرسول محمد ﷺ(٤١) .

وزيادة في الإذلال والتسلط قام الأتراك الجدد ، أصحاب دستور ١٩٠٨ بسياسة إقصاء العرب عن المناصب الهامة في الدولة ، فعزلوا في وقتٍ قصير معظم الولاة الذين هم من أصل عربي(٤٢) ولم يبقوا في وزارة الخارجية ، التي كانت تضم حوالي ٦٠٠ موظف ، سوى موظف عربي واحد(٤٣) ، كما أخلوا المالية التي كانت تحوي ١٣٨ موظفاً من الموظفين العرب(٤٤) . وكان الأتراك يعينون موظفاً عربياً واحداً من أصل ١٠٠ موظف جديد كما أنه كان يوجد ٤ أو ٥ أعضاء عرب من أصل ٥٠ عضواً في مجلس الأعيان العثماني(٤٥) . وفي ١٩١٣ خلت حكومة الاتحاديين من وزيرٍ عربي واحد مع أنها

---

(٤٠) توفيق برو : العرب والترك ، ص ٩٩ .

(٤١) المنار : م١٩ ، ج٩ ، ص٥٥٨ ، الإمام محمد رشيد رضا .
زين نور الدين زين ، نشوء القومية العربية ص ٨٨ .

(٤٢) Georges Samné, **La Syrie**, p. 70

(٤٣) توفيق برو : العرب والترك ، ص ٩٧ .
جلال كشك : القومية والغزو الفكري ، ط٣ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص٢٦٧ .

(٤٤) في جلسة عارمة لمجلس النواب قال النائب شكري العسلي : « إن وزارة المالية كان يوجد فيها ١١١ موظفاً تركياً و١٣ موظفاً يهودياً و٦ موظفين من الأرمن و٤ موظفين من الروم وليس يوجد فيها موظف عربي واحد » ثم أضاف : « نشرت الحكومة تقويمها الرسمي فقرأته وأمعنت النظر في الموظفين الواردة أسماؤهم فلم أجد بينهم سوى أربعة من أبناء العرب مع أن العرب يؤلفون نصف الأمة . . . ويصل عددهم إلى أكثر من ١٥ مليوناً » .
المفيد : عدد ٦٦٢ ، ١٠ نيسان ١٩١١ .

(٤٥) Georges Samné, **La Syrie**, p. 70- 71

كانت تضم ثلاثة وزراء يهود بينهم نسيم مزلياح أفندي ، الذي دافع عن هجرة اليهود إلى فلسطين ، وبنساريا الفلاقي وجاويد بك(٤٦) .

ولم يكتفِ الاتحاديون بذلك بل قاموا أيضاً بإقصاء الضباط العرب البالغ عددهم ٤٩٠ ، حسب كشوف وزارة الحربية ، إلى المناطق النائية في تراقيا والأناضول ، وأسندوا القيادة في البلاد العربية إلى ضباط أتراك واستبدلوا بالولاة والمتصرفين والقضاة من أبناء العرب موظفين من الأتراك حتى أصبح « أكثر الموظفين في الولايات العربية لا يعرفون لغة البلاد ولا يفهمون ميول الأمة ولا طبائع الشعب ، فلا البلاد تستفيد منهم ولا هم يستفيدون منها فأقامت النكير على هذا النوع من الإدارة حتى إن أهل صور ما لبثوا أن أقالوا قائمقامهم بسبب جهله للغتهم . وكذلك فعل أهل البقاع . وكانت المحاكمات في سوريا تجري بغير لغة البلاد فيؤدي السوري شهادته أو يرفع ظلامته فيمر فيها للمترجم فتضيع الحقوق بين العباد على غير هدى »(٤٧) .

وكانت النتيجة الأولى لسياسة الاتحاديين العنصرية اضطراب الإدارة في بلاد الشام وتفشي الرشوة بين الموظفين وقبول البخشيش لدى كل معاملة أو توقيع . هذا فضلاً عن زيادة الرسوم الجمركية على البضائع المستوردة من الخارج وارتفاع أجور شحن البواخر بنسبة ٢٠ إلى ٢٥٪ وقد سبب كل ذلك ندرة الحاجيات وارتفاع أسعارها بشكل ملحوظ ومن ثم اضطراب الأحوال في بلاد الشام(٤٨) . ففي حوران التي هاجمها الفقر والجوع بسبب كثرة الضرائب الجديدة قام الأهالي بحركة احتجاج فتركوا منازلهم ونزلوا إلى سهل البقاع بحثاً عن الغذاء والعمل . ثم قاموا بأعمال تخريبية سببت الضرر لأصحاب الأراضي والفلاحين اضطرت عندها الحكومة إلى إرسال فرقة عسكرية بقيادة سامي باشا لتأديبهم . وبالفعل تمكن هذا القائد من السيطرة على الموقف وإقناع زعيمهم

---

(٤٦) جلاك كشك : القومية والغزو الفكري ص ٢٣٨ - ٢٣٩ .

(٤٧) من محاضرة القاها عبد الغني العريسي في باريس بناء لدعوة « جمعية التربية العقلية » :
- المفيد عدد ٩٥٨ ، نيسان ١٩١٢ .
وراجع أيضاً رسالة السيد بيات « M. Piat » قنصل فرنسا العام في دمشق إلى السيد بيشون وزير الخارجية الفرنسية .

Adel Ismaîl, **Documents,** t18, p307- 308

(٤٨) Georges Samné, **La Syrie**, p. 71- 72

« يحيى الأطرش » بضرورة العودة إلى بلادهم ، واعداً إياهم بإجراء الإصلاحات الإدارية الضرورية في حوران . ويبدو أن هذه الفوضى قد امتد صداها الى كثيرٍ من المدن الشامية ، وخاصة إلى الكرك . وفي اليمن ثار الأهالي بعد عدة أشهر من استقرار الأوضاع في حوران وأقلقوا بال الحكومة التي بذلت جهوداً جبارة لإخمادها ولكنها لم تستطع إلّا بعد أن عقد الضابط عزيز علي اتفاقاً مع الإمام يحي ، إمام اليمن ، أعاد فيه الأمن إلى ربوع البلاد(٤٩) .

إن العزل والنفي لم يكونا الوسيلتين الوحيدتين اللتين اعتمدهما الاتحاديون للقضاء على قادة العرب وزعمائهم بل تعدى ذلك إلى أسلوب آخر من البطش والتنكيل وأكبر شاهد على ما نقول قصة اعتقال الضابط عزيز علي المصري ومحاولة القضاء عليه(٥٠) .

ومن القضايا التي أثارت الخلاف بين العرب والاتحاديين قضية الانتخابات فقد وزّع الاتحاديون المقاعد كيفياً على مختلف الولايات دون اعتبار عددي لسكانها(٥١) . وأصرّوا على أن يتقن المرشحون اللغة التركية لأنها اللغة الرسمية الوحيدة للدولة(٥٢) . ولم يكن يحصر حق النيابة بقاطني المناطق الانتخابية وأهاليها بل كان يسمح لأي شخص مستكمل لشروط الانتخاب أن يرشح نفسه عن أية منطقة يشاء . وقد استرسلت حكومات الاتحاد والترقي في إساءة استعمال هذا المسوغ القانوني وصارت ترشح في الولايات العربية بعض المنتسبين إليها من الأتراك ومن ثم تستعمل نفوذها المادي والمعنوي لضمان فوز هؤلاء المرشحين للانتخاب ، وكثيراً ما كانت تنشأ عن هذه الانتخابات مشاكل واضطرابات بين العرب والترك تأخذ شكل التنافس الحزبي

---

(٤٩) Georges Samné, **La Syrie**, p. 72- 73

(٥٠) اعتُقل عزيز علي في الآستانة في ٩ شباط ١٩١٤ ولكن نتيجة لتوسط بريطانيا من جهة وقيام المظاهرات في كافة المدن العربية مطالبة بإخلاء سبيله من جهة ثانية اطلق الاتحاديون سراحه واكتفوا بترحيله إلى مصر .
المقطم اعداد ٧٥٦٢ - ٧٦١٠ - ٧٦١٢ - ٧٦٢٢ ، ١٠ شباط و٢٥ و٢٧ آذار و٩ نيسان ١٩١٤ .
لورنس أعمدة الحكمة السبعة ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٧١ ، ص٧٥ .

(٥١) عادل إسماعيل : السياسة الدولية ، ج٤ ، ص١٣٥ .

(٥٢) Mounir Ismaîl, **Le Liban sous le Mutaşarrifs**, p522.

والقومي(٥٣) . زد على ذلك ما كان ينشأ من سوء فهم لأوضاع الشعب من قبل ممثليه الذين لا يعرفون عنه وعن مشاكله ومطالبه إلا ما تمليه المصلحة التركية ومصلحة الحزب الحاكم المدعوم من « جمعية الاتحاد والترقي » .

وبعد ذلك لم يعد الانتخاب هو الوسيلة الوحيدة في تشكيل المجالس النيابية حيث أخذ الاتحاديون يعيّنون نواب العرب تعييناً في مجلس المبعوثان ، وعندما وجدت حكومة الاتحاديين أن النواب العرب يفضحون سياستها القائمة على التفرقة والعنصرية المركزية كمّت أفواههم ووضعتهم تحت المراقبة وبالغت في احتقارهم(٥٤) .

٣ ـ لبنان في ظل الاتحاديين :

اعتبر الاتحاديون جبل لبنان ، الذي كان خاضعاً لنظام إداري خاص ، ولاية عثمانية وفرضوا على أهله المشاركة في الانتخابات الجديدة وإرسال مندوبين عنهم إلى مجلس « المبعوثان »(٥٥) . وقد أقلق ذلك بعض اللبنانيين وخصوصاً بعد أن علموا بوجود وثائق رسمية في الآستانة تحت عنوان « ولاية لبنان » تلغي متصرفية جبل لبنان وتقضي على استقلاله الإداري(٥٦) . وقد احتجت الجمعية اللبنانية ، التي كانت تُعرف باسم « الاتحاد اللبناني » لدى الحكومة العثمانية على سياستها تجاه لبنان وطالبتها بالمحافظة على نظام لبنان الأساسي(٥٧) .

وبالرغم من أن نائب بيروت سليمان البستاني قد قام بمسعى حميد في هذا الشأن ، ونال من الاتحاديين موافقتهم الأكيدة على استقلال جبل لبنان الداخلي(٥٨) إلا أن هؤلاء ظلّوا مرتابين من حقيقة نوايا الأتراك نحو بلادهم .

وأن الأمر الذي وجهّه المتصرف يوسف فرنكو باشا إلى جميع القائمقامين في لبنان

---

(٥٣) ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية . ص١٢٧ .

(٥٤) راجع خطبة مبعوث دمشق الأستاذ فارس الخوري في مجلس النواب العثماني في ١٧ تموز ١٩١٤ الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) المجلد الثاني ص١٢ ـ ١٤ .

(٥٥) عارف النعماني ، مذكرات (نُشرت في جريدة الحياة البيروتية عدد ٢٠٨٣) .

(٥٦) Mounir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs** p.527.

(٥٧) George Samné, **La Syrie,** P 72

(٥٨) Mounir Ismaîl, Op. Cit, p 528

والذي يدعو فيه اللبنانيين استناداً إلى تعليمات وصلته من الباب العالي في ٣٠ آب ١٩٠٨ ، للإشتراك في الانتخابات العامة واختيار ممثلين في مجلس المبعوثان العتيد ، أثار موجة من التناقضات والمواقف المتضاربة بين الفئات اللبنانية المختلفة(٥٩) .

وقد زاد من حدّة المواقف أن أقدم بعض زعماء الجبل وعلى رأسهم الأمير شكيب أرسلان وحبيب باشا السعد وكنعان الضاهر ، على رفع عريضة في ١٢ أيلول ١٩٠٨ إلى المتصرف في بيت الدين يطالبون فيها بنشر الدستور العثماني في لبنان وانتخاب نواب لبنانيين شرط أن لا يحق لهؤلاء النواب مناقشة القضايا التي تمس الأنظمة الخاصة بالجبل إلّا بناء على طلب اللبنانيين أنفسهم(٦٠) .

أما الدروز فكانوا يجدون في الدستور وسيلة جيدة لمحاربة التسلط الماروني في لبنان ، عن طريق إزالة الفوارق التي خلقها بروتوكول ١٨٦٤ بين الطوائف ، بحيث يسمح لهم بالحصول على عددٍ أكبر من الوظائف التي يستفيدون منها ، وأنهم عبر خضوعهم للنظام الجديد يمكنهم الاتحاد مع دروز حوران ، حيث تتمتع عائلة أرسلان هناك بمركز ممتاز فيشكلون بذلك قوة أكبر يستطيعون معها استعادة نفوذهم في لبنان . وكان الأرثوذكس في بيروت يسيرون في نفس الاتجاه ، تدعمهم في ذلك مواقف القنصل الروسي في بيروت(٦١) .

أما الموارنة الذين كانت تؤازرهم الحكومة الفرنسية ، اجتمعوا في دير القمر ، وأعلنوا رفضهم التام لأمر المتصرف ، الذي يقضي بالإشتراك في الانتخابات العامة في السلطنة العثمانية ، مؤكدين تمسكهم بالامتيازات اللبنانية التي منحتهم إياها النظامات الأساسية للبنان . ثم أرسلوا كتباً بهذا المعنى إلى المتصرف يوسف فرنكو باشا وإلى سفراء الدول الكبرى في الآستانة(٦٢) .

---

(٥٩) اصدرت الحكومة الاتحادية أمراً إلى متصرفية جبل لبنان بوجوب انتخاب عضوين أحدهما مسيحي والآخر درزي لمجلس المبعوثان الذي تقرر عقده بعد إعلان الدستور .
ـ لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ، ص ١٨٠ .

(٦٠) Adel Ismaîl, **Documents**,, T 18, p 98

(٦١) Ibidem, p 95- 98

(٦٢) Ibidem, p 106- 108

وفي ٢٥ أيلول ١٩٠٨ أعلنت الهيئة الإدارية لجمعية الاتحاد والترقي في جريدة « لسان الحال » ما يلي : « إن مشاعر الرغبة البادية على وجوه اللبنانيين للتمتع بجو الحرية التي منحها الدستور إلى باقي العثمانيين ، وإن اهتمام حاكم لبنان ورغبته في نشر الدستور في الجبل يستحقان بكل تأكيد آيات الشكر والتقدير من جمعيتنا . وحيث إن عدد رجال لبنان يقدرون بحوالي ٢٠٠ ألف نفس فإن المتصرف سيباشر بعملية الانتخاب لاختيار أربع نواب لبنانيين . ومن الواجب الإسراع في إنجاز هذه المهمة قبل افتتاح دورة البرلمان القادمة . وإننا نتمنى أن يظهر إخواننا اللبنانيون حماساً وطنياً جديراً لكل تقدير ومستحقاً لأن يكون المثال لجميع العثمانيين . وهكذا فعليهم توحيد جهودهم والإشتراك في الانتخابات للوصول إلى الغاية العظمى . وهذا كل ما تنتظره جمعيتنا في النهاية »[٦٣] .

ومن الواضح أن الاتحاديين كانوا يسعون منذ توليهم السلطة في الآستانة إلى إخضاع جبل لبنان لسلطتهم المباشرة وربطه بعجلة سياستهم التي رسموها لأنفسهم منذ البداية والتي تتمحور حول هدفين أساسيين ، مركزة السلطة في العاصمة وتتريك العناصر الأخرى في الدولة ، ولم يأبهوا قط للأصوات اللبنانية المعارضة التي كانت تطلع من هنا أو من هناك . وبالرغم من أنهم فشلوا في تحقيق حلمهم في تلك الفترة على الأقل ، إلّا أنهم استطاعوا خلال الحرب العالمية الأولى من الوصول إلى غايتهم والقضاء على امتيازات جبل لبنان واستقلاله الإداري كما سنرى .

صحيح أن الأتراك الجدد بدأوا سياستهم تلك بالقيام ببعض الاصلاحات في جبل لبنان . وذلك بتحسين أوضاع الموظفين المعيشية عن طريق زيادة رواتبهم بنسبة تتراوح بين ٣٠ و٥٠٪ ، وزيادة فعالية قوى الأمن المحلي برفع عددهم إلى ٩٥٠ عنصراً وتزويدهم بالأسلحة الحديثة ، والاهتمام بالمساكن والثكنات التي يعيشون فيها ، وإنشاء صندوق مالي لتسليف المزارعين اللبنانيين ، ومدّ الخزينة اللبنانية بالأموال اللازمة عند الضرورة وإخضاعها لمراقبة شديدة من قبل السلطة المختصة[٦٤] . نقول صحيح إنهم

---

(٦٣) لسان الحال ٢٥ أيلول ١٩٠٨ .

(٦٤) George Samné, **La Syrie**, P219

فعلوا ذلك ، ولكن بالمقابل طلبوا من اللبنانيين دفع جميع الضرائب التي كانت مفروضة على سكان الولايات في السلطنة وأجبروهم التقيد بكافة القوانين التي تصدر عن البرلمان العثماني(٦٥) ، ووضعوا رسوماً جديدة على بوصلات الدعاوى الحقوقية والعرائض(٦٦) ، كما احتكروا زراعة التبغ التي كانت تشكل إلى جانب زراعة التوت مورداً هاماً ، وصادروا ملاحات الساحل وسيطروا على صناعة الملح ، ومنعوا البحارة اللبنانيين من استقبال سفن غير شراعية في مرافئهم ، ثم أقاموا نقط مراقبة تركية على السواحل للتثبت من تنفيذ الأوامر(٦٧) . وهكذا حتى ضاقت أسباب المعيشة في وجه اللبنانيين ، ولم يجدوا وسيلة للخلاص غير الهجرة التي أضحت عبئاً ثقيلاً على الاقتصاد اللبناني وخصوصاً بعد أن خسرت البلاد أفضل الأيدي العاملة الخبيرة(٦٨) .

وزاد من خطورة الإجراءات التركية قرار الحكومة العثمانية بمنح اللبنانيين تذاكر نفوس على غرار بقية المواطنين العثمانيين(٦٩) ، ثم وضعت تنظيماً خاصاً بذلك وألزمت كل مواطن لبناني بدفع رسم نقدي معين لدى استلام هويته . كما حددت الإجراءات القانونية والعقوبات الواجب تطبيقها بحق الممتنعين(٧٠) .

وقد واجه هذا القرار معارضة شديدة من معظم اللبنانيين الذين طيروا برقيات احتجاج إلى قناصل الدول العظمى معلنين استنكارهم ورفضهم لهذا الإجراء . وقد أرسل القنصل الفرنسي في بيروت نسخاً من هذه البرقيات إلى وزارة الخارجية الفرنسية بعد ترجمتها ، كان من بينها برقية تحوي ١١٠٠٠ توقيع أكد فيها أصحابها رفضهم التام لتذكرة النفوس والرسم النقدي المحدّد لها(٧١) . . . ثم عريضة مقدمة من أهالي بلدة برجا المسلمين السنيين ، إلى القنصل الفرنسي العام في بيروت ، ضد الأمير شكيب

---

(٦٥) Mounir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs** p.528.

(٦٦) لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ، ص ١٧٧ .

(٦٧) Georges Samné, **La Syrie,** p 216- 219

(٦٨) Ibidem, p 218- 219

(٦٩) لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ، ص ١٨٧ .

(٧٠) Adel Ismaîl, **Documents,**, T 18, p 220-223.

(٧١) Ibidem, p 236- 237

أرسلان الذي استعمل كل أنواع الظلم والاستبداد ضد البلدة « لا لشيء إلا لأننا رفضنا الإحصاء الكيفي الذي أراد المتصرف إجراؤه في القرية وفقاً لمشيئته الخاصة » ، على حد تعبير أهالي برجا في العريضة . وبعد ذكر المساوىء التي قام بها الجنود الذين أرسلهم القائمقام إلى هناك ، أنهى سكان برجا عريضتهم بمطالبة القنصل الفرنسي التدخل لمساعدتهم وحمايتهم ، بصفتهم لبنانيين ، وبمقتضى كون الحكومة الفرنسية هي من الدول الست ، « الضامنة للعدالة وللقانون الأساسي في الجبل »(٧٢) .

هذا وقدم الشيخ شاهين الخازن ، عضو الاتحاد اللبناني ، لائحة إصلاحية طالب فيها :

١ ـ عدم إعطاء تذكرة نفوس تتعارض مع مضمون نظام لبنان الأساسي وإعتبار بروتوكول ١٨٦١ و١٨٦٤ النظام الوحيد الذي يجب العمل به في الجبل .

٢ ـ إيقاف إجراء أي إحصاء طالما أن الحكومة لم يُجر تشكيلها وفقاً للنظام الأساسي .

٣ ـ إلغاء جميع القوانين التي تُطبق على اللبنانيين والتي صدرت بطريقة اعتباطية في الآستانة .

٤ ـ الغاء جميع الضرائب وطرق جبايتها الجديدة .

٥ ـ قيام حكومة لبنانية حسب الأصول الواردة في القانون الأساسي . وإلاّ ستصبح الحكومة عاجزة عن إدارة البلاد .

٦ ـ حق السفن التي تعمل على البخار بالرسو في المرافىء اللبنانية الشرعية وإنشاء محكمة تجارية في الجبل(*) .

٧ ـ إعادة الأراضي التي تشكل جزءاً من منطقة الكورة والتي تُعرف باسم المعيصرة (Moayssera) إلى جبل لبنان .

---

(٧٢) Adel Ismaîl, **Documents**,. T 18, p 236- 237

(*) ينص بروتوكول ١٨٦٤ أن محكمة بيروت التجارية هي المرجع المختص للفصل في الدعاوى التجارية المقدمة من سكان جبل لبنان (المادة التاسعة) .

Adel Ismaîl, **Documents**,, T 12, p36

٨ ـ إيجاد مراكز بريدية وتلغرافية مستقلة في لبنان .

٩ ـ ولتفادي التعقيدات المحتملة في المستقبل يجب تحديد الامتيازات الخاصة بلبنان وتعيين الحقوق المفروضة عليه تجاه الدولة العثمانية(٧٣) .

وهناك كذلك عريضة مقدمة من بعض اللبنانيين المؤيدين للمتصرف ، تعتبر أن الامتيازات تعني في وجه من وجوهها الاستقلال التام . وإن خضوع لبنان إلى الدولة العثمانية ليس هو إلّا خضوعاً اسمياً فقط . ولهذا يحق للبنان كما جاء في هذه العريضة بأن يتمتع بالاستقلال الذاتي » كما أن له « الحق في سن القوانين الخاصة بشؤونه » . وعندما تطرح بعض القضايا والمسائل مع الدولة العثمانية كقضية الملاحات وقضية مرفأ جونيه ، فإن معالجتها يجب أن تتمّ بالإتفاق مع الحكومة اللبنانية على أساس المساواة . وأن تذكرة النفوس التي تقرر إعطاؤها للبنانيين فهي مرفوضة لأنها تعبّر عن صفة أو هوية عثمانية(٧٤) .

وبالإضافة إلى ذلك هناك عريضة مقدمة إلى القنصل الفرنسي في بيروت من بعض الأشخاص البارزين في جونية وهم : فيليب باخوس وفيليب الخازن وعبود أبي راشد وأمين الغريب وبول خوري والأب طوبيا عطا الله وسليم وهبي . يعلن هؤلاء أن حاكم لبنان يستخدم جهوده كلها في سبيل تطبيق القوانين التي يسنها مجلس النواب العثماني الخاصة بالولايات في جبل لبنان والشيء المؤكّد أن هذه القوانين تسيء إلى مصالح اللبنانيين لأنها تتعارض مع قانونهم الأساسي ذات الامتياز الخاص . ولا يمكن العمل بها ضمن الأراضي اللبنانية إلّا بعد موافقة الدول العظمى الضامنة لهذا النظام ثم يطلب هؤلاء مساعدة فرنسا للحفاظ على ما تبقى من هذه الامتيازات وإقناع المتصرف بضرورة إيقاف تطبيق القوانين الجديدة قبل دراستها من الدول العظمى وإعلان مطابقتها لنظام لبنان الأساسي(٧٥) . وضمن هذا السياق هناك عريضة ثانية مقدّمة من أهالي جونية إلى

---

(٧٣) Georges Samné, **La Syrie**, p 220

(٧٤) الاتحاد العثماني : ٢٠ تشرين الأول ١٩٠٩ وقد ترجم هذه العريضة القنصل الفرنسي في بيرت عن جريدة الاتحاد العثماني وأرسل نسخة منها إلى وزارة الخارجية الفرنسية .
Adel Ismaîl, **Documents**,, T 18, p 242- 243

(٧٥) Adel Ismaîl, Op. cit. p249- 251

قناصل الدول الكبرى في بيروت في ٨ تشرين الثاني ١٩٠٩ تحمل العنوان التالي : « لبنان وموانئه » وموقعة من السادة : بشارة أزيّ وسجعان أريج وبول نجيم عن اللجنة اللبنانية . وقد جاءت هذه العريضة كرّد على قرار الحكومة العثمانية القاضي بإقفال الموانىء اللبنانية . وتبدأ العريضة بتفنيد حجج الحكومة العثمانية القائلة :

١ ـ بأن النظام الأساسي لا ينص صراحة على حق لبنان بامتلاك موانىء وبأن الدولة العثمانية صاحبة السيادة على المتصرفية ولها الحق بفتح وإقفال الموانىء التي تراها مناسبة .

٢ ـ قد يؤدي رسو السفن في الموانىء اللبنانية إلى قيام اضطرابات في إدارة البلاد .

وفي ردّها تقول العريضة أن عدم وجود بند واضح في النظام الأساسي يسمح باستخدام موانىء الجبل لا يعني عملياً المنع وأن حق الدولة في المنع لا يمارس إلاّ في حالتين : حالة الحرب والحصار وحالة استثنائية تستدعي تحويل مرفأ تجاري إلى مرفأ حربي .

أمّا الحجة التي يلجأ إليها أصحاب العريضة هي « الحق التاريخي المكتسب» فمرافىء الجبل كانت تستقبل دائماً السفن من جميع الأنواع تجارية كانت أم شراعية قبل النظام الأساسي وبعده . وتنتهي العريضة إلى مناشدة الدول الكبرى لأن تتدخل لدعم موقف الشعب اللبناني بحيث تبقى الموانىء مفتوحة كما كانت دائماً تستقبل كل السفن التجارية دون تمييز(٧٦) .

أما ما كتبه جورج سمنة في كتابه « سوريا » يعكس بصورة واضحة مدى التذمر الذي كان يختلج في نفوس رجال الأعمال اللبنانيين حيث يقول : « إن المؤسسات التي اعتبرتها أوروبا كافية لضمان حياة اللبنانيين لم يترك منها الأتراك إلاّ الواجهة وعلى هذا

---

(٧٦) نقلاً عن وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي بيروت ١٩٧٦ . ص٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

الأساس يصبح الاستقلال بالنسبة للبنانيين الموت دون مجد فالأهالي الذين يمنعون من استخدام الموانىء لعمليات الترانزيت لا بد وأن يختنقوا في مقاطعة صغيرة غير خصبة وإن تجارتهم وصناعاتهم لا بد أن تخضع للجمارك التركية ، وبضائعهم التي يستوردوتها من أوروبا كان عليهم أن يدفعوا حتى تدخل بيروت أو طرابلس أو صيدا وحتى عند دخولها الجبل كان يفرض عليهم الدفع ، ولا ننسى البخشيش . فكيف يمكن أن يعيش الإنسان في هذه الظروف »(٧٧) .

إن شكاوى اللبنانيين وتساؤلاتهم لم تجد آذاناً صاغية عند الاتحاديين الذين استمروا في محاولاتهم الرامية للقضاء على امتيازات الجبل واستقلاله الإداري . وفرنسا التي كانت محط آمال اللبنانيين وخصوصاً الموارنة منهم أخذت تسير في خط مختلف وسياسة متناقضة مع رغبات اللبنانيين وآمانيهم الاستقلالية . ذلك أن حكومة باريس ولزيادة نفوذها في لبنان وسوريا ، راحت تؤيد الجمعيات والصحف المناوئة لاستقلال لبنان وتبعث بالرسل والمندوبين إلى بلاد الاغتراب بقصد ترغيب اللبنانيين في الانضمام إلى سوريا(٧٨) .

هذا وساهمت سياسة الاتحاديين بشكلٍ واضح في إدخال النفوذ الأجنبي وخاصة الفرنسي منه إلى لبنان وسوريا . وللدلالة على ذلك نقول إن الحكومة الفرنسية اشترطت عند إقراضها الحكومة الاتحادية مبلغ خمسة وعشرين مليون ليرة ذهبية أن يكون لها في سوريا ـ بما في ذلك لبنان ـ نفوذ ومركز ممتاز(٧٩) . وهكذا قدّرت الرساميل الفرنسية الموظفة في سوريا وجبل لبنان قبل الحرب بأكثر من مئتي مليون فرنك فرنسي(٨٠) مما أدّى إلى سيطرتها على سكك الحديد ومرفأ بيروت وشركات الكهرباء والمياه وفروع البنك الأمبراطوري العثماني . وتحكمها في السوقين اللبناني والسوري التجاريين بحيث توجهت المبادلات التجارية في تلك الفترة من تاريخ سوريا ولبنان إلى فرنسا ، خاصة في مجالات

---

(٧٧) Georges Samné, **La Syrie,** p 216

(٧٨) يوسف السودا : استقلال لبنان والاتحاد اللبناني في الاسكندرية مصر ١٩٢٢ ، ص٢٠ .

(٧٩) أدهم آل الجندي ، شهداء الحرب العالمية الكبرى ، دمشق ١٩٦٠ ، ص٢١٥ .

(٨٠) Maxime Nicolas, **Questions Monétaires en Syrie,** Lyon 1921, p21.

الحرير والجلد الخام والمدبوغة والحبوب والحيوانات[٨١] .

وكان المتصرف يوسف فرنكو باشا الذي كان مؤتمناً على النظام الأساد
لبنان يعمل ضد رغبات اللبنانيين وينفذ سياسة الحكومة العثمانية إرضاء
الاتحاديين[٨٢] . واكتفى بالقيام ببعض المشاريع العامة كشق الطرق وبناء الجد
مجاري الأنهار والسواقي الداخلية ، وجرّ المياه إلى عاليه وسوق الغرب وزحلة
وتأسيس صندوق ١٩٠٩ لمساعدة صغار المزارعين[٨٤] .

أمّا خليفته أوهانس قوجيان باشا الذي عُيّن متصرفاً على جبل لبنان في ٣'
الأول ١٩١٢[٨٥] ، فلم يستطع معالجة المشاكل الطارئة في الجبل ومساعدة الأها
بسبب معارضة الاتحاديين الذين أحكموا قبضتهم على السلطنة ، إثر إنقلا.
١٩١٣ ، ضد حكومة كامل باشا الائتلافية ، ولما حاول أوهانس باشا فرض
جديدة ، على مادة الملح جوبه باستنكار عام من قبل الشعب اللبناني ، وقامت ؤ

---

(٨١) ıe Khair, **Le Moutaçarifat du Mont-Liban, Beyrouth** 1973, p24.

(٨٢) llah , T, Khairallah, **La Syrie,**, P 130.

(٨٣) جرجي تامر ، الهدية الوطنية . ص ١٧٠ - ١٧١ .
ابراهيم الأسود ، **تنوير الأذهان** ، ص ٦٥ .
لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ، ص ١٨٧)

(٨٤) ɜorges Samné, **La Syrie,** p 219

(٨٥) غادر يوسف فرنكو باشا مركز المتصرفية في ١٢ تموز ١٩١٢ ، وحيث أن الإتفاق على تعيين خ
يكن بالأمر السهل فإن الباب العالي كلّف سعدالله الحويك نائب رئيس مجلس الإدا
الحكومة في الجبل وقد استمر الحويك في هذه المهمة مدة خمسة أشهر .

ınir Ismaîl, **le Liban sous les Mutaçarrifs** p.531.

رافق تعيين أوهانس باشا متصرفاً على الجبل إدخال بعض الاصلاحات على النظام ال
أهمها :

١ - انتخاب أعضاء مجلس الإدارة من قبل مشايخ الصلح في القرى .

٢ - انتخاب عضو لمجلس الإدارة عن مديرية دير القمر .

٣ - عدم محاكمة عضو مجلس الإدارة أو كف يده إلا بعد تحقيق يدرسه المجلس ويصدر
القرار الذي يرتئيه .

٤ - اعتبار المحاكم اللبنانية ذات صلاحية للنظر في الدعاوى التجارية بداية واستئنافاً .
يكون المتداعون كلهم لبنانيون .

مجلس الإدارة حركة معارضة ضده ، بلغت ذروتها عندما أخذ الباشا عام ١٩١٣ جانب شركة التبغ العثمانية(٨٦) .

وقد أثارت سياسة الاتحاديين هذه في جبل لبنان والولايات العربية مخاوف الأهالي ، فأخذوا يعملون على مناهضتها والحدّ من نتائجها عن طريق المطالبة بإجراء الاصلاحات في الإدارة وتطبيق اللامركزية في الدولة . وقد كان من نصيب هؤلاء الملاحقة والاضطهاد . فأيقنوا أخيراً أن التفاهم مع الأتراك غدا مستحيلاً لذلك قرروا الإنسحاب من جمعية الاتحاد والترقي(٨٧) . والانتظام في أحزاب وجمعيات سياسية تعمل على هدم مخططات الاتحاديين وتطالب بإصلاح الدولة والمساواة بين القوميات المختلفة التابعة لها .

= ٥ ـ رفع عدد الجنود اللبنانيين من ٨٠٠ إلى ١٢٠٠ ، ويُعهد في تدريبهم إلى أحد الضباط المستخدمين في تركيا .
٦ ـ وضع الموازنة من قِبل مجلس الإدارة تحت اشراف المتصرف ، قبل ابتداء السنة بثلاثة أشهر .
وغير ذلك من التعديلات كمسح الأراضي وإحصاء النفوس وإقرار الضرائب . .

Adel Ismaîl, **Documents,** T 19 p237- 239.

(٨٦) Mounir Ismaîl, Op. Cit, p 538

(٨٧) **الاصلاح ـ الاتحاد العثماني** ـ عدد ٢٧ ـ ١٤٢٢ . ١٠ حزيران ١٩١٣ خبر .
ـ عارف النعماني ، **مذكرات** ، ص١ .
ـ محمد جابر آل صفا ، **تاريخ جبل عامل** ، ص١٨٤ .
ـ مجيد خدوري ، **عرب معاصرون** . أدوار القادة في السياسة . بيروت ١٩٧٣ . ص ٣٢٤ .

الفصــل الـثـالـث

الجمعيات الاصلاحية وسياسة المؤتمرات

أولاً : الجمعيات الإصلاحية :

من الأمور الواضحة لدينا أن بعض هذه الجمعيات كانت لبنانية خالصة ، أي بمعنى أن الأعضاء المؤسسين لها كانوا من اللبنانيين فقط ، في حين كان بعضها الآخر مشتركاً بين اللبنانيين والسوريين . ويبدو أن برامج الجمعيات كانت متقاربة وأهدافها منسجمة إلى حدٍ بعيد ، إذ كان يجمعها قاسم مشترك يتمثل في محاربة السياسة العنصرية الطورانية والمطالبة بحقوق العرب القومية بصفتهم مواطنين عاملين ضمن إطار الدولة العلّية .

والحقيقة أن إمكانية الفصل بين ما هو لبناني وما هو سوري أو فلسطيني . في تلك الفترة على الأقل أمرٌ متعذر إلى حدّ بعيد ، إذ كان التعاون والتداخل بين جميع الفئات اللبنانية والسورية العاملة في نطاق الجمعيات السياسية تامين . وإن المصادر والوثائق الدبلوماسية التي تتحدّث عن تلك الحقبة ، تدمج بين ما هو لبناني وما هو سوري . فكلمة سوري ظلّت حتى بداية الحرب العالمية الأولى تشمل بمدلولها اللفظي على الأقل ، اللبناني والسوري(١) ، وقد أكّد ذلك « رئيس الاتحاد اللبناني بالاسكندرية » يوسف السودا حين قال :

« لما سعينا لإنشاء « الاتحاد اللبناني » في القطر المصري وجدنا أنفسنا في محيط غير مستعد كل الاستعداد لمثل هذا العمل . فكان اللبنانيون النازلون في القطر لا يهتمون

---

(١) M. V. Seton- Williams, Britain and theArabs States A survey of Anglo- Arab Relations , 1920-1948, London 1948, p89.

حدّ الاهتمام بأمور لبنان الخاصة بل كانوا مندمجين في الجالية السورية العثمانية معر
باسم سوريين أو « شوام » فصادفنا مشقة في تهيئة الأفكار في إقناع إخواننا بوج
الاهتمام بالمسألة اللبنانية لا سيما وجوه السياسة يومئذٍ مضطرب تحت تأثير الدستور الع
وما نشأ عنه من التحمس للدولة بين العثمانيين على اختلاف مللهم(٢) .

فاللبنانيون الذين كانوا يقيمون خارج البلاد كانوا يعرفون باسم سوريين و
يندمجون في إطار الجاليات السورية وكانوا يعملون من خلالها وبالتنسيق والتعاون
أعضائها . أما اللبنانيون الذين كانوا في داخل البلاد فقد اتخذوا من بيروت منط
لتحركهم السياسي ومكاناً لنضالهم الثوري وذلك يعود إلى كون مدينة بيروت كا
ملتقى لجميع التيارات الحزبية والسياسية . ومركزاً لجميع قناصل الدول الأجنبية ال
الضامنة لنظام لبنان الأساسي(٣) . ومقاماً شتوياً لمعظم المتصرفين الذين تعاقبوا
الجبل(٤) .

إزاء هذا الواقع أصبح لزاماً علينا أن نتطرق إلى جميع الأحزاب والجمعي
السياسية بقسميها اللبناني الخالص واللبناني المشترك ، كي نتمكن من الوقوف على أ
المبادىء والأسس التي حكمت العلاقات اللبنانية ـ التركية ، في تلك الحقبة من تار
لبنان . ومعرفة الظروف التي أحاطت بها والأحداث التي رافقتها ، ومن ثم الولوج
كنه الصراع القومي الذي كان قائماً في الدولة العثمانية آنذاك ينخر في جسمها وي
كيانها بالتفكك والإنهيار .

أ ـ الجمعيات السياسية السرّيّة :

وكان من الطبيعي إزاء تسلّط الاتحاديين في الحكم واستخدامهم أساليب الق
العسكري ضد معارضيهم من العناصر الأخرى ، أن يلجأ اللبنانيون والسوريون
الأسلوب السرّي في العمل المنظّم ، وذلك حتى يتمكنوا من تحقيق أهدافهم القومية و

(٢) يوسف السودا : استقلال لبنان والاتحاد اللبناني بالاسكندرية ، ص ٨ .

(٣) ...del Ismaîl, **Documents**, T 12- 20.

(٤) اتخذ المتصرفون الذين جاؤوا قبل علي منيف بيروت مقاماً لهم .
لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان ، ص٢٠٣ و٢٠٦ .

في مأمن من بطش السلطة وملاحقة رجالها المستبدين . وعلى هذا الأساس أنشأ هؤلاء عدة جمعيات سريّة نذكر منها الجمعية القحطانية والجمعية العربية الفتاة وجمعية العهد .

١ ـ الجمعية القحطانية :

أُنشئت في الآستانة في أواخر ١٩٠٩ ، بعد مداولات ومشاورات بين بعض اللبنانيين والسوريين وبعض الضباط المتحمسين للقضية العربية أمثال البكباشي سليم بك الجزائري ، وقد اشترك معه في تأسيسها كل من عبد الكريم الخليل من لبنان وعبد الحميد الزهراوي من طرابلس الشام ، وعزيز علي من مصر ، وحقي العظم من دمشق ، وحسن حمادة من لبنان ، وشكري العسلي من دمشق ، والدكتور عزة الجندي من حمص ، والأميران أمين وعادل أرسلان من لبنان ، وخليل حمادة من بيروت ، وأمين كزما من حمص ، وأمين لطفي الحافظ من دمشق ، وعلي أفندي النشاشيبي من القدس ، والضابط صفـوت العوا من دمشق(٥) .

وكان أعضاء « الجمعية القحطانية » يختارون من بين الشباب الثقاة الذين يحفظون العهد ويكتمون السر ، ويعملون بتفانٍ للقضية العربية(٦) ، كما كان للجمعية كلمة سر وإشارة لإثبات شخصية العضو(٧) . وقد أسّس للجمعية فروع في خمسة مراكز بالإضافة إلى القسطنطينية(٨) . وكان أعضاؤها المؤسسين يهدفون إلى رفع مستوى العرب الثقافي والاجتماعي والاقتصادي وحثّهم على التضامن والمطالبة بحقوقهم والعمل على انتزاعها من الأتراك بكل الوسائل الممكنة . كما كانوا يهدفون إلى تحويل الدولة العثمانية إلى مملكة ذات تاجين ، وذلك بأن تؤلف الولايات العربية جزءاً من مـمـلـكة تـركية ـ عربية على

---

(٥) محمد جابر آل صفا ، **تاريخ جبل عامل** ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ ، أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص١٤ ، جورج انطونيوس **يقظة العرب** ، ص١٨٦-١٨٧ .
الأمير مصطفى الشهابي ، **القومية العربية** ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .
; Khairallah. T. Khairallah, **Le Porbleme du Levant Les Régions Arabes Liberées,** Paris 1919. p43- 44.

(٦) عادل اسماعيل : **السياسة الدولية** ، ج٤ ، ص١٣٨ ، جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٨٦ .

(٧) محمد جابر آل صفا ، **تاريخ جبل عامل** ، ص ١٨ .

(٨) جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٨٧ .

رأسها السلطان العثماني ، وذلك على نمط امبراطورية النمسا والمجر[٩] .

والواقع أن الجمعية القحطانية « لم تعش طويلاً فقد أهملها أعضاؤها بعد سنة من تأسيسها وذلك خوفاً من افتضاح أمرهم بعد أن خانهم أحد الأعضاء ووشى بهم إلى السلطات التركية »[١٠] .

٢ ـ جمعية العربية الفتاة :

ومن الجمعيات السرية التي تأسست بعد ذلك « جمعية العربية الفتاة » التي أنشأها في باريس الطالبان أحمد رستم حيدر من بعلبك ، وتوفيق الناطور من بيروت في ١٤ تشرين الثاني ١٩٠٩[١١] وانضم إليها في عام ١٩١١ عوني عبد الهادي من جنين ، ورفيق التميمي من نابلس وأحمد قدري وجميل مردم وإبراهيم مردم من دمشق ، وتوفيق يوسف السويدي من بغداد وعبد الغني العريسي ومحمد المحمصاني من بيروت[١٢] .

وفي ١٩١٢ انتقلت الجمعية إلى بيروت بعد أن أنهى مؤسسوها دراستهم في باريس مع تأسيس فرع لها في دمشق تولاه الدكتور أحمد قدري ، ثم انتقل مقرها العام إلى هذه المدينة بعد إعلان الحرب العالمية الأولى لأن معظم رجالها أصبحوا يقيمون في دمشق[١٣] .

---

(٩) Hassan Saab, '**The Arab Federalits of Ottoman Empire,** . Amesterdam 1958, p. 235-239.

جورج انطونيوس ، المصدر السابق ، ص ١٨٦ . عادل إسماعيل ، **السياسة الدولية** ، ص١٣٨ .

(١٠) يذكر محمد جميل بيهم أن « الاتحاديين حلّوا هذه الجمعية ١٩١٠ أي بعد عام واحد من انشائها . بيهم ، **العرب والترك** ، ص ١٥٦ .

أما مصطفى الشهابي فيقول : إنّ هذه الجمعية بقيت حتى قيام الحرب العالمية الأولى ، إذ انضم اعضاؤها إلى جمعيتي العهد والعربية الفتاة .

مصطفى الشهابي ـ **القومية العربية** ص٧٠ .

(١١) محمد جابر آل صفا ، **تاريخ جبل عامل** ، ص ١٩٠ .

أدهم آل الجندي ، **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص١٤ .

(١٢) محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، الجزء الأول ، صيدا ١٩٥٠ ، ص ٢٧ أ محمد جميل بيهم : **العرب والترك** ، ص ١٥٦ . جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٨٧ .

(١٣) محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، ص ٣١ .

وقد ازداد عدد المنتسبين إلى الجمعية في دمشق زيادة كبيرة وخاصة في العهد الفيصلي ، كما انتسب إليها الأمير فيصل سنة ١٩١٥ عندما عرج على دمشق في طريق عودته من الآستانة إلى الحجاز حيث اجتمع برجال الجمعية وقدّم لهم ألف ليرة ذهبية كمساعدة مالية لهم(١٤) .

وكان هدف الجمعية العمل للنهوض بالأمة العربية إلى مصاف الأمم الراقية واغتنام الفرص لتحقيق هذه الأمنية . ثم تطور هذا الهدف إلى طلب الانفصال التام عن الأتراك ، وتأسيس دولة عربية مستقلة . وهذا ما أكده منشور وزّع في البلاد العربية في ذلك الوقت ، جاء فيه : انظروا في موقف بلادكم قبل أن يسلمكم تيوس الآستانة إلى ذئاب أوروبا(١٥) . وعن هذه الناحية يحدثنا توفيق الناطور ، المؤسس الرئيسي للجمعية ، فيقول : « إن فكرة القومية العربية ، أو العروبة ، لم تكن بعد قد تبلورت وقويت ، جلّ ما كنا نحن العرب ، نطلبه ، هو أن نتمتع في الأمبراطورية العثمانية

---

(١٤) من أراد الاطلاع على أسماء بعض الأعضاء فعليه الرجوع إلى محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، ص٢٧ . محمد جميل بيهم : **العرب والترك** ، ص٣٠ - ٣١ .

(١٥) يقول محمد جميل بيهم : إن المنشور لا يزال يحتفظ به : بيهم : **العرب والترك** ، ص١٥٧ يشير فرنسوا جورج بيكو « Francois Georges- Picot » قنصل فرنسا العام في بيروت آنذاك ، في رسالته التي بعثها إلى السيد « فيفياني Viviani » رئيس الحكومة الفرنسية ووزير خارجيتها . إلى أن قناصل الدول الأجنبية في بيروت تلقوا مناشير ممهورة بخاتم جمعية سرية في سوريا « Un Comité Secret de Syrie » كانت قد وُزعت سراً في المدينة ، تدعو العرب إلى الاستقلال وإتخاذ دول البلقان مثالاً يُحتذى في هذا السبيل . وقد أرسل القنصل الفرنسي مع رسالته تلك ، ترجمة حرفية لهذا المنشور ، ومن المفيد تسجيل أهم النقاط التي وردت فيه : « النداء الثالث إلى الأمة العربية » .Le troisième appel à la nation Arabe « إن الأتراك وعدوكم بالاصلاح والعدالة ، ألا تلاحظون أنهم خدعونا ؟ إن تركيا أصبحت عبدة لأوروبا وأن قواتها البرية والبحرية لم تعد كافية لحماية أي جزء من الأرض والدفاع عن استقلال البلاد الوهمي .

« إن اليونان والجبل الأسود والصرب وبلغاريا ورومانيا كانت مقاطعات عثمانية وعرفت العسف والجور اللذين نقع نحن تحت عبئهما . إن الإستقلال وحده استطاع تخليصها وأعطى لشعوبها الحرية والتقدم ، الذي هو حق لكل شعب . لقد وهبوا أنفسهم هذا الاستقلال . وكانوا على يقين أن الاستقلال ثمنه التضحية بدمائهم . الصراع جميل ولذيذ عندما يقع باسم الحرية .

« أيها العرب لماذا تستمرون عبيداً هكذا ؟ إن العلم الجديد ، وهو العلم العربي ، يجب أن يرفرف ، من الآن وصاعداً ، فوق البلاد العربية ؛ « لا تخشوا أن تطلبوا من أوروبا دعمها . إن أوروبا هي العدالة ، وهي دائماً سند الشعوب المضطهدة » . Adel Ismaïl, **Documents**,, T 20, p372- 374

بنفس الحقوق والواجبات التي كان يتمتع بها الأتراك وأن تقوم الامبراطورية على ركنين عظيمين : الشعب التركي والشعب العربي[١٦] .

وقد اتخذ أعضاء الجمعية كثيراً من الحيطة والحذر في نشاطهم القومي وحرصوا حرصاً شديداً في انتقاء الأعضاء من ذوي النفوس الجريئة الذين يتمتعون بحسن الخلق والأمانة ، بالإضافة إلى التشبع بالقضية العربية . وكان لا يقبل العضو إلّا بعض تقديمه من عضوٍ قديم يعرفه ، ثم يخضع لتجربة لا تقل عن ستة أشهر[١٧] ، وبعدها يقسم يمين الولاء للجمعية بأنه على استعداد للتضحية بحياته في سبيل أهدافها[١٨] . وقد بقي أمر هذه الجمعية مكتوماً على الأتراك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى حينما تمّ استقلال العرب عن الدولة العثمانية . وذلك بفضل التزام أعضائها بالتكتم وعدم البوح بأسرارها واحتمال العذاب والتنكيل ، إذ حاول العضو « شكري القوتلي » الانتحار » ، وآثر آخرون الموت في ساحة الشهداء على أن يفشوا أسرارها أو يذكروا اسماً من أسماء أعضائها[١٩] .

٣ ـ جمعية العهد :

بعد أن ذاع سرّ الجمعية القحطانية ، وخاف الأعضاء على مصيرهم ، أخذ عزيز علي المصري يفكر في تأسيس جمعية بديلة تكون أهدافها متطابقة مع أهداف الجمعية الأولى ، وقد توصل في نهاية المطاف إلى وضع خطة بتحويل القحطانية إلى جمعية عسكرية ، بمعنى أن يكون أعضاؤها من ضباط الجيش فقط[٢٠] .

---

(١٦) المنار : ج٧ ، م١٦ ، ص ٥٤٦ .
يقول زين نور الدين زين ، إن هذا الكلام قد سمعه من توفيق الناطور نفسه أثناء مقابلة شخصية معه ، زين : **نشوء القومية العربية** ، ص٩٢ .

(١٧) جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ٢٨٨ .

(١٨) محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، الجزء الأول ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .
أحمد قدري ، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** ، ص١٢ ـ ١٣ .
جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٨٨ .

(١٩) أحمد قدري **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** ، ص ١٣ و٦٠ ـ ٦١ .

(٢٠) جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٩٧ .

وبالفعل ، ففي ٢٨ تشرين الأول ١٩١٣ وُلدت جمعية العهد في الآستانة بتدبير من عزيز علي وجماعة من الضباط العرب ، ثم أُنشئت لها فروع في بيروت وحلب ودمشق وبغداد والموصل والبصرة(٢١) .

وقد انضم إليها أعضاء الجمعية القحطانية وعدد كبير من الضباط العرب حتى بلغ عدد المنتسبين إلى مركزها الرئيسي في أوائل عام ١٩١٤ ، ٣١٥ ضابطاً(٢٢) . وقد وضعت الجمعية برنامجاً حدّدت فيه أهدافها وكان يتألف من النقاط التالية :

١ ـ جمعية العهد جمعية سرية انشئت في الآستانة وغايتها السعي لإستقلال البلاد العربية الداخلي على أن تظلّ متحدة مع حكومة الآستانة اتحاد المجر مع النمسا .

٢ ـ ترى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الإسلامية وديعة مقدسة بأيدي آل عثمان .

٣ ـ لما كانت الجمعية تعتقد أن الآستانة رأس الشرق وأن الشرق لا يعيش إذا اقتطعتها دولة أجنبية ، فهي تُعنى عناية خاصة بالدفاع عنها وتعمل للمحافظة على سلامتها .

٤ ـ لما كان الترك يؤلفون من ستهاية سنة المخافر الأمامية للشرق أمام الغرب فعلى العرب أن يعملوا للحصول على ما يؤهلهم لأن يكونوا القوى الاحتياطية الصالحة لهذه المخافر .

٥ ـ على رجال « العهد » أن يفرغوا قصارى جهدهم في إنماء المزايا الحميدة وبثّ الدعوة للتمسك بالأخلاق الفاضلة لأن الأمة لا تحتفظ بكيانها السياسي والقومي ما لم تكن مجهزة بالأخلاق الصالحة(٢٣) .

---

(٢١) محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، ج ١ ، ص ٣٢ ، عزيز بك (رئيس استخبارات الجيش الرابع) سوريا ولبنان في الحرب العالمية ص ٢٨ ـ ٢٩ .

(٢٢) من يريد الاطلاع على بعض أسماء الأعضاء الذين انتسبوا إلى هذه الجمعية يمكنهم الرجوع إلى دروزة : المصدر السابق ، ص٣٣ .
يذكر جورج انطونيوس ، في مؤلفه : **يقظة العرب** ، صفحة ١٩٧ : « إن الجمعية لم تقبل في صفوفها من المدنيين سوى اثنين فقط اختيرا لوطنيتهما الموثوق بنزاهتهما ، كان أحدهما الأمير عادل أرسلان .

(٢٣) أمين سعيد : **الثورة العربية الكبرى** ، م١ ، ص٤٦ ، عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

وقد أحدث إنشاء هذه الجمعية أهمية عظيمة في دوائر الآستانة لما عُرف به منشئوها من الصلابة والقوة(٢٤) ولأنها نشأت في فترة من الزمن توترت فيها العلاقات بين الاتحاديين والشبيبة العربية توتراً كبيراً كان من أثره تأييد الشبان والضباط العرب للجمعية والتفافهم حولها . وعندما شعرت بها حكومة الاتحاديين اعتقلت مؤسسها عزيز علي وحكمت عليه بالإعدام . ثم أخلت سبيله ونفته خارج البلاد(٢٥) حيث سافر إلى مصر وألّف فيها جمعية جديدة مع الضباط الفارين ومع حقي العظم والشيخ فؤاد الخطيب باسم « الجمعية الثورية »(٢٦) .

وفي أوائل عام ١٩١٥ وحدّت جمعية « العهد » نشاطها مع جمعية « العربية الفتاة » وبدأتا تعملان معاً للثورة ضد الأتراك(٢٧) . وقد اشتعلت بالفعل في شهر حزيران من عام ١٩١٦ .

ب ـ الجمعيات السياسية العلنية :

والواقع أن اللبنانيين والسوريين لم يقتصر نشاطهم السياسي على تأسيس

---

(٢٤) ومما يرويه الضابط فوزي القاوقجي « في مذكراته عن انتسابه إلى جمعية عربية قوله : « وفوجئت ليلة بصديق من الضباط ينفرد بي ويسألني إذا كنت مخلصاً حقاً لبلادي أن اتبعه من غير سؤال . شدّ الضابط على عيني منديلاً وقادني إلى دار لم أكن أعرفها ، حتى إذا وصلناها حلّ الرباط فإذا بي أمام جماعة مقنعة بألبسة سوداء لا يظهر منها سوى عيونها وقد أحدقوا بمائدة عليها نسخة من القرآن الكريم وسيف ومسدس ، وطلب إليّ أحدهم أن أقسم يمين الاخلاص لجمعية تعمل في سبيل تحرير العرب ، ففعلت ثم أغمض الضابط عيني وعاد بي إلى منزلي » .

فوزي القاوقجي ، مذكرات ١٩١٤ ـ ١٩٣٢ الجزء الأول ، بيروت ١٩٧٥ ، ص١٥ .

(٢٥) الأمير مصطفى الشهابي ، **القومية العربية** ، ص٨٠ ، عزيز بك ، **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ص٢٩ .

(٢٦) أدهم آل الجندي ، **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢٧) « يذكر السيد دفرانس Defrance » الوزير المفوض لفرنسا في القاهرة في رسالته إلى السيد جونار « Jonnart » وزير الخارجية الفرنسية « أن أربعين ضابطاً عربياً ، من الذين يخدمون في تشاتالدجة « Tchataldja » اجتمعوا هناك وقرّروا التحضير لحركة عسكرية ثورية يقومون بها عند بدء الحرب لدى عودتهم إلى سوريا وذلك لطرد الأتراك من بلادهم » .

Adel Ismaîl, **Documents** T19, p 352.

الجمعيات السرية فقط . بل تعداه إلى إنشاء أحزاب وجمعيات سياسية علنية كان لها دور بارز في نضالهم السياسي والقومي ، نذكر منها :

١ ـ المنتدى الأدبي :

وكان أكثر هذه الجمعيات نشاطاً وأوسعها نفوذاً « المنتدى الأدبي » الذي أُنشىء في الآستانة بعد أن حلّ الاتحاديون « جمعية الأخاء العربي العثماني » في خريف ١٩٠٩ . ومن الذين اشتركوا في تأسيسه مع عبد الكريم الخليل ، يوسف مخيبر وسليمان حيدر ورفيق سلوم وسيف الدين الخطيب وأحمد جميل الحسيني وعاصم بسيسو وعزّة الأعظمي[٢٨] .

وقد آزرهم بعض سياسيي العرب ونوابهم في الآستانة ، في مقدمتهم : خليل حمادة باشا وزير الأوقاف وعبد الحميد الزهراوي وشفيق المؤيد ورضا الصلح ورشيد رضا وحقي المعظم ورفيق العظم والطبيب حسين حيدر وطالب النقيب وعزيز علي المصري وندره المطران ونخلة المطران ورشدي الشمعة الذين كانوا يلقون الخطب أحياناً في احتفالاته[٢٩] .

وكان كل عربي يؤم الآستانة ينتسب إلى عضويته ، حتى أصبح عدد المنتسبين إليه يعدّون بالآلاف[٣٠] . كما كان « للمنتدى » تعليمات سرية لا يعلمها سوى أعضائه المؤسسين[٣١] وقد فتحت له فروع في مختلف مدن الشام والعراق ومصر . أما أهدافه فكانت أدبية وثقافية في الظاهر وسياسية قومية في الخفاء ، حيث كان أعضاؤه العاملون

---

(٢٨) محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، ج ١ ، ص٢٤ . عارف النعماني ، **مذكرات** ص٢ . كانت أول هيئة ادارية للمنتدى الأدبي مؤلفة من : أحمد جميل الحسيني رئيساً وعبد الكريم الخليل ويوسف حيدر وسيف الدين الخطيب وعزة الجندي وسامي الصلح وأحمد قدري وعبد القادر الجزائري أعضاء ثم في السنة الثانية أصبح عبد الكريم الخليل رئيساً للمنتدى الأدبي .
البرق ٢٨ كانون الثاني ١٩١١ ، خبر . المفيد عدد ٥٩٨ ٢٣ ك ١ ، ١٩١١ خبر .

(٢٩) توفيق برو : **العرب والترك** ص٣١١ . **La Vérité sur la Question Syrienne** pubblié par le commandemant de la 1Vme Armée, Istamboul 1916, p 11.

(٣٠) جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٨٥ .

(٣١) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص١٤ .

يسعون إلى بعث الروح القومية في صفوف العرب وإظهار نوايا الترك الخبيثة نحوهم(٣٢) . وفي الجلسة التي عقدها أعضاء النادي في مركزه الرئيسي عام ١٩١١ ألقى رئيسه عبد الكريم الخليل خطاباً دعا فيه « الحضور إلى التعاون والاتحاد وجمع الكلمة في سبيل النهوض بالأمة العربية ليتسنى لها أن تكون عضواً عاملاً في الجسم العثماني » . وأضاف : « إن المنتدى دار علم محضة لا تعلق لها في السياسيات والدينيات وإنها مفتوحة الأبواب لكل من أراد دخولها من أبناء العرب خاصة والعثمانيين كافة »(٣٣) .

ولنشر مبادئه وتحقيق أهدافه أصدر « المنتدى الأدبي » مجلة باسم « لسان العرب » ثم أُبدل «بالمنتدى الأدبي» دفعاً للظنون. كما زوّد مقر النادي بمكتبة للمطالعة وفُتحت فيه صفوف ليلية لتعليم الطلاب اللغة التركية واللغات الأجنبية(٣٤) .

وكان « المنتدى الأدبي » أيضاً ملتقى لأبناء العرب من نواب وسياسيين وطلاب وموظفين وزوار يتبادلون الأحاديث عن الإصلاح وحقوق العرب ، وموقف الأتراك منها ، وعن الأخطار التي تحيط بالحركة الوطنية العربية وعن سياسة الاتحاديين التي تميز

---

(٣٢) أسعد داغر : **مذكراتي على هامش القضية العربية** ، ص٣٥ - ٣٦ .

(٣٣) المفيد : عدد ٥٩٨ ، ٢٣ ك٢ ١٩١١ .

والجدير ذكره في هذه المناسبة أن «دو فرانس Defrance » وزير فرنسا المفوض في القاهرة وجه في ١٩١٣ شباط رسالة إلى « جونار Jonnart » وزير الخارجية الفرنسية ، يقول فيها : « إن أربعة من الضباط الألمان برئاسة النقيب « فون هاموشين » تركوا هذا اليوم مرفأ بورسعيد متوجهين إلى بيروت ، فدمشق. وذلك لمراقبة قناصلنا في سوريا ، وللقيام بأعمال الدعاية لألمانية هناك » ثم يضيف : « وإن عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي في القسطنطينية ، سيتولى إرشاد هذه البعثة في مهمتها ، وهو حالياً موجود في مصر ، ولكنه يستعد الآن للسفر إلى بيروت من أجل هذه الغاية وبناء على هذه الرسالة أنفذ جونار « Jonnart » في ٢١ شباط ١٩١٣ تعليماته إلى السفير الفرنسي في الآستانة ، وإلى قناصل فرنسا في بيروت ودمشق وبورسعيد والقاهرة ، حول هذا الموضوع طالباً منهم مراقبة أعمال وتحركات هذه البعثة بجدية متناهية ووضع التقارير الضافية عن نشاطاتها وإرسالها في الحال » .

Adel Ismaîl: **Documents**,, T19 p. 32, et 331- 332.

(٣٤) **المفيد** عدد ٥٩٨ ، ٢٣ ك١ ١٩١١ ، خبر ، وأيضاً توفيق برو ، **العرب والترك** ، ص٣١٧ .

يذكر محمد جابر آل صفا ، في مؤلفه **تاريخ جبل عامل** ، صفحة ١٨٨ ، إن عزة الأعظمي وعاصم بسيسو كانا يتولان تحرير المجلة . وذكر كذلك في الصفحة ذاتها ، وشاركه في هذا الرأي عارف النعماني في مذكراته ص٢ ، إن جريدة الحضارة التي كان يحرّرها الزهراوي كانت تنطق باسم المنتدى الأدبي »أيضاً .

بين عناصر الدولة المختلفة ، وغير ذلك من القضايا التي تمس مصير العرب ومستقبلهم . كما كانت تقام في المنتدى احتفالات في شتى المناسبات ، تُلقى فيها الخطب والمحاضرات ، وتُقدم فيها تمثيليات تختار موضوعاتها من التاريخ العربي ، وكثيراً ما كان ينشد فيها قصائد قومية حماسية(٣٥) .

وقد كان الاتحاديون يترددون كثيراً على « المنتدى الأدبي » وخاصة بعد أن بدأت بوادر الحرب العالمية الأولى تظهر في الأفق . فكان لا يمضي أسبوع إلا ويزوره طلعت وأنور وجمال ومدحت شكري وغيرهم . فيتبادلون الخطب الحماسية وعبارات الوداد والآخاء مع الأعضاء . وفي آخر احتفال له بمناسبة ذكرى المولد النبوي الشريف قال طلعت باشا في خطبة ألقاها يوم الاحتفال : « إن العرب والترك جسم واحد وكتلة عظيمة واحدة لا ينفك أحدهما عن الآخر أبداً . وها يدنا نمدها لمصافحتكم فصافحونا أيها العرب والمسلمون . وثقوا أنكم إن فررتم منا فإننا تابعوكم ولاحقون بكم لنضمكم إلى صدورنا ونتمسك بكم أبد الدهر »(٣٦) .

ولكن في خلال الحرب العالمية الأولى قلب الاتحاديون ظهر المجن للعرب فبدأوا يلاحقون أعضاء « المنتدى الأدبي » وينكلّون بهم ، حتى أقدموا أخيراً على إغلاق مركزه في الآستانة وإعدام رئيسه عبد الكريم الخليل عام ١٩١٥(٣٧) .

٢ ـ الجمعيات اللبنانية :

أ ـ الاتحاد اللبناني بالقاهرة :

في الاجتماع الذي عقدته الجالية اللبنانية في القاهرة في « تياترو التمثيل العربي » في

---

(٣٥) محمد أنيس : الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ، ص١٣١ .
محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ج ١ ، ص٢٤ .

(٣٦) المقطم ، عدد ٧٥٦٩ ، ٥ شباط ١٩١٤ خطبة طلعت باشا .

(٣٧) محمد عزة دروزة : حول الحركة العربية الحديثة ، ج ١ ، ص٢٣ . ذكرت جريدة البرق اللبنانية في عددها الصادر في ٥ تشرين الثاني ١٩١٠ « أن الجالية السورية في ريو دي جانيرو » عاصمة البرازيل ، أسّست نادياً باسم : « المنتدى العثماني » كان ملتقى لأعضاء الجالية ، يعالجون فيه قضاياهم السياسية والاجتماعية ويقيمون فيه الاحتفالات في مختلف المناسبات .

١٩ تشرين الثاني ١٩٠٩ تمّت ولادة جمعية « الاتحاد اللبناني » التي كانت غايتها الحفاظ على حقوق وامتيازات جبل لبنان التي نالها بموجب قانونه الأساسي والأنظمة الملحقة به . وقد شارك في هذا الاجتماع السادة : انطون الجميل وداود بركات واسكندر عمون وحبيب غانم ومحمد تلحوق وحيدر معلوف وبشارة واكيم وخليل أبي اللمع وبولس مسعد وحبيب يزبك وجرجس حنا . . .(٣٨) .

وفي ٢٦ كانون الثاني من العام نفسه أقرت الهيئة العامة قانون الجمعية الأساسي(٣٩) واختارت خمسة من أعضائها ليتولوا شؤونها التنفيذية وهم السادة : اسكندر عمون رئيساً وانطون الجميل سكرتيراً وحيدر معلوف أميناً للصندوق وداود بركات وحبيب يزبك عضوين عاملين(٤٠) .

ولتحقيق أهدافها كتبت الجمعية إلى اللبنانيين العاملين في أوروبا وأميركا والآستانة تدعوهم لمشاركتها في العمل وتحثهم على توحيد جهودهم للوصول إلى الهدف المنشود . ويبدو أن الجمعية قد وجهّت سلسلة من الرسائل إلى الباب العالي وممثلي الدول الأوروبية الست الضامنة لنظام لبنان الأساسي ، تلتمس فيها تحقيق مطالب اللبنانيين الإصلاحية . وكانت الرسالة الأولى في ٥ نيسان ١٩١٢ ، وقد تضمنت المطالب التالية :

١ ـ تعديل طريقة انتخاب أعضاء مجلس الإدارة إمّا بتوسيع حق الانتخاب بحيث يشمل جميع المواطنين . وإمّا بزيادة عدد المقترعين .

٢ ـ أن تنظر المحاكم المدنية بالدعاوي التجارية .

٣ ـ إعطاء المتصرف صلاحية إقالة الموظفين والقضاة بناء على قرار صادر من مجلس

---

(٣٨) بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، ص٨٠ ـ ٨١ .

(٣٩) في الاجتماع الأول الذي عُقد في ١٩ تشرين الثاني تمّ انتخاب لجنة لوضع قانون أساسي للجمعية وقد تشكلت اللجنة من السادة : اسكندر عمون وداود بركات وانطون الجميل وحبيب غانم ومحمد تلحوق وحيدر معلوف وبشارة واكيم وخليل أبي اللمع وبولس مسعد وحبيب يزبك وجرجس حنا . المرجع نفسه ص ٨١ .

(٤٠) المرجع نفسه ، ص ٨١ .

تأديبي يتم تشكيله من رئيس محكمة الاستئناف المدنية ورئيس محكمة الجنايات والنائب العام ، وعضوين من مجلس الإدارة (يختار مجلس الإدارة العضوين المذكورين لمدة سنة واحدة) .

٤ ـ زيادة مداخيل الحكومة اللبنانية عن طريق زيادة عدد السكان وضم أراضي جديدة إلى الجبل ، مع الاحتفاظ بالقيمة السابقة للضرائب وأن تنشر الحكومة اللبنانية الميزانية سنوياً .

٥ ـ السماح للمرافىء اللبنانية باستقبال السفن البخارية .

٦ ـ تطبيق دقيق وصارم لجميع الإجراءات المنصوص عليها في الأنظمة السابقة وكذلك الإجراءات التي ستنص عليها الأنظمة في المستقبل(٤١) .

وفي ٢٠ تشرين الأول ١٩١٢ بعثت جمعية الاتحاد اللبناني رسالة إلى الدول الست (فرنسا ، انكلترا ، ايطاليا ، النمسا ، المانيا ، روسيا) جاء فيها أن الاتحاد اللبناني « يكرّر باسم الشعب اللبناني التماسه بتحقيق المطالب التي قدمها سابقاً وهي :

١ ـ تطبيق الاستقلال الذاتي في لبنان بشكل كامل وحقيقي .

٢ ـ اعتماد التمثيل النسبي في تشكيل المجالس التشريعية .

٣ ـ استرجاع الأراضي التي سُلخت عن الجبل وبالتحديد البقاع وبيروت .

٤ ـ منح الجبل حقوقاً جمركية وبريدية وتلغرافية . . . وغيرها .

وتنتهي الرسالة بتمني اللبنانيين بإنالة حقوقهم كي يتخلصوا من البؤس الذي يعيشون فيه وليجدوا مكانهم تحت الشمس(٤٢) .

---

(٤١) Adel Ismaîl. **Documents,** T18, p. 452- 453.

(٤٢) Adel Ismaîl, **Documents,** T19, p. 150- 151

يحصر بشارة الخوري في مؤلفه « حقائق لبنانية » « مطالب الجمعية بالنقاط التالية :

١ ـ فتح الموانىء اللبنانية للبواخر الأجنبية .

٢ ـ انشاء محاكم للتجارة في جبل لبنان .

٣ ـ تصدير التبغ اللبناني من الموانىء العثمانية إلى جميع الجهات .

ولمّا دنا اجتماع سفراء الدول لاختيار خلف للمتصرف يوسف فرنكو باشا أصدرت الجمعية بياناً تحت عنوان « الأماني اللبنانية » ضمنته وجهة نظرها في الإصلاح ثم رفعته إلى الباب العالي وممثلي الدول الست(٤٣). كما وجه اسكندر عمون رئيس الاتحاد اللبناني في القاهرة ، إلى الصدر الأعظم كامل باشا وسفراء فرنسا وانكلترا وروسيا وألمانيا والنمسا وايطاليا في القسطنطنية البرقية التالية :

« إن الإصلاح الذي يمكن أن يعيد إلى لبنان الهدوء ، ويوقف هجرة أبنائه المدمرة هو الإصلاح الذي يستند إلى استقلال ذاتي حقيقي وتوسيع فعلي لأراضيه ، وكل إصلاح خارج هذا الإطار يكون غير مجدٍ »(٤٤) .

ومّما تجدر الإشارة إليه أن بروتوكول تعيين المتصرف أوهانس باشا حاكماً على الجبل جاء يستجيب لبعض تلك المطالب . كزيادة عدد الناخبين والتأكيد على إستقلالية الممثلين ، وحق مجلس الإدارة في مناقشة ونشر الميزانية ، والسماح للحاكم الجديد بمراجعة وإصلاح نظام مالية الجبل بموافقة الباب العالي وممثلي الدول ، ثم توسيع صلاحية المحاكم اللبنانية لتشمل الدعاوي التجارية ورفع عدد الجند اللبناني إلى ١٢٠٠ عنصر وأحقية هذا الجند بالاستعانة بضباط أجانب لتدريبه على القواعد العسكرية الحديثة(٤٥) .

وبعد إعلان هذه الاصلاحات والمباشرة بتنفيذها من قبل السلطات المختصة في لبنان ، وجه اسكندر عمون ، رئيس الاتحاد اللبناني في القاهرة مع خيرالله خيرالله ، سكرتير « الجمعية اللبنانية » في باريس رسالة إلى السيد كوجه ، قنصل فرنسا العام في

= ٤ ـ إعادة المقاطعات التي سلخت عن لبنان .
٥ ـ فتح الملاّحات ومنع احتكار الملح في لبنان .
٦ ـ إباحة تصدير المشروبات والكحول .
بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، ص٨١ .

(٤٣) بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، ص٨٢ .

(٤٤) Adel Ismaïl, **Documents,** T19, p. 226

(٤٥) Ibidem, p 231- 232 et 237- 239

لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان ، ص ١٩١ .

بيروت يشكر فيها الحكومة الفرنسية على خدماتها الجليلة تجاه لبنان واللبنانيين ويعربان كذلك عن أملهما بأن تواصل فرنسا مساعيها الحميدة لإبقاء باب الإصلاح في لبنان مفتوحاً . وفي النهاية أكّد السيدان عمون وخيرالله على القضايا التي يصرّ اللبنانيون على تحقيقها بمساعدة الحكومة الفرنسية وممثليها في الشرق وهي :

١ ـ أن يتم انتخاب المتصرف من قبل أهالي الجبل بمعرفة الباب العالي وممثلي الدول الأوروبية الست .

٢ ـ أن يُعطى لبنان استقلالاً مالياً .

٣ ـ أن يسترجع حدوده التاريخية والطبيعية .

٤ ـ أن تحترم السلطات العثمانية امتيازات اللبنانيين داخل الجبل وخارجه[٤٦] .

وهكذا تابع « الاتحاد اللبناني » في القاهرة نشاطه في لبنان ومصر وبلاد المهجر ، فاتصل بالجمعيات اللبنانية العاملة داخل البلاد وخارجها . وتعاون كذلك مع حزب اللامركزية في سبيل تحقيق أماني العرب والحد من خطر تيار الطورانية على الأقطار العربية[٤٧] .

ب ـ الاتحاد اللبناني بالاسكندرية :

بعد قيام جمعية الاتحاد اللبناني بالقاهرة تداعت الجالية اللبنانية في الاسكندرية للاجتماع ، وفي الموعد المضروب (٢٨ آذار ١٩١٠) اجتمع في قاعة أعياد الاسكندرية ما يزيد على مئة وخمسين لبنانياً ، تدارسوا فيه مشكلة بلادهم من جميع جوانبها ، ثم ألقى حبيب المعوشي كلمة عن تاريخ لبنان ، في حين بيّن يوسف السودا أن الغاية من الاجتماع هي تأليف جمعية للإهتمام بمصالح لبنان مع سائر الجمعيات اللبنانية ، وهدف الجمعية هو المحافظة على امتيازات لبنان[٤٨] .

---

(٤٦) Adel Ismaîl, **Documents,** T19, p. 336-339

(٤٧) بشارة الخوري ، حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، ص٨٢ ـ ٨٣ .

(٤٨) يوسف السودا ، استقلال لبنان والاتحاد اللبناني، بالاسكندرية ، ص ١٠ ـ ١٢ .

وعلى الفور باشر المجتمعون بانتخاب الأعضاء العاملين في الجمعية والأعضاء المستشارين . أما الأعضاء العاملون فهم : أسعد حنا واسكندر نعمة وانطوان عواد وحبيب انطونيوس وحبيب معوشي والدكتور خليل صافي وديمتري سابا وعباس المصفي وقيصر شميل ومراد السودا ويوسف السودا . وأما اللجنة الاستشارية فتألفت من : ابراهيم الكوخي وأسعد مفرج وجبران كرم وحبيب ملحة ورشيد فرج الله وشكري حداد وعبده بشارة ضو وعبده بدران والدكتور لويس الحاج والدكتور ميشيل كوخي ويوسف ضاهر العضم ويوسف غسطين . وبعد تلاوة أسماء الأعضاء المنتخبين في اللجنتين وُلدت جمعية جديدة باسم « الاتحاد اللبناني بالاسكندرية » وقد كُتِبَ محضر بالواقع ووقعه الحاضرون جميعهم(٤٩) .

ومما قاله يوسف السودا محدّداً أهداف الجمعية في الخطاب الذي ألقاه بالمناسبة ما يلي :

« نحن قوم كانت لنا إمارة فدكّت معالمها . وكان لنا استقلال ففرطّنا فيه ، وبقيت لنا امتيازات فبدلاً من العمل على الاحتفاظ بها والاستزادة منها أصبحنا ، وفينا فريق لم يكتفِ بالقعود عن الدفاع عنها بل قام يسعى إلى إلغائها والاستعاضة عنها بالاندماج في جسم الدولة ، فنفقد شخصيتنا ونقتل قوميتنا ونضيع في مجموع لا تربطنا به رابطة ، دوّى في لبنان صوت يهيب بأبناء البلاد ، بالمقيمين فيها وبالنازحين أن احتفظوا بامتيازاتكم ولا ترضوا عنها بديلاً إلى يوم ينبثق فيه فجر عهد جديد فينال لبنان حقوقه كاملة أسوة بغيره من الأمم » .

« أنشأ إخواننا في لبنان جمعياتهم للدفاع عن امتيازات لبنان وأنشأ إخواننا في القاهرة قريباً جمعية « الاتحاد اللبناني » للغرض ذاته . ولا شك أنكم لا تقصرون عنهم همّة ولا تقلون وطنية فنتكاتف جميعاً »(٥٠) .

وفي السنة الأولى من تأسيسها اهتمت الجمعية بجمع شمل اللبنانيين وضمهم إليها ، فكانت على اتصال دائم بجمعية القاهرة ، تشترك معها في العمل للوصول إلى

---

(٤٩) المرجع نفسه ص ١٢ .

(٥٠) المرجع نفسه ص ١٧ .

الهدف المنشود . وعندما حاولت السلطة الاتحادية الانتقاص من استقلال لبنان وجه يوسف السودا أحد الداعين لتأسيسها كتاباً إلى رئيس مجلس النواب الفرنسي تحت عنوان « استقلال لبنان الخالد : قضائياً وتمثيلياً » جاء فيه :

« إنني باسم اخواني اللبنانيين ألتمس مساعدتكم ومساعدة حكومة بلادكم لنشلنا من الأزمة التي نعيشها . . . هناك مؤامرة تُحاك ضدنا للقضاء على امتيازاتنا التي حصلنا عليها قديماً بمساعدة الدول الضامنة لنظامنا الأساسي . . . إن استقلال لبنان الذي ساعدت حكومتكم على الاحتفاظ به أثناء فتن ١٨٤٠ و١٨٤٥ و١٨٦١ و١٨٦٤ ، مهدّد بالانهيار إذا لم نتداركه قبل فوات الأوان . هناك محاولات كثيرة من قبل الأتراك لضمنا إلى ولايات الأمبراطورية العثمانية ولإجبارنا على إرسال ممثلين إلى البرلمان العثماني ، وقد استخدموا لإقناعنا حججاً واهية ، منها تطبيق الدستور وإنفاذ القوانين والحقيقة أنهم قصدوا من ذلك فك ارتباطنا بالدول الأوروبية وإبعاد طلب حمايتها » . وبعد أن يعدد السودا في كتابه مزايا استقلال لبنان الإداري وما حققّه للأهالي من استقرار وأمن وازدهار يقول :

« إننا نرغب في التغيير والإصلاح إنسجاماً مع متطلبات العصر ولكننا نريد في الوقت ذاته أن نحافظ على حقوقنا وامتيازاتنا التي منحتنا إياها أنظمتنا الإدارية الداخلية(٥١) .

وعندما بدأت الحرب العالمية الأولى بدلّت الجمعية من خطتها في العمل فسعت إلى توحيد مساعيها مع مختلف الاتجاهات اللبنانية ، واعتبرت القاهرة مكاناً تلتقي فيه كل التيارات ومركزاً تصدر عنه التقارير والمنشورات . ثم راحت تركض وراء هدف جديد وهو استقلال لبنان التام ، معتبرة أن ساعة الخلاص قد دنت . لكن الأحكام العرفية التي فرضتها السلطات البريطانية التي تسيطر على مصر حينذاك ضيّقت على الجمعية مجال العمل وأجبرتها على إلتزام السكوت إلى حين(٥٢) .

---

(٥١) Adel Ismaîl, **Documents**, T20, p. 307-309

(٥٢) يوسف السودا ، استقلال لبنان والاتحاد اللبناني، بالاسكندرية ، ص ١٨ ـ ١٩ .

ج ـ الجمعية اللبنانية :

أنشأ الجمعية اللبنانية(*) لفيف من اللبنانيين أمثال : شكري غانم وخيرالله خيرالله وخليل زينية وأميل إده وجورج ثابت وبشارة الخوري والشيخ يوسف الجميل والدكتور الفرد خوري والدكتور سليم الجلخ . وكان هدفها توسيع حدود لبنان واستقلاله(٥٣) . وقد افتتح للجمعية فروع في بيروت وباريس وأميركا . وكان نعوم مكرزل يتولى رئاسة فرع أميركا ، وشكري غانم يدير فرع باريس مع خيرالله خيرالله الذي شغل مركز سكرتير الجمعية هناك(٥٤) . أما فرع بيروت فقد كان من أعضائه : بشارة الخوري والشيخ يوسف الجميل والدكتور الفرد خوري وأميل أده والدكتور سليم الجلخ وجورج فيليب ثابت والدكتور أميل الجميل . واختار هذا الفرع خليل زينية ، أحد أعضائه الأكثر نشاطاً وتأثيراً ، ليتولى تمثيل الجمعية في الأوساط الرسمية والقيام بما يراه نافعاً للمسألة اللبنانية(٥٥) .

ويبدو أن الجمعية اللبنانية في باريس كانت أكثر فاعلية من باقي فروع الجمعية وذلك لوجودها في عاصمة الفرنسيين الذين كانوا يساعدون الحركات المناهضة للسياسة التركية كي يحققوا أهدافهم الاستعمارية في تلك البلاد . وأثناء زيارة رئيس فرع باريس إلى السيد جونارJonnart ، وزير الخارجية الفرنسية ، في شباط ١٩١٣ أعلن شكري غانم أن الأوضاع السياسية والمالية في لبنان في حالة مزرية للغاية . وأن جبل لبنان لا يمكنه البقاء والنمو إلا بضم البقاع إليه(٥٦) .

وفي المذكرة التي رفعها شكري غانم إلى بيشون Pichon ، وزير الخارجية

---

* كانت السلطات التركية تضيّق الخناق على أحرار سوريا ولبنان لذلك استخدم هؤلاء كل أساليب الحذر والتخفي عند إنشاء جمعياتهم . وقد أقدم بعضهم على إتلاف مستندات وسجلات بعض هذه الجمعيات . ولهذا يستحيل على الباحث معرفة مكان إنشاء مثل هذه الجمعيات .

(٥٣) بشارة الخوري ، **حقائق لبنانية** ، الجزء الأول ، ص٧ .

(٥٤) Adel Ismaîl, **Documents,** T20, p. 246- 247

عزيز بك ، سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص ٢٧٨ .

(٥٥) Adel Ismaîl, op. cit, p 95.

(٥٦) Adel Ismaîl, **Documents,** T 19, p335- 336

الفرنسية ، في ١٧ حزيران ١٩١٣ يصف حالة لبنان السياسية والاقتصادية والإدارية ثم يحدّد مطالب اللبنانيين بثلاث نقاط :

١ ـ استرجاع لبنان حدوده الطبيعية (بيروت والبقاع) .

٢ ـ أن يتمتع أهالي لبنان بعائدات البريد والتلغراف والجمارك .

٣ ـ أن يختار حاكم لبنان من خارج البلاد التركية(٥٧) .

وعندما حاول الأتراك المساس بحرية اللبنانيين وامتيازاتهم عقدت الجمعية اللبنانية في باريس اجتماعاً يوم الخميس في ٢٦ حزيران ١٩١٣ برئاسة شكري غانم وبحضور اسكندر عمون ، رئيس الاتحاد اللبناني في القاهرة ، ونعوم مكرزل ، رئيس الجمعية اللبنانية في نيويورك ، ومندوبين عن الجاليات اللبنانية في أميركا وافريقيا ، قررت فيه تقديم احتجاج :

١ ـ ضد أي حل لمجلس الإدارة في لبنان لا يراعى فيه حصانته وحصانة أعضائه المنصوص عليها في نظام لبنان الأساسي والمكرّسة في بروتوكول ١٩١٢ الأخير .

٢ ـ وضد أية زيادة في الضرائب أو إيجاد ضرائب جديدة لتغطية عجز الخزينة اللبنانية . لأن تركيا هي المكلفة بتغطية هذا العجز(٥٨) .

هذا وكانت الجمعية اللبنانية في بيروت على إتصال دائم وتنسيق مستمر مع فرع باريس . ففي ٧ آذار ١٩١٣ بعث فرع بيروت رسالة إلى شكري غانم يخبره فيها بتذمر الجند الذين رفعوا أصواتهم محتجين على فوضى الإدارة في لبنان ومطالبين في الوقت ذاته بتحسين أحوالهم المعيشية ثم يرجوه فيها إيلاء هذا الموضوع أهمية خاصة(٥٩) .

ولم يكتفِ فرع بيروت بذلك ، بل قام هو بنفسه بتوجيه رسالة إلى السيد بوانكاريه ، رئيس الحكومة الفرنسية ووزير خارجيتها ، يعرب فيها عن خالص شكره

---

(٥٧) Adel Ismaïl, **Documents,** T20, p. 195- 199

(٥٨) Ibidem, p 245- 247

(٥٩) Ibidem, p 85- 86

لحد خاطر ، عهد المتصرفين في لبنان ، ص ١٩٢ .

وامتنانه للخدمات التي قدمتها الحكومة الفرنسية للبنان ثم يرجوها مداومة السعي الجميل لإصلاح أوضاعه ومؤسساته مؤكداً على استمرارية العلاقة مع الشعب الفرنسي وحكوماته المتعاقبة[٦٠] .

ويبدو أن السلطات التركية قد اتهمت هذه الجمعية بالعمل لخدمة المصالح الفرنسية وسلخ بلاد الشام عن الدولة العثمانية واخضاعها للنفوذ الفرنسي[٦١] .

ومن الواضح أن هذه الجمعية والجمعيات اللبنانية الأخرى قد وحّدت جهودها خلال الحرب وخصوصاً بعد أن انتقل بشارة الخوري ، سكرتير الجمعية اللبنانية في بيروت إلى مصر .

د ـ جمعية الأرزة :

أنشأها نخبة من زعماء لبنان لمقاومة تصرفات يوسف فرنكو باشا والمعارضة في تجديد ولايته ، ثم السعي لإدخال بعض الإصلاحات الإدارية والعدلية والمالية على نظام لبنان وقد ترأس هذه الجمعية حبيب باشا السعد وسليم بك المعوشي[٦٢] . وفي ٦ أيار ١٩١٢ تقدمت هذه الجمعية باسم اللبنانيين بجملة مطالب كان أهمها :

١ ـ وضع حد لسلطة المتصرف المطلقة ومنعه من مخالفة القوانين

٢ ـ اعتماد طريقة الانتخاب الشعبية في تشكيل مجالس الإدارة .

٣ ـ منع المتصرف من التدخل في شؤون مجلس الإدارة وإجباره على تنفيذ مقرراته .

٤ ـ تأمين حرية واستقلال القضاة وعدم تدخل المتصرف بشؤونهم والتأكيد على النزاهة في اختيارهم .

٥ ـ الغاء الضرائب التي استحدثها المتصرفون دون موافقة مجلس الإدارة .

---

(٦٠) وقع الرسالة كل من يوسف الحويك والدكتور سليم الجلخ والدكتور داراؤوني والدكتور الفرد خوري وحبيب بيطار وجو دحداح وج. الجميل وفريد الخازن وبشارة الخوري وطانيوس عبود والدكتور أمين الجميل والسيد حداد .

Adel Ismaîl, **Documents**, T19, p. 276- 277

(٦١) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(٦٢) لحد خاطر عهد المتصرفين في لبنان ، ص ١٨٦ .

٦ ـ إصلاح جهاز قوى الأمن ومنع الجنود من الخدمة في منازل الموظفين .

٧ ـ إجبار المتصرف على السكن ضمن الحدود اللبنانية صيفاً وشتاءً .

٨ ـ إنشاء محاكم تجارية في لبنان تصدر أحكامها بداية واستئنافاً .

٩ ـ تفويض الجمعية في إجراء كل ما تراه مناسباً لتحقيق الإصلاح في لبنان(٦٣) .

ومن الواضح أن مرسوم تعيين المتصرف أوهانس باشا قد جاء يحمل عدة تعديلات اصلاحية جديدة زيدت على نظام لبنان إجابة لمطالب جمعية أرزة لبنان(٦٤) .

هـ ـ جمعيات لبنانية أخرى :

وبالإضافة إلى الجمعيات التي ذكرناها أسس اللبنانيون جمعيات أخرى مثل « جمعية النهضة اللبنانية » في نيويورك والبرازيل التي أشرنا إليها سابقاً . و« جمعية الاتحاد اللبناني » في كندا و«الجمهورية الفضية»، و« الحزب الوطني » وجمعية « الدفاع » عن حقوق لبنان الكبير . و« جمعية الترقي اللبنانية » في بيروت(٦٥) .

٣ ـ حزب اللامركزية :

عندما قضى الاتحاديون على مبادىء الأمير صباح الدين وجمعية « التشبث الشخصي واللامركزي » قام جماعة من اللبنانيين والسوريين والفلسطينيين بتأسيس حزب سياسي علني في القاهرة باسم « حزب اللامركزية الإدارية العثماني » وذلك في أواخر كانون الأول عام ١٩١٢(٦٦) .

---

(٦٣) Adel Ismaîl, **Documents,** T18, p. 453- 462

(٦٤) لحد خاطر ، المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٦٥) يوسف السودا ، **استقلال لبنان والاتحاد اللبناني، بالاسكندرية** ، ص ٧ .

(٦٦) تألفت لجنة الحزب العليا على الشكل التالي :
رفيق العظم من دمشق رئيساً ، اسكندر عمون من لبنان نائباً للرئيس ، حقي العظم من دمشق سكرتيراً ، محي الدين الخطيب من دمشق نائباً للسكرتير ، سامي جريديني ، من لبنان نائباً للسكرتير أيضاً ، الدكتور شبلي شميل من لبنان ، وداود بركات من لبنان وعثمان العظم من دمشق والشيخ محمد رشيد رضا من طرابلس ، والدكتور عزة الجندي من دمشق ، ونعمان أبو شعر من دمشق ، ونجيب بسترس من صيدا وخليل أيوب من دمشق وسليم عز الدين من لبنان ، وسعيد صالح رضا من =

وكان يحق لكل مواطن عثماني أن ينضم إلى هذا الحزب شريطة أن يلتزم بمبادئه وأهدافه وأهمها : أن لا يكون منتمياً لحزب آخر يخالف هذه المبادىء أو الأهداف . وقد أُنشئت للحزب فروع في جميع المناطق الشامية ، حيث كان يُسمح لعشرة أشخاص من أي بلد أو قرية يؤمنون بمبادىء اللامركزية التي يعمل لها الحزب بتأسيس فرع له ، ويخبرون بذلك المركز العام في القاهرة . وكان على اللجنة العليا للحزب أن تعقد مؤتمراً عاماً في القاهرة ، كما نص قانونه الداخلي ، في شهر تشرين الثاني من كل عام يحضره أعضاء اللجنة العليا وأعضاء الهيئة العامة من المركز الرئيسي ومندوبون يمثلون اللجان الفرعية(٦٧) .

وتتمثل أهداف الحزب في الدعوة إلى قيام حكومة عثمانية لامركزية تعطي الولايات استقلالاً ذاتياً ، وأن يقوم الحزب بنشر هذه الأهداف بين العرب والترك وتبيان محاسنها وفائدتها في المحافظة على كيان الدولة من التجزؤ والانهيار . كما كان الحزب يعمل للنهوض بالبلاد العربية وتأمين وسائل الدفاع عنها ضد أطماع الأوروبيين(٦٨) .

ويبدو أن الحزب قد نشر بياناً بيّن فيه الدواعي التي تستوجب العدول عن طريقة المركزية في المملكة العثمانية وإتباع اللامركزية الإدارية جاء فيه : « ومما ثبت بالتجارب لهذا العهد أنّ أفضل شكل من أشكال الحكومات هو الدستوري وأفضل أشكال الدستوري هو اللامركزية خصوصاً في الممالك التي تعددت فيها الفروق والمذاهب واللغات واختلفت العوائد والتقاليد والأخلاق ، فكان من المتعذّر أن تُساس بقانون واحد لم تراع فيه تلك الأحوال ولم ينظر معه في الحاجة والزمان والمكان . . . فاللامركزية

= طرابلس ، ومحمد صلاح الدين من دمشق ، أعضاء .

Adel Ismaîl, **Documents,** T19, p. 355- 356

Khairallah. T. Khairallah, **Le problème de Levant**, p 41

أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى ، المجلد الأول ، ص ١٤ .

(٦٧) ثورة العرب ، ص ٥٧ ـ ٦٢ (النظام الداخلي لحزب اللامركزية مواد ٢ ـ ٩ ـ ١١ ـ ١٨ . .

(٦٨) المرجع نفسه ص ٥٧ ـ ٦٢ .

Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p 332- 333.

المفيد : عدد ١٢٠٧ ، ٢٠ شباط ١٩١٣ اللامركزية الإدارية ـ برنامج الحزب ، **المنار** : م ١٦ ، ج٣ ، ص ٢٢٩ ، برنامج الحزب .

توزّع التبعة على أفراد الأمة بمقدار ما تعطيهم من السيطرة على مصالح الوطن ، وبسبب ذلك تنزع عنهم ثوب الحياة الإتكالية وتفسح أمام كل فرد مجال العمل الواسع في جهاد الحياة وتمهّد للشعب بلوغ غايات المدنية والترقي والعمران من أقرب سبيل ، وفي وقت قصير والعكس بالعكس . . . والمركزية مقيّدة لكل ولاية بقيود تمنعها عن الحركة نحو الإصلاح المطلوب إلا ببطء وبما لا يوافق الحال والحاجة في الغالب »(٦٩) .

هذا وفي ٢١ شباط ١٩١٣ طلب « حزب اللامركزية » من الباب العالي إجراء بعض الإصلاحات التي تؤدي إلى الاستقلال الإداري والحكم اللامركزي في الولايات العثمانية(٧٠) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الحزب يُعتبر أول عمل منظم قامت به الحركة الوطنية لجمع جهود العاملين في القضية العربية وتوحيدها في عمل منسق ومتواصل . وقد أوقف حزب اللامركزية نشاطه خلال الحرب العالمية الأولى ، حيث وجد أعضاؤه أنه من الأفضل مساندة الدولة العثمانية والوقوف بجانبها في ظل حرب لا يعرف مصيرها أحد من الناس(٧١) .

٤ ـ جمعية بيروت الإصلاحية :

بعد اخضاع ايطاليا للقطر الليبي وقيام دول البلقان بإعلان الحرب على تركيا واحتلال معظم أراضيها في شرق أوروبا ، دبّ الرعب في قلوب اللبنانيين والسوريين ، وخصوصاً سكان مدينة بيروت الذين تعرضت مدينتهم للقصف أثناء الحرب الطرابلسية

---

(٦٩) المفيد ، عدد ١٢٠٨ ، ٢٢ شباط ١٩١٣ ، بيان الحزب ، اللامركزية الإدارية .

(٧٠) Adel Ismaîl, Op. cit p 332- 333..

في ٢١ آذر ١٩١٣ وجّه السيد دوفرانس M. Defrance رسالة إلى السيد جونار M. Jonnart جاء فيها :
« إن حزب اللامركزية كانت تتجاذبه ثلاثة حلول لسوريا . فأمّا أن تستمر سوريا كجزء مكمل للامبراطورية العثمانية بحيث تبقى مجرد ولاية عادية . وأما أن تصبح إمارة مستقلة يحكمها أمير أو شيخ عربي على أن تبقى ضمن إطار الدولة العثمانية . وإما أن تصبح إمارة مرتبطة مع مصر في حال انهيار الأمبراطورية العثمانية في آسيا ، وهذا يعني أنها خضعت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة للإنكليز . »
Ibidem, p 371.

(٧١) أدهم آل الجندي ، **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٥٩ .

الايطالية ، إذ أدرك هؤلاء أن مصير بلادهم في خطر ، لذلك تنادى الأهالي في مختلف مدن سوريا ولبنان لتدارس الموقف ووضع الحلول الكفيلة بمواجهة الأخطار المحدقة بهم . والواقع أن آراء الناس حينذاك كانت متضاربة والاتجاهات متعددة . ففريق كان يميل إلى الإنفصال عن تركيا وفريق آخر كان يفضل الانضمام إلى مصر التي كانت تحت الاحتلال البريطاني وفريق ثالث كان يرغب في طلب الحماية الفرنسية(٧٢) . وكان جلّ هؤلاء من المسيحيين المتشبعين بالثقافة الفرنسية(٧٣) .

والحقيقة أن توجّهات السياسة الفرنسية في تلك الفترة لم تكن بعيدة عن هذا المسعى ذلك أن الحكومة الفرنسية كانت على استعداد لتزويد السوريين واللبنانيين بالمساعدة اللازمة عند الاقتضاء وهذا ما أكده سليم علي سلام في مذكراته حين قال : « إن القنصل الفرنسي في بيروت قد أسرّ إلى أحد خلصائه المدعو نخلي التويني أن حكومة بلاده على استعداد لمد الثورة ، عند قيامها في سوريا ، بعشرين ألف جندي »(٧٤) .

وتعليقاً على هذه المساعدة يقول صاحب المذكرات : « وبالرغم مما نحن فيه ، وبالرغم من ضعف الدولة واضطهاد الاتحاديين لنا ولعنصرنا ، كنا نحرص قلباً وقالباً على البقاء في حظيرة الدولة ، ولهذا قمت بزيارة الوالي أدهم بك وأطلعته على حقيقة ما يجري دون أن أُشير إلى الموقف الفرنسي بالتحديد »(٧٥) .

ازاء هذا الواقع طير الوالي في أواخر كانون الأول ١٩١٢ برقية إلى الصدر الأعظم كامل باشا قال فيها :

« إذا لم تقمّ الدولة العليّة بإجراء الاصلاحات الضرورية في وقتٍ قريب فإن البلاد ستفلت من أيدينا لا محالة »(٧٦) ، ثم طلب منه بإلحاح تأليف لجنة برئاسته في بيروت لتنظيم لائحة بالإصلاحات الضرورية »(٧٧) .

---

(٧٢) سليم علي سلام ، مذكرات ، ص ٩ .

(٧٣) Adel Ismaïl, **Document,** T 19 p. 365.

(٧٤) سليم علي سلام ، مذكرات ، ص٩ .

(٧٥) المصدر نفسه ص ٩ .

(٧٦) محمد كرد علي ، خطط الشام ، الجزء الثالث ، دمشق ١٩٢٧ ، ص١٢٩ .

(٧٧) سليم علي سلام ، مذكرات ، ص١٠ .

فكان ردّ الصدر الأعظم بوجوب إجراء المذاكرات في مجلس الولاية العمومي من أجل الاصلاحات المطلوبة وتنظيم اللوائح القانونية بشأنها . وعند افتتاح البرلمان يقدم مبعوثو الولاية مطالعاتهم الخاصة بشأن الحاجات الواجب إصلاحها في ولايتهم ، وإن الحكومة ستعمد إلى تنفيذ التدابير والمقررات العائدة إلى ولاية بيروت عندما تبدأ الدولة بإحداث المشاريع الاصلاحية في جميع البلاد العثمانية(٧٨) .

وعلى الفور باشر الوالي العثماني بتحريك مجلس الولاية في بيروت لاجراء المطلوب ثم سمح للأهالي بوضع لوائح إصلاحية مشابهة . وبعد سلسلة من الاجتماعات حضرها بعض زعماء البلاد تقرر إنشاء جمعية باسم « الجمعية الإصلاحية » تكون مهمتها تحقيق الإصلاح في ولاية بيروت وغيرها.(٧٩) . وفي الجلسة الأولى التي عُرفت باسم « الجلسة التاريخية » والتي عقدتها الجمعية العمومية الاصلاحية لولاية بيروت في الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الأحد الواقع في ١٢ كانون الثاني ١٩١٣ في دار البلدية بكامل أعضائها البالغ عددهم ستة وثمانين(٨٠) انتخب لجنة تنفيذية من خمسة وعشرين عضواً ، لاعداد لائحة بالإصلاح اللازم للولاية وملاحقة تنفيذها وعرضها على الهيئة العامة في جلسة خاصة(٨١) . ثم أصدرت الجمعية نشرة سمّتها « اليقظة » وافتتحت لها نادياً سمّته

---

(٧٨) Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p223- 224.
الحقيقة ، عدد ٤٩٨ ، ١٦ ك١ ، ١٩١٢ ، أمر الصدر الأعظم إلى والي بيروت .

(٧٩) جرى الاجتماع الأول في منزل أحمد مختار بيهم الذي كتب مقالاً في جريدة الاتحاد العثماني حول الاصلاح ، ويمكن تلخيصه كما يقول السيد كوجه قنصل فرنسا العام في بيروت ، بنقطتين اثنتين :
١ ـ لامركزية متناهية تصل إلى حدود الاستقلال الذاتي .
٢ ـ مراقبين أجانب في مختلف دوائر الولاية .
Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p243- 244.

(٨٠) كان من بينهم ٤٢ مسلماً و١٦ من الروم الأرثوذكس و١٠ من الموارنة و٦ من الروم الكاثوليك و٢ من الطائفة اللاتينية و٢ من الطائفة الانجيلية و٢ من الطائفة الأرمنية الكاثوليكية و٢ من طائفة الأرمن الأرثوذكس و٢ من الطائفة الاسرائيلية .
وقد تمّ اختيار المندوبين بالانتخاب القانوني من قبل المجلس المحلي لكل طائفة ورئيسها الروحي .
المفيد : عدد ١١٧٦ ـ ١٤ ك٢ ١٩١٣ . **الجلسة التاريخية للجمعية العمومية الاصلاحية لولاية بيروت** .

(٨١) تمّ انتخاب اللجنة بالاقتراع السرّي وتشكلت من ١٢ مسلماً و١٢ مسيحياً واسرائيلياً واحداً .

« نادي الإصلاح » حيث كانت الاجتماعات تتمّ مرة بعد أخرى للتداول في جميع ش
الإصلاح التي تهم العامة من الناس[٨٢] . وبعد أن انتهت اللجنة من عملها ووض
اللائحة الاصلاحية تقدمت بها إلى « جمعية بيروت الاصلاحية » التي صادقت علي
الاجتماع الذي عقدته في دار البلدية في ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ ثم رفعتها إلى
الذي رفعها بدوره إلى حكومته في الآستانة ويمكن تلخيصها بالنقاط التالية :

١ ـ للوالي صفتان قانونيتان الأولى أنه ممثل للحكومة المركزية وبهذه الصفة يتولى
جميع القوانين والقرارات الصادرة عن الآستانة والثانية أنه ممثل للولاية التي ي
وبهذه الصفة يقوم بتنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الولاية ، غير أن له
بالإعتراض على قرارات مجلس الولاية في الحدود التي رُسمت له .

٢ ـ يتشكل في الولاية بطريقة الانتخاب مجلس عمومي من ٣٠ عضواً (يكون نص
من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين) تناط به الشؤون المحل
الولاية . كالتعليم والزراعة والصناعة والتجارة والصحة والعمران وا
والأوقاف أما الشؤون الخارجية والعسكرية والجمارك والبريد والتلغراف والت
والضرائب فتبقى في يد الحكومة المركزية .

٣ ـ يتمّ تعيين موظفي الولاية الكبار كالدفتردار والقضاة في مراكز الولاية وا
وباشمدير الرسومات وباشمدير البوستة والتلغراف وقائد الدرك العام والمتص
من الحكومة المركزية . أما باقي الموظفين فيتمّ تعيينهم من قبل السلطة المحلية

٤ ـ تُعتبر اللغة العربية لغة رسمية في الولاية وأن تكون أيضاً لغة رسمية كاللغة ا
في مجلس المبعوثان والأعيان على أن تبقى المراسلات بين العاصمة والولاية
التركية .

المقطم : عدد ٧٢٣٨ ـ السبت في ١٨ ك ٢ ١٩١٣ ، المفيد : عدد ١١٣٦ ـ ١٤ ك ٢ ١٩١٣ ،
التاريخية ... جمعية الاصلاحية لولاية بيروت ، سليم علي سلام ، مذكرات ، ص١٣ .

(٨٢) زين نور الدين زين نشوء القومية العربية ، ص ٩٨ . تذكر عنبرة سلام الخالدي في مذكراتها صر
نادي جمعية الاصلاح « كان في منطقة البسطة التحتا بينما تقول جريدة المفيد في عددها ١٢١٢ ،
٢٦ شباط ١٩١٣ أن النادي كان قرب ساحة السمك بجانب سوق النورية في بيروت

٥ ـ تُقسم رسوم الولاية إلى نوعين رسوم تعود إلى الحكومة المركزية . كمداخيل الجمارك والبريد والبرق والبدلات النقدية العسكرية وواردات الديون العمومية ورسوم تعود إلى خزينة الولاية كالرسوم البلدية وضريبة العقارات والعشور ورسوم المعارف . . .

٦ ـ تخفيض الخدمة العسكرية إلى السنتين ويؤدي المجندون الخدمة في الولاية أثناء السلم .

٧ ـ تعين الحكومة المركزية مستشارين في ادارات الدرك والنافعة والعدلية والبلدية والبريد والبرق والجمرك التابعة للولاية ، ومفتشين في سناجق الولاية يختار المستشارون والمفتشون من أهالي الولايات المتحدة أو من أهالي الدول الأوروبية التي ليس لها مصالح سياسية في البلاد . ويشترط عليهم معرفة إحدى اللغات الثلاث : العربية أو التركية أو الفرنسية . وتكون مدة خدمتهم ١٥ سنة على أن يحق للمجلس العمومي تمديدها(٨٣) .

وبالرغم من إشتراك المسيحيين والمسلمين في وضع هذه اللائحة إلّا أن مواقف الفئتين كانت متناقضة . فبينما كان المسيحيون يرومون التخلص من الحكم العثماني كان المسلمون يضنّون بالدولة العثمانية ولا يرضون عنها بديلاً . . .

وقد عبرّت رسالة الأعضاء المسيحيين في اللجنة التنفيذية إلى السيد كوجه ، قنصل فرنسا العام في بيروت ، عن رأي الفئة الأولى بوضوح حين حدّدت الحلول التي يراها هؤلاء مناسبة للوضع السياسي في سوريا ، وقد جاءت هذه الحلول مرتبة حسب الأفضلية كما يلي :

١ ـ أما بسط الحماية الفرنسية على سوريا .

٢ ـ وأما الحكم الذاتي لولاية بيروت تحت حماية فرنسا ورقابتها الفعلية .

٣ ـ وأما ضمّ ولاية بيروت إلى لبنان على أن يوضعا معاً تحت الرقابة الحقيقية

---

(٨٣) الحقيقة : عدد ٥١٣ ـ ٦ شباط ١٩١٣ اللائحة الاصلاحية المفيد : عدد ١١٩٠ ٣٠ ك ٢ ١٩١٣ اللائحة الاصلاحية .

Adel Ismaïl, **Document,** T 19 p301- 307.

الفرنسية[٨٤] .

وبينما كان المسلمون يطالبون باللامركزية وتأمين حقوق العرب في السلطنة ، كانوا يضنون بالدولة العثمانية ولا يرضون عنها بديلاً من الدول الأجنبية . ولمّا كان لا بد من تقارب وجهات النظر بين طلاب الإصلاح من أنصار فرنسا وأنصار اللامركزية ، فقد جاءت اللائحة الإصلاحية التي أقرتها جمعية بيروت الإصلاحية في دار بلدية بيروت يوم ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ تجمع بين شروط اللامركزية وبين وجود مستشارين أجانب في جهاز حكومة الولاية بالاضافة إلى مفتش أجنبي لكل لواء[٨٥] .

وبعد أيام معدودات اصطدمت الحركة الاصلاحية البيروتية بعقبات جديدة ظهرت في الآستانة ، ذلك أن جمعية الاتحاد والترقي التركية اتهمت حكومة الائتلافيين بالخيانة وقامت بانقلاب عسكري في ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣ بقيادة أنور وطلعت وجمال وقبضت على أزمّة الحكم في الآستانة وتولى محمود شوكت العراقي الصدارة العظمى الذي استهل أعماله بإقالة أدهم بك ، والي بيروت ، المتعاطف مع الحركة الاصلاحية ، وتعيين حازم بك مكانه . ثم أصدر أوامره إلى الوالي الجديد بوجوب استعمال الشّدة مع الجمعية الاصلاحية بتوقيف أعمالها وإقفال النوادي والجمعيات الأخرى[٨٦] . على اعتبار أن الهيئة التي تألفت في بيروت لوضع المذكرة الاصلاحية لم تكن قانونية استناداً إلى أن الفصل في هذه المسائل يعود إلى اختصاص المجلس النيابي وحده دون سواه[٨٧] .

وعلى الأثر طيّرت اللجنة الاصلاحية إلى حازم بك برقية جاء فيها « أن الجمعية العمومية الاصلاحية تؤكد على ضرورة الإصلاح الواسع في البلاد معتبرة أن لائحة المجلس العمومي لا تفي بجميع حاجات البلاد الاصلاحية من حيث توسيع سلطة

---

(٨٤) Adel Ismaîl, op. cit, p. 361- 365.

(٨٥) محمد جميل بيهم : قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٥٠ ، ص٢٢ - ٢٣ .

(٨٦) Georges Samné, La Syrie, p 82 ، عنبرة سلام الخالدي جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين ، ص٧٩ .

(٨٧) محمد جميل بيهم : العرب والترك ، ص١٦١ .

المجلس العمومي والمستشارين الأجانب . وعليه فالجمعية العمومية تعرض لدولتكم أن البلاد لا ترجع عن هذا الاصلاح وهي سترفع اللائحة في البريد القادم إلى المراجع الايجابية وسترسل وفداً إلى الآستانة للمطالبة بإنفاذها ورجاؤنا أنكم تحققون أمنية الأهالي بإعدادكم الوزارة من الآن بقبول هذه اللائحة برمتها تسهيلاً لوظيفتكم الاصلاحية بيننا . أما توسيع مأذونية الولاة فنعتبره هادماً للإصلاح المطلوب ونرده رداً باتاً »(٨٨) .

ولدى وصول الوالي الجديد إلى بيروت لاستلام مهام وظيفته قامت اللجنة الاصلاحية بزيارته في سراي الحكومة وقدّمت إليه اللائحة التي أعدّتها وطلبت منه المباشرة في تنفيذها مؤكدّة تمسكها بوحدة الدولة العثمانية وعدم الإنفصال عنها(٨٩) . أما حازم بك الذي أظهر كل استعداد للإصلاح ، حاول استرضاء بعض الزعماء وتعيينهم في مناصب جديدة لكنه لم يفلح(٩٠) . ثم طلب إدخال بعض التعديلات على هذه اللائحة بإلغاء مادتين أساسيتين فيها :

١ ـ المادة التي تقول بضرورة الاستعانة بخبراء أجانب في الادارات العامة .

٢ ـ والمادة التي تنص على أن يكون نصف أعضاء مجلس الولاية العمومي من المسيحيين وهذا يعني أن السلطة التركية لم توافق على تخصيص المسيحيين بنصف المقاعد لكن أعضاء اللجنة رفضوا باصرار إدخال أي تعديل على برنامجهم الذي أعلنوه(٩١) .

---

(٨٨) سليم علي سلام ، **مذكرات** ، ص٢٢ ، **المفيد : عدد ١٢١٠ ، ٢٤ شباط ١٩١٣ برقية الجمعية الاصلاحية** . وفي هذا المجال تلقت الحكومة العثمانية برقية معارضة لبرقية جمعية الاصلاح موقعة من أحمد عبد العال وأحمد شرقاوي وحسن الأسير ومنير مدور جاء فيها :
« إن البرقية التي أُرسلت باسم الجمعية الاصلاحية تُعرب عن أفكار بعض الأشخاص فقط . نحن البيروتيين قوة لا تنفك رابطتنا عن السلطنة العثمانية . نحن حاضرون لمعاونة حكومتنا المركزية بالاصلاحات التي تريدها . فإذا لم توافق اللائحة الاصلاحية المرسلة ، فنحن نعاون اللجنة التي تتشكل باسم الاصلاح تحت رئاسة والينا حازم بك بكل افتخار » .
المفيد : عدد ١٢١٢ ، ٦ شباط ، سليم علي سلام ، **مذكرات** ، ص٢٣ .

(٨٩) Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p357- 359.

(٩٠) المفيد : عدد ١٢٣٠ ، ١٩ آذار ١٩١٣ . **نحن طلاب إصلاح لا طلاب وظائف** .

(٩١) Adel Ismaîl, op. cit, p. 357.

ازاء هذا الاصرار أقدم الوالي على عمل خطير إذ أصدر في ٨ نيسان ١٩١٣ قراراً بإيقاف أعمال اللجنة وإقفال ناديها في بيروت(٩٢) .

قابل أهالي بيروت هذه الإجراءات السلبية بالتحدي والعنف ، وظهرت الصحف في اليوم التالي بيضاء مكللّة بالسواد ، وخالية من أي كلمة ما عدا نص بلاغ الولاية في الصفحة الأولى دون تعليق(٩٣) . وبعد ثلاثة أيام من هذا الأمر عقدت الجمعية العمومية الاصلاحية اجتماعاً في قاعة الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأميركية) قررت فيه الدعوة للإضراب العام في ١٢ نيسان ١٩١٣ وتوجيه برقيات احتجاج إلى المسؤولين في استامبول على حلّ الجمعية وإقفال النادي(٩٤) .

---

(٩٢) أما نص القرار فقد ورد على الشكل التالي :

« بلاغ رسمي

« بما أنّ الجمعية التي تشكّلت منذ شهرين ونصف من بعض الذوات في بيروت باسم الجمعية العمومية الاصلاحية التي اتفق أن أُعطي لها علم وخبر من مقام الولاية قد كان تشكّلها مغايراً أساساً للممنوعية الصريحة التي ينصّ عليها قانون الجمعيات فضلاً عن أن بعض المطالب التي أخذ هؤلاء يطالبون بها باسم الإصلاحات هي منافية لإحكام القانون الأساسي وبناء عليه فقد صار من الطبيعي منع دوام واجتماع هذه الجمعية . هذا وقد شرع بتطبيق قانون إدارة الولايات الذي نظمته الحكومة السنية وفقاً لقاعدة توسيع المأذونية وتفريق الوظائف التي نصت عليها المادة المانية والثامنة من القانون الأساسي وصدرت إرادة الحضرة العلية السلطانية بمراعاة أحكامه . فجاء جامعاً للمساعدات الواسعة التي تتطلبها الاصلاحات المطلوبة لبيروت ولسائر الولايات العثمانية ومتضمنة الأحكام المخصوصة التي تؤمن الاحتياجات الخصوصية لكل ولاية . على أنه من الثابت فعلاً بنشر مثل هذا القانون المخصوص المتكفل بحصول الاصلاحات التي توّد الحكومة السنيّة انفاذها بصورة جدية ـ أنه إذا وجدت بعض النواقص عند تطبيق أحكامه الفرعية فلا شك أن الحكومة السنيّة تتمّ هذا النقص بالاشتراك مع مجلس المبعوثين الذي سيجتمع قريباً إنشاء الله . وبناء عليه نعلن أنه قد مُنع بموجب القانون اجتماع الجمعية المذكورة التي ليس لها ذاتاً كيان قانوني ولم يبقَ محل وحاجة لدوامها بعد الآن . وإذا تصدّى القائمون بها للاجتماع خلافاً للمأمول فتضطر الحكومة لإجراء ما يقتضيه القانون بحقهم من المعاملات. في ٢٦ آذار ١٣٢٩ الوالي أبو بكر حازم . المفيد ، عدد ١٢٤٨ ، ٩ نيسان ١٩١٣ : الحقيقة ، عدد ٥٢٩ ، ١٠ نيسان ١٩١٣ .

(٩٣) Georges Samné, **La Syrie,** p 85 يمكن الرجوع أيضاً إلى أعداد الجرائد البيروتية التي صدرت في ذلك الحين نذكر على سبيل المثال لا الحصر : لسان الحال ، عدد ٧١٠٧ والمفيد عدد ١٢٤٨ والحقيقة عدد ٥٢٩ .

(٩٤) زين نور الدين زين : **نشوء القومية العربية** ، ص ٢١١ .

Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p 407- 408 et 412.

وفي ١٢ نيسان اذاعت لجنة الاصلاح بياناً على الرأي العام احتجت فيه على تصرف الوالي الذي جاء مخالفاً « لأحكام الدستور ونيات جلالة السلطان الأعظم » . وبعد أن يشير البيان إلى الظروف التي أحاطت بولادة الجمعية والأسباب التي أدت إليها يقول الأعضاء المحتجون : « إن الجمعية الاصلاحية في بيروت جمعية فكرية لا جمعية إنفاذ بالقوة والعنف . فعلى فرض مخالفة رأيها في الاصلاح لرأي الحكومة فإنما يحق للحكومة عدم العمل بآرائها ولكن لا حق لها بمصادرتها » . وعلى هذا فقرار الوالي بمصادرة الجمعية جاء مصادرة « للحرية الاجتماعية وحرية الفكر ومنافياً في الوقت ذاته لنظرة العالم المتمدن » . وعليه فإن أعضاء اللجنة يحتجون بشدة أمام الوطن والتاريخ على عمل الوالي « الذي عبث بمصلحة الوطن »(٩٥) .

وبالرغم من أن الوالي قد أصدر بياناً في صباح ١٢ نيسان يعلن فيه « أن بيروت قد شرعت في تطبيق قانون الولايات الجديد وهي تخطر العموم بأن يتجنّبوا الحركات التي توجب العقاب » إلّا أن سكان بيروت الذين استجابوا لدعوة الجمعية ونفذوا اضراباً عاماً شمل كل أحياء المدينة(٩٦) وجهوا إلى أعضاء الجمعية الاصلاحية في « ١١ نيسان » رسالة تأييد يعربون فيها عن استنكارهم لعمل الحكومة الذي أضرّ بمصالحهم وحقوقهم ، ويطلبون من أعضاء الجمعية بصفتهم التمثيلية الاحتجاج ضدّ هذا التصرف ومن ثم متابعة المطالبة بالاصلاحات(٩٧) . ثم بعثوا برقية احتجاج إلى الحكومة العثمانية ووزارة الداخلية وجريدة اقدام يلتمسون فيها من أصحاب الشأن إصدار الأمر العاجل إلى مقام الولاية بإلغاء أمرها بمنع الجمعية من الاجتماع صوناً لحرمة القانون الأساسي الذي باسمه قد أُجريت هذه المغايرة القانونية ومحافظة على اسم الحكومة الدستورية وكرامة الأمة التي يؤسفها مثل هذا العمل(٩٨) .

---

(٩٥) المفيد ، عدد ١٢٥٠ ، ١٢ نيسان ١٩١٣ الاحتجاج الكبير ، الحقيقة ، عدد ٥٣٠ ، ١٤ نيسان ١٩١٣ ، ماذا جرى في سبعة أيام ؟ .

(٩٦) سليم علي سلام ، مذكرات ، ص٢٦ . Georges Samné, **La Syrie,** p 85

Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p411.

(٩٧) Georges Samné, **La Syrie,** p 82- 83.

(٩٨) المفيد : عدد ١٢٥٠ ، ١٢ نيسان ١٩١٣ الاحتجاج الكبير .
والحقيقة : عدد ٥٣٠ ، ١٤ نيسان ١٩١٣ ، ماذا جرى في سبعة أيام ؟ .

وقد جاء رد الحكومة التركية على برقية أهالي بيروت أكثر تصلباً وإصراراً ، رافضة لكل أشكال العمل التي لجأت إليها « الجمعية الاصلاحية » والمطالب التي قدمتها، طالبة من حازم بك والي بيروت ، « إحالة كل من ينخرط في أعمال غير شرعية إلى المحكمة العرفية ليصار إلى الحكم عليه خلال ساعة أو ساعتين . . . » خصوصاً وأن السلطات العسكرية قد تلقت في هذا الشأن كل التعليمات اللازمة . ولم تنسَ الحكومة من التذكير بأن السكان وإن أرادوا إصلاحاً فليطلبوه من البرلمان فإن وافقت عليه الأكثرية البرلمانية نفذته الحكومة . أمّا إذا شاء السكان تأسيس لجان وتقديم مطالب تتناقض مع القانون فإن الحكومة لا يمكنها أن تقيم اعتباراً لهذه المطالب(٩٩) .

أمّا حازم بك فقد أقدم بالفعل على اعتقال خمسة أشخاص وتحويلهم إلى الديوان العرفي لمحاكمتهم بتهمة التحريض والتهييج ضد الحكومة وهم : زكريا طبارة والشيخ اسكندر عازار ورزق الله أرقش وسليم طبارة ومختار ناصر(١٠٠) . ثم صادر صحيفتي « الاتحاد العثماني » و« المفيد »(١٠١) .

٥ ـ ردود الفعل في بيروت وبقية المدن العربية :

لقد قابل أهالي بيروت هذه الإجراءات بمزيدٍ من العنف حتى امتدت إلى بقية المدن العربية . ففي البصرة عقد طالب النقيب ، نائب البصرة في مجلس النواب العثماني وأحد زعماء حزب الحرية والإئتلاف ، اجتماعاً حافلاً في داره بالبصرة اشترك فيه كثيرون من زعماء العراق وأحراره ، فشكلوا بذلك جمعية البصرة الاصلاحية التي وضعت لائحة إصلاحية لولاية البصرة على غرار لائحة بيروت الإصلاحية(١٠٢) .

(٩٩) Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p421- 422.
Georges Samné, **La Syrie,** p 84- 85.

(١٠٠) سليم علي سلام ، مذكرات ، ص٢٦ .
ذكرت جريدة الحقيقة التي كانت تصدر في بيروت آنذاك ، أن الوالي حازم بك قد أصّر على توقيف العضو عبد الجليل سلام مع الأعضاء الخمسة المذكورين دون أن تشير إذا كان قد تم توقيفه بالفعل أم لا .
الحقيقة ، عدد ٥٣٠ ، ١٤ نيسان ١٩١٣ ، ماذا جرى في سبعة أيام ؟ .

(١٠١) Georges Samné, **La Syrie,** p 85.

(١٠٢) المفيد عدد ١٣٧٨ ، ٤ أيلول ١٩١٣ ، نص اللائحة الاصلاحية البصرية . .

كما تحرك الأهالي في بغداد لدعم إخوانهم في سوريا ولبنان فنظموا المظاهرات ورفعوا اللافتات التي تدعو للثورة على الترك ثم وضعوا لائحة إصلاحية على غرار لائحة بيروت في الخريف من السنة نفسها . وما أن أقدمت جريدة « المقتبس » الدمشقية على نشرها حتى تعرضت للإقفال(١٠٣) .

وكذلك في طرابلس اجتمع وجهاء المدينة من مسلمين ومسيحيين وأسسوا جمعية اصلاحية ـ كان نصف أعضائها من المسلمين والنصف الآخر من المسيحيين ـ طالبت بالإستقلال الإداري لسوريا(١٠٤) .

كما لبّى أعيان بعلبك نداء الإصلاح واجتمعوا في منزل أسعد بك حيدر واختاروا من بينهم ثلاثين عضواً حدّدت مهمتهم بوضع لائحة اصلاحية وتقديمها لمركز الولاية . وفي دمشق انتهى دعاة الإصلاح أيضاً من إعداد لائحتهم الإصلاحية العتيدة وسلموّها للوالي هناك(١٠٥) .

هذا وأبرق حزب اللامركزية في مصر إلى الحكومة العثمانية ووالي بيروت والدول العظمى الست وإلى أعضاء مؤتمر لندن محتجاً على الإجراءات التعسفية التي اتخذت بحق الحركة الاصلاحية في بيروت(١٠٦) . كما بعثت الجمعية العربية ـ السورية في باريس برقية احتجاج إلى الحكومة التركية تعرب فيها عن أسفها العميق لقرار الحكومة بحلّ الجمعية الاصلاحية معتبرة أن كل ما تدعيّه الحكومة بشأن الإصلاح هو باطل . ثم حملّت السلطة العثمانية مسؤولية قهر كل حركة اصلاحية تريد نشل الأمبراطورية من المخاطر المحدقة بها(١٠٧) .

وبالرغم من كل ذلك فإن الإتحاديين استمروا على عنادهم ورفضوا تطبيق أو الموافقة على أي إصلاح تقدّمت به اللجان الاصلاحية التي تشكلت في مختلف المدن

---

(١٠٣) محمد جميل بيهم : العرب والترك ، ص١٦١ ـ ١٦٢ .

(١٠٤) Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p275.

(١٠٥) المفيد ، عدد ١١٨٠ ، ١٩ ك ٢ ١٩١٣ ، خبر .

(١٠٦) Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p16.

(١٠٧) Georges Samné, **La Syrie,** p 84.

العربية واكتفوا فقط باصدار قانون جديد للولايات ولكنه لم يفِ بالغرض المطلوب واعتبره بعضهم خطوة مقنّعة نحو مزيدٍ من المركزية والاستبداد(١٠٨) .

حيال هذه المواقف المتصلبة من حكومة الاتحاديين اضطر دعاة الاصلاح في بيروت إلى الإذعان والتراجع ، فتوجه وفد من وجهاء المدينة إلى سراي الحكومة طالبين من الوالي حازم بك إطلاق سراح المعتقلين كي تعود الحالة إلى طبيعتها وتفتح المخازن أبوابها(١٠٩) .

وقد استجاب الوالي وحكومته لهذا الطلب « شرط أن يقدم أعيان المدينة ضماناً بعدم حدوث شيء بعد الآن من أمثال هذه الحركات »(١١٠) . وبعد محاكمات صورية في الديوان العرفي صدر الحكم ببراءتهم وإطلاق سراحهم . وفي ١٤ نيسان وجّه محمد بيهم ويوسف سرسق باسم الجمعية نداء إلى الأهالي « يرجونهم بلسان الإنسانية والمروءة وبشرف الوطن المقدّس أن يعودوا لأشغالهم ويفتحوا محلاتهم التجارية وبهذا العمل يكونون قد برهنوا على وطنيتهم العثمانية الصادقة وإطاعة أوامر الحكومة السنيّة »(١١١) .

وهكذا كان . ففي اليوم التالي عادت الأمور في بيروت إلى طبيعتها واستأنف الأهالي أعمالهم كالمعتاد(١١٢) .

---

(١٠٨) جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٩٠ - ١٩١ .

(١٠٩) Adel Ismaîl, op. cit, p. 424

كان الوفد يتألف من : محمد بيهم ويوسف سرسق وعبدالله بيهم وعبد الباسط فتح الله ويوسف الهاني . **الحقيقة** : عدد ٥٣٠ ، ١٤ نيسان ١٩١٣ ، **ماذا جرى في سبعة أيام ؟** .

(١١٠) **الحقيقة** : عدد ٥٣٠ ، ١٤ نيسان ١٩١٣ ، **ماذا جرى في سبعة أيام ؟** .

Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p423..

(١١١) Adel Ismaîl, op. cî, p 424.

(١١٢) يذكر عارف النعماني في مذكراته : « أن بعض زعماء بيروت أسسّو نادياً باسم النادي الأهلي » تولّى رئاسته عارف النعماني نفسه .

كانت غاية النادي الفكرية إلقاء المحاضرات من حينٍ لآخر ولكن الحقيقة كانت أهدافه سياسية . لذلك كان أعضاء النادي على اتصال دائم بأعضاء الجمعيات العربية الأخرى . أمّا شعار النادي فكان العلم العربي . ويبدو أن النادي ظلّ يمارس نشاطه حتى أوائل الحرب العالمية الأولى . =

ومهما كانت النتائج فإن توقف دعاة الاصلاح عن ممارسة تحركهم في بيروت ، لا يعني أن الصراع العربي ـ التركي قد وضعت له الحلول الناجعة وأن نشاط هؤلاء قد زال كلياً ، بل العكس هو الصحيح ذلك أن الحركة الوطنية في لبنان وسائر المناطق العربية أيقنت أن الاتحاديين مصمّمون على ضربها وتشتيت زعمائها في كل صقع ووادٍ وعدم تنفيذ أي مطلب من مطالبها الاصلاحية . لذلك أخذت في وضع خطة جديدة للعمل السياسي تتلخص في عقد مؤتمرات في المدن الأوروبية كان أولها المؤتمر العربي في باريس .

ثانياً : سياسة المؤتمرات وموقف الدولة العثمانية منها :

بعد فشل الحركة الاصلاحية في بيروت وسائر المدن العربية ، كان من الطبيعي أن تسير الحركة الوطنية في سياسة عقد المؤتمرات ، وذلك لأسماع صوتها إلى أوروبا والعالم المتمدن . وقد اختارت باريس لتكون مركزاً لها ومكاناً لعقد مؤتمرها الذي سيُعالج قضايا العرب وأوضاعهم العامة . وفي حديثه مع محرر جريدة « Le Temps » عللّ عبد الحميد الزهراوي الذي أُسندت إليه رئاسة المؤتمر أسباب هذا الاختيار بقوله : « إن حوادث بيروت الأخيرة برهنت لنا على قدر الحرية التي يمكن أن يتمتّع بها مؤتمر يعقد في سوريا ، ونحن لاحظنا من وجهٍ آخر أن نسمع مطالبنا ونفهم رأينا إلى أوروبا التي تزداد أهميّة مصالحها في البلاد العثمانية يوماً بعد يوم . . . وقد فضلّنا باريس على غيرها من عواصم أوروبا لأن الجالية العربية فيها أكثر عدداً من غيرها من الجاليات العربية في عواصم الغرب(١١٣) » .

ومنَ الواضح أن هذه السياسة قد ولدت ، كما ورد في « كتاب المؤتمر العربي

= فبعد ثلاثة أشهر من بدايتها أصدر جمال باشا أمره بإقفال النادي الأهلي وختمه بالشمع ثم لاحق أعضاءه حتى اعتقل بعضهم كان من بينهم رئيس النادي . ولكن من حسن حظ هؤلاء أن السجل الخاص الذي يحوي أسماء جميع الأعضاء قد أخفاه القيمون عليه . . وهذا سبب إفلات هؤلاء من حبل المشنقة .

عارف النعماني ، **مذكرات** ، ص٢ .

(١١٣) **المؤتمر العربي الأول** : صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر ، ص ١٩ . **الاصلاح (الاتحاد العثماني)** عدد ٤٠ ـ ١٤٣٥ ، ٢٦ حزيران ١٩١٣ .

الأول » في مخيلة خمسة من شباب العرب الذين كانوا في باريس وهم : عبد الغني العريسي (بيروت) وعوني عبد الهادي (نابلس) ومحمد المحمصاني (بيروت) وجميل مردم (دمشق) وتوفيق فائد (بيروت)(١١٤) .

ونتيجة لهذه السياسة الجديدة تتابعت الاجتماعات في باريس للتحضير للمؤتمر ، كان من بينها الاجتماع الذي تمّ في مقهى « غلوب » في شارع ستراسبورغ بباريس ، (Globe 12 Boulevard de Strasbourg) برئاسة راعي كنيسة السريان في باريس وحضره حوالي مئة من العرب السوريين المقيمين هناك . وقد دارت فيه المناقشات حول نقطتين أساسيتين :

١ ـ مطالبة تركيا بمنح سوريا الاستقلال الإداري .

٢ ـ وفي حال عدم موافقة تركيا على ذلك ، نلتمس الحماية الفرنسية(١١٥) .

وفي اجتماع آخر ضمّ معظم أعضاء الجالية السورية ، تم تشكيل لجنة تكون مهمتها التحضير للمؤتمر والإعداد له ، ثم الاتصال بزعماء العرب في كافة أنحاء العالم . وقد شارك في هذه اللجنة كل من ندرة مطران بصفته رئيس(١١٦) ، وشكري غانم وعوني عبد الهادي وجميل مردم وشارل دباس ومحمد المحمصاني وجميل معلوف بصفة أعضاء ، وعبد الغني العريسي الذي انتُخب مقرراً للجنة(١١٧) .

وكانت أولى خطوات اللجنة التحضيرية ، الاتصال بمركز حزب اللامركزية العام في القاهرة ، وعرضها عليه تبنّي المؤتمر ورئاسته ، باعتبار أن الإصلاح الذي سيطالب به المؤتمر سيقوم على منهج الحزب(١١٨) .

وقد جاء الرد من اللجنة العليا لحزب اللامركزية في ١٤ نيسان ١٩١٣ حاملاً شكرها على ثقتها الغالية بمبادىء الحزب مؤكدّة على إرسال مندوبين من قبلها لحضور المؤتمر على أن يكون لهم حق النظر والمشاركة في موضوعات المؤتمر حتى تكون موافقة

---

(١١٤) المؤتمر العربي الأول : المصدر السابق ، ص٤ .

(١١٥) Adel Ismaîl, **Document,** T 19 p433.

(١١٦) Adel Ismaîl, **Document,** T 20 p164.

(١١٧) المؤتمر العربي الأول : ص٤ ـ ٥ .

(١١٨) المؤتمر العربي الأول : ص٦ ـ ٧ .

لمبادىء الحزب وبرنامجه[١١٩] .

وكانت الخطوة الثانية للجنة ، توجيه دعوة إلى أبناء الأمة العربية لحضور المؤتمر والمشاركة في أعماله وإنجاحه أو إرسال رسائل تأييد . وقد ابتدأت الدعوة بعرض الأسباب الرامية لعقد المؤتمر معتبرة أن « المخابرات الدولية بشأن البلاد العربية » وخصوصاً سوريا هو نتيجة سوء الإدارة المركزية . لذلك قررنا ، يقول أصحاب الدعوة ، إتخاذ التدابير الواقية ضد تعديات الأجانب وإنقاذ البلاد من خطر الإحتلال والاضمحلال ، بإصلاح أمورنا الداخلية على قواعد اللامركزية حتى يشتد بها ساعدنا وتستقيم قناتنا » .

وتنتهي الدعوة بتحديد أهداف المؤتمر والمسائل التي سيبحثها على الشكل التالي :

١ ـ الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال .

٢ ـ حقوق العرب في المملكة العثمانية .

٣ ـ ضرورة الاصلاح على قاعدة اللامركزية .

٤ ـ الهجرة من سوريا وإلى سوريا[١٢٠] .

وقد تلقّف العرب أنباء المؤتمر بحماس عظيم وأخذ المندوبون يتوافدون إلى العاصمة الفرنسية من البلاد العربية وأوروبا وبلاد المهجر . وكان أبرز هؤلاء المندوبين :

ـ عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية .

ـ سليم علي سلام وأحمد مختار بيهم وخليل زينية والشيخ أحمد حسن طبارة والدكتور أيوب ثابت وألبير سرسق ، عن جمعية بيروت الإصلاحية[١٢١] .

ـ توفيق السويدي وسليمان عنبر عن العراق ، محمد حيدر عن بعلبك .

---

(١١٩) المؤتمر العربي الأول : ص٨ .

(١٢٠) Adel Ismaîl, **Document,** T 20 p141- 142.

(١٢١) وقد تسلم وفد بيروت تفويضاً من مختلف الطوائف المسيحية التابعة لولاية بيروت لتمثيلها في المؤتمر والتحدث باسمها في الاجتماعات والأندية التي ستُعقد في أوروبا Adel Ismaîl, op. cit, p186 .

ـ نجيب دياب والياس مقصود ونعوم مكرزل عن المهاجرين للولايات المتحدة .

ـ عباس بجاني عن المهاجرين للمكسيك ، شكري غانم وعبد الغني العريسي وندرة حبيب مطران وعوني عبد الهادي وشارل دباس وخيرالله خيرالله وجميل مردم ومحمد المحمصاني عن جالية باريس ، وعبد الكريم الخليل عن جالية القسطنطينية(١٢٢) .

هذا وقدمت اللجنة التحضيرية للمؤتمر باسم رئيسها كتاب استئذان بعقد المؤتمر إلى « بيشون Pichon » وزير الخارجية الفرنسية ، وبعد أن ذكرت اللجنة المواضيع التي سيبحثها المؤتمر أكدّت على احترام وتمسك المؤتمرين بالأعمال المجيدة التي قامت بها الحكومة الفرنسية في سوريا(١٢٣) .

وفي ١٠ حزيران ١٩١٣ وجهّت اللجنة التحضيرية دعوة إلى الأعضاء المشتركين ، حددّت فيها مكان وزمان انعقاد المؤتمر وبرنامج جلساته التي سيعقدها تباعاً في مبنى الجمعية الجغرافية بشارع سان جرمن في باريس(١٢٤) .

ويبدو أن المؤتمر قد تجاذبته ثلاثة اتجاهات :

الاتجاه الأول : كان على رأسه ندرة مطران الذي كان يميل إلى الإنفصال عن تركيا دون أن يتورط بالإرتباط مع فرنسا .

الاتجاه الثاني : كان يمثله أسكندر عمون الذي يرغب بالتعاون مع فرنسا وبريطانيا إلى أقصى حدود التعاون . دون أن يكون لأحداهما أفضلية على الأخرى .

الاتجاه الثالث : ويتألف من جماعة البيروتيين على رأسهم أحمد مختار بيهم وخليل زينية . كان موقف هذا الفريق واضحاً ويتّسم بالواقعية . وكان على علاقة جيّدة مع القنصل الفرنسي في بيروت . وقد طرح هؤلاء البرنامج الذي وضعته الحركة الاصلاحية البيروتية . وهذا ما يضمن لفرنسا ازدياد نفوذها في البلاد(١٢٥) .

---

(١٢٢) المفيد : عدد ١٣١٥ ، ١٨ حزيران ١٩١٣ . **المؤتمر العربي الأول** : ص١٤ ـ ١٦ .

(١٢٣) Adel Ismaîl, Op. cit, P, 164.

(١٢٤) حدّدت جلسات المؤتمر كما يلي : الأربعاء ـ الجمعة ـ السبت ـ الاثنين ، في ١٨ و٢٠ ، و٢١ و٢٣ حزيران

Adel Ismaîl, **Document,** T 20 p 188- 190

(١٢٥) Adel Ismaîl, Op.. cit p191- 192..

ومن خلال قراءتنا للكلمات التي أُلقيت في المؤتمر نستطيع أن نتلمس الآراء المختلفة التي كانت تحكم المناقشات في أروقة المؤتمر .

ففي الكلمة التي ألقاها عبد الحميد الزهراوي ، رئيس المؤتمر ، ركز على « الآخاء العربي - التركي في إطار الرابطة العثمانية » واعتبر اللامركزية القاعدة التي ترسّخ هذا الاخاء . وفي حديثه عن الموقف الأوروبي يقول الزهراوي : والغرب اليوم مقتدى الشرق وربما أردنا أن نقول أنه يجب على الشرق أن يحتاط في ما يريد أخذه من بدع الغرب ، فإننا لا نستطيع أن ننكر أن عدم اقتباس الشرقيين شيئاً من وسائل حرية الغربيين فيه من الخطر أضعاف أضعاف ما في الجمود على الحالات المعهودة . إن أوروبا ليست هي الغول وإنّما الغول سوء الإدارة وفساد السياسة(١٢٦) .

أما عبد الغني العريسي وهو مسلم من بيروت وصاحب جريدة « المفيد » . فقد أشار في كلمته إلى أن العرب يتمتعون بكامل حقوق الأمة والجنس . وإن الحكومة التركية «تعوّدت أن تعامل الجنسيات العثمانية معاملة الغالب للمغلوب » وهذا لا يمكن تحقيقه في البلاد العربية لأننا ، يقول العريسي ، « آلينا على أنفسنا أن نحافظ في هذه المملكة على مكانتنا وعلى جنسيتنا وعلى مساواتنا، فلا أرض بعد اليوم تُستعمر ولا أمة تُسخّر . فإنما نحن الرعاة لا الرعية » ويضيف : « نحن شركاء في القوة الإجرائية ، شركاء في القوة التشريعية ، شركاء في الإدارات العامة ، أما في داخلية بلادنا فنحن شركاء أنفسنا . ولا يكون ذلك إلا بتوسيع صلاحية المجالس العمومية(١٢٧) .

في حين قلّل ندره مطران - مسيحي من بعلبك - في كلمته من خطر الاستعمار الأوروبي على بلادنا . وأكّد أن العرب « منذ الفتح لم يخنعوا لسلطة فاتح أذلّهم وعاملهم معاملة الأغيار ، بل إنهم عاشوا في بلادهم مستقلين بلسانهم وأحوالهم الوطنية معتقدين أنهم مشتركون في الحكم بفضل جامعة الدين على أن الاستبداد الذي عهدناه نحن لم يتكون إلاّ منذ خمسين سنة بعدما ذكرناه من المذابح السورية »(١٢٨) . على كل حال هذا

---

(١٢٦) المؤتمر العربي الأول : خطبة عبد الحميد الزهراوي ، ص ٢٨ - ٣٨ .

(١٢٧) المؤتمر العربي الأول : خطبة عبد الغني العريسي ، ص ٤٢ - ٤٩ .

(١٢٨) المؤتمر العربي الأول : خطبة ندرة مطران : ص ٥٤ - ٦٤ .

الطموح الاستقلالي الذي نتلمسه من خلال كلماته يخبو أمام تيار اللامركزية الذي سيطر على جو المؤتمر .

أما الشيخ أحمد طبارة ـ مسلم من بيروت وصاحب جريدة « الاتحاد العثماني » ـ فقد عالج قضية الهجرة السورية التي أفقرت البلاد ، فاعتبر أن السبب الرئيسي للهجرة هو النظام السياسي المركزي ، ولضمان بقاء السوريين في أوطانهم فعلى الحكومة أن تبادر إلى الاصلاح الجديّ على قاعدة الاشتراك بالحكم على طريقة اللامركزية ، كل ولاية بحسب استعدادها وحاجاتها ، فهو خير لها وأبقى »(١٢٩) .

والواقع أن الاتجاه اللامركزي في الإدارة هو الذي تحكّم في جو المناقشات وصياغة المقررات في نهاية المطاف ، وهذا ما أكدّه ، نائب رئيس المؤتمر السيد اسكندر عمون ، في خطابه حين قال : « توهّم بعض أنصارَ النظام المركزي من اخواننا الأتراك أن الغرض من النهضة العربية الإنفصال عن الدولة . وهو أمر بعيد عن الصحة ، فإن الأمة العربية لا تريد إلاّ استبدال شكل الحكم الفاسد الذي يكاد يودي بالدولة بالحكم الذي يرجى منه وحدة الصلاح والنجاح لنا ولهم ، وهو الحكم على قاعدة اللامركزية ، ولو كانت الهيئة الحاكمة اليوم من صميم قريش لكان موقفنا معها نفس موقفنا هذا »(١٣٠) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤتمر قد تلقى برقيات تأييد كثيرة من مختلف المدن العربية وبلاد الاغتراب(١٣١) . كما وجهت برقيات احتجاج ضده ، من بعض هذه المدن إلى المسؤولين في فرنسا والآستانة . كان من بينها البرقية التي أرسلها أشراف بيروت ودمشق ، والبرقية التي بعثها أشراف وعلماء المدينة المنوّرة(١٣٢) .

والواقع أنه قد حدث اجتماع هام في منزل عبد الرحمن بك اليوسف في دمشق ، حضره زعماء الاتحاديين في المدينة ، أعلن فيه الحاضرون أن السوريين الذين يتظاهرون أنهم يعملون في باريس لمصلحة الشعب السوري هم مجهولون وخاضعون للنفوذ

(١٢٩) المؤتمر العربي الأول : خطبة الشيخ أحمد طبارة : ص ٨٣ ـ ٩٣ .
(١٣٠) المؤتمر العربي الأول : خطبة اسكندر عمون ، ص ٩٨ ـ ١٠٤ .
(١٣١) من أراد الاطلاع عليها فيمكنه الرجوع إلى كتاب المؤتمر : المصدر السابق ص ١٥٠ وما بعدها .
(١٣٢) Adel Ismaîl, **Document,** T 20, p134- 135 et 184- 185.

الأجنبي » . وفي نهاية الاجتماع وجّه المجتمعون برقية احتجاج ضد تصرفاتهم الخيانية إلى الحكومتين العثمانية والفرنسية وإلى السفير التركي في باريس وبعض الصحف التي كانت تصدر في العاصمتين(١٣٣) .

وفي الجلسة المنعقدة في ٢١ حزيران ١٩١٣ اتخذ مؤتمر باريس المقررات التالية :

١ ـ لا بد للمملكة العثمانية من إصلاحات فعلية عاجلة .

٢ ـ لا بد أن تضمن للعرب حقوقهم السياسية في الإدارة المركزية .

٣ ـ ويجب أن تنشأ في كل ولاية عربية إدارة محلية تنظر في حاجاتها .

٤ ـ كانت ولاية بيروت قد قدمت مطالبها بلائحة خاصة صودق عليها في ٣١ كانون الثاني ١٩١٣ وهي تقوم على مبدأين أساسيين وهما :

أ ـ توسيع سلطة المجالس العمومية .

ب ـ تعيين مستشارين أجانب لدى الإدارات المحلية .

فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين المبدأين .

٥ ـ على مجلس النواب العثماني أن يحترم اللغة العربية وأن يتخذ قراراً باعتبارها اللغة الرسمية في الولايات العربية .

٦ ـ تكون الخدمة العسكرية محلية في الولايات العربية إلا في الظروف والحالات الاستثنائية .

٧ ـ يتمنى المؤتمر على الحكومة العثمانية أن تكفل لإدارة جبل لبنان الوسائل المالية اللازمة لها .

٨ ـ يظهر المؤتمر عطفه على مطالب الأرمن العثمانيين ويدعو إلى تخصيص إدارة محلية لهم .

٩ ـ تبلغ هذه المقررات إلى الحكومة العثمانية وإلى جميع الحكومات المتحالفة معها .

١٠ ـ يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية لترحابها الكريم بضيوفها .

---

(١٣٣) Ibidem, p 145- 147.

وقد ألحق المؤتمر بهذه المقررات ما يلي :

١ ـ إذا لم تنفذ البنود التي أقرها المؤتمر ، فالأعضاء المنتمون إلى لجان الإصلاح العربية يتعهدون بالإمتناع عن قبول أي منصب في الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات المنتمين إليها .

٢ ـ تُعتبر هذه المقررات برنامجاً سياسياً للعرب ، ولا يمكن مساعدة أي مرشح في الانتخابات التشريعية إلاّ إذا تعهد من قبل بتأييدها والعمل على تنفيذها .

٣ ـ يشكر المؤتمر مهاجري العرب على وطنيتهم في مؤازرتهم له ، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم(١٣٤) .

وبعد انتهاء أعمال المؤتمر توجه وفد منه إلى وزارة الخارجية الفرنسية ، وذلك قبل ظهر يوم الاثنين في ٣٠ حزيران ١٩١٣ ، وقدّموا شكرهم للحكومة الفرنسية وطلبوا مساعدتها في تحقيق الإصلاح(١٣٥) .

وبعد أن خرج الوفد من وزارة الخارجية الفرنسية توجه إلى قصر السفارة العثمانية وقابلوا السفير رفعت باشا الذي عبّر عن وجهة نظره بضرورة الإصلاح للسلطنة ، ولكنه طلب منهم أن يسلكوا سبل اللين في ذلك . ثم أرسل للسفير نسخة عن قرارات المؤتمر ونص الكتاب التالي :

« إنفاذاً للقرار الصادر عن المؤتمر العربي يوم ٢١ حزيران ١٩١٣ نتشرف بأن نرسل لدولتكم مع كتابنا هذا نسخة عن المقررات التي صادق عليها هذا المؤتمر راجين أن تتفضلوا باطلاع الحكومة العثمانية عليها واقبلوا فائق احترامنا »(١٣٦) .

---

(١٣٤) المفيد : عدد ١٣٢٣ ، ٢٧ حزيران ١٩١٣ . أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص٥٩ ـ ٦٠ .

Adel Ismaïl, **Document,** T 20, p. 226- 227.

Georges Samné, **La Syrie,** p 90- 91.

(١٣٥) كان الوفد يتألف من : عبد الحميد الزهراوي وشكري غانم واسكندر عمون وسليم علي سلام والشيخ أحمد طبارة وأحمد مختار بيهم وخليل زينية .

Adel Ismaïl, **Document,** T 20, p280.

(١٣٦) المؤتمر العربي الأول : ص١٤٧ ـ ١٤٩ .

أما الحكومة العثمانية فقد حاولت عرقلة المؤتمر واستخدمت لذلك كل أساليب الترهيب ، ولكنها لم تفلح(١٣٧) ، فاضطرت إلى إيفاد مدحت شكري ، أمينها العام ، إلى العاصمة الفرنسية ليفاوض أعضاء المؤتمر في مطالبهم الإصلاحية(١٣٨) . وقد نجح فعلاً في مساعيه ، ثم عاد إلى استامبول مصطحباً معه عبد الكريم الخليل الذي عقد مع طلعت باشا اتفاقاً يقضي :

بأن يكون التعليم في المرحلة الابتدائية والاعدادية باللغة العربية ، وبلسان الأكثرية في القسم العالي ، وبأن يتم تعيين كبار الموظفين من العارفين باللغة العربية ويعين باقي الموظفين من قبل السلطات المحلية .

ويمنح هذا الاتفاق سلطات واسعة للإدارات المحلية والمجالس العمومية وخاصة في ما يتعلق بالمنافع العامة والعقارات والمؤسسات الوقفية ، ويؤدّي الجنود العرب خدمتهم في أيام السلم ضمن البلاد العربية وحدها .

ونص الاتفاق على أن يقبل مبدئياً في الوزارة المركزية ثلاثة على الأقل من العرب ، ويكون في الدوائر المركزية عدد مماثل لهم بصفة مستشارين أو معاونين . ويُعتبر من الأسس المقررة أن يكون في كل لجان المأمورين وشورى الدولة ومجلس المشيخة الإسلامية ومجالس سائر الدوائر المركزية اثنان أو ثلاثة من العرب ، ويعين لهم خمسة من الولاة وعشرة من المتصرفين وعربيان من كل ولاية في مجلس الأعيان ، وأقرّ الإتفاق أيضاً أن يستخدم مفتشون اختصاصيون في الدوائر المقتضية في كل ولاية(١٣٩) .

ويلوح من هذا الاتفاق أنه كان أقرب إلى المساومة على الوظيفة والكسب المادي منه إلى عمل تحرري يبرز الفكرة العربية متطلباتها من الاستقلال(١٤٠) ، ولذا أنكره

---

(١٣٧) عادل اسماعيل ، السياسة الدولية ، ج٤ ، ص١٥٣ ، المؤتمر العربي الأول : ص١١ .
(١٣٨) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٧٥ .
(١٣٩) الاصلاح (الاتحاد العثماني) عدد ٥٨ - ١٤٥٣ ، ١٧ تموز ١٩١٣ ، الاتفاق بين العرب والأتراك .
محمد عزة دروزة حول الحركة العربية الحديثة . المجلد الأول ، ص٤٠ .
ساطع الحصري : البلاد العربية والدولة العثمانية ، ص ١٣٣ - ١٣٥ .
(١٤٠) عادل اسماعيل : السياسة الدولية ، الجزء الرابع ، ص ١٥٦ .
وقد عبر الوزير سليمان البستاني - اللبناني - عن هذه الظاهرة أثناء المناقشة التي دارت بينه وبين أنور باشا =

معظم أحرار العرب من غير طالبي الوظائف .

ومع ذلك فقد أرسل المؤتمر ثلاثة من أعضائه إلى الآستانة وهم : سليم علي سلام والشيخ أحمد طباره وأحمد مختار بيهم ليدرسوا الوضع عن كثب ويقدموا شكر المؤتمر إلى السلطات العثمانية . فاستقبلوا استقبالاً حارّاً وتبودلت بينهم المآدب الفاخرة حيث كانت تلقى الخطب الرنانة المنمقة تمجيداً للوحدة الأخوية بين العرب والترك(١٤١) .

١ ـ تحوير الاتفاق وفقدان الثقة بالأتراك الجدد :

ولكن شهر العسل بين العرب والاتحاديين لم يطل إذ صدر مرسوم سلطاني للمصادفة على شروط الاتفاق في الثامن عشر من آب ١٩١٣ ، يختزل كثيراً من موادها ويحيط معظم ما بقي بالتحفظ والغموض(١٤٢) .

= حول الامتيازات اللبنانية بقوله : « إن مؤتمر باريس مؤلف من بعض النفعيين وعمال فرنسا وليس فيه لبنانياً » واجداً فسأله أنور باشا كيف ؟ أجابه : نعم هم من أبناء بيروت أو من اللبنانيين الذين نزح آباؤهم عن الجبل إلى بيروت وباتوا بدون عمل لا هم لبنانيون ولا عثمانيون وغايتهم المراكز والرتب فقط ولو كان في لبنان وظائف أو في بيروت مراكز وعُيِّنوا بها لما قبلوا الذهاب إلى باريس وعقد هذا المؤتمر . عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٧٠ .

(١٤١) للاطلاع على زيارة الوفد الذي أرسله المؤتمر إلى الآستانة يمكن الرجوع إلى الصحف التي كانت تصدر آنذاك وخصوصاً : الاصلاح . العدد ١٠٢ ـ ١٤٩٧ ، ١٠ أيلول ١٩١٣ ، أسعد داغر . مذكراتي على هامش القضية العربية ، ٦٣ ـ ٦٤ .

(١٤٢) وقد ورد في المرسوم النقاط التالية :

« إنه بالنظر إلى الضروريات واختلاف الأمزجة في الولايات العثمانية وإلى وجوب ترقية البلاد وإسعاد أهلها وزيادة رفاهيتهم ، تقرّر بعد الاتكال على الله ومفاوضة الولايات : « أن يعهد في إدارة الأوقاف الموقوفة على عمل الخير المحلي بحسب شروط الواقف إلى مجالس الجماعات في الولايات وذلك بموجب قانون جديد يُنشر قريباً . . .

« أن تكون الخدمة العسكرية في زمن السلم في دائرة التفتيش إلا إذا رأت الحكومة لسببٍ ما حشد قسم من الجنود في جبهة أخرى ، وتُرسل العساكر على الطريقة النسبية إلى الولايات البعيدة كاليمن والحجاز وعسير ونجد .

« أن يكون التدريس باللغة العربية في جميع مدارس الولايات التي تتكلم أكثرية سكانها هذه اللغة وذلك لتوفير أسباب المدنية التي تحتاج إليها في الحال وفي الاستقبال ولما كانت هناك فائدة أساسية من التدريس باللغة العربية في جميع المكاتب فيجب مباشرة ذلك الآن في المكاتب الرشدية والإعدادية وتوفير =

وكانت المفاجأة الكبرى حينما صدرت إرادة سنيّة في ٤ كانون الثاني ١٩١٤ بتعيين الزهراوي وخمسة من صحبه في مجلس الأعيان وهم : عبد الرحمن اليوسف ومحمد بيهم ويوسف سرسق ومحي الدين النقيب وأحمد الكخيا . فوقع هذا الخبر وقوع الصاعقة على أحرار العرب الذين رأوا في قبول الزهراوي بمنصب الأعيان ضربة كبيرة للإصلاح الذي لم ينفذ شيء منه على الإطلاق . . . وأعلنوا أن قبول هذه المناصب هو خيانة ونكث لعهود قطعها الزهراوي ورفاقه على أنفسهم في ملحق مقررات المؤتمر(١٤٣) .

كان رد الزهراوي على ذلك بأنه لم يقبل وصحبه بهذا المنصب إلا لمساعدة الحكومة على تنفيذ الإصلاح بالسرعة اللازمة وأنهم حرصوا على إبراز الاتحاد العربي - التركي بهذا المظهر للحد من أطماع الدول الأجنبية في الدول العربية وسعيها الحثيث لإستغلال الخلاف بين العثمانيين للسيطرة عليها وأنه على استعداد لتقديم استعفائه إذا أصرّت الشبيبة على ذلك(١٤٤) .

ولكن لم تفِ هذه التبريرات بالغرض المطلوب وظلت الشبيبة العربية على موقفها المعارض للتعيينات ثم قطعت صلتها بالزهراوي وصحبه(١٤٥) .

= أسباب التدريس العالي بلغة الأكثرية أيضاً بشرط أن يبقى التدريس باللغة التركية كما كان في المكاتب الإعدادية في حواضر الولايات وذلك لتعميم اللسان الرسمي .

« أن يعين الموظفون من الواقفين على اللغة العربية علاوة على اللغة الرسمية وأن ينظر حين تعيينهم إلى هذا الشرط . وتُعين الحكومة المركزية الموظفين الذين يقتضي لتعيينهم إرادة سنية . أما الموظفون الثانويون فيعينون بمقتضى القانون الجديد .

« وقد أبلغ هذا القرار إلى وزارات الحربية والمعارف والأوقاف للعمل به . وكان قد تقرّر استقدام مفتشين من الأجانب لكل ولاية من الولايات على قدر الحاجة المحلية ولذلك جاء في قانون الولايات الجديد أن المصاريف المحلية ولا سيما عجز ميزانية المعارف والنافعة (الأشغال) تضاف إلى ميزانية الولاية وعلى الولاية أن لا تخرج عن دائرة الصلاحية الممنوحة لها في قانون الولايات . . . إلخ » .

أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٦٠ - ٦١ .

(١٤٣) أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٦٧ .

Adel Ismaïl, **Document,** T 20, p 336- 339.

(١٤٤) المنار : م١٩ ، ج٣ ، ص ١٦٩ - ١٧٣ - السيد عبد الحميد الزهراوي .

(١٤٥) عادل اسماعيل : السياسة الدولية ، الجزء الرابع ، ص ١٥٧ .

أما الأتراك الجدد فقد اعتقدوا أنهم فرقوا بين الأحزاب والجمعيات العربية وقضوا على اتحادها وحماستها ، حيث أصبح بمقدورهم تنفيذ خطتهم بالقضاء على الحركة العربية(١٤٦) .

وعلى هذا الأساس أخذوا بإبعاد الضباط العرب من الآستانة إلى غاليبولي والأناضول وتراقيا حيث قلدوهم وظائف أسمية سامية ، ثم قرروا الفتك بزعمائهم ، ولكنهم أخذوا يتحينون الفرص المناسبة وهكذا أخذت العلاقة بين السوريين واللبنانيين من جهة والأتراك من جهة ثانية تتحطم على صخرة عناد الاتحاديين وتنهار إلى أن فقد السوريون واللبنانيون كل ثقة بهم إلى الأبد(١٤٧) .

---

(١٤٦) المرجع نفسه ، ص ١٥٧ .

(١٤٧) عُقد اجتماع ، بتدبير من أسعد داغر « بفندق توكتليان ، حضره الدكتور جاكبسون ونواب عرب وبعض رجال الجمعية الاصلاحية في بيروت أثناء عودتهم من باريس فقرّ رأي الحاضرين على ضرورة عقد مؤتمر في القاهرة يحضره نواب سوريا وفلسطين والعراق والحجاز مع بعض زعماء اليهود للنظر في الاقتراحات التي وضعها الدكتور جاكبسون ورئيس اللجنة التنفيذية الصهيونية ومدير بنك انجلو بالستين ، والتي تتمثل بالنقاط التالية :

١ ـ إن العرب واليهود من جنسٍ واحد ، ولكل منهما مزايا متمّمة للآخر ، فعند اليهود علم ومال ونفوذ وعند العرب بلاد واسعة وقوى هائلة وكنوز أدبية ومادية لا تنضب فالتوفيق بينهما يكون لخيرهما وخير الشرق كله .

٢ ـ يستقبل العرب اليهود في البلاد العرب . كأخوان لهم على أن يتجنس اليهود بالجنسية العثمانية وأن لا تكون فلسطين خاصة بهم .

٣ ـ في مقابل ذلك يتعهد اليهود بوضع قواهم الأدبية والمادية في خدمة القضية العربية ويؤازرون الأحزاب العربية ويضعون تحت تصرفها ثلاثة ملايين من الجنيهات .

وعلى أثر مقتل ولي عهد النمسا اجتمع الدكتور جاكبسون بأسعد داغر للمرة الأخيرة وقال له : لم يبق فائدة من مباحثاتنا لأن الحرب ، وقد أصبح لا مفرّ منها ، ستقلب كل شيء رأساً على عقب ، ولنعتبر كل ما جرى بيننا الآن كأنه لم يكن » .

أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .

الفصـــل الـرابـع

الوضع الاقتصادي في لبنان
١٩٠٨ - ١٩١٤

١ ـ الوضع الجغرافي والسكاني :

يقع جبل لبنان إلى الغرب من ولاية سوريا . ويحده من الشمال سنجق طرابلس (في ولاية بيروت) ومن الشرق أقضية بعلبك وراشيا وحاصبيا (في ولاية سوريا) ومن الجنوب قضاء صيدا (في ولاية بيروت) ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط ومدينة بيروت[١] .

ويبلغ امتداد جبل لبنان من الشرق إلى الغرب ١٢٥ كلم تقريباً وبعرض سطحي يصل إلى حوالي ٣٠ كلم أمّا مساحته فتقدر بـ٣٢٠٠ كلم٢[٢] . وتقع بين درجتي العرض ٣٣°٢٦َ و٣٤°٢٧َ ودرجتي الطول ٣٣°٥َ و٣٥°٢َ[٣] .

وكانت أراضي جبل لبنان عبارة عن صخور صلدة ، تنمو على جنباتها الأشجار على اختلاف أنواعها . . . وتكسو قممها العالية الثلوج معظم أيام السنة ولكن الإنسان اللبناني استطاع بكده وعرقه أن يحول هذه الصخور إلى أراضٍ صالحة للعيش والاستقرار .

وفي عهد المتصرفية أصبح لبنان من الناحية الإدارية يقسم إلى سبعة أقضية وكل قضاء إلى عدة مديريات بينها مديريتان ممتازتان مرتبطتان مباشرة بمركز الحكم في بعبدا وهما دير القمر والهرمل . وكانت المديرية الواحدة تتألف من عدة نواحي يتولى إدارتها

---

(١) Vital Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine**... p203- 204

(٢) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ص ٤٧٢ .

(٣) Vital Cuinet, op. cit, p205.

موظف يعينه المتصرف بناء على اقتراح قائمقام القضاء . وفي كل قرية من قرى شيخ ينصبه حاكم الجبل بعد انتخاب سكان القرية له[٤] .

أما سكان جبل لبنان فيصل عددهم حسب احصاء عام ١٩١٣ الذي أ إدارته المتصرفية إلى (٤١٤٨٠٠) نفس موزعين على الأقضية اللبنانية السبع (الجدول رقم ١) . بكثافة سكانية تصل إلى ١٢٩ شخصاً في الكيلومتر ا الواحد[٥] . ويبدو أن هذه الكثافة هي أعلى كثافة سكانية في بلاد الشرق الأدنى . الولايات المجاورة لجبل لبنان لا تتعدى الكثافة السكانية أكثر من ١٠ أشخاص الكيلومتر المربع الواحد[٦] . وبموجب النظام الأساسي أصبح سكان لبنان متساوين القانون ، وألغيت الامتيازات التي كان يتمتع بها رجال الاقطاع في الجبل (الخامسة)[٧] ، مما أدى إلى قيام نهضة عمرانية واقتصادية طيلة عهد المتصرفية .

٢ ـ التطور الاقتصادي في لبنان منذ عام ١٨٦١ حتى عام ١٩٠٧ :

والواقع أن لبنان نعم منذ بداية عهد المتصرفية باستقرار سياسي واجتماعي ساعد على قيام نهضة عمرانية واقتصادية في البلاد شملت كل مرافق الحياة الاقتص وقد شارك في هذه النهضة معظم المتصرفين الذين تعاقبوا على حكم الجبل منذ ١٨٦١ حتى أوائل الحرب العالمية الأولى[٨] .

---

(٤) لحد خاطر :عهد المتصرفين في لبنان. (نص نظام ١٨٦٤ ـ المادة الثالثة والمادة الرابعة)، ص١٦ ـ
l Ismaîl, Documents,, T 12, La Réglement organique, p33- 34

هناك بيان تفصيلي عن الأقضية والقرى اللبنانية يورده فيتال كوينه في مؤلفه عن سوريا ، وفلسطين . فيذكر البيان أن جبل لبنان كان يتألف من سبعة أقضية ومديرية واحدة هي دير القمر ناحية وقصبة و٩٣٠ قرية .

l Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine**... p 205.

(٥) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، ص ٦٤٤ .
rges Samné, **La Syrie**, p 255 -
Shoucair: **Rapport sur les Finances du liban le 6 Octobre 1913** p2- 4.

(٦) ınir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutasarrifs** p. 449.

(٧) l Ismaîl, **Documents**,, T 12, p35.

(٨) iam Miller« **The Ottoman Empire and its successors** 1801- 1927, London 1936, p - 303.

جدول إحصاء أهالي جبل لبنان عن سنة ١٩١٣

قائمقاميات	اسلام		موارنه		دروز		روم ارثوذكس		روم كاثوليك		متاوله	
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
البترون	٣٦٢	١٩٩	٣٨٣٢٦	٣٢.١٥	–	–	٢٨٢٥	٢.٦٥	٥٨٦	٤٩٩	٣٤٩٦	٢٨٤٧
الكوره	١.٨٤	٩٢١	١٥٩٨	١٤٦٢	–	–	١.٢٩٩	٨٦٢١	٥	٦	٢٣	١٨
كسروان	١٦٨	١٤٢	٣٢.٥٤	٢٦٤٧٢	–	–	٩٤٣	٨٦٨	٢٥٥	٢٢٥	٥٢٩٦	٣٦٩٩
المتن	١٨٣	١٣.	٣.٤٩١	٢٤٤٢.	٥.٨٨	٤.٨٩	٨٦٨٦	٦٥٤٣	٣٥.٥	٣٦٥٣	١٨٥٣	١٥٢٩
الشوف	٥٧٣٩	٥.٥١	١٧٧٤٨	١٤٥٦٨	٢١١٣٥	١٦٩٢١	٥٥٤٦	٤٤٤٣	٤٢٧٧	٣٤٥٥	٧٥٤	٦٧٥
زحله	١٤١	٨٩	١٦.٩	١١١٢	–	–	٥.٣	٣١٧	٥.١.	٣٦٦٦	–	–
دير القمر	٣	٨	٣٨١٤	٣.٤٤	٥	٣	–	–	٧٣٧	٧.٣	–	–
جزين	١٥٩	١٥.	٧٧٥٢	٥٨٢٣	٢٥	٢٤	٣٧٦	٣٢١	٣٦١٢	٢٧٤٢	١٨١٢	١٤١١
يكون	٧٨٣٩	٦٦٩.	١٣٣٣٩٢	١.٨٩١٦	٢٦٢٥٣	٢١.٣٧	٢٩١٧٨	٢٣١٧٨	١٧٩٨٧	١٣٩٤٩	١٣٢٣٤	١.١٧٩

قائمقاميات	بروتستانت		ارمن		موسويون		يكون	
	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث
البترون	–	–	–	–	–	–	٤٥٥٩٥	٣٧٦٢٥
الكوره	١٢	١٤	–	–	–	–	١٣.٢١	١٣.٤٢
كسروان	٥	٣	٣٦	٣١	–	–	٣٨٧٥٧	٣١٤٤.
المتن	٢٥٩	٢٤٧	–	–	–	–	٥..٦٥	٣٩٦١١
الشوف	٩..	٧٢٦	–	–	–	–	٥٦.٩٩	٤٥٨٣٩
زحله	١٢٥	٨٦	–	–	–	–	٧٣٨٨	٥٢٧.
دير القمر	٢٦	٢٦	–	–	٤٧	٣٩	٤٦٣٢	٣٨٢٣
جزين	٢٢١	١٦٥	–	–	–	–	١٣٩٥٧	١.٦٣٦
يكون	١٦٢١	١٣٣٧	٣٦	٣١	٤٧	٣٩	٢٢٩٥١٤	١٨٥٢٨٦

قائمقاميات	يكون عمومي
البترون	٨٣٢٢.
الكوره	٢٤.٦٣
كسروان	٧.١٩٧
المتن	٨٩٦٧٦
الشوف	١.١٩٣٨
زحله	١٢٦٥٨
دير القمر	٨٤٥٥
جزين	٢٤٥٩٣
يكون	٤١٤٨..

جدول رقم (١)

مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص ٦٤٤ .

وكانت السمة البارزة للاقتصاد اللبناني ، هي أنه اقتصاد زراعي في الدرجة الأولى[٩] . وكانت زراعة أشجار التوت هي أكثر الزراعات رواجاً في تلك الحقبة وذلك لانتشار تربية دودة القز في مختلف المناطق اللبنانية الصالحة له[١٠] .

وتأتي زراعة الحبوب من قمح وشعير وذرة وقطاني وشوفان وسمسم في الدرجة الثانية من الأهمية بعد زراعة التوت . ولا تقل زراعة الزيتون أهمية وانتشاراً عن زراعة الحبوب ، وكذلك زراعة التبغ والبطاطا والعنب وأشجار البرتقال والحامض والخضار على اختلاف أنواعها[١١] .

وكانت تربية الماشية ذات أهمية في الجبل ، فقد قدّرت أعدادها عام ١٨٩٦ بـ ١٥٦,٠٥٥ ألف رأس (بقر ، عجول ، غنم ، ماعز ، حمير ، بغال ، جمال . . .)[١٢] .

أما الغابات الكثيفة التي كانت تغطي معظم المناطق اللبنانية فلم يعد لها وجود في لبنان . وما بقي منها فهي عبارة عن أحراج تنبت فيها أشجار الصنوبر أو السنديان أو السرو[١٣] .

وفي مجال الصناعة فقد كانت معامل الحرير ومعاصر زيت الزيتون والخمور ودبغ الجلود منتشرة في مختلف القرى والمدن اللبنانية[١٤] .

أما حركة التجارة فقد كانت ناشطة بشكلٍ ملحوظ نحو أوروبا عبر مرافىء بيروت وصيدا وجونيه وجبيل . ومع المناطق المجاورة عبر سوريا[١٥] .

---

(٩) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٧٢ .

(١٠) Jaques Weuleresse, **Paysans de Syrie et du Proche Orient,** Paris 1946, p 185 et 265.

(١١) Vital Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine**... p216.

(١٢) Ibidem, p 222.

(١٣) Ibidem, p 217- 218.

(١٤) Ibidem, p 232.

(١٥) أسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، ص ٢٠٨ و٢١٠ .

هذا ولّما كان موضوع الفصل ينحصر في الفترة الواقعة ما بين ١٩٠٨ و١٩١٤ ولّما كانت هذه الفترة هي المرحلة الأخيرة لنظام لبنان الأساسي ، فإنه يتوجب علينا ولفهم حقيقة هذه النهضة من الإشارة إلى أهم الأعمال العمرانية والاقتصادية التي قام بها المتصرفون في المراحل السابقة لها .

فمن أعمال داود باشا الذي كان أول المتصرفين على الجبل شراؤه قصر بيت الدين وترميمه بمبلغ ١٢ ألف كيس وإتخاذه مركزاً لدوائر الحكومة(١٦) . ثم حاول إنشاء مرفأ للبنان في الدامور لكنه لم يوفق بسبب معارضة المراجع العليا له(١٧) .

وفي مجال شقّ الطرقات ورصفها فقد باشر داود باشا في حفر طريق للعربات بين بيروت وبيت الدين ، أنجزها فيما بعد ، خليفتاه فرنكو باشا ورستم باشا(١٨) . وفي عهده أنهت شركة فرنسية (١٨٦٣) شقّ طريق بين بيروت ودمشق ، مخترقة الجبال اللبنانية كانت تسير عليها العربات الكبيرة ذهاباً وإياباً(١٩) . وقد ساعدت هذه الطريق على قيام نهضة عمرانية على جنباتها . وخلقت حركة تجارية واسعة بين مختلف المدن والقرى اللبنانية والمناطق المجاورة لها(٢٠) .

أما فرنكو باشا فقد أولى الزراعة اهتماماً خاصاً وقرّب إليه رجالها وأعفى الأدوات الزراعية المستوردة إلى لبنان من الرسوم الجمركية مساعدة للمزارعين . ثم شجع زراعة الأشجار المثمرة والحرجية . واستحضر من الآستانة وأثينا عدداً كبيراً من نصوب العنب ووزّعها على الأهالي بالمجان ، كما وزّع كميات وافرة من بذور الصنوبر على المزارعين لغرسها في الأراضي الصالحة لها(٢١) .

---

(١٦) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث . ص١٤٩ .

(١٧) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٣٠ .

(١٨) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٤٠ .

(١٩) Éleuthère, Elefèriades. **Les chemins de fer en Syrie et au Liban**, Beyrouth 1944. p.37-40.

(٢٠) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث . ص١٥٠ .

(٢١) أسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، ص ١٣٥ - ١٣٨ .

وفي مجال الصناعة فقد أنشأ المتصرف فرنكو مصنعاً للسجاد في دير القمر واستقدم إليه صناعاً ماهرين من مختلف البلدان لتدريب اللبنانيين على هذه الصناعة(٢٢) .

ثم اهتم أيضاً بشق طرق العربات مثل طريق الحازمية - بعبدا - كفرشيما - . وطريق من بيت الدين إلى بعقلين وطريق من ساحل البحر إلى غزير . كما عني بإنشاء الجسور فوق الأنهار حتى ناهز عددها على العشرين(٢٣) .

ووجه عناية خاصة إلى قصر بيت الدين فحوّل طبقاته السفلى إلى مساكن للجنود، وجعل من بساتينه التي مدّ إليها المياه من نبع الصفا جنائن غنّاء تلذّ الناظرين . كما أقام على جوانب تلك المياه منتزهات يقصدها الأهالي للراحة والاستجمام(٢٤) . وبالرغم من قلة اهتمام المتصرف رستم باشا بالأمور الاقتصادية ، إلا أنه قام ببناء عدد كبير من جسور الأنهار كان أشهرها الجسر الذي بناه فوق نهر المخاضة على مقربة من الحازمية وقد كتب عليه اسمه وتاريخ انشائه ، ومع أن الأمطار جرفت هذا الجسر إلا أن المنطقة هناك لا تزال تُعرف حتى اليوم باسم « جسر الباشا »(٢٥) . أما الطرقات التي شقها أثناء ولايته فقد وصل طولها إلى خمسين ألفاً وخمسماية متر(٢٦) .

وكانت أعمال خليفته واصا باشا لا تقلّ أهمية في مجال البناء والعمران عن سلفه . فقد قام هذا المتصرف بانشاء عدد كبير من الجسور(٢٧) . ومن مآثره أيضاً شقّ عدة طرقات للعربات في مختلف المناطق اللبنانية نذكر منها طريق نهر الكلب - جونية ، وطريق عين عنوب(٢٨) . ثم شيّد سراي للحكومة في بعبدا على انقاض البناء الذي

---

(٢٢) المرجع نفسه ص : ١٤٧ .
(٢٣) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، ص٦٠١ - ٦٠٣ . لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان ص٤٤ .
(٢٤) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٤٤ .
(٢٥) أسد رستم ، لبنان في عهد المتصرفية ، ص ٢٠١ - ٢٠٥ .
(٢٦) Vital Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine**... p228.
(٢٧) كمال الصليبي : تاريخ لبنان الحديث . ص١٥٣ - ١٥٤ .
(٢٨) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٤٢ .
بلغ طول الطرقات التي شقّها واصا باشا ١٣١,٣٠٠ كلم .
Vital Cuinet, op. cit, p228.

اشتراه الأهالي هناك من ورثة الأمير ملحم الشهابي . وبنى سراي للحكومة في زحلة[٢٩] . كما أقام عدة مراكز للدرك اللبناني على الطرقات لتأمين سلامة المسافرين من اللصوص وقطّاع الطرق فأمنّ بذلك السبل الكفيلة لنمو التجارة ومستلزماتها[٣٠] .

أما المتصرف نعوم باشا فقد ضبط أموال الحكومة وعمل على تحسينها حتى زادت الواردات على النفقات . ثم قام بنهضة عمرانية واسعة . فأتمّ بناء سراي بعبدا ، وشيّد سرايات بعقلين وجزين وجونية وأميون وبحنس وفرشها بأفخر الأثاث[٣١] .

وشقّ مجموعة من الطرقات أهمها : طريق بيروت ـ صيدا ـ جزين وطريق جونية ـ جبيل ـ البترون . وطرق أخرى في أقضية الكورة والمتن وكسروان والشوف حتى وصلت هذه الطرق طولاً إلى ٤٨٠ كلم و٨٨٠ متراً[٣٢] . ومن مآثره أيضاً ترميم بعض الجسور وبناء أخرى نذكر منها الجسر الذي بناه على نهر ابراهيم والجسر الذي مدّه فوق نهر بيروت في مجراه الأعلى[٣٣] .

في حين اهتم خليفته مظفّر باشا بالمرافىء اللبنانية اهتماماً خاصاً . فأصدر أمراً بجعل مرفأي جونية والنبي يونس صالحين لاستقبال السفن ولأعمال التحميل والتفريغ بإقامة المستودعات على الشواطىء القريبة منهما ، ولكن معارضة الدول الأوروبية الموقعة على نظام المتصرفية اضطرت الحكومة العثمانية إلى إصدار أمر لمظفّر باشا بوجوب الرجوع عن قراره وإلاّ أُقيل من منصبه ، فاضطر المتصرف إلى الرضوخ . وهكذا تعثّر المشروع منذ البداية[٣٤] .

ثم حاول مظفّر باشا تحسين حال الفلاح اللبناني وعيّن مفتشين زراعيين لمراقبة شؤون الزراعة وقرر تلزيم مقطوعية التبغ والتنباك وجلبها رأساً إلى إحدى الأساكل

(٢٩) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ص٦٢٢ .
(٣٠) لحد خاطر : المصدر السابق : ص ١٤٣ .
(٣١) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ص٦٢٢ .
(٣٢) Éleuthère, Eleftèriades. **Les chemins de fer en Syrie et au Liban**,p. 43.
(٣٣) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ص٦١٣ .
(٣٤) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص١٧١ .

اللبنانية ، لكن الباب العالي أصدر أمراً إلى مظفّر بضرورة العودة عن قراره فلم يستطع إلّا الإمتثال[٣٥] . وفي مجال البناء والعمران فقد لاقت مشاريعه نجاحاً ملحوظاً فشيّد مقراً شتوياً لقضاء المتن في الجديدة ومثله لقضاء الكورة في أنفه . كما أنشأ داراً للحكومة في غزير ومستشفى السجناء في بعبدا[٣٦] . ثم اهتم بشق الطرقات للعربات فقد بلغ طول ما تمّ منها في عهده ٢٢٢ كلم و٦٧٠ متراً . ثم باشر بفتح نفق عقبة المسيلمة[٣٧] .

ومن الواضح أن هذه النهضة الاقتصادية والعمرانية التي ظهرت بوادرها في أيام هؤلاء المتصرفين قد استمرت كذلك في عهدي يوسف فرنكو باشا وأوهانس قوميجيان باشا وسنحاول الآن تبيان ذلك بشيءٍ من التفصيل عن طريق استعراض شامل لمقومات الاقتصاد اللبناني قبيل الحرب العالمية الأولى .

٣ ـ مقومات الاقتصاد اللبناني (١٩٠٨ ـ ١٩١٤)

أ ـ الزراعة :

إن جبال لبنان عبارة عن أراضٍ وعرة تكسو قممها العالية الثلوج معظم أيام السنة وبالرغم من ذلك فإن الزراعة كانت تشكل المورد الرئيسي لأبنائها في مطلع القرن العشرين إذ كان يعمل في الزراعة أكثر من نصف السكان وكان الانتاج الزراعي يشكل النسبة الكبرى في صادرات البلاد[٣٨] .

وفي التقرير الذي رفعه « هوفيلان Huvelin » إلى غرفتي تجارة ليون ومرسيليا حددت مساحة متصرفية لبنان الاجمالية بحوالي ٤٥٠,٠٠٠ هكتار ، والمساحة المزروعة منها ١٧٥٠٠ هكتار أي ما يساوي ٣٪ . أما المساحة الصالحة للزراعة فكانت تبلغ حوالي ٢٠,٠٠٠ هكتار أي بمعدل ٤,٤٪[٣٩] .

(٣٥) المرجع نفسه ، ص ١٧١ .
(٣٦) مظفّر باشا في لبنان . الاسكندرية ١٩٠٧ ص ٣١ ـ ٣٤ .
(٣٧) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ص٦٠٢ ـ ٦٠٣ .
(٣٨) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٧٢ . بدر الدين السباعي ، أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا . (١٨٥٠ ـ ١٩٥٨) دمشق ١٩٦٧ ص٤ .
(٣٩) Paul Huvelin: **Quevant La syrie. L'Asie Française,**Decembre 1921, p 9.

وهكذا يبدو جلياً أن نسبة الأرض المزروعة متدنية جداً قياساً لعدد العاملين فيها . وهذا ما يؤكد على ضعف الانتاج الوطني ، وحاجة الإنسان اللبناني إلى موارد أخرى للعيش . وقد وجد ذلك في الهجرة التي كثر روادها في الفترة السابقة لقيام الحرب العالمية الأولى(٤٠) .

ومع أن الآلات الميكانيكية قد طرقت باب الزراعة في أوروبا منذ عدة قرون إلا أن استخدامها بقي محدوداً جداً في لبنان وهذا يعني أن الفلاح اللبناني ظلّ في تلك الفترة على الأقل يستخدم المحراث الخشبي الذي تجرّ الحيوانات في فلاحة الأرض وزراعتها كما ظل يعتمد على ساعده في تسميد المزروعات وريها(٤١) . هذا وكانت مشكلة الريّ من المشاكل التي عانتها الزراعة اللبنانية في تلك الحقبة . وذلك يعود إلى كون مشاريع المياه المعدة لريّ الأراضي نادرة الوجود ، والأراضي الزراعية التي تصلها مياه الريّ محدودة المساحة . ويبدو أن قسماً صغيراً من أراضي السواحل اللبنانية تروى من بعض الينابيع التي يسهل الوصول إلى مائها . أما سائر الأراضي التي لا تصل إليها مياه الينابيع المذكورة ، فكان أصحابها يصرفون الأموال الطائلة في سبيل الحصول على ريها بواسطة الآبار والنواعير . أو يعتمدون على مياه الأمطار في الحصول على الماء اللازم(٤٢) .

وكان جهل الفلاح اللبناني وقلة خبرته بطرق التسميد الحديثة قد أعاق نمو الزراعة كثيراً وحدّ من تطور الانتاج الزراعي . بل عمل على تدني المحصول بين عامي ١٩١١ - ١٩١٢(٤٣) . هذا ناهيك عن الأمراض التي كانت تفتك بالمزروعات من حينٍ لآخر(٤٤) .

أزاء هذا الواقع الذي كانت تعيشه الزراعة في المرحلة الأخيرة من متصرفية جبل

---

(٤٠) Elie Safa, **L'émigration Libanaise,** Beyrouth 1960, p. 189- 190.

(٤١) عظمة : **تطور المصرف التجاري في نطاق سوريا الاقتصادي** ص٢٣ .

(٤٢) **لبنان مباحث علمية واجتماعية** ، الجزء الثاني ص٤٧٤ وما بعدها .

(٤٣) Ruppin; **«Syrien Wutschaftsgehiet zum Tropeup» Flanzer,** No 35, 1916.
نقلاً عن وجيه كوثراني ، **بلاد الشام** ، بيروت ١٩٨٠ ص ١١٦ - ١١٧ .

(٤٤) ألبرت خوري : الزراعة في سوريا ولبنان ورد عند سعيد حمادة : **النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان** بيروت ١٩٣٦ ، ص ١١٣ .

لبنان ، فإن الإنتاج الزراعي للمواد الغذائية ، كان متدنياً جداً ولم يكن يتعدّى ثلث ما يحتاجه سكانه خلال عام[٤٥] .

هذا ولما كانت الأراضي اللبنانية تمتد من ساحل البحر ، حيث الدفء والحرارة (تصل الحرارة إلى ٣٥ درجة فوق الصفر) ، إلى أعالي القمم في جباله ، حيث الصقيع والجليد (تتدنى الحرارة إلى ١٠ درجات تحت الصفر) فإن المزروعات التي عرفها الفلاح اللبناني آنئذٍ كانت متنوعة بتنوع المناخات التي عرفتها هذه الأرض .

ويمكننا ذكر أهم المزروعات اللبنانية كما يلي :

١ ـ الحبوب :

كانت تُزرع في معظم المناطق اللبنانية وأهم أنواعها : القمح والشعير والذرة الصفراء والكرسنة والباقية والعدس والفول والترمس والفاصوليا والحمص . . .

ويمكن تقدير إيرادها السنوي من الاحصاءات المتوافرة لدينا كما يلي[٤٦] :

---

(٤٥) Dominique Chevallier: **La societé du mont Liban a l'époque de la Révolution industrielle en Europe,** Paris 1971 p. 42.

(٤٦) لبنان مباحث علمية واجتماعية ، ص ٤٥٨ . إبراهيم الأسود تنوير الأذهان في تاريخ لبنان ، بيروت ، ١٩٢٥ . ص ١٢ ـ ٢٣ .

Georges Samné, **La Syrie,** p 132.

الحبوب	المساحة المزروعة بالهكتار	كمية الانتاج بالكيلوغرام
قمح	٧ ٥٣٣	٢٥٠ ٠٠٠٠
شعير	٢ ٣٠٠	١٥٠ ٠٠٠٠
ذرة صفراء	٢٣٨	١٢٠ ٠٠٠
كرسنة	١٧٠	١٣٠ ٠٠٠
باقية	٨٣	٩٠ ٠٠٠
عدس	١٥١	٨٠ ٠٠٠
فول	٩٥	٥٠ ٠٠٠
ترمس	١٠	٤٠ ٠٠٠
فاصوليا	١١	١٣٠ ٠٠٠
حمص	٢٠٠	١٩١ ١٤٦
المجموع	١٠ ٧٩١	٤٨٣ ١١٤٦

٢ ـ الزيتون :

كان يُزرع الزيتون في معظم أنحاء الجبل اعتباراً من ساحل البحر إلى ارتفاع ٨٠٠ متر ، ولكن يكثر تواجده في سهل الشويفات وقضائي الكورة والشوف . وتغطي أشجاره مساحة من الأراضي تصل إلى ١٢٧٠٠ هكتار(٤٧) . ويقدّر انتاجه السنوي بـ٧٠١٥٢٢٥ كيلوغراماً يعطي ربع هذه الكمية زيتاً أي ما يعادل ٤٣٨٤٣٣ كيلوغراماً(٤٨) . وحسب الاحصاءات التي تعود إلى تلك الفترة كان مردود لبنان من هذه المادة يبلغ حوالى ٥٠ مليون قرش عثماني(٤٩) .

(٤٧) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٥٩ .

(٤٨) Vital Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine...** p220.

(٤٩) Mounir Ismaïl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs** p. 451.

لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٥٩ .

٣ ـ الأشجار المثمرة :

وهي منتشرة في عموم أراضي لبنان : كالتين والموز والليمون والتفاح والإجاص والمشمش والخوخ والقراصيا والدراق والكرز والجرانك والسفرجل والاكيدينيا والرما والقشطة والعناب والزعرور واللوز والجوز والعنب الذي اتسعت زراعته في بداية هـ القرن حتى شملت معظم مناطق جبل لبنان . ولكنها تمركزت بشكلٍ ظاهر في الأراض الواقعة بين زحلة وبحمدون وفي الأراضي الواقعة شمالي غربي قضاء الشوف وفي قض جزين وفي الأجزاء الساحلية من قضاء الكورة(٥٠) . وكان لبنان يصدر سنوياً معظ إنتاجه من العنب إلى الخارج ويستخدم الباقي في صناعة الخمور(٥١) .

وكانت زراعة الخرنوب في المناطق التي تُعرف اليوم باسم إقليم الخروب الذ يتبع من الناحية الادارية قضاء الشوف . وهو يعطي دبساً لذيذاً ومفيداً ويدخل صناعة الحلوى . أما خشبه فيستخدم في صناعة الأثاث وقشره يُستعمل للدباغة كما يقد علفاً للحيوانات(٥٢) .

ويمكننا إعطاء صورة تقريبية عن انتاج لبنان من الأثمار كما وردت في بعض المصا التي تعود إلى تلك الفترة(٥٣) .

(٥٠) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٦١ .

(٥١) eorges Samné, **La Syrie,** p 131.

(٥٢) ...نان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٥٩ .

(٥٣) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٣٧٧ ـ ٣٧٨ . إبراهيم الأسود : تنوير الأذهان ص ٢٣ ital Cuinet, op. cit, p221.

الأثمار	المساحة المزروعة بالهكتار	الانتاج بالكيلوغرام	القيمة بالقروش
ليمون وموز وقصب سكر	٤٥٠	١ ١٧٠ ٠٠٠	٢ ٣٤٠ ٠٠٠
تين	٥٥٠	٨٧ ٧٥٠	٨٨٠ ٠٠٠
تفاح وإجاص	٤٠٠	٥٠٠ ٠٠٠	٨٠٠ ٠٠٠
عنب	٢ ٣٠٠	٨ ٢٨٠ ٠٠٠	٦ ٢١٠ ٠٠٠
خرنوب	٢ ١٠٠	١٢ ٦٠٠ ٠٠٠	٣ ١٥٠ ٠٠٠
المجموع	٥ ٨٠٠	٢٢ ٥٣٧ ٧٥٠	١٣ ٣٨٠ ٠٠٠

٤ ـ البقول والخضار :

كانت تُزرع في مختلف المناطق اللبنانية ومن أنواعها : الباذنجان والبندورة والملفوف والقرنبيط والبصل والشمندر والثوم والخيار والقثاء والكوسى والقرع واليقطين والبطيخ والبامية والفجل والجزر واللفت والقلقاس والخس والسلق . وكان انتاجها لا يفي بحاجة الأهالي(٥٤) .

وفي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين أقبل أهالي لبنان على زراعة البطاطا حتى شملت الأرض المزروعة منه مساحة تتراوح بين ٢٠٠ و٥٠٠ هكتار ويتراوح محصولها السنوي بين ٦٠٠٠٠٠ ـ ١٠٠٠٠٠٠ كيلوغرام(٥٥) . وبصورة عامة فإن قيمة ما ينتجه لبنان من البقول والخضار تصل إلى حوالي ١٣١٠٠٠٠٠ قرش عثماني(٥٦) .

٥ ـ زراعة التوت وتربية دود القز :

يمكن زراعته في المناطق اللبنانية التالية :

---

(٥٤) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٣٩٣ .

(٥٥) Georges Samné, **La Syrie**, p 132.

(٥٦) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٥٨ .

ـ السهول الساحلية وأهمها : السهول الواقعة ما بين بيروت وصيدا وما بين بيروت وطرابلس .

ـ المنطقة الجبلية التي تتراوح بين ٢٥٠ متراً و٨٠٠ متر وهي تشمل القسم المنخفض من جبال لبنان الغربية والشرقية والسهول الممتدة بينهما .

ـ المنطقة العليا التي تتراوح بين ١٥٠٠ إلى ١٨٠٠ متر(٥٧) . وتُقدر عدد أشجار التوت المزروعة في لبنان عام ١٩٠٠ بـ ٢٨٠٠٠٠٠٠ شجرة مغطية مساحة ١٤٠٠٠ هكتار(٥٨) . ولكن منذ ١٩٠٣ بدأت هذه الزراعة تتراجع وخاصة على السواحل لتحل محلها أشجار البرتقال التي أمنّت للفلاحين والمالكين ربحاً أوفر(٥٩) . ويبدو من الأرقام التي أوردها ديكوسو « Ducousso » عن عدد أشجار التوت في ولاية سوريا ٣٣٩٥٠٠٠٠ شجرة وعن عددها في ولاية بيروت ٩١٧٠٠٠٠ شجرة . إن زراعة التوت تتمركز في الجبل اللبناني بشكلٍ ظاهر رغم ضيق أراضيه الزراعية وذلك عائد إلى انتشار واسع لتربية دود القز ومصانع حلّ الشرانق في القرى والمدن اللبنانية(٦٠) . ولعل ذلك يعود أيضاً إلى جهل اللبنانيين بزراعة أو صناعة تدر أرباحاً أفضل . وهذا ما يُفسر لنا تراجع هذه الزراعة في مطالع القرن العشرين حين تبدّى لهم أفضلية زراعة الليمون بإصنافه المختلفة . وللتوت موسمان في السنة يصلح الأول منهما لتغذية دود القز ويستخدم الثاني علفاً للمواشي . وأفضل التوت ما يُزرع على الأكمات والجبال في أراضٍ خفيفة بعلية رغماً عن كون الشجرة في هذه الحال أقل حملاً . وفي هذه الأراضي تبلغ أقصى نضجها في سنتها العشرين . وقد تعيش من ثمانين إلى مائة سنة . وأصلح التوت لتربية دود القز ما زُرع في مناطق تستمر الحرارة فيها فوق ١٢ درجة سنتيغراد مدة ثلاثة أشهر بعد المباشرة بقطف الورق(٦١) .

وكان لتربية دود القز دور بارز في تزايد هذه الزراعة في لبنان في أواخر القرن

---

(٥٧) الأمير موريس شهاب . دور لبنان في تاريخ الحرير . بيروت ١٩٦٨ ، ص٣٥ .

(٥٨) Gaston Ducousso, **L.Industrie de la sole en Syrie et au Liban** Paris- Beyrouths, 1913, p118.

(٥٩) Ibidem, p 117.

(٦٠) Ibidem, p 134.

(٦١) الأمير موريس شهاب : المصدر السابق ص ٣٦ .

التاسع عشر وبداية القرن العشرين . وقد بلغ انتاج شرانق الحرير في لبنان سنة ١٨٥٥ ١٢٠٠٠٠٠ أقة[٦٢] (١٥٠٠٠٠٠ كيلوغرام) . ويمكننا إيراد مقداره السنوي في سوريا ولبنان من عام ١٨٦٠ إلى عام ١٩١١ على الشكل التالي[٦٣] :

السنة	كيلوغرام
١٨٦١ ـ ١٨٧٠	١ ٦٦١ ٢٠٠
١٨٧١ ـ ١٨٨٠	١ ٩٨٨ ٠٠٠
١٨٨١ ـ ١٨٩٠	٣ ٤٠٩ ٠٠٠
١٨٩١ ـ ١٩٠٠	٤ ٨٦٥ ٠٠٠
١٩٠١	٤ ٦٥٠ ٠٠٠
١٩٠٢	٥ ٦٧٠ ٠٠٠
١٩٠٣	٥ ٣٨٠ ٠٠٠
١٩٠٤	٤ ٩٦٥ ٠٠٠
١٩٠٥	٥ ٣٣٠ ٠٠٠
١٩٠٦	٥ ٠٨١ ٠٠٠
١٩٠٧	٥ ٨٤٠ ٠٠٠
١٩٠٨	٥ ٤٧٦ ٠٠٠
١٩٠٩	٤ ٨٧٥ ٠٠٠
١٩١٠	٦ ١٠٠ ٠٠٠
١٩١١	٦ ٠٨٠ ٠٠٠

وكانت حصة جبل لبنان من هذا الانتاج تصل إلى ٣/٤ هذه الكمية تقدّر قيمتها بـ ٦٠ مليون قرش[٦٤] . ويُلاحظ جيداً من هذه الأرقام أن حاصلات الشرانق كانت

(٦٢) الأمير موريس شهاب ، دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص ٤١ .
(٦٣) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص ٤٨٨ ـ ٤٩٠ .
الأمير موريس شهاب : المصدر السابق ص ٤١ .
(٦٤) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs**, p. 453.

بازدياد دائم ، أمّا ما يظهر من انحطاط في زراعة التوت وتربية القز في بعض السنين كسنتي ١٩٠٩ و١٩١١ قياساً إلى السنوات السابقة فإن ذلك يعود بالأرجح إلى جهل المزارعين والمربين ، وحدوث شتاء قاسٍ في لبنان(٦٥) ، ويعود أيضاً إلى مزاحمة الحرير الذي كثر انتاجه في المدة الأخيرة في دول بحر الأبيض المتوسط وخصوصاً في فرنسا وايطاليا(٦٦) . أما بذور القز فكانت تُستورد من القفقاس أو العجم أو الهند أو ايطاليا سنة ١٨٥٧ . ولكن مردود هذه البذور لم يكن في المستوى المطلوب . وكان البذر المصري يعطي انتاجاً أفضل . ولكنه في عام ١٨٦٥ فشل فشلاً تاماً وتوقفت تربيته .

ومنذ عام ١٨٦٣ اكتسح البذر الياباني السوق اللبناني ، رغماً عن بعض الصعوبات التي رافقت تربيته في بادىء الأمر . لكن الفلاح اللبناني نجح في تحسين أصنافه فجنى ثمار هذا التحسين بضع سنين(٦٧) . وكانت أوقية هذا البذر تنتج ٢٥ إلى ٣٠ كيلوغراماً من الشرانق الحريرية من جنسٍ جيد ، رغم أنه لا يُعادل بجودته انتاج البذر المصري(٦٨) ، ولكن البذر الياباني المحسّن ما لبث بدوره أن ضعف انتاجه . فاضطر لبنان للعودة إلى استيراد البذر ، بعد أن أصبح مصدراً له(٦٩) .

وفي العشر السنوات الأولى للقرن العشرين بلغ ما وضع قيد الفقس في لبنان وسوريا في كل سنة ما يقارب ٢٥٠٠٠٠ أوقية من البذر استُهلكت في سنوات ١٩٠٦ - ١٩١١ على الشكل التالي :

١٥٠٠٠٠ أوقية من الأصناف الصفراء المستوردة من فرنسا .
٦٥٠٠٠ أوقية من الأصناف الصفراء الوطنية .
٣٥٠٠٠ أوقية من الأصناف الصفراء والبيضاء انتاج بورصة ايطاليا(٧٠) .

وبلغ سعر أوقية البذر سنة ١٨٦٧ ١٦ إلى ٢٠ فرنكاً . ووصل بعدئذٍ إلى ٣٠

---

(٦٥) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٨٨ - ٤٨٩ .

(٦٦) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs**, p. 454- 455.

(٦٧) Gaston Ducousso, **L'industrie de la Soie**, P 65- 67.

(٦٨) موريس شهاب ، دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص ٤٥ .

(٦٩) Gaston Ducousso, op. cit,. p 68.

(٧٠) Ibidem, p 75.

لكن هذه الأسعار ما لبثت أن هبطت سنة ١٩١٢ إلى أربعة فرنكات وبعضها إلى فرنكين وذلك بسبب المزاحمة التي اشتدت بين المنتجين الفرنسيين أنفسهم وبينهم وبين الايطاليين[٧١] .

وبينما كان انتاج أوقية البذر الايطالي الميلاني سنة ١٩١٣ يصل إلى ٣٥ وحتى ٣٨ كيلوغراماً من الشرانق ، فإن الأصناف الفرنسية لا تنتج في المناطق الجبلية التي نجحت فيها أكثر من ٣٠ كيلوغراماً أما إنتاج البذر الوطني فكان لا يفوق ٢٠ إلى ٣٠ كيلوغراماً[٧٢] .

٦ ـ التبغ والتنباك :

كانت زراعة التبغ كثيرة الانتشار في جبل لبنان حتى أن انتاجه كان يأتي بعد الحرير في الأهمية[٧٣] ، وقد قدّر بعضهم انتاج لبنان من التبغ في أواسط القرن التاسع عشر بـ٣٠٠٠٠٠ أقة (٣٧٥٠٠٠ كيلوغرام) . ولكن عندما تشكلت شركة حصر التبغ العثمانية سنة ١٨٨٣[٧٤] أخذت زراعة التبغ اللبناني تتراجع عاماً بعد عام حتى كادت أن تنقرض نهائياً . وذلك بسبب مزاحمة التبغ الإسلامبولي للتبغ اللبناني في أسواق مصر . هذا فضلاً عمّا اعتراه من الكساد في أسواق الجبل بالذات . حيث أخذ المدمنون على التدخين يستخدمون الدخان المستورد من الريجي . إلا أن سكان الجبل تنبهوا أخيراً إلى أهمية التبغ من الناحية الاقتصادية فاستحصلوا على بذور من التبغ الأجنبي الاسلامبولي . وأخذوا يزرعونها بكثرة في المناطق اللبنانية . وهكذا حتى عادت زراعته منذ بدايات هذا القرن (١٩٠٠ ـ ١٩١٤) تعود إلى سابق عزّها . علماً بأن التبغ الوطني ظلت زراعته مزدهرة في شمالي لبنان . وكان يصدر منه كمية لا تقل عن عشرين

---

(٧١) الأمير موريس شهاب : دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص ٤٧ .

(٧٢) موريس شهاب : دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص ٤٧ .

(٧٣) ألبرت خوري : الزراعة في سوريا ولبنان ورد عند سعيد حمادة : **النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان** ، ص٨٢ .

(٧٤) انتهى مفعول الاتفاق الذي تمّ بين شركة الريجي وحكومة المتصرفية بشأن تصريف الانتاج من التبغ اللبناني في أول آذار ١٩١٤ وبشأن التنباك في آب من العام نفسه .

Said Shoucair: **Rapport sur les Finances du liban le 6 Octobre 1913** p12.

ألف أقة (٢٥٠٠٠ كيلوغرام) إلى مصر[٧٥] .

وتُقدر المساحة المزروعة تبغاً من النوع الوطني والأجنبي في ذلك الحين بـ ٣٠٠ هكتار . كان محصولها السنوي ٢٠٠٠٠٠ أقة (٢٥٠٠٠٠ كيلوغرام) تصدّر معظمها إلى أوروبا[٧٦] .

فيكون ربح لبنان الصافي من هذه المادة أكثر من مليوني قرش عثماني[٧٧] .

أما التنباك فقد ظهرت زراعته في جنوبي لبنان منذ أوائل القرن العشرين ولكن انتاجه كان محدوداً جداً[٧٨] . وفي عام ١٩٠٣ قررّت حكومة جبل لبنان تلزيم محصول التنباك لدائرة الريجي بمقابل ١٨٠٠ ليرة عثمانية[٧٩] .

٧ ـ الأحراج :

تنقسم الأحراج في لبنان إلى صنفين : طبيعية وزراعية . فالأحراج الطبيعية كان أكثرها ملكاً لحكومة المتصرفية وقسم بسيط منها خصوصي .

ومن أهم أحراج الحكومة ، حرج في ناحية الهرمل قدرّت مساحته بـ ٤٥٠٠٠ هكتار[٨٠] كانت تنبت فيه أشجار السنديان والملوّل في أجزائه الواطئة وأشجار السرو واللزاب والعرعر وقليل من الأرز في أقسامه العالية . وقد بلغت قيمة

---

(٧٥) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤١٧ ـ ٤١٨ .

(٧٦) Georges Samné, **La Syrie,** p 131.

أوردت القنصلية النمساوية في بيروت عام ١٩١٢ احصاء يستدل منه أن لبنان كان ينتج كمية من التبغ تُقدر بـ٩٠٠٠٠ إلى ١٠٠٠٠٠ كلغ أجنبي و٨٠٠٠٠ إلى ٨٥٠٠٠ كلغ تركي. مجلة الشرق الثائر عام ١٩٣٦ ، ص٧٤ . سلطاتوف : **احتكار التبغ في سوريا والنضال ضده** .

(٧٧) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٧٠ .

(٧٨) بدر الدين السباعي : **أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا** ، ص٤٣ ـ ٤٤ .

(٧٩) الإقبال ، عدد ٢٠ ، تاريخ ٩ شباط ، ١٩٠٣ .

(٨٠) حسني الصواف : **ثروة البلاد الطبيعية** ورد عند سعيد حمادة : **النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان** ص٤١ .

الأرباح التي دخلت خزينة الجبل سنة ١٩١٠ من هذا الحرج ٤٥٨٨ ليرة[٨١] . وهناك أيضاً حرج سنديان وملول للحكومة في قضاء كسروان قُدرت مساحته بـ٥٠٠٠ هكتار قطعت السلطات العسكرية التركية خلال الحرب معظمه[٨٢] .

وكانت الأحراج في جبل لبنان تعود ملكيتها إلى البلديات وتقع معظمها في جهات اهدن وبشري والباروك وجزين . قُدرت مساحتها بـ٣٠٠٠٠ هكتار ، تنبت فيها أشجار السنديان والصنوبر[٨٣] .

بالإضافة إلى هذه الأحراج كان يوجد في مناطق مختلفة من الجبل أحراج خاصة بالقرى والأهالي . ففي كل قرية حرج على جانب من الأهمية من الصنوبر والصفصاف وغير ذلك من الأشجار[٨٤] .

وقُدرّت قيمة ما ينتجه الأهالي من الصنوبر بـ٥٠٠٠ ليرة وإن مدخول رسوم الأحراج التي كانت تتقاضاه الحكومة على نقل الفحم والحطب من أحراج الجبل بـ٤٨٠٠٠٠ قرش يُدفع منها لمرتبات الموظفين ١٨٣٦٠٠ قرش[٨٥] .

٨ ـ تربية النحل :

كانت تربيته رائجة في لبنان ولكنها ضعفت في فترة ما قبل الحرب وقد اشتهر في الجبل عسل فاريا ومزرعة كفرذبيان وبلونة وساحل علما في كسروان . ثم عسل الناقورة وتنورين في قضاء البترون وعسل بسكنتا في قضاء المتن وعسل الهري في قضاء الكورة . . . وقد عدل محصول النحل في ذلك الحين بسبعة آلاف أقة سنوياً أي ما

---

(٨١) Said Shoucair: **Rapport sur les Finances du liban le 6 Octobre 1913** p12.

(٨٢) حسني الصواف : المصدر السابق ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٨٣) المرجع نفسه .

(٨٤) قدر المستر هوفلين مساحة الغابات في نطاق سوريا ولبنان وفلسطين (بلاد الشام) بـ٢٩٠٠٠٠ هكتار سنة ١٩٠٨ .
Paul Huvelin, **Que vaut la Syrie,** p19.

(٨٥) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٦٧ .
Said Shoucair: **Rapport sur les Finances du liban le 6 Octobre 1913** p12.

يعادل ٩ آلاف كيلوغرام من العسل[٨٦] .

٩ ـ الحيوانات :

ـ البقر :

كانت تربية البقر منتشرة في معظم المناطق اللبنانية . وكانت هذه الحيوانات معدّة . أما للحراثة أو للاستفادة من حليبها[٨٧] . وقد قُدّر عدد الأبقار في لبنان بنحو ٣٩٠٠٠٠ رأس منها ١٢٥٠٠ رأس للشغل[٨٨] .

ـ الغنم :

كانت تربية الغنم في لبنان محدودة جداً فكان كل بيت يكتفي بتربية خروف لمؤونة الشتاء . ونادراً ما تجد قطيعاً من الغنم يسرح في الحقول . وكان الغنم يُربى للاستفادة من لحمه أو حليبه أو صوفه أو جلده ، وقد قُدرت أعداد الغنم الموجودة في ذلك الحين بـ٢٥٠٠٠ رأس كانت تُعطي حوالي ٣٠٠٠٠ كيلوغرام من الصوف سنوياً[٨٩] .

وكان لبنان يستود من أوروبا وخصوصاً فرنسا حوالي ٩٠٠٠٠٠ كيلو من لحوم الغنم[٩٠] .

ـ الماعز :

أكثر الحيوانات رواجاً في جبل لبنان . كانت أعدادها تُقدّر بـ١١٣٥٠٠ رأس كانت تعطي محصولاً من الشعر يعدّل بنحو ٢٠٠٠٠٠ كيلوغرام كانت تُستخدم في صناعة الخيم والأعدال[٩١] .

---

(٨٦) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٣٠ .

Vital Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine**... p222.

(٨٧) Georges Samné, **La Syrie,** p 126.

(٨٨) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٣١ .

Vital Cuinet, op. cit, p222.

(٨٩) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs**, p. 457.

(٩٠) Georges Samné, **La Syrie,** p 126.

(٩١) لبنان مباحث علمية واجتماعية الجزء الثاني ، ص٤٦٥ . إبراهيم الأسود تنوير الأذهان ص ٢١ .

ـ دواب النقل :

هي الخيل والبغال والحمير وكانت أجناسها الموجودة في الجبل قوية وجيدة . ومن جملة دوابهم في الجبل لحمل الأثقال الجمال . كانوا يحصلون عليها من الداخل . إلا أنها قليلة ، وقُدّر عدد الخيل بنحو ٦٤٠٠ رأس والحمير بـ٧٠٠٠ رأس والبغال بـ٢٠٠٠ رأس والجمال بـ٥٥٠ رأساً[٩٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن قيمة منتوجات سوريا بما فيها لبنان من الألبان واللحوم والصوف والجلود كانت تُقدر بـ٩٥٠٠٠٠٠٠ فرنك فرنسي[٩٣] .

ب ـ المعادن :

إن المواد المعدنية التي اكتُشفت في الأراضي اللبنانية هي النحاس والزئبق والكبريت والسنباذج والفحم الحجري « ليكنيت » Lignite والحديد . لكن كمياتها كانت ضئيلة جداً ولا يمكن الاستفادة منها كثروة كبيرة لذلك أُهملت . أما ما استُخرج منها فهو معدن الفحم الحجري في مرجليا الذي استخرجته ادارة تشغيل المعادن ليُقدم محروقات للسكة الحديدية وقد استخرجت هذه الادارة ما يقارب ١٣٠٠ طن سنة ١٩١٤[٩٤] .

وخلافاً للمادة المعدنية فإن لبنان غني بمقالع الحجارة وخاصة الحجارة الكلسية Calcaire التي كانت تُنقل إلى المناطق المجاورة التابعة لولاية دمشق وبيروت حيث تُباع هناك[٩٥] . وكانت تُقدّر رسومها بـ٣٠٠ ليرة سنوياً[٩٦] .

---

(٩٢) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٣٠ ـ ٤٣١ .

(٩٣) Ruppin, «Syrien Wutschaftsgebiet Zum Tropeup, Flanzer N: 35, 1916. نقلاً عن وجيه كوثراني « بلاد الشام » ص ١١٧ .

(٩٤) حسني الصواف . ثروة البلاد الطبيعية : ورد عند سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ص ٣٨ ـ ٣٩

Paul Huvelin, **Que vaut la Syrie** p, 25 .

(٩٥) Berget- Levrault, La Syrie et le Liban sous l'Occupation et Le Mandat Francais, 1919-1927, p 241.

(٩٦) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٦٨ .

ج ـ الصناعة :

كانت الصناعة اللبنانية قبل الحرب ضيقة النطاق قليلة الخبرة ، تستخدم الأساليب القديمة في العمل . وكان معظم العمال من النساء اللواتي كن يعملن في حلّ شرانق الحرير وحياكة خيوطها ، ويتقاضين أجوراً زهيدة ويعملن في ظروف صعبة . . . وساعات متتالية وطويلة تصل إلى أكثر من ثلاث عشرة ساعة في اليوم(٩٧) .

والواقع أن الصناعة اللبنانية كانت عبارة عن صناعات بيتية أو حرفية كان يقوم بها العمال في منازلهم أو في معامل بسيطة أولية(٩٨) .

وكانت الآلات الحديثة المستخدمة فيها قليلة جداً وتكاد تكون معدومة وما وجد منها فكان بسيطاً للغاية . ولهذا كانت الأنوال الوطنية التي تسُيرها اليد شائعة الإستعمال في حياكة الحرير(٩٩) .

وقد تعرضت المنتوجات الصناعية الوطنية إلى منافسة البضاعة الأجنبية التي امتازت بجودتها ورخص أسعارها(١٠٠) .

ويبدو أن هذه الصناعة كانت تعتمد على المواد الأولية التي تنتجها الزراعة كصناعة النسيج والجلود والصابون وطحن الحبوب . . .

أما أهم الصناعات الوطنية التي كانت منتشرة في جبال لبنان ما بين ١٩٠٨ ـ ١٩١٤ فهي :

١ ـ صناعة المواد الغذائية :

كان أهمها طحن الحبوب . وهي منتشرة في كافة أنحاء الجبل . وكانت الطواحين

---

(٩٧) موريس شهاب . دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص٥٠ .

(٩٨) جورج حكيم : الصناعة في سوريا قبل الحرب ورد عند سعيد حمادة : **النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان** ، ص ١٢٤ .

(٩٩) Gaston ducousso, **L'Industrie de la soie** p. 133- 134.

(١٠٠) Charles Issawi, **the Economic History of the Middle East 1800- 1914,** Beyrouth 1966, p 221.

تُدار بالماء وتعتمد الأساليب القديمة في العمل . أما ما وُجد منها على البخار فقليلة جداً . ويُقدر عددها بأربع أو بخمس مطاحن كان بإمكانها غربلة الحب وتصويله وتجفيفه وطحنه وإفراز نخالته(١٠١) .

وكانت صناعة زيت الزيتون رائجة في لبنان كذلك ، ومعاصره موزعة في مراكز زراعته . . . وهي عبارة عن مكابس عادية مصنوعة في الجبل . ولكن قبل الحرب بدأ الأهالي يستعملون الطرق الحديثة في إستخراج الزيت وقد أُنشئت لهذه الغاية عدة معامل حديثة كانت تعطي انتاجاً جيداً يصدر معظمه إلى الخارج(١٠٢) . ويقدر ما يكسبه لبنان من هذه المادة بـ١٢٥٠٠٠٠٠ قرش(١٠٣) .

وبالإضافة إلى هاتين الصناعتين كان في جبل لبنان صناعة الجبن وخاصة البلدي . وصناعة الزبدة والسمن ولكن هذه الصناعات كانت بدائية وتعتمد على همّة الفلاحين في منازلهم . إذ لم يكن في جبال لبنان معامل خاصة لصنع الألبان ومشتقاتها . وبالرغم من ذلك فقد جنى اللبنانيون من هذه الصناعة أرباحاً لا بأس بها(١٠٤) .

٢ ـ صناعة الصابون :

كانت صناعة الصابون تجري على الطرز القديمة ، وكان انتاجها يختلف بالنسبة لكمية الزيت المتوفرة من سنة إلى أخرى . ويُقدر ما يصنعه لبنان من هذه المادة في فترة ما قبل الحرب بـ ٢٠٠٠٠٠٠ أقة(١٠٥) ، وكانت قيمة الصادرات اللبنانية من هذه المادة ١٥٠٠٠٠٠ قرش(١٠٦) .

---

(١٠١) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٣٥ .

(١٠٢) جورج حكيم : الصناعة في سوريا قبل الحرب ورد عند سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ص ١٧٩ - ١٨٠ .

(١٠٣) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٧٠ .

(١٠٤) نفس المصدر ص ٤٣٦ - ٤٣٧ .

(١٠٥) Charles Issawi, **the Economic History of the Middle East 1800- 1914,** p 281.

(١٠٦) ابراهيم الأسود : تنوير الأذهان ، ٢٤ .

٣ ـ صناعة الخمور :

أما صناعة تقطير العرق فكانت مزدهرة في لبنان كذلك . وقد اشتهر في المتصرفية عرق الذوق وعرق زحلة . وكانت مدينة زحلة منفردة تصنع كمية من الخمر تقدر بـ٣٥٠٠٠ كيلو ، وكمية من العرق تصل إلى ١٠٠٠٠٠ كيلوغرام . كانت تصدّر منه إلى الخارج وخصوصاً إلى أميركا . وقد بلغ ما يكسبه لبنان من هذه الصناعة بـ٥٢٠٠٠٠٠ قرش(١٠٧) .

٤ ـ صناعة الصباغة والدباغة :

كانت صباغة الألبسة معروفة في لبنان ولكن كان يقتصر عملها على صبغ أقمشة الملبوسات البسيطة . أمّا صناعة الدباغة واستحضار الجلود فقد تطورت بعض الشيء في السنين العشر الأوائل من القرن العشرين(١٠٨) ، ووصل مردود جبل لبنان من هذه الصناعة إلى حوالي ٢٧٠٠٠٠٠ قرش(١٠٩) .

٥ ـ صناعة حل شرانق الحرير :

تطورت طرق صناعة الحرير في القرن التاسع عشر بعد أن كانت بسيطة وانتشرت معامل حل الحرير في جبل لبنان بحيث لم تعد تخلو منها بقعة من بقاعه(١١٠) وكان عدد مصانع الحل في سوريا ولبنان التي يُطلق عليها اسم الكراخين ١٩٤ . كان يعمل منها في لبنان ١٥٢ معملاً(١١١) كانت تشتمل على ٨٦٦٩ دولاباً وفي عام ١٩١٠ توقف حوالي ٢٥ معملاً منها عن العمل ، إما لصعوبة الحصول على المال اللازم لتحريك العمل ، وإما لصعوبة في إيجاد أيدٍ عاملة . وكان أحد هذه المعامل وهو لصاحبه الفرنسي فورتينة بورتاليس (Portalis) ، ينتج خيوطاً حريرية ممتازة . تليه في الجودة أربعة معامل كان

---

(١٠٧) Vital Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine**... p221.

(١٠٨) سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ص١٧٢ .

(١٠٩) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٧٠ .

(١١٠) سليمان البستاني : عبرة وذكرى ـ أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده بيروت ١٩٧٨ ، ص٢١٦ ـ ٢١٧ .

(١١١) Charles Issawi, op. cit. p280.

من بينها « كرخانة أرملة غيران وأولادها » المنشأة في القرية قرب بحمدون . تعطي حريراً من النوع الفاخر أو الأكسترا . . . وينتج عشرون معملاً أخرى ، « كمعمل مورغ دالغ » « Mourgue d'Algue » في عين حمادة ، حريراً من الدرجة الأولى بينما باقي المعامل تصنع حريراً من الدرجة الثانية والثالثة(١١٢) .

يلاحظ مما تقدم أن المصانع الفرنسية الثلاث لم تكن تنتج إلاّ أنواعاً ممتازة والسبب يعود إلى أن هذه المصانع كانت مجهّزة بآلات حديثة للحل وأفران خاصة لخنق الشرانق بدلاً من الخلاقين . فمعمل القريّة مثلاً قد زوّده أصحابه عام ١٩٠٨ بحلاّلة من ٦ أطراف ، في حين كانت المعامل الوطنية تحلّ شرانقها من « طرفين » . . . ولا شك فإن الإنتاجية كانت تختلف بين هذه المعامل فالعاملة التي تعمل على حلاّلة من طرفين تنتج خلال ساعة ٢٠ غراماً من الحرير بينما تنتج ٣٠ أو ٣٥ غراماً عندما تعمل على حلاّلة من ٤ أطراف ، في حين تعطي ٥٠ غراماً إذا كانت الحلاّلة مؤلفة من ٦ أطراف(١١٣) .

ويظهر أن عدد العمال الذين كانوا يعملون في هذه المصانع سنة ١٩١١ حوالي ١٤٠٠٠ عامل من بينهم ١٢٠٠٠ من النساء . وكانت تتراوح أجور العاملة بين ثلاثة وستة قروش في اليوم وفقاً لمهارتها ، بينما كانت تقبض المبتدئة من قرش إلى قرشين ونصف . أما النظار والوقاد والمختبرون فأجورهم اليومية تراوحت من ٨ إلى ١٢ قرشاً . وكان العامل يحتاج لغذائه اليومي قرشين أو قرشين وربع(١١٤) . أما الكمية التي كانت تنتجها هذه المصانع فتقدّر حسب السنوات بالكميات التالية :

---

(١١٢) Gaston ducousso, **L'Industrie de la soie** p. 134.

(١١٣) Ibidem, p 134.

(١١٤) موريس شهاب . دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص٥٠ .

السنة	كيلوغرام
١٩٠١	٤١ ٠٠٠
١٩٠٢	٤٢٤ ٠٠٠
١٩٠٣	٤٩٤ ٠٠٠
١٩٠٤	٤٥٣ ٠٠٠
١٩٠٥	٤٨٠ ٠٠٠
١٩٠٦	٤٥٢ ٠٠٠
١٩٠٧	٥١٧ ٠٠٠
١٩٠٨	٤٧٤ ٠٠٠
١٩٠٩	٤٧٢ ٠٠٠
١٩١٠	٥٢٧ ٠٠٠
١٩١١	٥٢٤ ٠٠٠

أي ما يعادل ٤٦٥٨٠٠ كيلوغرام كمعدل سنوي(١١٥) . ويشير « M. Croizat » في تقريره عام ١٩١٩ إلى أن معدل انتاج شرانق الحرير قبل عام ١٩١٤ بلغ سنوياً ٤٥٠٠٠٠٠ كيلوغرام موزعة على الشكل التالي : ٣٧٠٠٠٠٠ كيلوغرام تنتج في جبل لبنان وسهل البقاع ، و٨٠٠٠٠٠ كيلوغرام في منطقة انطاقية(١١٦) . ويظهر أن القسم الأكبر من هذه الكمية كان يُصدّر إلى ليون عبر مرفأ بيروت . وحسب الاحصاءات التي بين أيدينا يمكن تقدير الصادرات كما يلي :

(١١٥) Gaston ducousso, **L'Industrie de la soie** p. 142.

(١١٦) Rapport sur ls Sericiculture en Syrie établi par M. Croizat à la suite de la mission envoyée en syrie par les chambres de commerce de lyon et de Marseille 1919

الكمية بالكيلوغرام	السنة
٣٣٤ ٦٠٠	١٩٠٥
٣٥٠ ٧٠٠	١٩٠٦
٣٦٠ ٥٥٠	١٩٠٧
٣٥٧ ٤٥٠	١٩٠٨
٢٢٠ ٠٠٠	١٩٠٩
٢٦٤ ١٠٠	١٩١٠

(١١٧)

وكذلك فإن انتاج عام ١٩١١ قد صدر القسم الأكبر منه إلى مدينة ليون . وقد بلغ سعر الكيلو بما فيه الأكلاف نحو ٤٥,٥٠ فرنكاً . أي ما يعادل ٢٦٧ قرشاً(١١٨) . وبصورة عامة فإن مردود لبنان من تجارة الحرير يمكن تقديرها كما يلي :

حرير خام	٢٥ ٠٠٠ ٠٠٠ قرش
شرانق حرير	٤٠ ٠٠٠ ٠٠٠ قرش
خيوط حريرية	٢٠ ٠٠٠ ٠٠٠ قرش
المجموع	٨٥ ٠٠٠ ٠٠٠ قرش (١١٩)

ومما تجدر الاشارة إليه أن صناعة الحرير قد جابهتها مشاكل كثيرة في تلك الأثناء كان أهمّها قضية عمل النساء والرجال في معمل واحد(١٢٠) . ثم هجرة الرجال بأعداد

(١١٧) Gaston ducousso, **L'Industrie de la soie** p. 142.

(١١٨) كانت الحكومة العثمانية تتقاضى رسماً على تصدير الحرير من الولايات بمعدل ١٢ ٪ من سعره بينما هذا الرسم كان لا يستوفى في لبنان ، لما له من نظام خاص . الأمير موريس شهاب . **دور لبنان في تاريخ الحرير** ، ص٥٠ ـ ٥١ .

(١١٩) إبراهيم الأسود : **تنوير الأذهان** ، ص٢٤ .

Georges Samné, **La Syrie,** p 256.

(١٢٠) الأمير موريس شهاب ؛ **المصدر السابق** ، ص٥٠ ـ ٥١ .

هائلة إلى خارج البلاد[١٢١] . . . وانتشار أعمال التخريم بالسنارة . إذ أن بالسنارة كانت تتقاضى يومياً من سبعة إلى تسعة قروش في بيتها . وقد أدّى ذل انخفاض عدد العمال في مصانع الحرير من ١٥ إلى ٢٠٪[١٢٢] ، كما أدّى إلى تقهة الصناعة في سنوات ما قبل الحرب فبينما كان معدل انتاج الحرير الخام في ما بين (٢ ١٩١١) ٥٠١٠٠٠ كيلوغرام هبط الانتاج عام ١٩١٢ إلى ٤٠٠٠٠٠ كيلوغرام[١٢٣]

ويبدو أن اتحاد تجار الحرير في ليون قد أدركوا هذه الظاهرة بقولهم : « إن دود القز وزراعة التوت لا يكفي أنها لا تتطور في سوريا بل إنها في تقهقر ظاهر منـ سنوات[١٢٤] .

٦ ـ صناعة النسيج :

شهدت هذه الصناعة تدهوراً ملحوظاً في القرن السابع عشر بسبب المنسوجات الفرنسية والايطالية والسويسرية للمنتوجات المحلية . ولكن في أوائل التاسع عشر أخذت هذه الصناعة تستعيد نشاطها من جديد فانتشرت نسائج أنوال وسوريا في أكثر البلاد العثمانية . وكثرت أنوال الحرير في حلب ودمشق ودير والذوق وزحلة وصيدا . وكان انتاج هذه الأنوال يتركز على الخيوط القطنية والـ كالزنانير والأعبئة والمشالح وأخمرة ومناديل وكوفيات وعراقي وبانتوفلات وأقمشة (كأغلفة اللحف والفرش والشراشف . . .)[١٢٥] . وقد وصل الانتاج اليومي لبنان البالغ عددها ٣٠٠٠ نول إلى ٤٥٠٠ ثوب من القماش يتراوح طول الثوب إلى ١١ متراً .

أما محصول لبنان السنوي من الديما فيبلغ ٨٠٠٠٠٠ قطعة تقدّر

---

(١٢١) روبرت فيدمر : السكان ورد عند سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ص ١٣ ـ
(١٢٢) الأمير موريس شهاب . المصدر السابق ، ص ٥١ .
(١٢٣) bre de Commerce de Marseille: **Note sur la valeur économique de la Syrie,** 1915. p. 22
نقلاً عن وجيه كوثراني : **بلاد الشام** . . ص١١٢ .
(١٢٤) «Union des marchands de soie de Lyon» نقلاً عن وجيه كوثراني : **بلاد الشام** . . ص
(١٢٥) **لبنان مباحث علمية واجتماعية** ج٢ ، ص٤٤٢ .

بـ ١٤٠٠٠٠ ليرة عثمانية هذا عدا أجور العمال الذين يشتغلون في هذه الصناعة بحيث تصل إلى ٢٠٠٠٠ قرش[١٢٦] .

وفي المرحلة الأخيرة من متصرفية جبل لبنان فإن هذه الصناعة قد اعتراها كساد ظاهر في معظم مناطق الجبل . وذلك يعود إلى عدم إقبال الأهالي على المصنوعات الوطنية وهجرة معظم سكان لبنان إلى المهجر . وقد بلغت الأنوال التي كانت لا تزال تعمل في مختلف مدن بلاد الشام عام ١٩١٣ ٥٧٤٥ نولاً موزعة على الشكل التالي :

البلدة	عدد الأنوال
دمشق	٢٥٠٠
حمص	٢٠٠٠
حلب	١٠٠٠
بيروت	٧٠
حماة	٦٠
طرابلس	٤٠
الذوق	٣٠
دير القمر	٢٥
صيدا	٢٠

(١٢٧)

ومن الواضح أن معظم هذه الأنوال كانت من الطراز القديم . ولكن في دمشق قد أُنشيء مصنع لأربعة وعشرين نولاً تُحرك بالكهرباء . وأحدثت الراهبات العازاريات منذ عام ١٨٦٢ عشرة أنوال تُحرك بالبخار إلى جانب أنوالها القديمة كانت تعطي محصولاً سنوياً يقدّر بـ ٤ أو ٥ آلاف متر من الأنسجة الحريرية البسيطة و« الملونة »[١٢٨] وقد

(١٢٦) المصدر نفسه . ص ٤٤٣ .

(١٢٧) Boutros Labaki, **Sericiculture et Commerce extérieur** p. 144- 145.

(١٢٨) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٤٣ .

بلغت قيمة الانتاج السنوي في سوريا ولبنان من المنتوجات الحريرية والحريرية اللحمة والقطنية السدة عشرين مليون فرنك فرنسي . وبصورة عامة فإن صناعة الحياكة كانت على تقهقر ظاهر عام ١٩١٣(١٢٩) . وبالإضافة إلى حياكة الألبسة الحريرية والقطنية كانت رائجة في الجبل بعض الأشغال اليدوية مثل : التطريز وشغل الأويا وبردايات التنول وأنوال الدانتيلا والأغطية للطاولات وغرنيتور ، كانت تُباع براوج كبير في أوروبا وأميركا . وكانت أرباحها تصل إلى ١٥ ألف ليرة سنوياً(١٣٠) .

٧ ـ صناعة حياكة الشعر والسلال :

راجت في المرحلة الأخيرة لمتصرفية جبل لبنان حياكة شعر الماعز في معظم المناطق اللبنانية خصوصاً في بلدة شحيم من أعمال قضاء الشوف حيث كانت تُصنع الحبال والأكياس والخوص التي تُستخدم في معاصر الزيت . أما صناعة السلال فقد راجت في بلدتي الدامور والجية ، وقد نال لبنان ربحاً صافياً من هاتين الصناعتين ، السلال وحياكة الشعر يقدّر بـ١٠٠٠٠٠٠ قرش(١٣١) .

٨ ـ صناعة الكلس والحجارة والقرميد والخزف وسبك الحديد :

كانت مقالع الحجارة منتشرة في معظم مناطق لبنان . وكان يقتصر الاستفادة منها محلياً ولكن في السنين الأخيرة أخذ المصريون يستوردون من هذه الحجارة على أثر توفر الطرق لعربات النقل(١٣٢) .

أما صناعة الكلس فهي من الصناعات التي كانت متطورة في ذلك الحين وكان

---

(١٢٩) الأمير موريس شهاب . دور لبنان في تاريخ الحرير ، ص٥٤ . أورد الأمير في تاريخه المذكور (ص٥٥ ـ ٥٩) جدولاً بمعامل الحرير التي كانت في جبل لبنان عام ١٩١٢ ذاكراً أسماء أصحابها وتوزيعها على الأقضية اللبنانية المعروفة آنذاك .

(١٣٠) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٤١ ـ ٤٤٤ . وصلت صادرات سوريا ولبنان من هذه الصنعة عام ١٩١٢ ما قيمته ٨٧٥٠٠ ليرة استرلينية . سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ص ١٦٦ ـ ١٦٩ .

(١٣١) ابراهيم الأسود : تنوير الأذهان ص ٢٤ .

(١٣٢) Georges Samné, **La Syrie**, p 139.

معظمه يُباع في المدن المجاورة له كالبقاع وبيروت وطرابلس وصيدا . لذا انتشرت معامله في المناطق القريبة منها كالحازمية والدكوانة وشتورة وقرب طرابلس .

أما القرميد فقد كان يوجد له معمل واحد أُنشيء سنة ١٨٩٧ في القبارية بالقرب من بيروت(١٣٣) . وكان يوجد في لبنان عدة معامل خزفية في حالة متأخرة تصنع الأباريق والجرار والمعاجن والنعاير . نذكر منها معامل المريجات ومعاصر الفخار وبيت شباب التي كانت أهمها . كانت منتوجاتها تُباع في الجبل وفي المدن المجاورة(١٣٤) . أما معمل سبك الحديد الوحيد الذي كان يوجد في بيت شباب اشتهر بصناعة الأجراس للكنائس وبصناعة المضخات والموازين وحربات الصواعق والأدوات النحاسية(١٣٥) . وفي جزين كانوا يصنعون سكاكين الجيب والخناجر المزينة بالأشغال والنقوش(١٣٦) . وقد قُدرت الأرباح التي يكسبها لبنان من هذه الصناعات بـ٥٥٠٠٠٠ قرش(١٣٧) .

٩ ـ صناعات أخرى :

بالإضافة إلى الصناعات التي ذكرناها وُجدت في متصرفية جبل لبنان صناعات أخرى كانت أهمها : صناعة السجاد في بعقلين وبلاد عكار ثم صناعة اللباد في زحلة(١٣٨) . ومعامل السجاير التي بلغ عددها ٢٠٠ نتيجة تقدم زراعة التبغ الإسلامبولي في أراضي لبنان . وأيضاً صناعة الجليد الاصطناعي (ألواح الثلج) التي كان يوجد لها معملان : أحدهما في جونية والآخر في الساحل على نهر بيروت . وهناك صناعة أسلحة الصيد في زحلة والشوير(١٣٩) . كما ازدهرت في الجبل صناعة القوارب والسفن في جبيل وجونية والبترون وصناعة الأسماك والأصداف التي كانت لا تزال متوفرة

---

(١٣٣) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٤٥ - ٤٤٧ .

(١٣٤) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٤٦ - ٤٤٧ .

(١٣٥) Georges Samné, **La Syrie**, p 142.

(١٣٦) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٧٣ .

(١٣٧) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٧٠ .

(١٣٨) Georges Samné, **La Syrie**, p 140.

(١٣٩) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٤٤- ٤٤٥ .

في المياه والشواطىء اللبنانية[١٤٠] .

وأخيراً يمكننا القول أن الصناعة الواسعة في لبنان كانت معدومة وكذلك بالنسبة للمعامل التي تستخدم الآلات الميكانيكية المتطورة والتي تستطيع صنع كميات ضخمة بكلفة أقل وجودة أكبر . ولهذا لم تستطع هذه الصناعة أن تقف في وجه المزاحمة الأجنبية فأخذت تتراجع باستمرار حتى ضعفت نهائياً خلال الحرب العالمية الأولى[١٤١] .

د ـ التجـارة

١ ـ التجارة الداخلية :

نتيجة للاستقرار السياسي والعسكري الذي نعم به جبل لبنان في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، قامت بين المدن والقرى اللبنانية حركة تبادل تجارية واسعة ، فكان الفلاحون يحملون الفائض من محاصيلهم الزراعية كالحبوب والفواكه والألبان إلى المدن القريبة لبيعها وشراء ما يحتاجون اليه من أثاث وثياب وغير ذلك .

وبالإضافة إلى ذلك كانت تُقام في كل منطقة من المناطق اللبنانية سوق أسبوعي يجتمع فيه أهل القرى المجاورة لعرض منتوجاتهم وشراء ما ينقصهم من الحاجيات . وقد كانت تُعرض في هذه الأسواق ، محاصيل زراعية ومواد غذائية مختلفة ، وأدوات منزلية وآلات زراعية وحيوانات على مختلف أنواعها كالحيوانات اللبونة أو التي تُستخدم للنقل أو الجر . ونظراً لأهمية هذه الأسواق الاقتصادية حيث كانت تدر على البلاد ملايين وفيرة من القروش[١٤٢] . أصدر المتصرف مظفر باشا في ٧ تموز ١٨٨٢ قراراً حدد فيه مكان وزمان هذه الأسواق على الشكل التالي :

---

(١٤٠) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٤٨ ـ ٤٤٩ .

(١٤١) جورج حكيم ، الصناعة في سوريا ولبنان ، نقلاً عن سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، ص ١١٩ .

(١٤٢) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs**, p 470- 471.

اليوم	مكان السوق
الأحد	رأس المتن
الاثنين	من مرج بعقلين ، بيادر زحلة ، حدث بيروت ، مزرعة كفرذبيان ، يما ، تنورين ، أميون
الثلاثاء	بكفيا ، غزير
الأربعاء	برجا ، بسكنتا ، قرطبا
الخميس	اهدن ، بشري ، كفار حريز
الجمعة	دير القمر ، جزين ، سوق الغرب
السبت	بعبدا ، ذوق مخايل ، بشمزين(١٤٣)

٢ ـ التجارة الخارجية

كانت متصرفية جبل لبنان قبل الحرب إحدى أكثر المناطق في السلطنة العثمانية ارتباطاً بالسوق العالمية وخصوصاً بأسواق أوروبا الغربية والعالم الجديد(١٤٤) . وقد ساعدها على ذلك موقعها الجغرافي المميز على شاطىء البحر المتوسط . ونشاط أبنائها الذين خبروا البحر منذ زمنٍ بعيد .

ويبدو أن مرفأ بيروت ـ وهو المرفأ الذي تُحيط به أراضي المتصرفية من ثلاث جهات من الشمال والشرق والجنوب(١٤٥) ، قد زاد في أهمية هذا النشاط وهذا الارتباط في نهاية المرحلة . خصوصاً بعد أن نما مركزه التجاري وأصبح في مطلع القرن العشرين الميناء الثالث في السلطنة بعد مينائي استامبول وأزمير من حيث حجم المبادلات السلعية وثاني ميناء من حيث دوره في الواردات العثمانية(١٤٦) . فلا غرو في ذلك وخصوصاً بعد

(١٤٣) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs**, p. 471.

(١٤٤) بطرس لبكي ، التجارة الخارجية لمدينة بيروت ومتصرفية جبل لبنان (١٩٠٧ ـ ١٩١٤) . الواقع ، العدد الثالث شهر تشرين الثاني ١٩٨١ ص ٤٨ .

(١٤٥) رفيق التميمي ومحمد بهجت : ولاية بيروت ، بيروت ١٣٣٥ هـ و١٩١٦ م ، ص١٤٠ .

(١٤٦) المديرية العامة للرسومات : احصاءات التجارة الخارجية للممالك العثمانية في السنوات المالية ١٣٢٠ هـ وما بعد » .

أن أصبحت مدينة بيروت العاصمة الاقتصادية لبلاد الشام منذ بداية هذا القرن(١٤٧) ، وبعد أن تحوّلت إلى سوق لمنتوجات جبل لبنان ، ومركز لكل فعالياته الاقتصادية فعن طريق مرفأ بيروت كانت تُصدر خيوط وشرانق الحرير المُنتجة في الجبل ، كذلك الحبوب والمواد الغذائية والسلع الحرفية الآتية من دمشق ومناطق سوريا الداخلية(١٤٨) .

ومن الملاحظ أن تخصص متصرفية جبل لبنان في انتاج آحادي لمادة الحرير في مطلع القرن العشرين جعل منها بلداً مستورداً بصورة رئيسية للمواد الغذائية والمنتوجات الأوروبية المصنعة . كما جعل منها بلداً مصدراً بدرجة كبيرة لمادة الحرير (خيوط وشرانق) ومن الجدول التالي لواردات لبنان وصادراته للفترة السابقة لحرب ١٩١٤ تبرز لنا هذه الظاهرة بصورة واضحة(١٤٩) ، علماً بأن الإحصاءات الرسمية التي تعطينا صورة دقيقة عن صادرات لبنان ووارداته غير متوفرة(١٥٠) .

= استامبول ١٣٢٤ هـ و١٣٢٥ هـ ـ أيضاً احصاءات مالية ـ محتوى الواردات والمصاريف العمومية ١٣٢٧ هـ السنة الأولى . استامبول ١٣٢٧ / النظارة المالية . نقلاً عن بطرس لبكي الواقع المصدر السابق ، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

(١٤٧) أصبحت بيروت العاصمة الاقتصادية لبلاد الشام ، وأصبح مرفأها مرسى لأهم الملاحة البحرية العاملة في المتوسط وقد تركزت فيها أكبر بنوك أوروبا التي تعمل في السلطنة العثمانية وكذلك شركات التأمين . وذلك يعود إلى كون بيروت قد جُهزت بشبكة طرق ومواصلات ربطتها بالمدن الداخلية . كما جُهزت وزُودت بالخدمات العامة الضرورية كالماء والغاز والكهرباء وإنارة الشوارع والتراماوي .

Dominique Chevallier, **Lion et la Syrie en 1919** . p 201 et 226

عن مركز بيروت التجاري في تلك الحقبة راجع : الاصلاح (الاتحاد العثماني) الاعداد: ٩٧ /١٤٩٢ ـ ١٠٧ /١٥٩٢ و١٥١ /١٥٤٦ تاريخ ١ و١٠ أيلول ، ٦ ت ٢ ١٩١٣ . بحث عن موقع بيروت التجاري وتعليق على تقرير أندره ديبوسك » الدبلوماسي الفرنسي تحت عنوان : « مستقبل بيروت الاقتصادي » العدد ١٣٩ / ١٥٣٤ ٢٣ ت١ ١٩١٣ .

(١٤٨) زين نور الدين زين : نشوء القومية العربية ص١٩٦ .

(١٤٩) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٧٠ .

(١٥٠) يقول سعيد شقير في تقريره إلى المتصرف أوهانس باشا « أن حكومة لبنان واللبنانيين مع ما هم عليه من الذكاء الفطري والتقدم ، لا يعرفون عدد سكان جبلهم على قلتهم ولا قيمة وارداته وصادراته معرفة حقيقية » .

. Said Shoucair: **Rapport sur les Finances du liban le 6 Octobre 1913** p11- 12.

الواردات	بالقروش	نسبة مئوية	الصادرات	بالقروش	نسبة مئوية
القمح	٢٠٠٠٠٠٠٠	١٢,٨٨	شرانق الحرير	٤٠٠٠٠٠٠٠	٣٨,١٧
شعير وحبوب أخرى	٤٥٠٠٠٠٠٠	٢٩,٦٣	خيوط الحرير	٢٥٠٠٠٠٠٠	٢٣,٨٦
خيول وبغال وحمير وبقر	٢٥٠٠٠٠٠	١,٦١	أجراس ومعادن وحجارة	٥٥٠٠٠٠٠	٥,٢٥
حيوانات للذبح	٣٥٠٠٠٠٠	٢,٣٢	صابون	١٥٠٠٠٠٠	١,٤٣
زبدة وسكر وبن وغيره	٨٠٠٠٠٠٠	٥,٢٣	جلد	٢٧٠٠٠٠٠	٢,٥٨
جلد	٥٠٠٠٠٠٠	٣,٢٢	أقمشة ومطرزات	١٥٠٠٠٠٠	١,٤٣
جلود غير مدبوغة	٥٠٠٠٠٠٠	٣,٢٢	أقمشة من وبر	١٠٠٠٠٠٠	٠,٩٥
خيوط قطن	٩٠٠٠٠٠	٠,٥٧	تبغ وسجائر	٢١٠٠٠٠٠	٢,٠٠
أصواف ووبر	٤٠٠٠٠٠	٠,٢٩	بطاطا	٣٠٠٠٠٠	٠,٢٩
منتوجات أوروبية مصنعة	٦٥٠٠٠٠٠٠	٤١,٨٥	مشروبات كحولية	٥٢٠٠٠٠٠	٤,٩٦
			زيت زيتون	١٢٥٠٠٠٠٠	١١,٩٣
			ثمار	٣٥٠٠٠٠٠	٣,٣٤
			عنب وزبيب	٤٠٠٠٠٠٠	٣,٨٢
المجموع	١٥٥,٣٠٠٠٠٠	١٠٠	المجموع	١٠٤٨٠٠٠٠٠	١٠٠

يبدو من الجدول السابق أن نسبة واردات لبنان من المواد الغذائية بلغت ٢٦ , ٤٩٪ أي ما يقارب نصف قيمة الواردات جميعها . وهذا أمرٌ ملفت للنظر حقاً لأن أراضي متصرفية جبل لبنان معظمها ريفية . ويعكس بوضوح ضعف الزراعات الغذائية التقليدية في الجبل . كما أن نسبة المنتوجات الأوروبية المصنعة في الواردات كانت ٤١,٨٥٪ مما يعكس تخلف الصناعة الوطنية وتحول الأذواق في لبنان إلى الطرز الأوروبية

لحديثة ، ومن ثم فقدان الثقة بالمنتوجات الوطنية المحلية . ثم إن حصة شرانق الحرير ن مجمل الصادرات بلغت ٣٨,١٧٪ وحصة خيوط الحرير وصلت إلى نسبة ٢٣,٨٪ ، فتكون المنتوجات الحريرية وحدها قد شكلت ٦٢,٠٣٪ من مجمل لصادرات اللبنانية . وهذا يشير بوضوح إلى درجة تخصص متصرفية جبل لبنان بإنتاج لحرير حيث تلعب الشرانق دوراً أكثر أهمية من الخيوط ، مما يعكس أزمة الغزل المحلي وتفكك أنشطة تصنيع الحرير .

كل هذه الحقائق التي ذكرناها قد أوجدت خللاً في الاقتصاد اللبناني وجعلت الميزان التجاري في خسارة مستمرة طيلة تلك المرحلة وقد وصلت هذه الخسارة إلى ٥٠٥٠٠ قرش حسب الجدول المذكور سابقاً ، كما جعلت لبنان تابعاً إلى الخارج من الناحية الغذائية . هذا فضلاً عن تخلف الصناعة اللبنانية بشكلٍ عام ومن ثم هجرة ثلث سكان لبنان إلى بلاد الاغتراب وخصوصاً إلى أميركا ومصر واعتماد كثيرٍ من العائلات اللبنانية في معيشتهم على ما يرسله ذووهم من الخارج(١٥١) .

كانت المنتوجات اللبنانية من الفواكه والتبغ والصابون والمطرزات وخيوط الحرير تتجه إلى مصر وسوريا وتركيا . أما الخمور من النبيذ والعرق وكمية قليلة من التبغ كانت تصدر إلى اليونان ودول البلقان بينما كانت الكمية الكبيرة من الحرير الخام (خيوط وشرانق) كانت تُباع في أسواق بريطانيا والمانيا وليون في فرنسا(١٥٢) .

وكانت عمليات الاستيراد والتصدير الخاصة بجبل لبنان تتم بواسطة البيوتات التجارية المتواجدة في بيروت وطرابلس والتي كانت تمثّل عدداً كبيراً من الشركات الأوروبية والأميركية الموجودة في الخارج(١٥٣) .

هـ ـ الاصطياف في لبنان :

كان لبنان ولا يزال مصيفاً لسكان المدن الداخلية والساحلية على السواء في سوريا

---

(١٥١) رفيق التميمي ومحمد بهجت : **ولاية بيروت** ، ص ١٣٩ .

(١٥٢) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs**, p.475- 476.

(١٥٣) Ibidem, p 476.

والعراق ومصر وفلسطين . إذ كان يؤمه المصطافون من هذه المناطق طلباً للراحة والاستجمام في جباله العالية التي امتازت بمناخها اللطيف وهوائها المنعش وطقسها المعتدل . كمصايف عاليه وسوق الغرب وبحمدون وصوفر وزحلة وبيت مري وبرمانا وبكفيا وضهور الشوير واهدن . . . ويبدو أن عدد المصطافين الذين كانوا يؤمّون لبنان كل عام من بيروت ومصر وغيرهما لا يقل عن ٢٠ ألف شخص(١٥٤) .

وكان هؤلاء المصطافون ينفقون أموالاً وفيرة للحصول على حاجاتهم من الغذاء والكساء ، ويدفعون أموالاً لا بأس بها لقاء إقامتهم في منازل أو فنادق كانت مُجهزة بكل وسائل الراحة وقد قُدرت الأموال التي كان يربحها لبنان سنوياً من حركة الاصطياف بـ ٢٠٠٠٠٠٠٠ قرش(١٥٥) .

ومما ساعد على إنماء حركة الاصطياف في المرحلة الأخيرة من عمر المتصرفية قيام حكومة الجبل بعدّة مشاريع عمرانية ، كان أهمها : بناء عدّة فنادق في معظم أنحاء الجبل وتأمين وصول المياه والكهرباء إلى معظم هذه المصايف وشق سلسلة من الطرق الداخلية التي ربطت الجبال اللبنانية بمدن الداخل والساحل على حد سواء(١٥٦) .

و ـ البنوك ودورها في الاقتصاد اللبناني :

في المرحلة السابقة لعام ١٨٦٠ كانت البنوك في لبنان وسوريا شبه معدومة ، ولم يكن يوجد منها سوى البنك الزراعي الحكومي الذي كان يهتم بتنمية الزراعة ومساعدة المزارعين . ولكن أعمال هذا البنك ظلّت محدودة جداً ونتائجه غير مرضية بالنسبة لتطور الزراعة في لبنان إذ لم يقدم هذا المصرف أية خدمات تذكر للزراعة اللبنانية التي بقيت على حالها من الضعف والتخلف(١٥٧) .

---

(١٥٤) Said Shoucair: **Rapport sur les Finances du liban le 6 Octobre 1913** p9- 11 .
ذكرت جريدة الاقبال البيروتية أن عدد المصطافين الذين قدموا من مصر إلى لبنان عام ١٩٠٦ بلغوا ١٥ ألف شخص . **الأقبال** عدد ١٦٩ ، ١٥ تشرين أول ١٩٠٦ .

(١٥٥) Georges Samné, **La Syrie,** p 142.

(١٥٦) المقطم : عدد ٧٦٨٧ ، ٢٤ حزيران ١٩١٤ .

(١٥٧) Georges Samné, **La Syrie,** p 107.

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ، تغير الوضع تماماً في السلطنة العثمانية وخصوصاً في بلاد الشام . وذلك يعود إلى قيام مؤسسات مصرفية أجنبية في مختلف المدن الشامية ساهمت إلى حدٍ كبير في تطور الاقتصاد اللبناني وسهلت عملية التبادل التجاري بين لبنان والدول الأميركية والأوروبية وخصوصاً فرنسا . وبالرغم من أن هذه المؤسسات قد اكتفت بتأسيس فروع لها في المدن الرئيسية كبيروت ودمشق وطرابلس وصيدا وحلب والقدس ، ولم تنشىء لها فروعاً في متصرفية جبل لبنان إلا أن دورها في الاقتصاد اللبناني كان واضحاً جداً . وخصوصاً بعد أن نقل رجال الأعمال اللبنانيين نشاطهم الاقتصادي إلى هذه المدن وبالأخص إلى مدينة بيروت التي أصبحت العاصمة الاقتصادية لبلاد الشام في المرحلة الأخيرة لنظام الجبل . وقد بدأ انتقال سكان الجبل إلى بيروت والمدن الساحلية الأخرى واتخاذها مركزاً لنشاطهم الاقتصادي في أوائل القرن التاسع عشر واشتد زمن الفتن الطائفية التي حدثت في لبنان عقب انتهاء حكم الأمير بشير الثاني(١٥٨) .

وقد وصل عدد المسيحيين الذين كانوا يقيمون في بيروت في أواخر القرن التاسع عشر إلى ٩٥٠٠٠ شخص مقابل ٧٠٠٠٠ شخص من المسلمين(١٥٩) . وقد سيطر هؤلاء المسيحيون على القسم الأكبر من تجارة بيروت وحركة المصارف وأعمال الصناعة

---

(١٥٨) طه الولي ، مساجد بيروت ، ص ٢٤ - ٢٥ . كمال الصليبي ، تاريخ لبنان الحديث ، ص ٥٥ و١٢٩ .
ومن المعلوم أن وجهاء بيروت من المسلمين ، وفي مقدمتهم عمر بيهم أعظم تجار تلك المدينة قد فتحوا بيوتهم للمسيحيين الهاربين من الجبل وأخذوا يوزعون عليهم الأطعمة وحالوا بحكمتهم دون تدخل العامة من أبناء طائفتهم في الأمر فخففوا من غلوائهم .
محمد كرد علي ، خطط الشام ، الجزء الثالث ، ص ٨٩ ، والحقيقة أن الهجرة المسيحية إلى بيروت لم تكن آتية من جبل لبنان فقط بل جاءت أيضاً من داخلية سوريا . كمال الصليبي - المصدر السابق ، ص٥٥ .

(١٥٩) Pierre Rondot, Les Chrétiens d'Orient, p28- 29.
وقد ساعد على ازدياد أعداد المسيحيين في مدينة بيروت حرية بيروت الدينية والامتيازات التي كانت تمنحها لجميع أبنائها من السكان الأصليين والقادمين .
جورج كارن ، رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر ، ترجمة رئيف خوري ص ١٥ .

وكل المهن الحرة تقريباً[١٦٠] . وهكذا الحال بالنسبة لبقية المدن الساحلية ، فبالرغم من أن غلبة المسلمين ظلّت ظاهرة فيها إلا أن العناصر المسيحية شهدت ترقّياً اجتماعياً ملحوظاً وأمسكت بأعنّة التجارة والصناعة فيها[١٦١] . وعلى هذا الأساس يصبح من الضروري الإشارة إلى المؤسسات المصرفية والبنوك التي نشأت في تلك المدن لإبراز دورها في اقتصاديات جبل لبنان في المرحلة الأخيرة من تاريخ نظامه الأساسي .

ويبدو أن هدف تلك البنوك كان التغلغل الاقتصادي في بلاد الشام وإحكام قبضتها على مرافقها الحيوية وقطاعاتها الاقتصادية من زراعية وصناعية وتجارية[١٦٢] ، وكان أهم تلك البنوك : « البنك الأمبراطوري العثماني » الذي تأسس في ٤ شباط ١٨٦٣ بفرمان سلطاني وبأموال فرنسية وانكليزية ، بلغت عام ١٨٧٤ ، ٢٥٠ مليون فرنك فرنسي[١٦٣] . وكان هذا البنك يحتكر إصدار الأوراق النقدية العثمانية ويعمل على إقراض الحكومة بفوائد باهظة حقّق من ورائها أرباحاً طائلة[١٦٤] . ومنذ نهاية القرن التاسع عشر أخذ هذا المصرف يهتّم بالأعمال التجارية والأشغال العامة . وكان يتصرف بأموال الدولة كما يشاء ويودع الأموال لديه دون أن يدفع لأصحابها أية فائدة عليها . في حين كان يستخدم هذه الأموال المتجمعة لديه في أعماله المصرفية التجارية لقاء حد أدنى من الفائدة قدرها ٧٪ في الآستانة ، وأكثر من ذلك في الأماكن الأخرى[١٦٥] ، وقد فُتحت لهذا البنك فروع في بيروت ودمشق وحلب وطرابلس وحمص ويافا والقدس وعينتاب وحيفا[١٦٦] .

ومن البنوك القوية في السلطنة العثمانية بنك أسسّته كتلة يهودية في سلانيك عام ١٨٨٨ برأسمال قدره ٣٠ مليون فرنك فرنسي ثم نُقل إلى الآستانة عام ١٩١٣ اثر

---

(١٦٠) Pierre Rondot, **Les Chrétiens d'Orient,** p 29.

(١٦١) رفيق التميمي ومحمد بهجت ، ولاية بيروت ، ص ٢٢٥ و٢٢٨ - ٢٢٩ و٢٤٨ - ٢٤٩ و٢٩٤ .

(١٦٢) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ٢٢ .

(١٦٣) Georges Samné, **La Syrie,** p 106.

(١٦٤) بدر الدين السباعي ، المصدر السابق ، ص ٢٣ .

(١٦٥) المرجع نفسه .

(١٦٦) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.279.

اللبنانية ببعضها البعض ، والتي ربطت لبنان بالمدن الداخلية والساحلية في المناطق الشامية الأخرى(١٧٧) .

ومن الواضح أن حركة شق الطرقات في لبنان ازدادت في المرحلة الأخيرة بشكلٍ ملحوظ . ففي عهد المتصرف يوسف فرنكو باشا قامت حكومة المتصرفية بإصلاح الطرقات والجسور التي تعرضت للخراب بفعل العوامل الطبيعية أو بفعل الإستخدام اليومي . كما عملت على حفر طرقات جديدة في بعض المناطق . وقد بلغ طول هذه الطرقات المحفورة آنئذٍ ١١٨ كيلومتراً و١١٨ متراً . هذا عدا الجسور التي أنشئت على روافد الأنهار والسواقي الداخلية وإتمام طريق المسيلحة التي قد كان بدأ فتحها المتصرف مظفر باشا(١٧٨) ، وللدلالة على الأهمية التي أولتها حكومة الجبل في شق الطرقات ورصفها يكفي أن نشير إلى المبالغ التي أنفقتها عام ١٩١١ في هذا المجال . فمن الجدول الذي أورده كتاب لبنان لإسماعيل حقي عن الطرقات والأموال المرصدة لها لتبين أن الأموال التي أُنفقت على حفر الطرقات في ذلك الحين ٢٨٦ ألفاً و٩٢٧ قرشاً و١٠ بارات(١٧٩) .

أما في عهد خليفته أوهانس باشا فقد استمرت حركة حفر الطرقات ولكنها خفّت كثيراً بسبب نشوب الحرب العالمية الأولى وتقهقرت عملية الإنتاج بصورة واضحة في لبنان . وقد بلغ طول الطرقات المفتوحة خلال هذا العهد ٦ كيلومترات(١٨٠) .

هذا وكان لطريق بيروت ـ دمشق التي أُنشئت عام ١٨٦٣ أهمية خاصة فهي تربط لبنان بمدن الساحل والداخل عبر بيروت ودمشق ، كما أنها تشكل جذعاً تتفرع منه شبكة طرقات تمتد إلى معظم لبنان وقراه . وكذلك بالنسبة إلى طريق صيدا ـ بعلبك التي تمر عبر جزين والشوق(١٨١) . والجدير ذكره أن الشركة الفرنسية العاملة ضمن أراضي

---

(١٧٧) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.285.

(١٧٨) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص١٨٧ ـ ١٨٨ .

(١٧٩) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٦٠٧ .

(١٨٠) المرجع نفسه ، ص ٦٠٣ .

(١٨١) Georges Samné, **La Syrie,** p 153.

الدولة العثمانية قد شقّت طريقاً أخرى بين بيروت ودمشق وفتحت طرقاً ساحلية بين بيروت وحيفا(١٨٢) . وفي عام ١٩١٤ أقامت الحكومة العثمانية في بلاد الشام شبكة من الطرقات بلغ نصيب لبنان منها ٢٠٨ كيلومترات(١٨٣) .

ويبدو أن وسائل النقل التي كانت تسير على هذه الطرقات ، كانت بدائية للغاية مثل البغال والحمير والجمال . أما العربات الكبيرة التي كانت تجرّها الخيول والعربات التي كانت مهمتها نقل البريد بين المدن الرئيسية ، كانت نادرة جداً(١٨٤) .

ولتأمين سلامة المسافرين أقامت الحكومة ، مراكز تُعرف باسم « الخانات » كان يلتجىء إليها المسافرون والتجار عند الضرورة . ومن أهم هذه الخانات خان الجية والسعديات والدامور والناعمة على طريق صيدا - بيروت ، وخانات انطلياس وجونية والمعاملتين وجبيل والبترون وشكا على طريق بيروت - طرابلس . وكان بإمكان الخان استقبال مئات من حيوانات النقل أو الجر بالإضافة إلى عددٍ كبير من الأشخاص(١٨٥) .

ومما تجدر الاشارة إليه أن السكك الحديدية كانت الوسيلة الأكثر أهمية في تلك الفترة وذلك يعود إلى ندرة السيارات في بلاد الشام وإلى كونها أكثر راحة وسرعة قياساً للوسائل الأخرى(١٨٦) . وكان خط يافا - القدس أول خط حديدي مُدّ في بلاد الشام وتولت إنشاءه شركة فرنسية ووُضع موضع الاستثمار عام ١٨٩٢ . ثم تلاه خط دمشق - المزيريب الذي وصل إلى منطقة حوران على امتداد ١٣٠ كيلومتراً والذي أنشأته شركة بلجيكية عام ١٨٩٣(١٨٧) ، ثم رُبط بخط سكة حديد الحجاز الذي دعا لإنشائه السلطان عبد الحميد الثاني(١٨٨) .

---

(١٨٢) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٤٧ .

(١٨٣) Georges Samné, **La Syrie,** p 153.

(١٨٤) Georges Samné, **La Syrie,** p 153.

(١٨٥) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs**, p471- 472.

(١٨٦) كانت سرعة القطار الذي ينطلق من بيروت إلى دمشق أو بالعكس حوالي ٢٢ كيلومتراً .
Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.254.

١٨٧) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٥٢ - ٥٣ .

(١٨٨) جون هاسلب . **السلطان الأحمر** ، ص ٢٨١ - ٢٨٢ .

احتلال اليونان لسلانيك وفتح له فرع في بيروت . وكان يسيطر على هذا البنك الرأسمال الفرنسي عن طريق بنك « الشركة العامة » الذي أقرض الحكومة العثمانية عدداً من المرات . ولم يلبث هذا البنك أن اندمج مع البنك العقاري الجزائري - التونسي الذي هو أيضاً إحدى الشركات التابعة للشركة العامة(١٦٧) .

وهناك أيضاً بنك باسم « الشركة الانكليزية الفلسطينية » الذي تأسس في انكلترا عام ١٩٠٢ برأسمال قدره ١٠٠ ألف جنيه استرليني وفتح له فروع في بيروت وحيفا ويافا والقدس(١٦٨) .

وكان يوجد كذلك بنك « الكريدي ليوني » المنافس الكبير للبنك الأمبراطوري العثماني وقد كان له فرعان في بلاد الشام أحدهما في بيروت والآخر في القدس . وكان لفرع بيروت أهمية كبرى في ربط صناعة الحرير في بلاد الشام بمدينة ليون ، كما ساهم مساهمة فعالّة في نشر النفوذ الفرنسي فيها(١٦٩) .

وكان المنافس الآخر للبنك الأمبراطوري العثماني خاصة وللرأسمال الفرنسي والانكليزي عامة هو البنك الألماني « دوتش بنك » الذي افتتح له فرع في استامبول عام ١٩٠٠(١٧٠) . وبنك « دوتش بالستين بنك » الذي تأسّس عام ١٨٨٩ برأسمال الماني وصل إلى ١٠ ملايين مارك عام ١٩١٠ . وقد فُتحت له فروع في بيروت ودمشق وطرابلس والقدس وحيفا ويافا(١٧١) . كانت مهمة هذا البنك تسهيل العمليات التجارية بين بلاد الشام وألمانيا . ولكنه لم يستطع مزاحمة البنك الأمبراطوري العثماني والكريدي ليوني . ولما صادفته صعوبات مالية ابتلعه البنك الألماني الشرقي عام ١٩١٤ . وكان هذا الأخير قد تأسّس في استامبول عام ١٩٠٦ برأسمال قدره ١٦ مليون مارك(١٧٢) . ثم أُنشيء له فرع في حلب(١٧٣) . وكان يهدف هذا البنك إلى توسيع

(١٦٧) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٢٣ .

(١٦٨) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.279.

(١٦٩) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٢٣ .

(١٧٠) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(١٧١) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.279.

(١٧٢) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٢٧ .

(١٧٣) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.279.

المصالح الألمانية في السلطنة العثمانية وتنشيط تجارتها مع ألمانيا .

وبالإضافة إلى هذه البنوك المذكورة كان هناك بنك أثينا الذي فتح له فرع في بيروت .

هذا فضلاً عن أعمال الصرافة الخاصة التي كانت تقوم في بعض المدن الكبيرة وبالأخص في مدينتي بيروت وحلب(١٧٤) .

والواقع أن سياسة هذه المؤسسات المصرفية كانت مزدوجة فهي أولاً كانت تسعى لإيجاد الأسواق في أراضي الدولة العثمانية بما في ذلك لبنان وولايتي بيروت ودمشق ، وثانياً : كانت تعمل على تسهيل تجارة بلادها في المدن التي وُجدت فيها وفي تلك الأسواق المفتوحة ولهذا كانت تقرض الأموال لأصحاب الأعمال لتسهيل عملية الاستيراد والتصدير بين بلادها وولايات الدولة العثمانية(١٧٥) .

ويبدو أن رجال الأعمال في لبنان قد استفادوا من الخدمات التي قدمتها هذه المصارف وخصوصاً أصحاب تجارة الحرير التي ازدهرت في المرحلة الأخيرة كما أسلفنا القول(١٧٦) . هذا فضلاً عن الخبرات الواسعة التي اكتسبها اللبنانيون في أعمال الصيرفة حتى أصبح لبنان منذ أواسط القرن العشرين الوسيط المالي لبلاد الشرق حيث كانت تتمركز فيه رؤوس الأموال العربية لاستثمارها في المشاريع المختلفة في لبنان وخارجه .

ز ـ حركة النقل والمواصلات :

تلعب المواصلات أهمية خاصة في لبنان فهي من جهة تُساعد الفلاحين وأصحاب الحرف على نقل منتوجاتهم وتصريفها بالسرعة اللازمة ، وهي من جهة ثانية تجعل من لبنان نقطة عبور لتجارة سوريا مع الخارج . لذلك عني المتصرفون الذين حكموا لبنان منذ ١٨٦١ حتى عام ١٩٠٧ بإنشاء شبكة من الطرق الداخلية التي ربطت المدن والقرى

---

(١٧٤) Ibidem, p 279.

(١٧٥) Maxime Nicolas, **Questions Monétaires en Syrie**, p 24.

(١٧٦) Ibidem, p 24.

وفي عام ١٨٩٥ استثمر خط بيروت ـ دمشق الذي أقامته شركة فرنسية . وقد كان لهذا الخط أهمية خاصة في المواصلات اللبنانية ، فإن هذا الخط الذي يمرّ عبر الأراضي اللبنانية بطول ٤٠ كيلومتراً قد ربط مدن لبنان وقراه بمنطقة البقاع وبمدن سوريا الداخلية(١٨٩) . ومن بين هذه الخطوط كذلك خط رياق ـ حماه ـ حلب ، الذي بلغ طوله ٣٣١ كيلومتراً والذي أُنشىء القسم الأول منه (خط رياق ـ حماه) عام ١٩٠٢ ، والقسم الثاني (خط حماه ـ حلب) عام ١٩٠٧ . وفي عام ١٩٠١ تفرع من هذا الخط خط آخر وصل مدينة حمص بمدينة طرابلس على امتداد مائة وكيلومترين . ثم وصل فيما بعد بخط بغداد ـ حلب وقد تولت شركات فرنسية إنشاء هذه الخطوط كذلك(١٩٠) .

في حين أنشأت حكومة المتصرفية خطاً حديدياً صغيراً يمتد من بيروت حتى المعاملتين بطول ٢٠ كيلومتراً ، وقبيل الحرب العالمية الأولى مباشرة أُكمل هذا الخط حتى جبيل بطول ١٢ كيلومتراً(١٩١) .

ولا شك فإن هذه الخطوط قد سهلّت وصول السلع من أوروبا الغربية إلى المناطق الداخلية في بلاد الشام . وانتقال المنتوجات الشامية عبر المرافىء الساحلية إلى الخارج ، كما خلقت حركة تجارية قوية بين لبنان والمناطق الداخلية في سوريا وبينه وبين أوروبا والعالم الجديد(١٩٢) .

وقد فرضت الشركات التي قامت بإنشاء الخطوط الحديدية أجوراً مرتفعة على البضائع والسلع التي كانت تُنقل بواسطة هذه الخطوط(١٩٣) . ففي عام ١٩١١ كانت الشركة التي تستثمر خط طرابلس ـ حمص تتقاضى مقدار ١١٢١٢,٢٧ فرنك فرنسي أجرة الشحن على الكيلومتر الواحد في حين وصل هذا الرقم إلى ١٦٩٠٠ فرنك عام ١٩١٣ . وكانت أجرة الشحن الذي يتم بواسطة خط بيروت ـ دمشق ١١٢١٢,٢٧ فرنكاً كذلك . ولكنها ارتفعت إلى ١٨٠٠٠ فرنك عام ١٩١٣(١٩٤) .

(١٨٩) Georges Samné, **La Syrie,** p 155.

(١٩٠) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٥٣ .

(١٩١) Georges Samné, **La Syrie,** p 156.

(١٩٢) بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ، ص ٥٢ .

(١٩٣) سليمان البستاني : عبره وذكرى أو الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده ، ص ٢٢١ .

(١٩٤) Georges Samné, **La Syrie,** p 158- 159.

والواقع أن الفائدة المرجوة من الخطوط الحديدية تبقى محدودة إذا لم يرافقها نمو وتطور للمرافىء البحرية التي تؤمّن الإتصال بالعالم الخارجي وخصوصاً بالدول التي تفصل بينها البحار الواسعة والمحيطات الكبيرة(١٩٥)، ولهذا فقد واكب اهتمام الحكومة بشق الطرقات ومدّ سكك الحديد عناية مماثلة بإنشاء المرافىء وتحسينها . ففي عهد أوهانس باشا اتخذ مجلس ادارة الجبل قراراً بفتح ثلاثة موانىء لبنانية في شكا وجونية والجية عند النبي يونس . وفي شهر آذار عام ١٩١٣ دخلت أول باخرة إلى مرفأ جونية فاستقبلها الأهالي هناك بمظاهرة الابتهاج والحفاوة(١٩٦) .

ويبدو أن عدد المراكب التي تدخل هذا المرفأ كل عام ٤٥١ مركباً ، قُدرّت حمولتها بـ٥٨٧٠ طناً(١٩٧) ، في حين كانت البضاعة المصدرة عن طريق مرفأ جبيل لا تتعدى ٢٧٠ طناً في السنة(١٩٨) . وكان لإهمال السلطات التركية لهذه المرافىء دوراً كبيراً في إضعاف حركتها(١٩٩) .

والحقيقة أن إمكانيات المرافىء اللبنانية كانت محدودة جداً فلم يكن باستطاعتها استقبال السفن الكبيرة ذات الحمولة العالية(٢٠٠) . لذلك اتجه نشاط التجار اللبنانيين إلى المرافىء الساحلية الأخرى كمرفأ بيروت ومرفأ طرابلس ومرفأ صيدا . وكان مرفأ بيروت الذي استقطب معظم نشاط اللبنانيين التجاري ، من الأهمية بمكان بحيث كان

---

(١٩٥) في ذلك الحين لم يكن النقل الجوي قد اتسع نطاقه بعد ، ولم يكن قد وضع في مجال شحن البضائع والسلع .

(١٩٦) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص١٩٤ .

(١٩٧) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs** . p. 476.

(١٩٨) Vital Cuinet: **Syrie Liban, et Palestine**... p259.

(١٩٩) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs** p 477.

(٢٠٠) Ibidem, p 475.

باستثناء ميناء بيروت الذي يحميه حاجز طبيعي من الأمواج وباستثناء الميناء الطبيعي في الاسكندرية ، فالشاطىء الشرقي للبحر المتوسط لا يقدم أي ملجأ آمن للسفن فيجب على السفن أن ترسو بعيداً عن شواطىء انطاكية وطرابلس وعكا وحيفا ويافا وغزة . وإن عمليات التفريغ ونقل البضائع تواجه دائماً صعوبات وأخطاراً ، وتصبح مستحيلة خلال الطقس الرديء . وهكذا الأمر بالنسبة لبقية المرافىء على الشاطىء اللبناني . Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East**, p277 .

باستطاعته استقبال ١٠ أو ١٢ مركباً ضخماً في آنٍ واحد . وهكذا حتى بلغت أرباح الشركة التي كانت تستثمره ٧٥ مليون فرنك فرنسي(٢٠١) ، وبالرغم من المزاحمة التي لقيها مرفأ بيروت من مرفأي حيفا والاسكندرون في السنوات الأولى من القرن العشرين إلا أن حركة مرفأ بيروت والكميات التي صدّرت واستوردت عن طريقه ظلت كبيرة جداً ، وتفوق معدلاتها بقية المرافىء في بلاد الشام . فمن الجدول الذي أورده المهندس « Achard » يمكننا استخلاص هذه النتيجة . ففي عام ١٩١٠ كانت حركة الاستيراد والتصدير في مرفأ بيروت وصلت إلى ٢٨٤٢٣٢ طناً بينما لم تبلغ في مرفأ حيفا أكثر من ٥٠٠٠٠ طن(٢٠٢) .

أما مرفأ الاسكندرون فقد بلغت نسبة حصته من المستوردات العثمانية ٤٤,٥٪ عام ١٩٠٧ و٤,٨٦٪ عام ١٩٠٨ و٤,٧٣٪ عام ١٩٠٩ بينما وصلت النسبة المئوية لمرفأ بيروت من هذه المستوردات ١٣,٧٨٪ عام ١٩٠٧ و١٢,٢١٪ عام ١٩٠٨ و٩,٧٦٪ عام ١٩٠٩(٢٠٣) . وهذا يؤكد أهمية ودور مرفأ بيروت في تجارة سوريا ولبنان في تلك الفترة . وإن المزاحمة التي لقيها من هذين المرفأين (حيفا والاسكندرون) كانت محدودة جداً . ولكن في المرحلة التي تلت الحرب العالمية الأولى برز مرفأ حيفا كمنافس قوي لمرفأ بيروت ، فقد بلغت الكميات التي وصلت إلى مرفأ حيفا في فترة ١٩٠٨ - ١٩٠٩ حوالي ١٧٧٢٦٠ موزعة على الشكل التالي : من حوران ١٥٤٢٦٠ طناً ، ومن دمشق ٢٣٠٠٠ طن(٢٠٤) . وقد استمر الحال هكذا حتى الحرب الفلسطينية وقيام دولة اسرائيل

---

(٢٠١) تشكلت الشركة العثمانية لمرفأ بيروت وأرصفته ومستودعاته عام ١٨٨٧ بإدارة ورساميل فرنسية . ثم حصلت على امتياز بناء واستثمار مرفأ بيروت والأرصفة والمستودعات التابعة له من الحكومة العثمانية . وكانت مدة الامتياز ٦٠ عاماً تبدأ من تاريخ الفرمان ثم مُدّد وقت الامتياز في تموز ١٨٩٤ ، ٣٩ عاماً . فأصبح الامتياز لمدة ٩٩ عاماً . عظمة ، **تطور المصرف التجاري في نطاق سورية الاقتصادي** ، ص ٣٥ .

(٢٠٢) Achard, **Note sur la Syrie,**, p. 108.

نقلاً عن وجيه كوثراني ، **بلاد الشام** ... ص ١٣٢ - ١٣٤ .

(٢٠٣) بطرس لبكي - التجارة الخارجية لمدينة بيروت ومتصرفية جبل لبنان (١٩٠٧ - ١٩١٤) الواقع العدد الثالث ، شهر تشرين الثاني ١٩٨١ ص ٤٧ - ٤٨ .

(٢ Achard, op. cit, p 129.

اشترك « Achard » في بعثة Huvelin عام ١٩١٩ لدراسة أوضاع سوريا واحتل فيها بعد منصب رئيس

عام ١٩٤٨ ، حيث أخذ مرفأ بيروت يستعيد دوره الطليعي في تجارة سوريا حتى أصبح المرفأ الأول في حوض البحر المتوسط الشرقي في النصف الأول من القرن العشرين .

وبصورة عامة فإن حركة إنماء وتطوير المواصلات ووسائل النقل في جبل لبنان وولايتي دمشق وبيروت (طرقات ، جسور ، خطوط حديدية ، مرافىء) قد جعلت من لبنان منطقة عبور وحلقة وصل ما بين المناطق الداخلية والساحلية في بلاد الشام وبينه وبين العالم الخارجي فسهلّت وصول السلع الأوروبية إلى داخل بلاد الشام وأمنت انتقال المنتوجات الشامية عبر المرافىء الساحلية إلى الخارج . كما خلقت حركة تفاعل اقتصادي بين لبنان والمناطق المجاورة له وبينه وبين دول أوروبا والعالم الجديد[٢٠٥] .

ح ـ الهجرة اللبنانية وأثرها على الاقتصاد اللبناني :

الهجرة اللبنانية قديمة العهد . فقد بدأت منذ أيام الفينيقيين واستمرت كذلك زمن الرومانيين والبيزنطيين ، ولكنها ضعفت في العهود الإسلامية الأولى[٢٠٦] . وفي القرن التاسع عشر عادت الهجرة اللبنانية إلى سابق عهدها واتخذت منذ ١٨٦٠ أشكالاً جديدة إذ أصبح المهاجرون يغادرون البلاد أفراداً لأسبابٍ سياسية واقتصادية بالأكثر[٢٠٧] .

ومن المعلوم أن لبنان وقع في السنين الممتدة من ١٨٤٠ ـ ١٨٦٠ في حالة من الفوضى والاضطراب نتيجة الفتن الطائفية التي حدثت بين سكانه ، أجبرت عدداً كبيراً من أبنائه على ترك البلاد بحثاً عن الأمن والطمأنينة[٢٠٨] .

وكان لطموح اللبنانيين وحبهم للمغامرة ورغبتهم في تحسين معاشهم أثر في

= « مكتب الزراعة في المفوضية العليا الفرنسية في سوريا » . وجيه كوثراني . بلاد الشام . ص ١٢٨ ـ ١٣٣ .

(٢٠٥) Paul Huvelin, **Que vaut la Syrie?** p 28 et les suivantes.

(٢٠٦) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.259.

(٢٠٧) روبرت فيدمر : السكان . ورد عند سعيد حمادة ، النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ص ١٤ .

(٢٠٨) Adel Ismaîl, **Histoire de Liban du XVIIe Siécle à nos jours** T IV. p123 et les suivantes-

ركوبهم للبحار القصيّة والانتقال إلى مناطق بعيدة ينشدون فيها العيش الرغيد . ومما ساعدهم على ذلك تقدم وسائل النقل وسهولة الأسفار في البحار وهبوط كلفة نفقاته . فأجرة السفر من بلاد الشام إلى جنوبي أميركا كانت تتراوح بين ٢٣٠ و٢٥٠ فرنكاً(٢٠٩) . يضاف إلى ذلك حب اللبناني للحرية التي كان ينعم بها لبنان منذ قرون . وقد اندهش السائح فولني « Volney » في القرن الثامن عشر أن يرى لبنان على صغره ووعورة أرضه يغص بالسكان ، حتى وازت كثافتهم فيه أكثر المناطق الفرنسية ازدهاراً ، فقال : « كيف لنا تفسير مثل هذا الرخاء في أرضٍ ضيقة كهذه ؟ إنني لا أجد من سبب له بعد التأمل والتفكير إلا بشعاع الحرية الذي يسطع هناك »(٢١٠) .

ولكن هذه الحرية أصابتها نكسة عنيفة على أيدي الاتحاديين الذين قاموا بانقلابين على السلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٨ و١٩٠٩ ، فقد عزم هؤلاء على دعم المركزية فحاولوا إضعاف استقلال اللبنانيين الذاتي ومن ثم القضاء على حريتهم التي كانوا ينعمون بها(٢١١) ، فلذلك راح اللبنانيون يبحثون عن أماكن نائية فيها وراء البحار تكون متنفساً لحريتهم الضائعة في لبنان .

وبالإضافة إلى هذه الأسباب السياسية والاجتماعية كانت هنالك عوامل وأسباب اقتصادية أكثر أهمية دفعت اللبنانيين إلى الهجرة خارج بلادهم . فمن المسلم به أن لبنان مزدحم بالسكان ، كانت الكثافة السكانية تصل فيه إلى أكثر من ١٥٠ شخصاً في الكيلومتر المربع الواحد(٢١٢) . ويظهر أن زيادة أعداد اللبنانيين في الفترة الأخيرة ، لم يواكبه زيادة في الانتاج الزراعي والصناعي فحالة البلاد الجغرافية التي هي عبارة عن بلاد جبلية ، قليلة التربة نادرة الخصوبة ، والتي تندر في جوفها المعادن ، كانت عاجزة عن إعالة كل سكانها وتأمين الغذاء الكافي لهم(٢١٣) . كما أن تجمّع ملكية الأراضي الزراعية في أيدي عدد قليل من العائلات الاقطاعية في الجبل(٢١٤) لم يترك سوى رابطة

(٢٠٩) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East**, p.266.

(٢١٠) Constantin de Volney, **Voyage en Syrie et en Egypte Pendant les années 1751 et 1785**, Paris 1790, p 241.

(٢١١) كمال الصليبي تاريخ لبنان الحديث ، ص ١٥٤ .

(٢١٢) روبرت فيدمر ، السكان ، ورد عند سعيد حمادة النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ، ص ١٥ .

(٢١٣) Said Shoucair: **Rapport sur les Finances du liban le 6 Octobre 1913** p12.

(٢١٤) M. Jouplain, la question du Liban, Paris 1908, p570- 571.

واهية كانت تشد الفلاح للأرض . وقد زادت طريقة الحصة في زراعة الأرض وفرض ضرائب كثيرة على الفلاح في إضعاف هذه الرابطة ومن ثم في تدني المحصول(٢١٥) . والصناعة المتخلفة لم تكن قادرة كذلك على استيعاب هذه الأعداد المتزايدة من الأيدي العاملة . ولم تكن التجارة اللبنانية في وضعٍ أفضل بسبب حالة البلاد الجبلية الوعرة التي تندر فيها الطرقات الواسعة ، التي تحتاجها العربات الضخمة(٢١٦) . هذا فضلاً عن الأزمات التي أصابت بعض المنتجات الزراعية . كمادة زيت الزيتون التي تدنت أسعارها بسبب ازدهار صناعة الزيوت في المصانع الأوروبية وخصوصاً زيت السمسم . وانتاج التبغ الذي تعرض لمزاحمة التبغ التركي في مصر منذ ١٨٨٣ عند تأسيس شركة حصر الدخان(٢١٧) . ثم انتاج خيوط الحرير التي زاحمتها خيوط المصانع الصينية والهندية واليابانية . فهذه الحالة التي كانت تزداد كل يوم حرجاً ، دفعت اللبنانيين المغامرين إلى البحث عن وسائل جديدة للعيش ، فاندفعوا إلى الخارج تاركين وراءهم عدداً من العيال الذين كانوا يعتمدون في معيشتهم على أقربائهم المهاجرين(٢١٨) .

وقد كانت مصر وجهة المهاجرين اللبنانيين الذين يمّموا صوبها في بادىء الأمر ، وإذ كانت الحكومة المصرية في عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) بحاجة ماسة إلى موظفين أكفاء لإعادة تنظيم الإدارة ، فقد وجدت في هؤلاء اللبنانيين الذين كانوا من خريجي الجامعات الأوروبية في بيروت الأمل والمرتجى . وهكذا كان الحال زمن الإحتلال البريطاني لمصر إذ وجد الانكليز في خريجي الجامعة الأميركية في بيروت موظفين ناجحين « انعمت بهم السماء » على حد تعبير كرومر(٢١٩) .

---

(٢١٥) Mounir Ismaîl: **Le Liban sous les Mutaçarrifs** , p435- 436

إن ضعف الانتاج الزراعي في الجبل دفع المقاطعجية الكبار إلى بيع أملاكهم لأصحاب الحرف وتجار الحرير والمرابين ، وقد أدى ذلك إلى نشوء الملكيات الصغيرة وتضاؤل الملكيات الكبيرة في المتصرفية . سميليانسكايا ، الحركات الفلاحية في لبنان ، ترجمة عدنان جاموس ، بيروت ١٩٧٢ ، ص٢٥ - ٤٢ .

(٢١٦) روبرت فيدمر : المصدر السابق ، ص١٥ .

Elie Safa, L'Emigration Libanaise, p 160- 166.

(٢١٧) Said Shoucair: **Rapport sur les Finançes du liban le 6 Octobre 1913** p12.

(٢١٨) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٥٢ .

(٢١٩) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٧٦ .

ويبدو أن عمل هؤلاء المهاجرين الذين قدّرت أعدادهم حسب الإحصاءات الرسمية في لبنان بثلاثين ألف نسمة ، لم يقتصر على مجال الوظيفة الإدارية فقط ، بل تعداه إلى حقول الطبابة والصيدلة والتجارة والكتابة والصحافة حتى بلغت الثروة التي جمعوها عام ١٩٠٧ خمسين مليون ليرة انكليزية(٢٢٠) .

ومما تجدر الاشارة إليه أن الهجرة اللبنانية في الفترة الواقعة ما بين ١٨٦٠ و١٩٠٠ أخذت تزداد بشكلٍ ملحوظ . ولكن لتشمل بلداناً عديدة متفرقة في جميع أنحاء العالم ككندا والولايات المتّحدة وأوستراليا ومكسيكو ونيوزلندا والبرازيل وكولومبيا وافريقيا وجزر الهند الغربية والفيليبين . . .(٢٢١) . وقد قُدّر عد دالمهاجرين من لبنان وسوريا خلال هذه المدة بـ١٢٠٠٠٠ نفس بمعدل سنوي وصل إلى ٣٠٠٠ مهاجر(٢٢٢) .

وفي السنوات الأولى من القرن العشرين (١٩٠٠ - ١٩١٤) بلغت الهجرة اللبنانية إلى زوايا الأرض الأربع ذروتها وانخفض عدد سكان جبل لبنان بمعدل ٢٥٪ . وقد قدّرت أعداد المهاجرين اللبنانيين حتى عام ١٩١٤ بـ١٠٠٧٥٧ مهاجر موزعين على المناطق اللبنانية كما يلي :

القضاء	عدد المهاجرين
البترون	٢٦ ١٢٤
كسروان	١٤ ٨٩٥
مشغرة	١٦ ٩٦١
زحلة	٢ ٣٣٢
الكورة	٧ ٢٠٤
المتن	١٩ ٨٥٣

(٢٢٠) المرجع نفسه ، ص٧٦ - ٥٧٧ .

(٢٢١) Elie Safa, L'Emigration Libanaise, p 187- 189.

(٢٢٢) Nations- Unies, **L'évolation économique au Moyen- Orient,** 1945 à 1954, Supplément au rapport sur l'économie mondiale, 1953- 1954, p 163.

جزين	٨٠٦١	
دير القمر	٥٣٢٧	(٢٢٣)

وحسب الاحصاءات الألمانية فقد وصل عدد المهاجرين اللبنانيين عام ١٩١١ إلى ١٤ ألف مهاجر وعام ١٩٢٢ إلى ٢٤ ألف مهاجر(٢٢٤). أما مجمل المهاجرين من سوريا ولبنان في تلك الفترة، فقد بلغ حوالي ٢٢٥٠٠٠ مهاجر بمعدل سنوي يقدر بـ١٥٠٠٠ مهاجر. وقد ارتفع هذا المعدل إلى ٢٠٠٠٠ مهاجر عام ١٩١٤(٢٢٥).

وبصورة عامة فقد كان معظم هؤلاء المهاجرين من الفلاحين الفقراء الذين يجهلون لغة البلاد التي هاجروا إليها. لذلك كانوا يلاقون كثيراً من الصعاب وألواناً مختلفة من شظف العيش(٢٢٦)، ولكنهم في فترةٍ وجيزة، وبعد أن يتعرفوا إلى أحوال هذه البلاد كانوا يندمجون في المجتمعات الجديدة كمواطنين عاديين. ويبدو أن معظم هؤلاء، قد بدأوا حياتهم في بلاد الاغتراب كبائعين متجولين ولكنهم أصبحوا فيما بعد أصحاب تجارات واسعة، فكانوا يستوردون ويوردّون ويفتحون المكاتب التجارية في مختلف عواصم العالم(٢٢٧). وقد مارس منهم حياة الصناعة والزراعة في تلك الأصقاع. وهكذا حتى جمع معظمهم ثروات طائلة في مدة أقصاها عشر سنوات. وقد قدرّت ثروة أحدهم بعشرة آلاف أو ٢٠ ألف فرنك فرنسي(٢٢٨). وكان هؤلاء يرسلون إلى ذويهم في لبنان نسبة كبيرة من الأموال. وقد قُدرّت هذه الأموال سنوياً بمليون ليرة(٢٢٩).

---

(٢٢٣) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.270.

(٢٢٤) Ibidem, p 271.

(٢٢٥) Nations- Unies, **L'évolation économique au Moyen- Orient,** 1945 à 1954, Supplément au rapport sur l'économie mondiele, 1953- 1954, référence précite.

(٢٢٦) Gabriel Ménassa, **Plan de reconstruction de l'économie Libanaise et de réforme de l'Etat,** Beyrouth 1948 p. 384.

(٢٢٧) فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص٥٧٨.

(٢٢٨) Charles Issawi, **The Economic History of the Middle East,** p.271.

(٢٢٩) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢، ص٤٥٣.

ولا شك فقد لعبت هذه الأموال دوراً مهماً في الاقتصاد اللبناني وساعدت على قيام نهضة عمرانية شملت كل القطاعات . وساهمت في سد العجز الذي كان يتخبط فيه الميزان التجاري اللبناني ، وأمنت معيشة عددٍ كبير من العائلات اللبنانية(٢٣٠) ، التي أخذت تبني منازلها على الطرز الحديثة وتقيمها جنباً إلى جنب مع مباني أصحاب الأملاك من مشايخ الجبل . وهكذا حتى أخذت الفروقات الطبقية تزول شيئاً فشيئاً بين العائلات اللبنانية لتحلّ مكانها علاقات المصاهرة والمواطنية التي تقوم على أساس من العدل والمساواة(٢٣١) .

ح - مدخول جبل لبنان السنوي :

بعد أن استعرضنا معظم الأنشطة الاقتصادية التي كان يمارسها اللبنانيون في مرحلة ما قبل الحرب . يمكننا أن نضع جدولاً بمداخيل الجبل السنوية حسب الاحصاءات المتوافرة لدينا . وقد قدرت هذه المداخيل بالقروش كما يلي(٢٣٢) :

محاصيل	قروش
محاصيل زراعية (قمح ، شعير ، تين ، خرنوب ليمون ، زيت عنب ، سائر الخضر والبقول)	٢٠٠٠٠٠٠٠
مداخيل صناعية (صناعة الكلس ، الصابون ، دبغ الجلود ، نسج الأقمشة تخريم ، صناعات زراعية ، التبغ والخمر وسائر المشروبات والجبن والدبس)	١٠٠٠٠٠٠٠
محصول موسم الشرانق	٦٠٠٠٠٠٠٠
محصول حل الشرانق وبقايا هذا الحل	٢٠٠٠٠٠٠٠
مداخيل الفنادق والاصطياف	٢٠٠٠٠٠٠٠

---

(٢٣٠) Elie Safa, L;émigration Libanaise,p 227- 234.

(٢٣١) Mounir Ismaîl: Le Liban sous les Mutaçarrifs, p. 445.

(٢٣٢) لبنان مباحث علمية واجتماعية ج٢ ، ص٤٧٢ - ٤٧٣ .

صافي أموال المغتربين اللبنانيين المرسلة إلى الجبل	٩٠٠٠٠٠٠٠
مجموع الدخل السنوي	٢٢٠٠٠٠٠٠٠

وإذا وزّعنا مجموع هذا الدخل على سكان جبل لبنان الذين كان يصل عددهم إلى ٤١٤٨٠٠ شخص يصيب الفرد الواحد منهم ٥٣٠ قرشاً في السنة(٢٣٣) .

(٢٣٣) يذكر كتاب « لبنان » أن نصيب كل فرد لبناني من مجموع الدخل كان ٦٢٨ قرشاً في السنة . نفس المصدر . ص ٤٧٣ .

الفصـل الخـامـــس

لبنان تحت الحكم التركي المُباشر

١ ـ مواقف اللبنانيين السياسية في بداية الحرب

كانت مواقف بعض اللبنانيين تقوم على مطالبة الباب العالي بتحقيق المساواة بين عناصر الدولة في الحقوق والواجبات داخل نطاق السلطنة ، وإجراء الإصلاحات الضرورية للنهوض بالمؤسسات العامة حتى تصبح قادرة على مجابهة المشكلات والقضايا المستجدة بحكم التطور والتقدم . وأقصى ما طالبت به هذه الفئة الاستقلال الذاتي مع استمرار الخضوع لسلطان الخليفة العثماني .

ولما اشتعلت الحرب في أوروبا أصبح معظم السوريين واللبنانيين أكثر تساهلاً من ذي قبل ، فقد حلّوا أحزابهم وتناسوا خلافاتهم مع الأتراك ، وكفّوا عن المطالبة بالإصلاح ، واتجهوا بأفكارهم إلى الدفاع عن الدولة وإعلاء شأنها ، وبلغت منهم الحماسة أقصى درجاتها وصار أشدّهم كرهاً للاتحاديين أعظمهم غيرة عليهم ورغبة في تأييدهم[١] .

ويبدو واضحاً عند إعلان النفير العام أنه لم يظهر في السلطنة العثمانية ولا سيما في سوريا ولبنان أثر للشغب أو الثورة أو المعارضة[٢] ، ومن لم يقتنع بجدوى السياسة والإدارة التي اتبعتها الحكومة اختار السكوت التام[٣] .

---

(١) دراسات في الثورة العربية الكبرى : دراسة زين نور الدين زين عن أسباب الثورة العربية الكبرى ، عمان ١٩٦٧ ص ٤٨ .
رحلات الامام محمد رشيد رضا جمعها وحققها : الدكتور يوسف أيبش ص ١٨٠ .

(٢) أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ص ٧٠ .

(٣) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ص ١٣٧ .

ولدى دخول تركيا الحرب اجتمعت الهيئة العليا لجمعية « العربية الفتاة » واتخذت القرار التالي : « نتيجة لاشتراك تركيا في الحرب أصبح مصير الولايات العربية في الدولة العثمانية معرّضاً لمخاطر شديدة ، ويجب بذل جميع الجهود لضمان حريتها واستقلالها ، كما تقرر أنه إذا تحقّق أن للدول الأوروبية مطامع في هذه البلاد فإن الجمعية ملزمة بأن تعمل إلى جانب تركيا لكي تقاوم التدخل الأجنبي ، مهما تكن صورته »(٤) .

وكان أعضاء « العهد » قد اتخذوا نفس الموقف ، خاصة بعد أن تلقوا من مؤسس جمعيتهم ، عزيز علي المقيم في مصر ، رسالة « يحذرهم فيها من الإتيان بأي عمل عدائي ضد الدولة العثمانية ، لأن خطر الغزو الأجنبي ماثل جداً ، والواجب الوطني يقضي عليهم أن يقفوا إلى جانب الأتراك طوال أيام الحرب »(٥) .

وكانت الكتب التي تبودلت في تلك الأثناء بين بعض الزعماء وأصحاب الشأن في سوريا ، تؤيد هذا الاتجاه .

ففي الكتاب الذي وجهه الضابط سليم الجزائري إلى أحد أصدقائه السياسيين في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩١٤ ، والذي يبيّن فيه رأيه بشأن الاتفاق الذي تمّ بين الاتحاديين وعبد الحميد الزهراوي وعبد الكريم الخليل ، كتب يقول :
« إن حال السياسة حرجة أيها العزيز فبقدر ما يسيء الاتحاديون إلينا الآن يجب أن نُحسن إليهم حرصاً على كيان الدولة المنكودة الحظ »(٦) .

وفي الرسالة التي وجهها عبد الكريم الخليل في ٦ آب ١٩١٤ إلى أحد أصدقائه كتب يقول :

« أيها العزيز . . . أنا على وشك السفر إلى سوريا لأن التدابير التي اضطرت حكومتنا السنيّة إلى إتخاذها درءاً لخطر الحرب العظمى تقضي على كل عثماني مخلص

---

(٤) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٨ . يذكر جورج أنطونيوس أن هذه المعلومات استقاها مباشرة من الملك فيصل الذي تولّى عرش العراق عام ١٩٢١ بعد ترحيله من سوريا . جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ص ٢٣٧ .
(٥) سليمان موسى ، الحركة العربية ، ص ١٢٥ .
(٦) ثورة العرب : أحد أعضاء الجمعيات العربية ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

لدولته وأمته أن يبذل جهده في سبيل تنفيذها على أحسن ما يرام ، وستكون مهمتي في سوريا جمع كلمة الأمة على شدّ أزر الحكومة والسعي لمنع كل ما يحتمل وقوعه من أسباب النفور بين العناصر العثمانية ، وقد وعدتني الحكومة بأن تشدّ أزري في هذه المهمة وتجيبني إلى جميع المطالب العادلة التي أطلبها منها باسم الأمة العربية أو باسم الأفراد من أبنائها .

فلنكن كلنا يداً واحدة لإنقاذ الدولة من عواقب الحرب الأوروبية وإظهار الوحدة العثمانية بأتمّ مظاهرها لنتمكن من منع اعتداء الدول الغربية علينا والخروج من هذه الأزمة الحرجة أرفع شأناً وأعلى مقاماً »[٧] .

وكتب مختار بيهم[٨] إلى أحد أصدقائه السياسيين في مصر ، في ٢٦ تشرين الأول ١٩١٤ ، ما يفيد هذا المعنى ويعبّر عن هذه المواقف حيث قال :

« ولقد ألغينا أحزابنا السياسية وتناسينا اختلافاتنا الداخلية لأن المصلحة المشتركة تقضي بذلك وسوف يرى اخواننا الترك ولا سيما الاتحاديون من أعمالنا في هذه الحرب ما يظهر لهم عظم اخلاصنا للعرش العثماني وتفانينا في خدمة الوطن المشترك ، ونحن الآن على أحسن ما يرام مع حزب الحكومة الذي أظهر وطنية عظيمة في هذه الأزمة الشديدة ، وسنظل كذلك إن شاء الله إلى الأبد ، فكن على ثقة بأن سوريا ستكون في أيام الحرب أحسن منها قبلها فلا يقع ما يكدر من جانب الأهلين ما زلنا أحياء »[٩] .

وقال محمد المحمصاني إلى بعض أصدقائه الذين نصحوه بالبقاء في مصر بعد إعلان التعبئة العامة في الدولة العثمانية : « إن الوطن في حاجة إلى كل فرد من أبنائه في هذا الآوان العصيب فمن الخيانة أن لا نقوم بالواجب علينا نحوه »[١٠] .

وفي شباط ١٩١٥ دعا الأمير سعيد الجزائري ، أحد زعماء سوريا المحافظين الشريف حسين لتأييد الدولة العلية في ظرفها العصيب وطلب منه « أن يكون على وفاق

---

(٧) ثورة العرب : ص ١٢٩ . لطف الله البكاسيني ، نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ١٥٥ .

(٨) كان في تلك الأثناء رئيساً لبلدية بيروت .

(٩) ثورة العرب : ص ١٢٨ - ١٢٩ .

(١٠) ثورة العرب : ص ١٢٩ - ١٣٠ .
لطف الله البكاسيني ، نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ١٥٥ .

مع الخليفة العثماني » . فكان رد الشريف حسين : « بأن فوّض الأمير الجزائري بالعمل على تحسين العلاقات بينه وبين جمال باشا »(١١) .

تثبت هذه الكتب ، بما لا يدع مجالاً للشك أن غالبية العرب في سوريا ولبنان ظلت على إخلاصها للاتحاديين وولائها للخلافة وللسلطان العثماني ، وقد ظهر هذا الإخلاص وهذا الولاء بأتمّ مظاهره عندما دخلت الدولة العلّية الحرب فانضم العرب الأحرار إلى الترك في سبيل الدفاع عن الوطن المشترك ، وخاض جنودهم غمار المعارك في العراق والقوقاس والدردنيل والقنال ، ومات منهم عشرات الألوف في ميادين القتال .

وقد عبّر رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » وأحد أركان حزب اللامركزية في الخطاب الذي وجهه إلى مسلمي سوريا أحسن تعبير عن هذا الموقف فقال :

« ثم أشكر لكم ما أظهرتموه من الغيرة والهمة في الإخلاص والطاعة للدولة وبذل الأنفس والأموال والثمرات لها والكفّ عن طلب الإصلاح منها وتقديركم الحال الحاضرة قدرها حتى أنكم سابقتم في هذا أرقى أمم الأرض التي سكتت عن جميع مطالبها ومنازعاتها الداخلية(١١) .

وورد على لسان جمال باشا بالذات ما يثبت ويؤكد هذا الموقف المسالم والمهادن من عرب سوريا ولبنان وفلسطين ، عندما تحدث عن عبد الكريم الخليل وعبد الرحمن شهبندر وعبد الغني العريسي ومحمد كرد علي حيث قال : بأن هؤلاء قد أقسموا بالله جهد أيمانهم وبشرفهم أن يظل عرب سوريا وفلسطين موالين للحكومة ما دامت الحرب وأن لا يقيموا العراقيل في طريقها وأن ينفذوا أقوالهم هذه بالفعل ، وفي الوقت نفسه شرع أولئك الذين يدّعون بالثوريين وفي مقدمتهم عبد الكريم الخليل يقصّون حزنهم مبدين أنهم في حاجة قصوى إلى المال ، فغمرت عبد الكريم المذكور ومحمد كرد علي وعبد الغني العريسي بالأموال الطائلة وأصبحوا من ذلك الحين فصاعداً خدماً مطيعين لأوامري وأكدوا لي أنهم لا يدخرون وسعاً لمساعدتي »(١٣) .

---

(١١) الأمير سعيد الجزائري : جهاد نصف قرن - ص ٥٤ - ٦٢ .
(١٢) المنار م ١٧ ، جزء ١٢ - ص ٩٥٥ - ٩٥٨ . الأهرام ١٦ أيلول ١٩١٤ .
(١٣) جمال باشا : مذكرات ، ترجمة علي أحمد شكري ، القاهرة ١٩٢٣ ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

وإلى جانب هذا الموقف الداعي إلى حفظ كيان الدولة من التقسيم والتفكك ، ظهر موقف آخر على نقيض الموقف الأول تماماً ، وهو موقف الأقلية من العرب السوريين واللبنانيين الذين كان جلّهم من المسيحيين والذين أخذوا يسعون إلى الإنفصال عن الأتراك وتأسيس دولة مستقلة في سوريا ولبنان بمساعدة فرنسا .

وتحقيقاً لهذا الغرض وجه البطريرك الماروني الياس الحويك في ٢٧ آب ١٩١٤ رسالة إلى السيد دومرغ « M. Doumergue » وزير الخارجية الفرنسية جاء فيها :

« أنه مهما كان موقف تركيا في الحرب فإن الموارنة في لبنان قرروا الإبقاء على علاقات الودّ والحماية مع فرنسا ، وفي حال قيام صراع مع تركيا وتعرّض لبنان للخطر فإننا نشعر بحاجتنا إلى وجود حاكم تخوله سلطته المميزة بضم جميع الفئات إليه ، وأن يكون مرتبطاً بشكلٍ مباشر ، بالسيد جورج بيكو M. Georges Picot القنصل الفرنسي العام في بيروت[١٤] .

وفي الخارج تطوّع خيرالله خيرالله من مؤسسي الجمعية اللبنانية في باريس في الجيش الفرنسي وذلك في ١٥ آب من عام ١٩١٤ ، ثمّ وجه نداء إلى « مواطنيه المبعثرين في مختلف أنحاء العالم » يدعوهم فيه للالتحاق في الجيش الفرنسي « لخدمة قضية الحق والحرية والمساعدة على خلاص بلدهم » . وبعد ثلاثة أشهر من هذا التاريخ أقدم عدد من المسيحيين المقيمين في باريس على الالتحاق بالجيش الفرنسي[١٥] . كان من بينهم : جورج سمنة الذي أسس فرقة للمتطوعين السوريين واللبنانيين وشارك في المعارك إلى جانب الحلفاء فمنحته الدولة الفرنسية وسام جوقة الشرف[١٦] .

ودعماً لهذا لاتجاه أصدر وزير الحربية الفرنسي في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٦ قراراً بتشكيل « فرقة الشرق » التي غايتها تنظيم مقاتلين في فرق مساعدة من أرمن وعرب

---

(١٤) Adel Ismaîl, **Documents,** T 20, p 387- 388.

(١٥) Toufic Touma, **Paysans et Institutions Féodales Chez les Druses et les Marounites du Liban du XVIIe Siecle à 1914** p. 672- 683.

(١٦) Christian Samné, **Le Docteur Georges Samné, Correspondance d'Orient (31e année No 491- 492, Nov, et dec. 1938)**, p. 508.

وغيرهم ، يتطوعون في الخدمة ضد تركيا . هذه الفرقة تشكلت في قبرص ووُضـ
تحت القيادة الفرنسية(١٧) .

ونرى هذا الاتجاه الاستقلالي أيضاً عند مؤسسي جمعية « الاتحاد اللبناني » في م
أمثال أسكندر عمون ويوسف السودا . . . الذين طالبوا اللبنانيين بأن يتمسـ
بامتيازاتهم التي نالوها بموجب بروتوكول ١٨٦١(١٨) .

وكانت جمعية « النهضة اللبنانية » في نيويورك قد تطرّفت في تبني هذا الموقفـ
ففي ٥ أيلول ١٩١٥ عقدت هذه الجمعية مؤتمراً لبنانياً في نيويورك طالب فيه المؤتمر
بتحويل لبنان إلى إمارة دستورية مستقلة تماماً يحكمها أمير أجنبي(١٩) .

ثم يأتي بعد ذلك ندرة مطران ليُطالب بانشاء دولة سورية مستقلة بما فيها لـ
وقد ذكر في كتابه « سورية الغد » ما يلي :

« إن السوريين الواعين ليس لديهم أي وهم ، حول إمكانية استقلالهم ،
حول مقدراتهم الذاتية لحماية ديمومة هذه الحكومة المستقلة . . . إن السوريين يعر
جيداً رغم كل الإشاعات المتجنيّة ، أن فرنسا تحترم ، في مستعمراتها التي تد
بالإسلام ، التقاليد الإسلامية ، وأنها أدخلت فيها نظاماً مزدهراً تُحسد عليه ، فإذ
تحرّروا عن طريقها ، فإنهم سوف يكونون بكل تأكيد أكثر سعادة . . . »(٢٠) .

ثم يدعو مطران السوريين للقبول بالحماية الفرنسية لأن في ذلك كل الخير لهـ
فإن فرنسا الليبرالية العادلة سوف تقدم لهم تجاربها ومساعداتها المالية وا لصناعيـ
وسوف توّفر لهم قسماً كبيراً من قواها البحرية والبرية للحفاظ على وحدة دولـ
وسلامتها(٢١) .

---

(١٧) ›rges Samné, **La Syrie,** p 520- 522.

(١٨) بشارة الخوري : حقائق لبنانية - جزء ١ ص ٨١ - ٨٣ .

(١٩) راجع البيان الذي نشرته جمعية النهضة اللبنانية في نيويورك حول المؤتمر ، المقطم عدد ٨٠٠٩ ، ٢٣
١٩١٥ .

ıra Moutran, **La Syrie de demain, France et Syrie,** Paris 1916, p 98- 100.

(٢٠) lem, p 35.

(٢١) lem, p 212.

ولم يكتفِ مطران بذلك بل اقترح بأن يكون على رأس الدولة السورية حاكم فرنسي ، يعمل بعيداً عن العنعنات السياسية المحلية في سبيل ازدهار البلاد السورية وتطورها ، ذلك أن وجود حاكم مسيحي في سوريا سيجرح شعور المسلمين لا محالة باعتبارهم الأكثرية الساحقة من السكان ، كما أن وجود حاكم مسلم فيها سوف يعرّضها للخصومات والمكائد التي كانت العامل المدمّر للبلاد ، بالإضافة إلى أن المسيحيين في لبنان لن يخضعوا له طواعية(٢٢) .

ونتيجة لهذه الدعوة تجمّع بعض قدامى مؤسسي « اللجنة اللبنانية » تحت اسم « اللجنة المركزية السورية » برئاسة شكري غانم وسكرتارية جورج سمنة ، التي نصّ بيانها التأسيسي أن هدفها « تحقيق انعتاق سورية تحت القيادة الفرنسية »(٢٣) ، ويبدو أن الدكتور جورج سمنة قد حدّد الدولة السورية كما يلي : من الغرب البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشمال سلسلة جبال طوروس ومن الشرق نهر الفرات حتى دير الزور والصحراء السورية ، ومن الجنوب برزخ السويس(٢٤) .

وكانت تشمل في رأيه المقاطعات التالية :

الأقسام السورية من ولاية أضنة ، سنجق ديار بكر ، سنجق الموصل ، ولاية حلب ، ولاية دير الزور ، ولاية دمشق ، ولاية بيروت ، متصرفية جبل لبنان وأخيراً متصرفية القدس(٢٥) .

وقد طالب سمنة أن تتحد هذه المقاطعات في دولة كونفدرالية تحت الحماية الفرنسية ، وذكر أن الدولة السورية الجديدة ستتم : « تحت حماية الدولة الفرنسية بنظام مستقر ديمقراطي شريف »(٢٦) . وقد وافق شكري غانم جورج سمنة على ضرورة إنشاء دولة سورية فدرالية واحدة ولكنه اختلف معه على توقيت إعلان الفدرالية فهو يرى أن

---

(٢٢) Nadra Moutran, **La Syrie de demain**, p 212- 213.

(٢٣) Georges Samné, **La Syrie**, p 490.

(٢٤) Ibidem, p 5- 6.

(٢٥) Ibidem, p 115.

(٢٦) Ibidem, p 232.

الفدرالية بين الأقسام السورية الثلاثة(٢٧) ، لن تكون ممكنة بل ستكون غير مرغوب فيها إذا ما طبقت فوراً وستؤدي إلى إنزال الضرر بالمصالح التي لم تألف بعد الانصهار وسوف تثير مشاعر لم تصبح بعد مشتركة بين السكان الذين كانوا بالأمس أعداء وخصوصاً أن المستقبل كما يقول غانم ، كفيل بتقريب هذه الشعوب واندماجها »(٢٨) .

لقد حدّد غانم فترة زمنية تتراوح بين عشرين وثلاثين سنة لصهر الشعب في بوتقة وطنية واحدة ، على أن تبقى تلك المناطق السورية ، في تلك المرحلة الانتقالية جمهوريات مستقلة تربط بينها الدولة الفرنسية المنتدبة(٢٩) .

ومن الواضح أن الدور الذي لعبه أصحاب هذا الموقف كان ثانوياً فلم يجد له صدى أو تجاوباً في الأوساط المثقفة لدى الطوائف الدينية الأخرى .

٢ ـ جمال باشا قائداً للجيش الرابع وحاكماً عاماً لسوريا :

كان أحمد جمال باشا أحد الثلاثة الكبار الذين حكموا تركيا زمن احتضارها الأخير وهم : طلعت وأنور وجمال ، وقد أخذ يشارك في صنع القرارات السياسية وفي تسيير دفة الحكم لدولة « الرجل المريض » منذ أن تولى وظيفة الحاكم العسكري لعاصمة آخر دولة اسلامية عرفها التاريخ إثر الانقلاب العسكري الذي أطاح بحكومة كامل باشا الائتلافية . وأقام مكانها حكومة شوكت الاتحادية . وقد أكد جمال باشا هذه الواقعة في مذكراته حين قال :

« يرجع أول اشتغالي الشخصي بسياسة الأمبراطوية العثمانية العامة إلى الانقلاب الحكومي في يوم ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣ .

« ففي عشية ذلك اليوم خرجت من دار تفتيش المواصلات(٣٠) ، ويممت بوجهي

(٢٧) كان الوضع الطائفي في سوريا وحالة السكان الفكرية يحتّمان ، بنظر شكزي غانم ، تقسيم سوريا إلى ثلاثة أقسام إذا ما وجد أن تبقى فلسطين منفصلة عن سوريا ، وهذه الأقسام هي : لبنان الكبير ـ منطقة دمشق ـ منطقة حلب .

Chékri Ganem, **La Syrie** (Préface) p XVII.

(٢٨) Chékri Ganem, **La Syrie** (Préface) p XVIII-XIX.

(٢٩) Ibidem, p X- X1.

(٣٠) كان جمال باشا مفتشاً عاماً لخطوط المواصلات في شطالجية قبل تسلّمه وظيفته الجديدة كحاكم =

شطر الباب العالي حيث تدفقت إليه الجماهير في سيلٍ غير منقطع .

« وقد عاد وقتئذٍ محمود شوكت باشا ، الذي عيّن صدراً أعظم منذ بضع ساعات ، من سراي المابين ، فالتقى بي عند مدخل سراي الصدر الأعظم .

« وما كاد بصره يقع عليَّ حتى صاح بي : « هلّم يا جمال بك فإنني أُريد أن تستلم في الحال منصب حاكم الآستانة العسكري ، فلا تتوان لحظة واحدة في إتخاذ شتى الوسائل التي تظنّها لازمة لحفظ النظام والثقة في العاصمة »(٣١) .

ثم عُيّن في شهر كانون الأول ١٩١٣ وزيراً للأشغال العامة(٣٢) ، وفي شباط ١٩١٤ أُسندت إليه نظارة البحرية ليقوم بالإصلاحات الضرورية للأسطول العثماني بعد أن تلكأ في تنفيذها شوروك سولو محمود باشا ، الوزير السابق ، كما ادعى جمال باشا بذلك(٣٣) .

وبعد عشرة أيام من دخول تركيا الحرب(٣٤) عيّن جمال باشا قائداً للجيش الرابع المرابط في سوريا مكان زكي باشا الحلبي الذي رفض المجازفة بجيشه وإرساله إلى شبه جزيرة سيناء لمحاربة الأنكليز هناك(٣٥) . وقد دبّر أمر هذا الاستبدال أنور باشا(٣٦) ،

= عسكري للآستانة .

(٣١) جمال باشا : مذكرات ، ص١ .

(٣٢) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ٢٢٢ .

(٣٣) جمال باشا : مذكرات ، ص١٣٤ - ١٣٥ .

Colonel Lamouche, **Histoire de la Turquie,** p358.

(٣٤) قبل دخول الحرب ، عقدت تركيا اتفاقية عسكرية سرّية مع المانيا في ٢ آب ١٩١٤ . وفي ٢ تشرين الثاني من العام نفسه ، قطعت العلاقات الدبلوماسية بينها وبين الحلفاء :

Jean- Paul Garnier, **La Fin de l'Empire Ottoman**, p. 158- 160.

(٣٥) أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٣٨ .

(٣٦) في مذكرة بعثها المستر « ب . ب . غريفس P. P. Graviss » مراسل جريدة التايمز اللندنية في القاهرة في ١٢ كانون الأول ١٩١٤ ، ووصلت وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٨ من الشهر نفسه . يروي فيها قصة محادثة مع عضو مسيحي في السلك الدبلوماسي التركي بوظيفة سكرتير لم يشأ أن يذكر اسمه ، يتحدث هذا السكرتير طويلاً عن مركز الثقل في الحكومة التركية ومدى تأثره بالألمان ويتضح من حديثه أن أنور هو صاحب السلطة الطاغية ولدرجات أقل يليه طلعت وجمال . =

بناء على رغبة الضباط الألمان الذين أخذت قيادة الفيلق الرابع في دمشق تعجّ بهم عند دخول الدولة العثمانية الحرب(٣٧) . وقد أصدر أنور باشا بلاغاً جاء فيه : « إن الحضرة الشاهانية المقدسة ، رغبة منها في إظهار الاتفاق الودي الذي يربط الحكومة السنيّة والحكومة الألمانية بمظهره العالي العظيم ، قد تفضّلت وعيّنت الفريق في الجيش العثماني زكي باشا مرافقاً حربياً لدى صاحب الجلالة الأمبراطور الألماني ، وبالمقابلة فإن صاحب الجلالة الأمبراطور ويلهلم عيّن المشير فون درغولنز باشا مرافقاً حربياً لدى صاحب الجلالة السلطان محمد الخامس »(٣٨) .

أما جمال باشا فلم يقبل هذه المهمة إلّا بعد أن أملى الشروط التالية :

١ ـ أن تمتد سلطته إلى سائر الولايات العربية وكيليكيا وكردستان .

٢ ـ وأن تطلق يده بالعمل .

٣ ـ وأن توضع سبعة ملايين ليرة ذهبية تحت تصرفه .

٤ ـ وأخيراً أن يبقى وزيراً للبحرية(٣٩) .

Public Record Office, F. O. 371/2147.

= نقلاً عن الدكتور مكي شبيكة ، « **العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى** » . الجزء الأول ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٧٢ ـ ٧٣ .

(٣٧) يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ١٥٨ .

(٣٨) يذكر عزيز بك في مذكراته أن « الفريق زكي باشا لم يكن من الرجال الحزبيين ، بل كان قائداً عسكرياً شريفاً حيادياً محباً للجامعة العثمانية ، إلا أن هذه الصفات ما كانت لتروق للقابضين على زمام الحكم في السلطنة العثمانية ، فهم يريدون أن تكون البلاد التابعة للجيش الرابع مرتبطة مباشرة بهم وأن يكون هناك رجل قوي يعرف كيف ينفّذ إرادتهم ويقضي تماماً على الفكرة العربية » . .
ولّما كان زكي باشا « كثير التقرّب من العرب ، قرر الاتحاديون استبداله بأحمد جمال باشا ، يدهم اليمنى الذي مهّد لهم سبيل الحكم بعد مقتل محمود شوكت باشا » .
عزيز بك ، **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص ٣٨ ـ ٣٩ .
يبدو واضحاً أن زكي باشا قد أُبعد عن سوريا وأُرسل إلى برلين كمرافق عسكري في معية الأمبراطور الألماني للتخلّص منه ومن مواقفه العربية .

Eugène Jung, **La Révolte arabe,** T11, p31.

(٣٩) محمد جابر آل صفا : **تاريخ جبل عامل** ، ص ١٩٧ .

ومع أن هذه الشروط كانت قاسية للغاية إلّا أن أنور باشا ومن ورائه حلفاؤه الألمان ، قد قبلوا بها ، وزُوّد جمال باشا بصلاحيات إدارية وعسكرية استثنائية(٤٠) . وكانت مهمته الأولى في سوريا توجيه ضربة للإنكليز في مصر وطردهم منها ، ثم القضاء على العناصر العربية الوطنية وإسكات الصوت المطالب بإصلاح الأوضاع في البلاد العربية وتنفيذ سياسة التتريك التي رسمتها جمعية « الاتحاد والترقي » منذ أن انتزعت مقاليد الحكم من السلطان عبد الحميد . وفي الكلمات التي وجّهها أنور باشا إلى جمال حين اختاره ما يشير إلى هذه المهمة حيث قال له أن واجبك هو « القيام بهجوم على القوات الانكليزية المرابطة على قناة السويس ، وإعادة الأمن والنظام إلى سوريا ، فالأنباء الواردة من سوريا تؤكد أن هناك اضطرابات وشغب مضافاً إليها النشاط العظيم الذي يبديه الثوار العرب »(٤١) .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن : لماذا انتدب جمال باشا بالذات لتنفيذ هذه السياسة الخطيرة ؟

من الواضح أن هذا الاختيار لم يتمّ بطريقة المصادفة بل كان نتيجة عوامل ودوافع يمكن إجمالها في ما يلي :

١ ـ شهرة جمال باشا وتفننه في طرق القتل والاغتيال وجرأته في سفك دماء الأبرياء فهو مدبّر مذابح الأرمن في أضنة بعد الدستور إذ كان والياً عليها ، وهو منظم مؤامرات الاتحاديين ومدير فرع الجواسيس والفدائيين في جمعيتهم ، وهو الذي قتل مئات من الأبرياء في الآستانة عقب اغتيال محمود شوكت باشا دون جرم ثابت عليهم إلا لأنهم لم يكونوا من أنصار جمعية « الاتحاد والترقي »(٤٢) .

حتى قال عن نفسه في آخر خطاب ألقاه في دار الحكومة في دمشق : « أن طالعه كان القتل ، ندب لقتال الناشزين من الأتراك كما عهد إليه قتل الناشزين عن الطاعة من العرب »(٤٣) وقد اختارته الحكومة الاتحادية لأنها رأت فيه أقدر رجل

---

(٤٠) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ص ٢٣٤ .

(٤١) جمال باشا : مذكرات ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٤٢) ثورة العرب ، ص ١٦١ ـ ١٦٢ .

(٤٣) محمد كرد علي : خطط الشام ، الجزء الثالث ، دمشق ١٩٢٥ ، ص ١٣٨ .

على تنفيذ الخطة التي قررّت اتباعها في البلاد العربية .

٢ ـ نزعة جمال باشا الطورانية ومعارضة أي إصلاح في البلاد العربية وموقفه المتشدّد من العرب ومطالبته بتتريكهم والتنكيل بزعمائهم ومفكريهم ، فكان من الطبيعي أن تختار حكومة الاتحاديين لتنفيذ سياستها في لبنان وسوريا أحد الداعين لهذه السياسة وأكثرهم تطرّفاً(٤٤) .

٣ ـ إبعاد جمال باشا عن الآستانة ، بعد أن تعددت وتباعدت الميول والنزعات بين أعضاء الحكومة الاتحادية ، فأنور كان يميل إلى المانيا وجمال كان ينزع نحو فرنسا(٤٥) . ناهيك عن رغبة كل واحد من الثالوث التركي الحاكم (طلعت وأنور وجمال) بالتسلط والاستئثار بالحكم ، فأنور كان يرغب في الجلوس على عرش آل عثمان ، بعد أن تزوج من أميرة عثمانية ، وبعد أن أصبح وزيراً للحربية وقائداً عاماً للجيوش التركية في طول البلاد وعرضها(٤٦) . وقد شجعته على تحقيق فكرته هذه السفارة الألمانية التي وجدت فيه الشخص الكفؤ لتولي هذا المنصب . ولهذا أخذ يعمل بكل قواه في سبيل تحقيقه ، ولكنه كان يخشى معارضة زملائه في الحكم وخاصة جمال(٤٧) . فلذلك سعى لأن يتولى جمال قيادة الفيلق الرابع في سوريا . وطلعت أيضاً ليس بالشخص الذي يُستهان به ، فقد كان مثل أنور يفكر في ضعف آل عثمان ، ولكنه لم يجرؤ على التفكير في الجلوس على العرش ، فقد كان هذا في

---

(٤٤) ساطع الحصري : **البلاد العربية والدولة العثمانية** ، ص ١٢٣ .

(٤٥) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص٧٨ .
فيليب حتي ، **لبنان في التاريخ** ، ص٥٨٨ .
دزمونت ستيورت : **تاريخ الشرق الأوسط الحديث** ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ .
بعد أن تسلّم جمال باشا وزارة البحرية في شباط ١٩١٤ قام بزيارة فرنسا تلبية لدعوة من حكومتها ، وهناك اطلع جمال على سياسة فرنسا البحرية ، ثم عرض بصراحة متناهية وجهة نظر بلاده على مسامع « دومارجري De Margerie » وطلب من فرنسا التخلي عن مساندة اليونان والتعاون مع تركيا .
Colonel Lamouche, **Histoire de la Turquie**, p358- 359.

(٤٦) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٥٠ .
عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص٧١ ـ ٧٢ .

(٤٧) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص٧٢ ـ ٧٣ .

نظره أمراً صعباً لذلك أخذ يسلك طريقاً آخر للاستئثار بالحكم وهو طريق الجمهورية ، ولذا أخذ يبثّ هذه الفكرة بين جمهرة الاتحاديين لعله يحظى بتأييدهم ويصل إلى مبتغاه(٤٨) ، ولإزاحة جمال باشا المعارض العنيد من الطريق وافق على تعيينه حاكماً عاماً لسوريا وقائداً أعلى لجيوشها . وجمال باشا الذي كان يأمل في تأسيس مملكة مستقلة في سوريا بعد أن يضم مصر إليها ، رضي بترك العاصمة والتوجه إلى دمشق حيث أخذ يعمل على تحقيق هدفه البعيد(٤٩) . ولما تسلّم جمال باشا وظيفته الجديدة وعيّن كبار مساعديه من الضباط الذين يثق بهم ، غادر القسطنطينية ، عاصمة الخلافة ، في ٢١ تشرين الأول ١٩١٤ ، فبلغ سوريا في أوائل كانون الأول من السنة نفسها(٥٠) ، وبقي فيها مدة ثلاث سنوات ، حكمها حكماً استبدادياً كاد أن يكون مطلقاً .

---

(٤٨) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٧٣ .
فؤاد غصن ، مذكراتي خلال القرن ، ص ٥٠ .

(٤٩) Eugène Jung, **La Révolte arabe,** T11, p31.
أدهم آل الجندي ، شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ٢٢٣ .
يقول عزيز بك في مذكراته أن « جمال باشا كان يجهل حقيقة الوعود التي قطعها أنور ورفيقاه (طلعت وخليل) للصدر الأعظم سعيد حليم باشا بتولية الخديوية المصرية ، ولهذا سار إلى سوريا وفي قلبه طمع بأن يكون خديوياً » . والواقع أن فكرة انشاء خديوية في سوريا تكون تابعة للدولة العثمانية وُلدت في مخيلة أنور وطلعت اللذين كانا يعملان للقضاء على نفوذ فرنسا في لبنان (قبل الحرب) وقد أيدهما في ذلك السفير الألماني في الاستانة ، مشترطاً أن يُمنح لبنان امتيازاً إدارياً فيكون مستقلاً بموظفيه وموازنته ومرتبطاً بالخديوية السورية في سائر الشؤون . وقد دارت مفاوضات طويلة بهذا الصدد بين السفير الألماني وأنور وطلعت اللذين خابرا بعدئذٍ ولي العهد الأمير يوسف عز الدين ، ثم بعض كبار السوريين . وقد كان الاتفاق تاماً بين الفريقين الترك والألمان وكذلك كان الأشخاص الذين فاوضهم طلعت باشا من السوريين وفي مقدمتهم عبد الكريم الخليل وعبد الحميد الزهراوي والدكتور سعيد حيدر ويوسف سرسق والأمير شكيب أرسلان وعبد الرحمن باشا اليوسف موافقين على هذه الخطة وقطعوا عهداً لأنور بتأييده في إنشائها وصرّحوا أن السوريين أنفسهم لا يتأخرون قط في قبولها ، وبينما كان أنور باشا يسعى لإستمالة ولي العهد لحلّ القضية السورية والعربية إذ نشبت الحرب العالمية الأولى فتبدّل الموقف وتوقفت المفاوضات .
عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٧٥ - ٧٨ .

(٥٠) جمال باشا : مذكرات ، ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

٣ ـ تقرّب جمال باشا من العرب لدى وصوله إلى سوريا :

لم يكشف جمال باشا لدى وصوله إلى سوريا عما في نفسه من الحقد والضغينة تجاه زعماء سوريا ولبنان ، بل راح يتقرّب إليهم(٥١) . فاتخذ الدكتور عبد الرحمن شهبندر طبيباً خاصاً له ، وقرّب إليه عبد الكريم الخليل ، وصادق الأستاذ محمد كرد علي ، صاحب جريدة « القبس » ، وعبد الغني العريسي ، صاحب جريدة « المفيد »(٥٢) . كما منح المال لكثيرٍ من مشايخ العرب أمثال : الشيخ أسعد الشقيري والشيخ عبد الكريم الحسيني والشيخ بدر الدين الحسني والشيخ تاج الدين الحسني والشيخ عبد الرحمن الأنصاري والشيخ عبد القادر الخطيب(٥٣) . واستخدم نفوذ هؤلاء في سبيل إقناع الضباط العرب وقادة الرأي فيهم بقبول وظائف كبيرة ملكية وعسكرية في الأناضول وعلى الحدود بحجة أن الدولة بحاجة إلى أمثالهم في تلك الأنحاء(٥٤) .

ليس هذا فحسب ، بل تظاهر جمال باشا بكرهه للاتحاديين وميله إلى العرب(٥٥) واستعداده لمنح العرب بعض الامتيازات في الشؤون الادارية واعتبار اللغة العربية لغة رسمية(٥٦) ، كما أنه لم يتوان عن حضور الحفلات التي أقامها العرب في مناسبات مختلفة ، فحضر على سبيل المثال الاحتفال الذي نظّمه عبد الكريم الخليل في بعلبك ، ولم يرافقه سوى حارسه الخاص والوالي السوري خلوصي بك(٥٧) .

وفي أوائل شهر كانون الثاني ١٩١٥ حضر أيضاً حفلة أُقيمت في النادي الشرقي في دمشق لتكريم الأستاذ الشيخ عبد العزيز جاويش(٥٨) . وبهذه المناسبة ألقى جمال باشا خطاباً أثنى فيه على العرب طالباً إحياء مكارم العرب وأخلاقهم ومجدهم ،

---

(٥١) المنار : ج١٢ ، م١٩ ، ص ٧٩ .
المنار : « تكوين الاتحاديين للجنسية العربية » .

(٥٢) يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام ، الجزء الثاني ، ص ٨٣٤ .

(٥٣) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص٨٨ .

(٥٤) ثورة العرب ، ص ١٦٢ .

(٥٥) المرجع نفسه ، ص ١٦٢ .

(٥٦) جمال باشا : مذكرات ، ص ٣٣٧ .

(٥٧) جمال باشا : مذكرات ، ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٥٨) الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، الجزء ٢٦ ، ص٢٥ .

منذ بزوغ فجر الديانة الجديدة ، وإحياء شهامتهم وآدابهم التي وُجدت قبل الإسلام ، متمنياً على الحضور المحافظة على عروبتهم والدفاع عنها بكل قوة ، والعمل على ترقية الجنس العربي واللغة العربية معلناً استعداد الاتحاديين لتنفيذ الاصلاحات في البلاد العربية مؤكداً على ضرورة بقاء العنصرين العربي والتركي متحدين وتابعين لخليفة واحد مع إنفصال أحدهما عن الآخر كشعبين متحالفين(٥٩) .

وأخيراً لم ينسَ جمال من تحذير العرب من سوء الاختلاف بين العنصرين العربي والتركي مؤكداً على ضرورة التعاون في سبيل إنقاذ الشعبين من الهلاك ، والدين من التشرذم والضياع فقال :

« وإني أُناشد الشباب الأتراك والعرب قائلاً إن هٰذين الشعبين مقضى عليهم بالفناء لا محالة في اللحظة التي يتخاذلون فيها ، فالنزاع والاختلاف بين عمودي الإسلام لا بدّ أن يؤدي إلى سقوط ذلك الدين ، ويومئذٍ لا مفرّ من الوقوع تحت نير الاستعمار السلافي . . . .

أيها السادة . . .

« إنه لمن أشدّ بواعث الأسف والحزن أن تنجح المحاولات الشيطانية التي يقوم بها أعداء الدين والوطن لبذر بذور الشقاق بيننا ، فعلى الأتراك والعرب أن يحبوا بعضهم بعضاً لكي يتمكنوا من أن يجنوا ثمار مجهوداتهم المشتركة ، وإني أحذركم عواقب التخاذل فإنه مؤدٍّ حتماً إلى استعبادكم وفنائكم »(٦٠) .

وتأكيداً لهذه السياسة التي أفصح عنها جمال باشا ، أصدر في دمشق « جريدة الشرق » لتكون لسان حاله وداعية تقارب وإلفة بين العرب والأتراك(٦١) . كما أنه أصدر

---

(٥٩) جمال باشا : المصدر السابق ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ .

(٦٠) المصدر نفسه ، ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٦١) محمد جميل بيهم ، قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، ص ٢٥ . أعطى جمال باشا امتياز جريدة الشرق لخليل الأيوبي ، وعيّن الشيخ تاج الدين الحسني مديراً مسؤولاً لها .
أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص٢٢٣ .
يذكر شكيب أرسلان في مذكراته أن مدير جريدة الشرق كان شاهيد بك الذي أتوا به من الآستانة لهذه الوظيفة ، وقد شارك في تحريرها الأمير شكيب ومحمد كرد علي والشيخ عبد القادر المغربي . ويبدو أن =

بياناً طمأن فيه اللبنانيين على امتيازاتهم(٦٢) ، وكشف لبعض الاصلاحيين العرب عن سرّ يدعيه هو استعداد الإتحاديين لإنشاء دولة عربية مستقلة في سوريا والعراق تكون مرتبطة رمزياً بالسلطان ـ الخليفة في الآستانة(٦٣) . وقد انخدع بعض هؤلاء بأقواله وصدقوها حتى أن بعضهم كشف له عن سرّ خطير وهو عزم العرب على الثورة من أجل سلخ سوريا والعراق عن تركيا وإقامة الدولة العربية فيهما(٦٤) .

وهنا يرد السؤال التالي : ما هي أهداف جمال باشا الحقيقية من وراء سياسته تلك(٦٥) ؟

= هذه الجريدة بدأت كبيرة راقية ، ونالت إعجاب الجميع من سوريين وأتراك وألمان ، وبعد مدة وجيزة أخذت هذه الجريدة تتراجع فانقصت صفحاتها ، من ثماني صفحات إلى أربع وأحياناً إلى اثنتين ، وخاصة بعد أن أخذت السلطة التركية في سوريا تمّد يدها وتعارض في نشر كثير من المقالات وهكذا حتى قطع شكيب أرسلان علاقته بها في أواخر ١٩١٦ .

شكيب أرسلان : **سيرة ذاتية** ، ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

(٦٢) جمال باشا : **مذكرات** ، ص ٣٤٧ .

(٦٣) عادل اسماعيل ، **السياسة الدولية** ، الجزء الرابع ، ص ٢٠٦ .

(٦٤) **المرجع نفسه** ص ٢٠٦ .

كان عبد الكريم الخليل رئيس المنتدى الأدبي وأحد المقربين من جمال باشا . وقد فاتح الباشا مراراً في أمر الثورة على حكومة استامبول وإقامة دولة عربية مستقلة في سوريا والعراق.

أسعد داغر ، **مذكراتي على هامش القضية العربية** ، ص٨٦ .

(٦٥) لم يكن جمال باشا التركي الوحيد الذي سعى للتقرّب من العرب والتحبب إليهم في بدء حكمه في سوريا ، بل نرى أيضاً أن بعض أدبائهم قد سلكوا نفس الطريق وأخذوا يتودّدون إلى العرب ويشيدون بفضلهم ويتعمدون تسفيه ما ذهب إليه زملاؤهم قبل الحرب من رفع جنكيز إلى مصاف المنقذين ، وكان بين هؤلاء سليمان نظيف الأديب المرموق ، وهو من الولاة السابقين ، فقد كتب سلسلة مقالات في مجلة الاجتهاد التركية في ١١ تموز و٥ أيلول عام ١٩١٣ ، ومما قاله في هذا المجال :

« إن جهاد عبد الرحمن الغافقي هو عندي أشرف وأثمن من المذبحة الملعونة التي قام بها هولاكو في بغداد سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) . إن مليكنا ليس هو جنكيزخان بل عمر الفاروق ، وإن أحطّ خليفة أموي هو خير من هولاكو وأجداده . ذلك لأن العرب هم الذين أرشدونا إلى سواء السبيل وهم أساتذتنا الممدّنون بل هم كل شيء بالنسبة لنا حتى إذا أعدنا للعرب ما أخذناه منهم فلا يبقى لدينا إلّا جبّة ذات أكمام طويلة » .

محمد جميل بيهم ، **العرب والترك** . . . ، ص ١٦٧ ـ ١٦٨ .

يقول جمال باشا : « منذ وصولي إلى دمشق ، بدأت بتحضير الحملة العسكرية على القناة ، وقد ركزت كل جهودي على خلق جوٍ من الحماس الديني والوطني في البلاد العربية ، وقد نظمت بمساعدة الزعماء العرب المدعوين بالإصلاحيين مهرجاناً لهذا الهدف »(٦٦) . فكانت مهمته المستعجلة هي تحضير الحملة على القناة ، فلذلك آثر سياسة اللين والمهادنة مع الإصلاحيين العرب وإرجاء الفتك بهم إلى ما بعد حملة السويس خوفاً من سوء المغبة ، وإن ما تتابع من حوادث يبرهن على أن هذه الثقة لم تكن إلا نتاج ظرف تكتيكي ، كان الهدف منه إستمالة العرب والمسلمين لتجنيدهم في الحملة العسكرية على القناة(٦٧) .

وقد يكون جمال باشا قد استخدم هذا الأسلوب ليقف على حقيقة الأمر ، فالوشايات كثيرة والمنتفعون كثر(٦٨) ، حتى أنه اختلط عليه كثير من القضايا ، فأخذ السفاح يتقرّب من العرب ويراقبهم في الوقت ذاته ، مراقبة شديدة ويسعى للإطلاع على أسرارهم ومنظماتهم الخفية تمهيداً للبطش بهم(٦٩) .

وهناك فرضية أخرى قد تفسر مثل هذا السلوك ، يقول الشهيد عبد الغني العريسي في وصيته : « أن قائد الفيلق الرابع جمال باشا قد عرقل بحيله مساعينا وأخّر قيامنا فإنه بعد خيبة أمله في غزو مصر واسترجاع القطر الشقيق إلى العبودية ، تظاهر بالميل إلى العرب وأسّر إلى عشرات من كبار الشعب السوري أنه يريد الاستقلال بسورية(٧٠) ، فيكون جمال باشا قد راودته فكرة إنشاء دولة مستقلة في سوريا تحت حكمه ، وفي هذه الحالة كان سلوكه المهادن يستهدف استمالة المعارضة المحلية .

وقد ألمح إلى هذه الظاهرة كثير من المؤرخين والكتّاب(٧١) وأشاروا إلى وجود علاقة

---

(٦٦) جمال باشا : **مذكرات** ، ص ٣٣٩ .

(٦٧) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص٦٦ .

(٦٨) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص٦٤ - ٦٦ .

(٦٩) محمد جابر آل صفا : **تاريخ جبل عامل** ، ص ١٩٨ .
أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ٣٢ .

(٧٠) ثورة العرب ، ٢٤٣ .

(٧١) وقد اعتمد هؤلاء المؤرخون على الوثائق التي عثر عليها البلاشفة في سجلات وزارة الخارجية الروسية على أثر ثورتهم عام ١٩١٧ ونشروها بعد نهاية الحرب .

وطيدة بين جمال بشا والأرمن في تلك الفترة ، وقد حاول توسيطهم لحمل الحلفاء على الإعتراف به سلطاناً على البلاد التي كان يتولى أمرها مقابل انتفاضة على الدولة العثمانية ، ولكنه خاب فأله لأن الحلفاء رفضوا مشروعه ولم يوافقوا عليه فالإنكليز كانوا يرغبون في السيطرة على العراق وفلسطين وفرنسا كانت تطمح باحتلال كيليكيا وسوريا ولبنان(٧٢) .

وحول هذه الناحية يقول محمد جابر آل صفا في مؤلفه « تاريخ جبل عامل » أن جمال باشا « كان يفتك بمن يراه صلب العود ، ثابت العقيدة كي يخلو له الجو ويصل إلى غايته ويحقق فكرة باضت وفرخت في رأسه وهي تأسيس دولة مستقلة في سوريا وفلسطين تشمل ما جاورها من الولايات العربية يكون ملكاً عليها(٧٣) . وفي مقابلة شخصية مع السيد أحمد الخطيب(٧٤) الذي شارك في الجمعيات العربية السياسية التي تأسست قبل الحرب ، أكدّ لنا أن جمال باشا كان يرغب في إنشاء مملكة له في البلاد العربية ، وقد

= أمين سعيد ، **الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الأول ، ص ١٦٨ ـ ١٧٥ .
صبحي العمري : **لورنس كما عرفته** ، ص ١١٨ ـ ١١٩ .
أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص٢٠١ .
زين نور الدين زين : **نشوء القومية العربية** ص ١٢١ و٢٢٢ ـ ٢٢٣ .

Albert Pingaut, **Histoire diplomatique de la France pendant la grande guerre, les Neutralités et le tentatives depaix TIII** Paris 1940, p 228.

حيث يقول : « أنه في أثناء المفاوضات التي سبقت توقيع إتفاقية سايكس بيكو كان جمال باشا يحاول سرّاً أن يجتاز إلى معسكر الحلفاء لو أنّهم تعهّدوا له عند عقد الصلح بإقامة دولة له في أواسط آسيا الصغرى » .

(٧٢) Documents francaises, A. E.Y- - Internationale, V. 670- Vol 75- 76. **Cités Par Antoine Yokayem et Marie Bittar, l'Empire Ottoman; les Arabes et les Grandes Puissances TIV**, P 306- 308.

(٧٣) محمد جابر آل صفا : **تاريخ جبل عامل** ، ص ١٩٨ .

(٧٤) كان السيد أحمد الخطيب ، والد النائب منيف الخطيب (شبعا ـ الجنوب) من الذين اشتغلوا للقضية العربية قبل الحرب العالمية الأولى وخلالها . وقد حاول الهرب على حدّ قوله ـ مع العريسي والناطور وحمد والشهابي إلى اليمن . ولكن أُلقي القبض عليه وأُودع السجن وحُكم عليه بالاعدام ونُقل مع السبعة رجال الذين أُعدموا في دمشق في ٦ أيار ١٩١٦ . وهناك ساعده حسن بصري بك على النجاة بنفسه وقد كان حسن بك هذا رئيس شعبة قطنة ثم عُين رئيساً للديوان العرفي في دمشق بعد أن نقل رئيسه ثروت بك إلى رئاسة ديوان عالية .

أعدم بعض العاملين في القضية العربية خوفاً من إفشاء هذا السر .

أما عزيز بك رئيس استخبارات جمال باشا فيحدثنا بشيءٍ من التفصيل عن المفاوضات التي دارت بين جمال باشا وبعض عملاء فرنسا في الشرق ، فيقول : « ودارت مخابرات طويلة بدأت بها السيدة داود فيتش وتمّمها السيد تافيل بك المدير العام للمصرف العثماني في بيروت وأنهاها الملازم شوفيل »(٧٥) . ثم يذكر أن الحكومة الفرنسية طلبت من جمال باشا أن يغضّ الطرف عن تقدم قوات الحلفاء نحو الساحل بحيث تنسحب القوات التركية من الأمام وتتقدم القوات الفرنسية لاحتلال البلاد السورية واللبنانية وينصب جمال نفسه ملكاً عليها ، ولتحقيق ذلك وضع جمال باشا الشروط التالية :

١ ـ سلخ البلاد العربية الكائنة ضمن حدود منطقة الجيش الرابع عن السلطنة العثمانية على أن تكون في أنظمتها مماثلة للخديوية المصرية .

٢ ـ أن يقبل الحلفاء بتولية أحمد جمال باشا طالما هو في قيد الحياة .

٣ ـ الاعتراف بإلغاء الامتيازات الأجنبية في السلطنة العثمانية .

٤ ـ الاستعانة برؤوس الأموال الفرنسية في المشاريع التي تستلزمها الأعمال في البلاد(٧٦) .

وهنا يعلق عزيز بك على موقف جمال باشا من هذه المفاوضات بقوله :

« كان في إمكانه أن يقبل بإقتراح الفرنسيين وأن يدع جيشه ينسحب من أمام

---

(٧٥) « السيدة داود فيتش » هي « ناتاليا بنت صموئيل داود فيتش ، فتاة اسرائيلية تزوجت سنة ١٩١٢ « موريس لوبلاشت » الفرنسي، وما لبثت أن هجرته . تقول عن نفسها إنها تركية الأصل أباً عن جد ، قصدت مصر قبل نشوب الحرب العالمية الأولى وفيها اعتُقلت بتهمة التجسّس لحساب تركيا كما تدّعي ، ثم عملت لحساب الاستخبارات البريطانية ، ثم كُلّفت بمفاوضة جمال باشا وأن تكون الوسيطة بينه وبين فرنسا .

أما الملازم شوفيل فهو فرنسي كان موظفاً في قسم الجاسوسية الفرنسية ، اتصل بناتاليا في بورسعيد وكلّفها مهمة الاتصال بجمال باشا ، كما تذكر السيدة فيتش كما أنه قام بمهمة الاتصال بجمال باشا بنفسه في بيروت ومفاوضته بأمر الاتفاق بينه وبين حكومته .

عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص١٦٧ و١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٧٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٥ .

جيوشهم عندما يحتلون السواحل إلا أنه خاف النتيجة ، فهو يعرف حقيقة أخلاق أبناء البلاد الذين لا يرضخون إلّا للقوة فإذا فاز الأفرنسيون واحتلوا الساحل وتقدموا إلى الأمام قام سكان الجزيرة العربية بثورة واسعة النطاق فيخرج أمرهم من يد الأفرنسيين الذين قد لا يلبون طلبه فيصبح بين الوطنيين الذين لا يحبونه وبين الأفرنسيين الذين قد ينبذونه عندما ينالون غاياتهم ولهذا لم يتمّم المفاوضات فقطعها »(٧٧) .

ولابد لنا أخيراً من ذكر ما أورده جمال باشا (الصغير)(٧٨) الذي تولى قيادة الجيش الرابع في سورية بعد أن استدعت الحكومة الاتحادية أحمد جمال باشا (الكبير) ١٩١٧ ، حيث يقول :

« إن أنور باشا كان يعرف مقدار مطامع أحمد جمال باشا لهذا كان يخشى أن يقدم ـ إذا عرف بكف يده ـ على سلخ البلاد العربية عن تركيا وإعلان نفسه حاكماً لهذه البلاد ، وهي فكرة كانت متمكنة تماماً من الرجل وكان موضوع اهتمامه الدائم يترقب الفرص لتحقيقها إلا أن سياسته العوجاء التي سار عليها في بدء قدومه إلى سوريا حالت دون تنفيذه هذه الفكرة حتى ذلك الوقت »(٧٩) .

ومهما يكن من أمر فإن سياسة جمال باشا العربية لم يطل أمرها ، فما أن شعر بالهزيمة في القناة حتى كشف عن وجهه الحقيقي وبدأ بتنفيذ ما انتدب من أجله ، وقد بدأ عمله باحتلال جبل لبنان والقضاء على استقلاله الإداري .

٤ ـ احتلال جمال باشا للبنان :

الواقع أن فكرة احتلال جبل لبنان لم تكن من مخيلة جمال باشا وطموحاته السياسية والعسكرية فقط ، بل كانت أيضاً موضوع تداول في الدوائر السياسية الرسمية في الآستانة ، وهدفاً من أهداف رجال تركيا الفتاة الذين كانوا يخشون قيام اللبنانيين بالثورة على السلطنة العثمانية وإعلان استقلال بلادهم بالتعاون مع الحلفاء الذين كانوا يهددون

---

(٧٧) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص١٨٦ .

(٧٨) اسمه الحقيقي جميل باشا ، أما الأهالي في بلاد الشام فقد عرفوه باسم جمال باشا ولقبوه بالصغير تمييزاً له عن أحمد جمال باشا .

(٧٩) جمال باشا (الصغير) : كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب ، ترجمة فؤاد ميداني ، بيروت ١٩٣٢ ، ص١٢ .

السواحل السورية واللبنانية باستمرار[٨٠] .

والجدير بالملاحظة أن بكر سامي بك ، والي بيروت آنئذٍ ، بدأ يمهّد لهذا الاحتلال منذ دخول تركيا الحرب إلى جانب المانيا ، فأخذ يكثر من استقبال طلاب الوظائف والمنافع من اللبنانيين الذين كانوا « هم بالأمس يواظبون على دور القنصليات الأجنبية للغاية عينها »[٨١] ، ثم راح كذلك ، خلافاً لعادته ، يكثر من الزيارات للمناطق اللبنانية الساحلية والجبلية ، التي لفتت نظر المتصرف أوهانس باشا والزعماء اللبنانيين[٨٢] . كما حاول استغلال حادثة العلم العثماني في سوق الغرب[٨٣] ، للتدخل في شؤون لبنان وتجريد اللبنانيين من أسلحتهم[٨٤] . وقبل وصوله إلى دمشق أذاع

---

(٨٠) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٥٨ و٦٧ - ٦٩ .

(٨١) يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ١٤١ .

(٨٢) المصدر نفسه ، ص ١٤١ .

(٨٣) في ٢٣ تموز ١٩١٤ وبمناسبة الاحتفال بذكرى إعلان دستور ١٩٠٨ أقدم موظف البلدية في سوق الغرب من أعمال لبنان على رفع العلم العثماني أمام حانوت السيد نجيب الشويفاتي الذي بادر إلى نزعه ووضعه في مكانٍ آخر ولما اعترض موظف البلدية على هذا التصرف الذي بدر من صاحب الحانوت وحصلت مشادة بين الجانبين وسقط العلم أثناءها على الأرض ، أسرع دركي لبناني ورفع العلم في مكانٍ مناسب وفرّق بين المتشاجرين وانتهى الأمر بسلام . استغل والي بيروت هذه الحادثة ووجّه إلى حاكم لبنان البرقية التالية :

« إن العلم العثماني المبجل في كل مكان قد أصبح عرضة للاحتقار والامتهان في جبل لبنان حيث رماه أحد اللبنانيين أرضاً في سوق الغرب على مرأى من الدركي اللبناني الذي قصر عما تفرضه عليه وظيفته ، الشعب المسلم في هياج لا يثق بالقضاء اللبناني أرجو تسليم الجاني إلى حكومة بيروت ليلقى عقابه الصارم » فأجابه حاكم لبنان بالبرقية التالية :

« إن العلم العثماني المفدى مكرم في جبل لبنان كما هو في كل مكان ، لقد أثبت التحقيق الذي قامت به السلطات اللبنانية ذات الاختصاص القانوني أن عمل نجيب البيروتي المصطاف في سوق الغرب لم يُقصد به مسّ كرامة العلم بل إزاحته عن مدخل حانوته ومع ذلك فقد سيق إلى محكمة الشوف ذات الصلاحية المكانية لينال ما يستحقه من العقاب . ولما كان العدل والقانون مصونين في محاكم جبل لبنان لا أرى مبرّراً لهياج أهل بيروت ، أما الدركي الذي قام بواجبه أثناء الحادث فقد كوفىء بناء على اقتراح رئيسه باجازة يومين مع التقدير » .

Antoine Khair, **le Moutaçarrifat du Mont- Liban,** p 156- 157.

(٨٤) بعد حادثة العلم بأيامٍ قليلة ، تلقى المتصرف أوهانس باشا برقية من زكي باشا ، قائد الفيلق الرابع

جمال باشا في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٤ بلاغاً إلى اللبنانيين دعاهم فيه إلى الإخلاص لدولتهم العلّية ، واعداً إياهم باستمرار عطفها ، فلا تُزاد عليهم ضريبة ولا يكلفون بالخدمة العسكرية ، وأعلن أن الأحكام العرفية التي اقتضتها الظروف الحالية (الحرب) وشملت جميع ولايات الدولة ستُطبق في جبل لبنان ، وأن قوة من الجند أُرسلت إلى لبنان لصد ما يُحتمل وقوعه من هجوم الأعداء . . . وفي ختام بلاغه أوصى سكان الجبل أن يخلدوا إلى السكينة ويواظبوا على أعمالهم كالمعتاد »(٨٥) .

والحقيقة أن القيادة التركية في سورية كانت تسعى لدخول جبل لبنان واحتلاله دون أن تلقى مقاومة أو اعتراضاً من قبل الأهلين ، فلذلك استخدمت وسائل تكتيكية ، ودبلوماسية ، فأرسلت جساً للنبض ، مجموعة صغيرة من الجند مؤلفة من بضعة أشخاص أتراك بقيادة الضابط أميرآلاي تحسين بك إلى مدينة عاليه بحجة النقاهة وتغيير الهواء(٨٦) .

وفي أول أيلول ١٩١٤ تلقى المتصرف أوهانس باشا برقية رقمية من الباب العالي جاء فيها :

« إن الأمن في جبل لبنان أصبح مضطرباً ، ولا سبيل لضمان السلامة العامة إلا بأن تطلبوا ، بالسرعة اللازمة ، قوة كافية من الجيش »(٨٧) . وعند استلامه البرقية استشاط المتصرف غضباً وصاح قائلاً : « ما هذه الوسائل المصطنعة توصلاً لإحتلال

= المقيم في دمشق ، تتضمن « وجوب إرسال الأسلحة المحفوظة في مستودع دير القمر إلى دمشق » . فكان ردّ المتصرف فيه كثير من الحنكة والدراية حيث قال :

« إن الأسلحة التي تأمرون بإرسالها إلى دمشق غير صالحة للإستعمال نظراً لقدمها وهي محفوظة في مستودعها بدير القمر كآثار عتيقة وأرى من الواجب لفت نظر دولتكم إلى أن نقلها من محلها في الظروف الراهنة يثير شكوك الأهلين ويُعيد إلى ذاكرتهم حوادث ١٨٦٠ الأليمة دون أن يكون في نقلها أي مصلحة للدولة » .

Antoine Khair, **le Moutaçarrifat du Mont- Liban,** p 157.

(٨٥) Antoine Yammine: **Quatre ans de Misère,** p. 12.

يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ١٥٩ .

، فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٥٤ .

Antoine Khair, **le Moutaçarrifat du Mont- Liban,** p157.

جبل لبنان عسكرياً »(٨٨) . ولكن بعد أن استشار أوهانس باشا كبار الموظفين اللبنانيين أجاب على برقية الحكومة بما يلي :

« لقد أوحى إليَّ أمركم السامي في الظروف الراهنة ، فكرة تغيير الوضع في لبنان تبعاً للوضع الحربي بين الدول الموقعة على نظامه والاكتفاء فيه بحاكم إداري لا تتناوله السياسة الخارجية ، فإذا تفضلتم بالموافقة على ذلك قبلتم استقالتي وأصدرتم أمركم للعمل بموجبه »(٨٩) .

هذه الخطة التي اعتمدتها قيادة الجيش الرابع والحكومة العثمانية في لبنان عدّلتا عنها في نهاية الأمر ، وخصوصاً بعد أن تحرّج الموقف الحربي العام ، واضطرار الدولة العلّية إلى احتلال بعض الأماكن في الجبل ، وعلى هذا الأساس توجّه الحاكم العسكري رضا باشا إلى عاليه وأخبر المتصرف أوهانس باشا بالأمر وأفهمه أن الاحتلال سيتم لضرورات حربية عسكرية(٩٠) .

وهكذا كان ، فبعد عدة أيام أعطى جمال باشا أوامره ، تحت ستار الضرورة العسكرية الملحّة إلى القائد السوري « علي رضا البلانلي » بأن يسير نحو لبنان على رأس قوة مؤلفة من ثلاثة آلاف جندي(٩١) .

وفعلاً ، انطلقت هذه القوة من دمشق واجتازت حدود ولاية سوريا في يومٍ عاصف ومخيف وفي ٢٢ تشرين الثاني دخلت مدينة زحلة اللبنانية(٩٢) ، ومنها تابعت

---

(٨٨) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ١٤٤ .

(٨٩) Antoine Khairm **Le Moutaçarrifat du Mont- LIb**, p157.

(٩٠) بشارة الخوري : حقائق لبنانية ، الجزء الأول ، ص ٧٥ .

(٩١) المقطم : العدد ٧٨٢٢ ، ١٤ كانون الأول ١٩١٤ ، خبر .

(٩٢) بعد وصول القائد البلانلي إلى زحلة أرسل إلى مقام القيادة العليا في الشام برقية يذكر فيها رداءة الطقس وأخطار الرياح التي تهدّد حياة هؤلاء الجنود بالخطر ، فوردت إليه برقية من القيادة تأمره بوجوب دخول الجبل بأسرع ما يمكن وتقول له إن الجو الذي يراه هو معاكساً لمسير الجنود . . . هو ذاك الجو المطلوب الذي تراه القيادة مناسباً لدخول العساكر الشاهانية إلى أرض لبنان » . فؤاد غصن **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٥٩ .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p 9- 10.

المسير حتى وصلت إلى أعلى قمة بين اللبيش ومجدل عينطورة ، وكان ذلك تحت وابل من المطر الشديد والبرد القارص ، وفي تلك المنطقة مات من الجنود كل من لم يقوَ على احتمال البرد ، حتى ليُقال أن عدد الموتى تجاوز الثلاثمائة جندي ، ولمّا علم بحالة الجنود الأتراك أهالي عينطورة المتن وكانوا أقرب اللبنانيين إلى محل الحادثة ، سارعوا إلى مساعدتهم ، فدفنوا موتاهم وعادوا بمن سلم منهم إلى قريتهم حاملين على ظهورهم الجنود الذين لم يعد باستطاعتهم السير نتيجة التعب والإعياء(٩٣) . . .

يحدثنا الطبيب فؤاد غصن الذي ساهم في معالجة المرضى من جنود هذه الحملة فيقول : « في يوم ممطر من أيام شهر تشرين الثاني ، وصل يوزباشي قضاء المتن الأمير أمين أبي اللمع إلى ساحة ضهور الشوير ، وهنالك أنذر الأهلين بوجوب إخلاء بيوتهم خلال أربع وعشرين ساعة وتسليم مفاتيحها لأن الجيش العثماني قد اخترق حدود لبنان عن طريق حمص ـ زحلة ـ ضهور الشوير ـ وسيستقر فيها وحواليها لأسباب دفاعية ، فأخليت المنازل وسُلّمت المفاتيح لحضرة اليوزباشي » .

وفي مساء اليوم التالي ، وبينما كنا نفكر في حالة الجيش القادم إلينا ، تسلّم مدير ناحية الشوير البرقية التالية :

« حضرة مدير ناحية الشوير ،

نحن والجيش في حالة يُرثى لها وبحاجة إلى غذاء ووسائل نقل للمرضى »

قومندان آلاي ٦٧ علي رضا البلانلي »(٩٤)

وعلى الفور قام المدير بما يلزم وأعلم زميله مدير ناحية بكفيا (القاطع) بحالة الجنود الأتراك ثم طلب من الأهالي تقديم ما يمكن تقديمه من الغذاء ، وفي صباح اليوم التالي جُمعت كمية الغذاء التي قدّرت بثمانين حمل بغل ، وأُرسلت بوسائل النقل المختلفة ، من بغال وخيل وطنابر إلى الجنود الأتراك(٩٥) .

ولمّا علم المتصرف أوهانس باشا بحالة الجنود أرسل على الفور بعثة طبية برئاسة

---

(٩٣) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p10.

(٩٤) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٥٥ .

كان الجيش موزّعاً بين اللبيش ومجدل عينطورة ـ المتين ، والمروج والمتين وبعضهم رجع إلى زحلة .

(٩٥) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٥٦ ـ ٥٧ .

الدكتور نجيب الخوري مجهّزة بالأغذية والأدوية والمشروبات الضرورية كما تبرعت زوجته بعددٍ كبير من اللحف والأغطية لوقاية الجنود من برد الثلوج المتساقطة(٩٦) .

وبعد أيام قلائل تابع البلانلي طريقه إلى ضهور الشوير ، فوجد سكان هذه القرية ووجهاءها بانتظار قدومه للترحيب به . وبعد راحة قصيرة في ضهور الشوير ، لا تتعدى الثلاث ساعات تابع البلانلي سيره نحو بكفيا فبلغها في ٢٦ تشرين الثاني فوجد أهلها قد فتحوا فيها منازلهم وفنادقهم لجنوده الذين أنهكهم المسير وأضناهم البرد ، وفي المدة التي قضاها البلانلي في بكفيا كان رجال القرى ووجهاؤها يتوافدون للسلام عليه حاملين معهم الغذاء والكساء لجيشه ، وكل ما هو ضروري لوجودهم(٩٧) .

ومن بكفيا توجه القائد العربي رضا البلانلي لإحتلال قرى بحرصاف وبحنس وبرمانا وبيت مري وساحل المتن من كسروان إلى البترون(٩٨) .

ومن برمانا أبرق القائد البلانلي إلى القيادة العامة في دمشق منبئاً إياها بما تمّ وما حلّ بهم بين زحلة وضهو الشوير ، وفي الوقت نفسه أشار اشارة بليغة إلى ما قامت به مديريتا الشوير والقاطع نحو الجيش وإلى الغيرة والحمية التي أبداها الأهلون وتقديمهم المؤن والأطعمة وعربات النقل للمرضى . . .

وبالرغم من ذلك فقد وجّه جمال باشا برقية من دمشق إلى الآستانة يقول فيها : « إنه بعد مقاومة طفيفة وخسارة لا يعتد بها تمكّن الجند من الدخول إلى جبل لبنان »(٩٩) .

وكتبت جرائد النمسا الخبر تحت عنوان : « احتلال جبل لبنان بقيادة جمال باشا » . ولما شاعت الأنباء عن وجود مؤامرة ضد الجيش التركي في زحلة وأن الذين ماتوا من الجنود كان بسبب عملية تسمّم قام بها الزحليون ، أوفد جمال باشا بعثة

---

(٩٦) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ١٥٧ .

(٩٧) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p10- 11.

(٩٨) كان القائد علي رضا البلانلي يعمل ما بوسعه لإرضاء جنوده ولمنعهم من التعديات والسرقات في الأرياف ، فاستحق بذلك شكر وتقدير اللبنانيين ولهذا كان يستقبل بحفاوة بالغة أينما حلّ .

Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p11.

(٩٩) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٦٠ - ٦١ .

طبية مؤلفة من ثلاثة أطباء ألمان للكشف على جثث موتى الجنود الذين فاق عددهم الثلاثمائة . . . وقد جاءت نتيجة الكشف مؤكدة على أن سبب الوفاة الوحيدة كان البرد القارص(١٠٠) .

على كل حال ، وبعد أن تمّ احتلال ما تبقى من أراضي جبل لبنان في جزين والشوف وعاليه والمتن والكورة والبترون ، باشر الجيش بإقامة الاستحكامات في روابيه وقممه العالية وخاصة في جهات عاليه(١٠١) .

وفي البيان الذي وجّهه جمال باشا أثر هذا الاحتلال حذر اللبنانيين من مغبة الإخلال بسلامة السلطنة والأمن العام والقيام بأية حركة . . . ثم أوضح أن الحكومة المحلية ستحتل جميع المؤسسات والمكاتب التابعة للدول العدوّة والكائنة في جبل لبنان(١٠٢) .

ويطلب من محمد رضا باشا الذي عُيّن قائداً عاماً لقوى جبل لبنان والذي اتخذ من عاليه مركزاً لقيادته ، أرسل القائد العام إلى لبنان حامية مؤلفة من سبعة آلاف جندي(١٠٣) ، اتخذوا من أبنية المدارس الأجنبية والأديرة مراكز لهم(١٠٤) ، كما حوّلوا بعضها إلى ثكنات عسكرية كدير مار شعيا بالقرب من برمانا الذي حُوّل إلى قلعة

---

(١٠٠) نفس المصدر ، ص٦٣ .

(١٠١) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية، ص ٥٢٦ .

(١٠٢) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p12

(١٠٣) Ibidem, p 15

ذكرت جريدة المقطم التي كانت تصدر في مصر خلال الحرب « أن الأخبار الواردة إلينا من سوريا تفيد أن احتلال الجبل لأغراضٍ دفاعية وأن بقاء الجنود العثمانية في لبنان سيستمر حتى نهاية الحرب الحاضرة » .

المقطم ٧٨٢٢ ، ١٤ كانون الأول ١٩١٤ .

(١٠٤) أصدرت الحكومة العثمانية ، عند بداية الحرب ، بعض القوانين التنظيمية للمؤسسات التعليمية الأجنبية ، تخوّلها حق الاشراف المباشر على هذه المؤسسات ، وكل مؤسسة تُخالف هذه القوانين تتعرّض للإقفال أو المصادرة ، أو يتم تحويلها لإغراض اجتماعية أو عسكرية . وقد دارت مراسلات عدة بين سفير الولايات المتحدة في الآستانة ووزارة الخارجية في واشنطن بهذا الشأن .

Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, New York, 1969, Supple. 1915, File 367. 116/303, and File 367. 116/317 p 953- 954.

عسكرية باسم قلعة جمال ، ودير مار يوحنا القلعة الذي حُوّل إلى قلعة عسكرية أيضاً باسم قلعة رشاد(١٠٥) .

وفي ٣١ كانون الأول ١٩١٤ دعا أوهانس باشا بأمر من محمد رضا باشا وكيل القائد العام في لبنان أعيان اللبنانيين ومشايخ القرى وبعض رجال الأكليروس والمأمورين إلى اجتماع في سراي بعبدا . وفي هذا الاجتماع ألقى رضا باشا الذي كان يترأس الاجتماع خطاباً حثّ فيه الجميع على الإخلاص للدولة العلية ، وعلى وجوب المدافعة عن حقوقها وحدودها والوقوف في وجه الأعداء إذا ما حاولوا احتلال الجبل(١٠٦) .

وبعد أن أنهى خطابه قال للمتصرف : « أن فريقاً من ذوات اللبنانيين يعيثون في البلاد فساداً بتشيعهم لدول الأعداء وأصدر أمره بوجوب إبعادهم إلى القدس الشريف عبرة لكل لبناني تقوده جرأته إلى التلفظ باسم فرنسا أو انكلترا أو روسيا ، فحاول المتصرف أوهانس باشا استنكار الأمر فاستشاط رضا باشا غضباً(١٠٧) ، وقال له بحدّة : « ولا يخفى عليك أننا الآن في حرب . . . وأن الأحكام العرفية تشمل لبنان ، أنا المُميت وأنا المُحيي ، وأعلم أن حكمي هذا سيكون باكورة أعمالي العسكرية في لبنان وسينفى بدون شفقة كل لبناني أشك في انحيازه إلى دولة من دول الأعداء » . فما كان من المتصرف إلا أن خضع للأمر ، وسار المتهمون الإثني عشر إلى القدس بعد أن صدر حكم النفي بحقهم(١٠٨) .

---

(١٠٥) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٨٨ .

(١٠٦) ومّما جاء في الخطاب :

« أيها اللبنانيون كونوا مواطنين عن حق ، اعملوا ما بوسعكم لتجعلوا وطنكم قوياً ومزدهراً دافعوا عنه إذا ما هاجمه الأعداء وضحّوا بدمائكم من أجله ، حافظوا على السلامة العامة في هذه الساعات المشؤومة ، وإذا ما دعت الحاجة إليكم وجب عليكم أن تضّحوا بحياتكم في سبيل سلامة المملكة وفضلوا الموت المجيد في ساحة القتال على العار الذي يلحق بكم من جراء مساعدة الأعداء . . .

« ويل لكل خائن . . . وويل لكل من يعمل لخدمة فرنسا وانكلترا . . »

Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p15

(١٠٧) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(١٠٨) المصدر نفسه ، ص٦٦ .

٥ ـ سياسة جمال باشا في لبنان وإلغاء نظام المتصرفية :

يتضح من الخطاب الذي ألقاه رضا باشا في بعبدا أن المتصرف أوهانس باشا وجميع الموظفين الإداريين والعسكريين قد وضعوا تحت تصرّف القيادة العسكرية التركية(١٠٩) . وحين بعث حاكم لبنان رسالة إلى الصدارة العظمى يشكو فيها من مداخلات جمال باشا في أمور الجبل دون أن يعود إليه بالاستشارة ، ويكون بذلك قد خالف الامتيازات التي يتمتع بها الجبل ، تلقى حاكم لبنان برقية جوابية في ١٣ أيار رقم ١٥٩ ـ ٨١٥١ موقّعة من رئيس ديوان الصدر الأعظم يقول فيها :

« إن عليه من الآن وصاعداً أن يتقيد بالأوامر الواردة إليه من وزارة الداخلية والحربية معاً وأنه لمّا كان جمال باشا يمثل هاتين السلطتين فعليه أن يساعده في سائر الأمور التي يتطلبها منه »(١١٠) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن جمال باشا كان لدى وصوله إلى مركز القيادة في دمشق ، قد وجه برقية إلى أوهانس باشا يدعوه فيها للمثول بين يديه ، وكان نص البرقية على الشكل التالي :

« متصرف جبل لبنان ـ تعالوا غداً لمقابلتي في دمشق » .

قائد الفيلق الرابع ـ جمال(١١١)

ومن الواضح أن هذه البرقية قد صيغت بأسلوب لم يألفه المتصرف من قبل . . . أراد منه جمال باشا إظهار سلطته الفوقية على المتصرف والأعيان .

وفي المقابلة التي تمّت بين الرجلين في دمشق ، أفضى القائد العام إلى حاكم لبنان امتعاضه من تعاطف بعض اللبنانيين مع دولتي فرنسا وبريطانيا ، لذلك طلب إليه الإيعاز إلى كل من حبيب باشا السعد وعضوي مجلس الإدارة خليل عقل نائب قضاء المتن ، ونعوم باخوس نائب قضاء كسروان ، وفرنسوا خوري المترجم في القلم الأجنبي ، (ومراسل شركة هافاس الإخبارية وبعض الصحف الفرنسية) بأن يحضروا

---

(١٠٩) الأب ابراهيم حرفوش : **دلائل العناية الصمدانية**، ص ٥٢٩ .

(١١٠) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص١٣١ .

(١١١) يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ١٦٠ .

لمقابلته في دمشق ، وعندما امتثل هؤلاء الرجال الأربعة للأمر وحضروا إلى دمشق أمر جمال باشا بنفيهم إلى إحدى قرى الأناضول(١١٢) .

وبالرغم من أن حبيب باشا السعد قد حاول إثبات محبته للحكومة الاتحادية وعدم تعاونه مع فرنسا(١١٣) بعريضة رفعها إلى جمال باشا ، بعد يومين من إجراء المقابلة في دمشق ، يفنّد فيها الحجج الدالة على ذلك . وبالرغم من أنه سعى لدى قريبه المطران بولس عواد لحمل البطريرك الياس الحويك والمطارنة على إلتماس استصدار الفرمانات من السلطان العثماني بمناصبهم الدينية ، أسوة بأمثالهم من الطوائف المسيحية في الدولة العثمانية ، نقول بالرغم من كل ذلك فإن حبيب باشا السعد لم ينج من النفي ، وإن كانت قد شفعت له هذه التحركات في جعل منفاه مدينة أضنة التي كانت تتوفر فيها كل أسباب الراحة(١١٤) . وهكذا أخذ جمال باشا يدعو تباعاً كبار الموظفين اللبنانيين وأعضاء مجلس الإدارة ، الذين كانوا على علاقة وديّة مع دول فرنسا وروسيا وبريطانيا ويأمرهم بالسفر إلى القدس أو الأناضول مجتمعين ومنفردين حسبما يتراءى له(١١٥) . هذا ولم

---

(١١٢) يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ١٦١ - ١٦٢ .

(١١٣) إن علاقة حبيب باشا السعد بفرنسا وبممثليها في بيروت تؤكدها الوثائق القنصلية التي تعود إلى تلك الفترة .

Adel Ismaîl, **Documents**,, T 20, p376

(١١٤) كان حبيب باشا السعد من قرية عين تراز فقد نفاه جمال باشا مع عائلته وإخوانه (ما عدا شقيقه فؤاد) وبعض وجوه اللبنانيين إلى أضنة » .

لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص١٩٨ .

فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٨١ . إن العريضة التي رفعها حبيب السعد إلى جمال باشا ، مدوّنة بكاملها في كتاب يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(١١٥) Edmond Rabbath, **La Formation historique du Liban**, p251 - 252.

يعدّد يوسف الحكيم في كتابه المذكور سابقاً ، ص (١٦٧ - ١٦٨) بعض أسماء الموظفين والنواب الذين نفاهم جمال باشا وهم : سعيد البستاني (قائد الجند اللبناني) ، جرجس صفا (رئيس دائرة الحقوق الاستئنافية) ، مصطفى عماد (رئيس دائرة الجزاء الاستئنافية) سليم باز (لمدعي العام الاستئنافي) ، الدكتور بولس نجيم (رئيس القلم الأجنبي) ، نمر بو شمعون (معاون رئيس المالية) ، ابراهيم أبو خاطر (قائمقام زحلة) ، سعدالله الحويك (نائب قضاء البترون) ، فؤاد عبد الملك (نائب الشوف) ، سليمان كنعان (نائب جزين) ، نسيب الخوري (مميز قلم الأوراق في مركز

كتفِ جمال باشا بذلك بل أقدم على نفي عددٍ آخر من أعيان لبنان وأدبائه ورؤساء أديانه منهم : المطران شبلي رئيس أساقفة بيروت الماروني الذي مات في منفاه ، والمطران جراسيموس مسرّة متروبوليت بيروت الأرثوذكسي[116] .

ويظهر أن سياسة النفي قد أخذت منحى جديداً في لبنان أثر انتصار العثمانيين في معركة الدردنيل فراح جمال باشا يرسل اللبنانيين والسوريين مع عائلاتهم إلى بلاد الأناضول حتى وصل عددهم إلى ألفي شخص . ثم شكّل لجنة سُمّيت « قومسيون التهجير » تحت رئاسة مكتوبجي كانت مهمتها سوق المنفيين مع عائلاتهم واحصاء أملاكهم وأراضيهم[117] . ويُقال بأن نية حاكم سوريا آنئذٍ كانت إجلاء أبناء سوريا ولبنان عن أوطانهم وأراضيهم وإحلال أتراك مكانهم[118] . ثم أراد جمال باشا وأعوانه إحداث فتنة بين اللبنانيين وأهل جبل عامل أو بين الشيعة والمسيحيين ، فطلب من بعض زعماء جبل عامل ، أن يكونوا على استعداد لمهاجمة الشوف ودير القمر وما يتبعها ، وأوهمهم أن جبل لبنان يتمخض بثورة ضد المسلمين يغذيها الأجانب ، وسلّم عبد اللطيف بك الأسعد قيادة الحملة على لبنان الجنوبي ومنطقة الشوف[119] . وبالرغم

= المتصرفية) ، ابراهيم عقل (مدير ناحية البترون) . ومن بين الذين نفوا كذلك الشاعر الزجلي رشيد نخلة ، والأمير توفيق مجيد أرسلان قائمقام الشوف ، وشقيقه الأمير فؤاد ، والأمير فائق شهاب (قائمقام المتن) وعقيلته الفرنسية .

(١١٦) كان جمال باشا في نيّته نفي البطريرك الياس الحويك لكن البابا وامبراطور النمسا تدخّلا مع السلطان في قضيته ، فوجّه إلى جمال باشا أمراً بوجوب رعايته وإجلال مقامه .

. Edmond Rabbath, **La Formation historique du Liban**, p 252.

لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص١٩٨ .

يذكر يوسف الحكيم أن رئيس الديوان العرفي في عاليه أرسل برقية استحضار بحق البطريرك الحويك إلى محكمة عالية . يوسف الحكيم ، بيروت ولبنان ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

أما جمال باشا ، فيقول في مذكراته أنه « اضطر إلى نفي بعض الأشخاص خارج البلاد بسبب علاقتهم بفرنسا وكاجراء احترازي . . . أما لائحة أسمائهم فقد قُدّمت لي من قبل موظفي الحكومة واقترحت من قبل إصلاحيي بيروت . . . » .

جمال باشا : **مذكرات** ، ص ٢٢٠ .

(١١٧) شكيب أرسلان : **سيرة ذاتية** ، ص١٥٥ - ١٥٦ .

(١١٨) المصدر نفسه ، ص١٥٥ - ١٥٦ .

(١١٩) محمد جابر آل صفا : **تاريخ جبل عامل** ، ص١٩٠ .

من أن هذه الحملة لم تتم فإن حكومة الولايات المتحدة الأميركية قد طلبت من الباب العالي توجيه تعليماته اللازمة إلى موظفيه المدنيين والعسكريين في كل من لبنان وسوريا وفلسطين للحفاظ على أرواح وممتلكات المسيحيين واليهود هناك ، محملة إياه مسؤولية المساس أو التعرض إلى هؤلاء بالقتل أو النهب(١٢٠) .

وفي ٢٣ أيار من عام ١٩١٥ ، قرر جمال باشا حل مجلس إدارة الجبل الذي توقّفت أعماله بسبب غياب معظم أعضائه في المنفى(١٢١) . وفي ٢٦ أيار من العام نفسه خطا خطوته الأولى على طريق إلغاء النظام الأساسي عندما أصدر أمراً بتأليف مجلس إدارة جديد بطريقة التعيين خلافاً لما ينص عليه هذا النظام(١٢٢) . ثم أقدم بعد ذلك على إلغاء امتيازات رجال الدين الموارنة ، فطلب من البطريرك الياس الحويك ، القيام بزيارته وتقديم واجب التهنئة بقدومه إلى سوريا ، وإعلان تأييده لسياسته في لبنان وسائر المناطق العربية بشكلٍ علني(١٢٣) ، علماً بأن البطريرك الحويك قد أرسل وفداً من

---

(١٢٠) Papers Relating to the Foreign Relations of the United States, New York, 1969, Supple. 1915, File No 367./ 116/309 p 979.

(١٢١) Edmond Rabbath, **La Formation historique du Liban**, p 251

عادل اسماعيل : السياسة الدولية ، ج٤٠ ، ٢٠٦ .

الياس الشويري : مذكرات ، ص٩ .

(١٢٢) Georges Samné, **La Syrie**,p 436

أقر النظام الأساسي لجبل لبنان طريقة الانتخاب الديمقراطية في تشكيل المجالس الإدارية التي كانت تتّم على درجتين ، ففي الدرجة الأولى كان يتّم انتخاب مشايخ القرى من الأهلين وفي الدرجة الثانية يقوم مشايخ القرى بدورهم بانتخاب أعضاء مجلس الإدارة وفقاً للتقسيمات الإدارية ولما كان لكل طائفة من أهمية في العدد (المادة العاشرة) .

Adel Ismaîl, **Documents**,, T 12, p37

والأعضاء الذين عيّنهم جمال باشا هم : أحمد الحسيني عن كسروان ـ سليم داود ثابت عن دير القمر ـ حسين الحجار والأمير سامي أرسلان عن الشوف ـ الشيخ عقل أبي صعب عن البترون ـ الدكتور زخور بك العازار عن الكورة ـ يوسف بك بردويل عن زحلة ـ فؤاد عازوري عن جزين ـ أسعد مخايل لحود عن جبيل ـ المقدم رشيد مزهر وإبراهيم بك الأسود واسكندر بك الخوري عن المتن ـ وعيّن الأمير سليم أبي اللمع رئيساً لهذا المجلس .

لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(١٢٣) ويبدو أن البطريرك الحويك قد أيد سياسة جمال باشا في تصريح أورد توفيق توما مقطعاً منه على الشكل =

المطارنة إلى دمشق في ٨ كانون الأول ١٩١٤ لتأدية الواجب المفروض(١٢٤) . وبالرغم من ذلك فإن البطريرك حقّق رغبة جمال باشا وقام بزيارته في ٢١ تموز ١٩١٥ في صوفر ، والتقى معه في زيارة ثانية في ٤ أيار ١٩١٦ في بيروت(١٢٥) . وعندما عرّض جمال باشا بمحبته للفرنسيين أجابه الحويك بما يلي :

« كانوا أولياء دولتنا لما مدحتهم وكنا في طاعة دولتنا لم يلحقنا سخطها ولم تحلل بنا دولتنا نقمتها ولم أكن في ذلك مبتدعاً ولا خلاف أحد عن نظرائي من مدحهم وكانوا قوماً قد أظلنا فضلهم وأغنانا رفدهم فأثنينا بما أولوا »(١٢٦) .

لم يكتفِ جمال باشا بذلك بل أرغم البطريرك الماروني وأساقفته على أخذ فرمان الدولة الذي كان ينص على اعترافها رسمياً بصفتهم الرئاسية على رعاياهم أسوة بغيرهم من سائر رؤساء الطوائف المسيحية الروحيين(١٢٧) . وفي ٣ أيار ١٩١٥ تسلّم الياس

= التالي : « ينبغي أن يكون المرء معايناً الواقع ليلاحظ كم يهتم سعادة جمال باشا من قلبه بمؤاساة هذا البلد البائس . . . إننا لجداً سعداء بالتعبير عن اعترافنا بجميله لأجل ما فعله لخير الشعب اللبناني »

Toufic Touma: **Paysans et institutions féodales chey les Druses et les M. du L. du XVIIı Siècle à 1914,** p707 .

(١٢٤) كان الوفد يتألف من السادة المطارنة : عبدالله خوري وبطرس شبلي وبولس عواد ، والخوري بشارة الشهالي ، وخمسة وعشرين رجلاً من وجهاء المسيحيين في لبنان وقد أدرك الوفد مدينة دمشق في ٩ كانون الأول ١٩١٤ ، وقابلوا جمال باشا نهار الجمعة الواقع في ١١ كانون الأول من السنة نفسها وقدموا له رسالة من البطريرك جاء فيها : « بعد افتقاد الخاطر الكريم والدعاء إلى الله بمزيد توفيقكم نعرض أن بشرى قدومكم الميمون إلى هذه البلاد قد أفعمت القلوب فرحاً وسروراً . . . » وبعد أن يخبره بوصول الوفد للقيام بواجب التهنئة يقول البطريرك : « نحن لا نزال قائمين على فرض الأدعية الحميدة بتأييد دولتنا العلية وتوفيقها إلى ما به خير البلاد وراحة العباد وبحراسة رجالها العظام خاصة شخص دولتكم الكريم محفوظاً بأسباب السلامة والهناء ومجالي اليمن والإقبال بمنه تعالى وكرمه » . في ٨ كانون الأول ١٩١٤ ، الداعي لدولتكم الياس الحويك البطريرك الانطاكي .

الأب ابراهيم حرفوش : **دلائل العناية الصمدانية** ، ص ٥٢٧ ـ ٥٢٨ .

(١٢٥) بشأن هذه الزيارات راجع : الأب ابراهيم حرفوش : **المصدر السابق** ، ص ٥٣٧ ـ ٥٤٣ و٥٤٨ .

Toufic Touma, **op. cit.**p 705- 709

(١٢٦) الأب ابراهيم حرفوش : **دلائل العناية الصمدانية** ، ص ٥٤٣ .

(١٢٧) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p24

لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص١٩٨ .

Edmond Rabbath, **La Formation historique du Liban**, p 252

الحويك الفرمان السلطاني لقاء رسم محدّد بخمسين ليرة عثمانية تُدفع للديوان الهمايواني . أما مطارنة الطائفة المارونية فقد تسلّموا فرماناتهم في ٥ كانون الثاني ١٩١٦ ، ما عدا مطران قبرص الذي استثني من هذا الفرمان السلطاني ، وكان رسم كل فرمان منها ١٥ ليرة عثمانية دُفعت في حينها(١٢٨) .

ولما كانت ألبسة الدرك اللبناني شبيهة بثياب حراس المصارف والقناصل الأجنبية الذين كانوا في العهود العثمانية السابقة ، وقد كانت عبارة عن سروال فضفاض فوقه سترة مسترسلة الأكمام لا تدل بوجهٍ من الوجوه على أن حاملها جندي ، أمر جمال باشا أن تكون ملابسهم كملابس رجال الدرك العثماني تأكيداً على صفتهم العثمانية ـ التركية وتبعيتهم لدولة بني عثمان(١٢٩) .

ولتحقيق سياسته في لبنان كان جمال باشا يستعين ببعض الزعماء المحليين مثل الأمير شكيب أرسلان الذي كان يعمل على استمالة الدروز إلى جانب الباشا سواء كان بجمعه المتطوعين منهم وإرسالهم إلى جهة فلسطين أو بحملهم على القبول بإلغاء امتيازات الجبل ، وكامل الأسعد الذي جمع المتطوعين في جنوبي لبنان (حوالي ٥٠٠ متطوع) للإنضمام إلى جيش الأتراك في جبهة سيناء ، والدكتور أسعد حيدر الذي قام بنفس التحرك في جهات بعلبك(١٣٠) .

ونتيجة لإصرار رضا باشا على طلب إقالة المتصرف أوهانس باشا بحجة أن هذا الأخير رفض تدخله في مصالحته مع أعضاء مجلس الإدارة ، أسرع المتصرف وقدم استقالته وسلم مقاليد السلطة بالوكالة إلى حليم بك التركي رئيس المالية في لبنان وكان ذلك في ٥ حزيران ١٩١٥(١٣١) .

---

(١٢٨) الأب ابراهيم حرفوش : **دلائل العناية الصمدانية** ، ص ٥٣٥ ـ ٥٣٦ .
لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .
الديار : ١ نيسان ١٩٥٥ .. لحد خاطر : **حكاية فرمان أثري فريد من نوعه** . .

(١٢٩) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص١٢٩ .

(١٣٠) المصدر نفسه ، ص ١٣٦ .

(١٣١) وردت الإستقالة على الشكل التالي :
« دولة قائد الجيش الرابع : إن معتمدي الوحيد في حكومة جبل لبنان يوسف بك الحكيم لم يكن

وفي عام ١٩١٦ أعلمت الحكومة التركية حليفتيها المانيا والنمسا بإلغاء الامتيازات اللبنانية ، وبخضوع جبل لبنان للحكم التركي المباشر(١٣٢) . وعلى هذا الأساس يكون لبنان قد ارتبط مباشرة بولاية دمشق وأصبح تابعاً لسلطات جمال باشا السياسية والعسكرية(١٣٣) .

٦ ـ المتصرفون الأتراك :

أ ـ علي منيف بك (٢٥ أيلول ١٩١٥ ـ ١٥ أيار ١٩١٧) :

وفي ٢٠ آب من السنة نفسها تلقّت الدوائر الرسمية في بعبدا تلغرافاً من العاصمة استامبول يفيد بأن علي منيف بك ، مستشار وزارة الداخلية في الآستانة ، قد عُيِّن حاكماً عاماً للبنان مكان المتصرف أوهانس باشا المستقيل(١٣٤) .

وصدرت إرادة سلطانية بهذا الشأن على أن يكون لبنان لواءً مرتبطاً مباشرة بوزارة الداخلية ، أسوة بسائر الألوية في بلاد الدولة المستقلة عن الولايات(١٣٥) . وممّا لا شك فيه أن هذا التعيين جاء مخالفاً لنظام لبنان الأساسي . فمن ناحية كان علي منيف بك مسلماً ومن ناحية ثانية تفرّدت الدولة العثمانية بتعيينه ومنحته حقوقاً وصلاحيات قضت على الامتيازات اللبنانية بعد أن دامت أربعاً وخمسين سنة من عام ١٨٦١ ، حتى عام ١٩١٥(١٣٦) . وعلى هذا الأساس ترك علي منيف بك عاصمة الخلافة ، وقابل

حاضراً الاجتماع الذي استاء رضا باشا من نتيجته ، فإصراركم على طلبه اضطرني إلى الاستقالة وتسليم حليم بك رئيس المالية مقاليد الحكم بالوكالة » .

يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ١٩٨ .

وقد اتهم جمال باشا أوهانس باشا بالخيانة واعتبره يعمل لخدمة المصالح الفرنسية .

عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص ١٣٦ .

Antoine Khair, **le Moutaçarrifat du Mont- Liban**, p 158

(١٣٢) André Mandelstam, **Le Sort de L'Empire Ottoman** Paris, 1917, p336

(١٣٣) Lyné Lohéac, **Daoud Ammoun et la Création de L'Etat Libanais,** Paris 1978, p 67

(١٣٤) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p34

(١٣٥) لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص٢٠٢ .

يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان** . . . ص ٢٢٧ .

(١٣٦) أقر بروتوكول ١٨٦٤ أن يكون للبنان حاكم أو متصرف مسيحي عثماني من غير أهله ترشحه الصدارة =

جمال باشا في القدس ، ومنها اتجه إلى مركز عمله الجديد في جبل لبنان فبلغه في ٢٥ أيلول . وفي ٣٠ منه تلا فرمان تعيينه أمام جماهير غفيرة(١٣٧) ، ثم ألقى بهذه المناسبة خطاباً جاء فيه :

« أنتم لا تجهلون أن تسميتي لهذه الوظيفة تختلف عن تسمية الحكام الذين سبقوني والذين سُمّوا من قبل السلطات الشرعية الست ، أما أنا فقد عُينت من قبل الباب العالي مباشرة بعد أن ألغت الحكومة العثمانية كل ارتباطاتها واتفاقاتها السابقة مع الدول المعنية بتعيين المتصرف على جبل لبنان .

« إن هذا الاختيار سيؤدي إلى تحسين أوضاع الإدارة اللبنانية وسيعود بالفائدة على اللبنانيين من حيث أنهم سيستفيدون من الخدمات التي تقدمها الدولة إلى رعاياها بموجب الدستور .

« وبهذا تكون الدولة العثمانية قد أصبحت صاحبة السيادة المطلقة على هذا القسم المهم من البلاد وأنها ستعمل على حمايته من أي تدخل أجنبي »(١٣٨) .

وقد اتخذ علي منيف بك بعبدا مكاناً لسكنه ، خلافاً للمتصرفين الذين سبقوه . وكان مع شدّة حزمه لينّ الجانب يُعالج الأمور بالصبر والرويّة ويعمل على مراعاة جانب

= العظمى ويوافق عليه ممثلو الدول الكافلة لهذا النظام ويصدر السلطان إرادة سنية بتعيينه مدة خمس سنين قابلة للتجديد ، ويمنحه رتبتي الوزارة والمشيرية أعلى رتب الدولة الإدارية والعسكرية وتخويله مراجعة الباب العالي مباشرة دون مرور بالوزارات وحجبه عن العزل والنقل والمؤاخذات على أنواعها دون موافقة السلطات العليا العثمانية والدولية في الأستانة ، وأسندت إليه صلاحيات واسعة فكان مستقلاً استقلالاً داخلياً كاملاً في إدارة الشؤون وجباية الضرائب وحفظ الأمن وجمع السلاح عند الضرورة وتعيين القضاة والموظفين وعزلهم وتنفيذ الأحكام ما عدا عقوبة الإعدام التي كانت تتوقف على صدور إرادة سنيّة بشأنها مقترنة بموافقة محكمة التمييز العليا في الآستانة ، كما أن القضاة منحوا بعد حين حصانة كانت تمنعه من عزلهم أو إتخاذ أي تدبير تأديبي بحقهم إلاّ بعد تحقيق يشترك فيه مجلس الإدارة .
Adel Ismaîl, **Documents**,, T 12, p 33- 40

(١٣٧) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٢ - ٢٠٣ .
André Mandelstam, **Le Sort de L'Empire Ottoman** p336

(١٣٨) المقطم : عدد ٨١٧٩ ، ١٢ شباط ١٩١٦ « خطبة علي منيف » .
André Mandelstam, **Le Sort de L'Empire Ottoman** p336

اللبنانيين بشتى الطرق والأساليب(١٣٩) .

ومن أعماله المجيدة في لبنان ، منعه بعض القواد العسكريين وفي مقدمتهم رضا باشا ، وكيل القائد العام في لبنان ، من التدخل في شؤون لبنان الإدارية وسدّ بابه في وجوه الوشاة والمدلسين ممن اعتادوا التجمع حول أسلافه(١٤٠) . واهتم أيضاً بقضايا التربية والتعليم في لبنان وشجّع على فتح المدارس المجانية للجنسين وكان يشرف عليها بنفسه ويقوم بزيارتها من حينٍ لآخر ، وتشجيعاً للقيمين عليها كان يتبرع بمبالغ مالية للمعلمين الذين كانوا يقومون بواجباتهم على أكمل وجه(١٤١) .

وبناء على اقتراح من وزارتي الداخلية والعدل قام علي منيف بك بحركة تشكيلات واسعة في الإدارة والقضاء ، فأقال بعض القائمقامين والقضاة الذين كانوا قد سُمّوا من قبل المتصرفين السابقين ، وعيّن مكانهم أُناساً يتمتعون بثقته وثقة جمال باشا . ثم ألغى دائرة الشؤون الأجنبية ليبرهن عن نفسه أنه مجرد موظف إداري يتبع وزارة الداخلية في استامبول(١٤٢) .

وبالرغم من فضائله الكثيرة وحُسْن إدارته لشؤون جبل لبنان فإن علي منيف بك لم يسلم من نقد اللبنانيين في سرّهم ، على الأقل ، وخصوصاً حين أخذ يعين في بعض المراكز موظفين غير لبنانيين(١٤٣) . وحين ساهم أيضاً في الشركة التي ترأسها أحد البيروتيين لاحتكار القمح ، وبيعه في « السوق السوداء » بأثمانٍ فاحشة أدّت إلى استفحال المجاعة ، فجنى من وراء ذلك أرباحاً طائلة(١٤٤) .

---

(١٣٩) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٥٥ .

(١٤٠) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٣ .
يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(١٤١) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p35

(١٤٢) Antoine Khair, **le Moutaçarrifat du Mont- Liban,** p 159.

(١٤٣) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٢٩ .

(١٤٤) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٤٦ .
يذكر أنطوان يمين أن علي منيف بك كان لا يملك فلساً واحداً عندما تولى السلطة في لبنان ، ولكن أصبحت ثروته في نهاية ولايته تُقدّر بنحو مليوني فرنك ذهب .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p37

ولما كانت الدولة العثمانية لا يحق لها استخدام الأطباء اللبنانيين في الجيش باعتبار جبل لبنان متصرفية مستقلة إدارياً ، أرسل علي منيف عشرة أطباء لبنانيين أمثال : الدكتور خليل بدران من وادي شحرور والدكتور رزق الله بعقليني من الشوير . . . إلى حلب للمساهمة في القضاء على الأمراض التي انتشرت بكثرة هناك ، ومعالجة المصابين فيها ، ولدى وصولهم إلى حلب استضافتهم البلدية يومين أُجبروا في نهايتها على ارتداء البزات العسكرية برتبة يوزباشي ، ووُزّعوا بين مختلف المراكز في منطقة الولاية فكان نصيب بعضهم المستشفى العسكري وبعضهم الآخر في فرق الجيش وغير ذلك(١٤٥) . وبالرغم من اشتداد المجاعة وازدياد الحالة سوءاً في لبنان ، فإن الطلب على الأطباء للخدمة العسكرية كان يتزايد باستمرار حتى خلا لبنان تقريباً من الأطباء القانونيين وحتى من المتقدمين سناً بينهم(١٤٦) .

هذا وعيّن المتصرف الجديد ، في تلك الأثناء ، وبعد موافقة قائد الجيش ومجلس الوزراء ثلاثة نواب عن لبنان ، في مجلس المبعوثان العثماني بدعوى أن حالة الحرب تحول دون انتخابهم من قبل الشعب وهم : الأمير حارث شهاب ، الأمير عادل أرسلان ، رشيد بك الرامي(١٤٧) .

وفي أواسط أيار من عام ١٩١٧ انتهى عهد علي منيف في لبنان بتعيينه والياً على

---

(١٤٥) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(١٤٦) يقول الدكتور ، فؤاد غصن « أنه لكي أتمكن من خدمة الزملاء وإبقاء الكثيرين منهم في لبنان وخدمة لبنان أيضاً من الوجهة الصحية الطبية ، ففتّقت لي فكرة تأسيس جمعية الهلال الأحمر في لبنان » ثم يضيف وبعد موافقة القائد العام علي رضا باشا تم تشكيل هذه الجمعية في الاجتماع الذي تمّ في سراي الحكومة في بيروت ، يوم ٤ كانون الثاني ١٩١٥ ، برئاسة واليها وحضور علي رضا باشا وبعض وجوه اللبنانيين . « وانتخبنا عمدة الجمعية برئاسة القائد العام علي رضا باشا ، وتم انتخاب جورج بك تامر أميناً للسر عن قضاء الكورة وانتخابي أنا رئيساً للفرقة الطبية وغيرنا أعضاء في العمدة بينهم الأستاذ جبرائيل نصار عن قضاء المتن والأمير عادل أرسلان عن قضاء الشوف وإبراهيم مدور ورزق الله بعقليني ، وجورج سابا ، وملحم حداد وغيرهم ، وهكذا تسنّى لي أن أبقي في لبنان نحواً من عشرة أطباء يقومون بخدمة الأهلين تحت شعار جمعية « الهلال الأحمر » .

مذكراتي خلال قرن ، ص ٧٤ .

(١٤٧) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٣ - ٢٠٤ .

يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٣٠ .

بيروت فانتقل إليها وبقي في وظيفته تلك إلى أواسط ۱۹۱۸ إذ دُعي إلى الآستانة لاشغال منصب وزير الأشغال العامة فيها(١٤٨). فخلفه اسماعيل حقي بك في حكم جبل لبنان.

ب - اسماعيل حقي بك : أيار ١٩١٧ - ١٤ تموز ١٩١٨) :

وفي ١٠ أيار من عام ١٩١٧ عُيّن اسماعيل حقي بك حاكماً عاماً على جبل لبنان بإرادة سلطانية خلفاً لعلي منيف ، وكان قبل تعيينه حاكماً على لبنان عضواً في مجلس الأعيان العثماني ، وقد شغل ، من قبل في عهد عبد الحميد الثاني ، منصب أمانة السر في الديوان الهمايوني ، وكان مدة في مصر مستشاراً عند مختار باشا الذي صار صدراً أعظم ، وتعرف إلى البطريرك الماروني حين زار الآستانة سنة ١٩٠٥(١٤٩) . وفي ١٥ منه وصل المتصرف الجديد إلى لبنان ، وفي سراي بعبدا تلا فرمان تعيينه ، وأعلن رغبته في سكن الجوار ضمن حدود لبنان فاستؤجر له بيت في الحدث أقام فيه حتى نهاية عهده(١٥٠) .

وكان اسماعيل حقي طيب الخلق ، رقيق العاطفة ، يحب عمل الخير والإحسان إلى الناس والترفع عن أي أذى ، فقد أدّى خدمات جلّى إلى اللبنانيين منها فتحه المآوي الخيرية لأولاد الفقراء وتجهيزها بالمؤن(١٥١) ، ولكن بعض الذين ائتمنهم على إدارتها أساؤوا الأمانة فقلّلوا كثيراً من فائدتها(١٥٢) ، كما أنه غض الطرف عن الذين كانوا يتصلون بالفرنسيين في جزيرة أرواد لتسلّم مساعدة المهاجرين أو أمور أخرى(١٥٣) .

ومن خدماته الجليلة للبنان تكليفه جماعة من المؤرخين والكتّاب في مقدمتهم الأب لويس شيخو اليسوعي وعيسى اسكندر المعلوف ، وضع كتاب في مختلف الشؤون اللبنانية باسم « لبنان » سدّ ثلمة في تاريخنا بما انطوى عليه من المعارف الخاصة

---

(١٤٨) يوسف الحكيم ، المصدر السابق ، ص ٢٩٢ .
(١٤٩) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٦٣ .
(١٥٠) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٦ .
(١٥١) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٢٠٦ .
(١٥٢) لحد خاطر : المصدر السابق ، ص٢٠٦ .
(١٥٣) الأب ابراهيم حرفوش : المصدر السابق ، ص ٥٦٣ .

بلبنان(١٥٤) .

ومما قيل في مدحه بيتان من الشعر كانا لا يزالان محفورين على حجر من أحجار حائط الطريق العام من الجهة اليمنى في أول بلدة شحيم قرب العين وهما :

بكى العصفور أياماً طوالا ونادى ربّه قد ضاع حقّي
فرّق له إله العرش عدلاً وأرسل نحوه اسماعيل حقي(١٥٥)

وفي أوائل تموز ١٩١٨ عُيِّن اسماعيل حقي والياً لبيروت ، ولكنه ظلّ وكيلاً لمتصرفية جبل لبنان ، بطلب من البطريرك الماروني إلى أن عيّنت الدولة العثمانية ممتاز بك خلفاً له(١٥٦) .

ج ـ ممتاز بك : (٢٥ آب ـ ٣٠ أيلول ١٩١٨) :

وكان ممتاز بك آخر من تولى الحكم في لبنان من الأتراك ، فقد صدرت إرادة سلطانية في تسميته حاكماً على الجبل في ٢٥ آب من عام ١٩١٨ ، ولكن لم تطل مدة إقامته في حكم لبنان أكثر من خمسة وثلاثين يوماً ، حين رأى الجيش التركي ينسحب هارباً من البلاد ، ممزق الشمل ، يجر وراءه أذيال الهزيمة والفشل ، فبادر إلى حمل ما خفّ وزنه وغلا من أمتعته ، ونزل إلى حيث صندوق المتصرفية ، وطلب من المستأمن عليه حليم بك أن يعطيه كل ما فيه من نقود ، وقد بلغت قيمتها خمسين ألف ليرة ورقية ، فانتزعها ، وإذ طلب منه حليم بك وصلاً بها ، شهر عليه مسدسه ، ووضعها في حقيبته ، ومضى إلى زحلة يرافقه ياوره سعيد بك حمادة(١٥٧) ، حيث لجأ إلى منزل

---

(١٥٤) وضع الكتاب تحت عنوان « لبنان مباحث علمية واجتماعية » . حقّقه الدكتور فؤاد افرام البستاني بجزئيه الأول والثاني ، ونشرت الجامعة اللبنانية الجزء الأول ١٩٦٩ والجزء الثاني ١٩٧٠ .

(١٥٥) كان الحجر لا يزال موجوداً والكتابة ظاهرة عليه ، ولكن منذ ثلاث سنوات ، وحين بدأت وزارة الأشغال العامة بتوسيع طريق شحيم (قضاء الشوف) ، لم يعد هناك أثر لهذا الحجر .

(١٥٦) لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص٢٠٨ ـ ٢٠٩ .
الأب ابراهيم حرفوش : **دلائل العناية الصمدانية** ، ص ٥٨١ ـ ٥٨٢ .

(١٥٧) Antoine Khair, **le Moutaçarrifat du Mont- Liban,** p 161- 162.
يوسف مزهر : **تاريخ لبنان العام** ، الجزء الثاني ، ص٨٦٤ .
لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص٢٠٩ .

خليل بك مسلّم ، فرحّب به وحماه من أي اعتداء ، ثم أوصله نجلاه إلى محطة رياق حيث انضم إلى فلول الجيش التركي الهارب من غير نظام(١٥٨) .

(١٥٨) Edemond Rabbath, **La Formation historique du Liban..** p269.

الفصل السادس

الاقتصاد اللبناني وسياسة التجويع خلال الحرب

١ ـ الوضع الاقتصادي في لبنان خلال الحرب :

نتج عن دخول تركيا الحرب إلى جانب المانيا ، أزمات اقتصادية حادة في المناطق والولايات العثمانية ، وكان أشد هذه الأزمات وأكثرها خطراً على حياة الأهلين الأزمة التي حدثت في لبنان والتي أودت بحياة عددٍ كبير من الأشخاص .

وقد تعرضت الزراعة في لبنان ، كغيرها من القطاعات الاقتصادية لمشاكل ولحقت بها اضرار فاقت قدرة اللبنانيين على مجابهتها ووضع الحلول لها[١] . وبالرغم من عدم دقة الاحصاءات التي بين أيدينا ، والتي تعود إلى تلك الفترة ، فإنه يمكننا القول بأن الانتاج الزراعي قد تدنى كثيراً أو كاد ينعدم[٢] .

ومع أن تقرير M. Croizat يذكر أن انتاج سوريا ولبنان من شرانق الحرير قد هبط إلى أربعة أخماس الكمية المنتجة قبل الحرب[٣] فإن لدينا ما يبرر القول بأن انتاج جبل لبنان من شرانق الحرير كان أقل من هذه النسبة بكثير وخصوصاً في المناطق الساحلية أو القريبة منها ، حيث اضطر الأهالي إلى ترك منازلهم والهرب إلى الجبال ، خوفاً من خطر الاحتلال أو القصف الذي كانت تتعرض له تلك المناطق[٤] .

---

(١)) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٥٥ .

(٢) المقطم : عدد ٨٢٧٨ ، ٩ حزيران ١٩١٦ استغاثة لبنان وسوريا خلال الحرب ، لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ترجمة الدكتورة عفيفة البستاني (لا تاريخ) ص٤٣٩ .

(٣) Rapport sur ls Sériciculture en Syrie,,établi par M.,croizat,à la ;suite de la mission envoyeé en syrie par les chambres de commerce de lyon et de Marseille, 1919, p3.

(٤) Papers relating to the Foreign relations of the United States Suppl. 1915, p781.

ومن الملاحظ أن بذور القز قد نقصت كثيراً باعتبار أن كل الكمية تقريباً كانت تُستورد من فرنسا ، فالحرب بقطعها العلاقات التجارية حرمت البلاد من هذه المادة الأولية . أما البذور المحلية فلم تكن تعطي إلا نتاجاً رديئاً(٥) .

وكذلك انحطت قوى الأيدي العاملة بشكلٍ ظاهر وقلّت أعدادها ، ففي السنوات ١٩١٧ - ١٩١٨ أدّت المجاعة إلى هلاك ٤٠٪ من الأيدي العاملة الفلاحية(٦) . كما أن قطع أشجار التوت في ولاية بيروت وجبل لبنان لإحلال مزروعات غذائية مكانها(٧) أو لاحتطابها واستخدامها وقوداً للقطارات قد أدى إلى إضعاف المحصول والحط من قدرة الفلاحين الانتاجية(٨) .

ومما تجدر الاشارة إليه أن إقفال أبواب التسويق إلى الخارج قد ساهم في كساد المحصول ، وسمح لكبار تجار بيروت ومرابيها الذين يملكون الثروات النقدية من شراء أجزاء من قرى الشوف والمتن بأبخس الأثمان . وهذا ما سمح لسكان جبيل من المسيحيين من شراء أملاك الشيعة تدريجياً في تلك المنطقة(٩) . وبصورة عامة فإن الأسواق الداخلية قد منيت بفقر شديد ، أعدمها قوة الشراء ، وتوقفت حركة البيع والشراء إلّا ما ندر وبالنقد دون الدين . ثم توقفت معظم المصارف واختفى الذهب من الأسواق(١٠) .

ولما انقطعت العلاقات السياسية بين تركيا والحلفاء ، وكفّت البواخر الانكليزية والفرنسية والروسية عن ارتياد الموانىء التركية ، وضربت أساطيلها الحربية حصاراً على

= عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٥٧ - ٥٨ .

(٥) Rapport de M. Croizat

(٦) جورج حكيم : الصناعة في سوريا قبل الحرب ورد عند سعيد حمادة : النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان ص ١٢٨ .

(٧) Gaston Ducousso, **L'Industrie de la soie en Syrie,** p117

(٨) لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٤٣٨ .

(٩) André Latron, **La vie rurale en Syrie et au Liban,**p 213

(١٠) يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام ، الجزء الثاني ، ص٨٦٤ .
لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٩ .

هذه الموانىء بما فيها موانىء لبنان وولايتي سوريا وبيروت[١١] . لم يعد بإمكان السواح والمصطافين من الوصول إلى الجبال للاستجمام وقضاء عطلة الصيف في الربوع اللبنانية ، فانقطع مورد هام كانت تعتمد عليه بعض العائلات ، وانقطعت أموال المغتربين من الوصول إلى أصحابها[١٢] . وتوقف استيراد البضائع من الخارج ، خصوصاً بعض الحاجات الضرورية للحياة كالسكر وغيره . وانقطع كذلك ورود أشياء كثيرة كالأدوية والأخشاب وأعواد الثقاب والكاز والأقمشة ، وارتفعت الرسوم الجمركية على بعض الأصناف مائة بالمائة وبعد بضعة أسابيع أغلق جمرك بيروت أبوابه على الرغم من أنه كان يحتوي على بضاعة يبلغ ثمنها أكثر من مليوني دولار لم يستطع أصحابها تخليصها وإخراجها من الجمرك[١٣] .

وقد نتج عن ذلك أيضاً هبوط في الصناعات ، إذ أنها كانت تعتمد ، إما على المواد الأولية المستوردة من الخارج ، وإما على الأسواق الخارجية ، وقد كانت صناعة غزل الحرير أشدّ الصناعات اللبنانية والسورية هبوطاً على وجه العموم ، إذ أن مقدار الخيوط الحريرية المغزولة هبطت على ما يُقال إلى عشر مقدارها قبل الحرب[١٤] .

وكان من نتيجة ذلك أن غزا الجوع جميع المدن والأرياف ، ولم يشعر بالفاقة أولئك الذين كانوا يعيشون بالدين لنهاية الشهر فحسب ، بل عضّ الجوع جميع الطبقات بنابه ، حتى الذين عاشوا في ترفٍ قبل الحرب غدوا يعانون آلام الطوى ، بعد أن عجزوا عن الحصول على المال من فوائد ديونهم[١٥] .

---

(١١) Papers relating to the Foreign relations of the United States Suppl. 1915, File 763. 72/ 1567, p 963 and télegrame No1494 Istamboul, 17 spt. 1916. Supple 1916, p 934.

(١٢) جورج حكيم : الصناعة في سوريا قبل الحرب ورد عند سعيد حمادة : **النظام الاقتصادي في سوريا ولبنان** ص ١٢٨ .

(١٣) المقطم : عدد ٨٢٧٨ ، ٩ حزيران ١٩١٦ ، استغاثة لبنان وسوريا خلال الحرب . « توقف العمل في لبنان وسوريا عند إعلان الحرب » .

(١٤) جورج حكيم ـ الصناعة . . . المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(١٥) Chekib Arslan, (préface) **l'évolution politique de la Syrie sous mandat** (Edmond Rabbath) , Paris 1928. p XII.

لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٠ .

٢ ـ سياسة جمال باشا العسكرية وأثرها على الاقتصاد اللبناني :

عندما وصل جمال باشا إلى دمشق وتسلّم مهام القيادة العسكرية في الجيش الرابع ، أخذ يعد العدّة للهجوم على مصر . وأنشأ لجنة أطلق عليها اسم « لجنة التكاليف الحربية » كانت مهمتها وضع يدها على سائر المواد التي يحتاج إليها الجيش طيلة مدة الحرب ، لقاء وثائق تُسلّم إلى أصحاب هذه الموارد . ويبدو أن هذه اللجنة قد وقعت في بيروت تحت تأثير ثلاثة من المحتكرين الجشعين الذين عملوا ما بوسعهم للسيطرة على كل مصادر الثروة(١٦) .

وباسم الضرورة العسكرية صادرت هذه اللجنة البضائع المخزونة عند التجار(١٧) ، كما صادرت أشياء كثيرة لا تتطلبها المعركة ولا تستدعيها الضرورات الحربية ، كالأرز المطحون والحبوب والعطورات والسكاكر وأكياس الجنفيص وصفائح البترول الفارغة والنحاس والحرامات والقبعات والأحذية والتنانير الحريرية وعلب البودرة . . . مما يدلّ على إتساع عمليات السلب والنهب التي مارسها بعض المحتكرين(١٨) وإن كثيراً من هذه الأشياء المصادرة كانت تُباع في الأسواق الداخلية ، كسوق دمشق وحلب وحمص وحماة(١٩) .

ومن الأشياء التي صودرت أيضاً العربات والخيل والبغال والحمير والجمال والغنم والماعز ، مما أدى إلى أزمة نقل حادّة(٢٠) ، وإلى إرتفاع هائل للأسعار حتى صار الناس

---

(١٦) ذكر انطوان يمين الأحرف الأولى من أسماء هؤلاء الثلاثة وهي كما يلي : (M.F.- H. C. et A. D.)
Antoine Yamminè. **Quatre ans de Misère, p18**

(١٧) **المقطم** : عدد ٧٩٤٤ ، ٨ .أيار ١٩١٥ ، الوضع في سوريا ولبنان .

(١٨) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٥١ ـ ٥٢ .
فائز الغصين : **مذكراتي عن الثورة العربية** ، ص ٤٣ ـ ٤٤ .
لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص١٩٨ .

(١٩) ذكر انطوان يمين أن السيد ميشال صيدح ، ترجمان القنصلية الفرنسية في بيروت أخبر بأن شخصاً يُدعى (.A. D) وعمه أمين قد صادرا منه بعض الأدوات الحديدية وفي يومٍ كان في دمشق وجد بضاعته المصادرة في بيروت عند مفوض المدينة .

Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère, p18- 19**

(٢٠) **المقطم** : عدد ٧٨٣٢ ، ٢٨ و١٥ كانون الأول ١٩١٤ **الوضع في سوريا خلال الحرب ودور الألمان**

يطلبون الخبز فلا يجدونه إلا بقدر . أضف إلى هذا أن العلف كان باهظ الثمن جداً ، فرطل الشعير كان ثمنه ست ليرات عثمانية ورطل التبن ليرتين وكانت الليرات أندر من خاتم المارد(٢١) على حد تعبير الدكتور فؤاد غصن في مذكراته .

وتعرض الدواء أيضاً لأساليب الاحتكار والمصادرة فكان الصيادلة يضطرون في بيروت والجبل إلى شراء الأدوية بأسعارٍ مرتفعة جداً(٢٢) .

وتسهيلاً لنقل الجنود وضع جمال باشا يده على جميع طرق المواصلات ووسائل النقل(٢٣) ، ولم يكن بالإمكان التجول أو نقل الحبوب أو الأطعمة أو غير ذلك من قرية إلى قرية إلا بإذنٍ خاص من القيادة العليا(٢٤) .

وعندما نَفِدَ الفحم الحجري أمر الباشا بقطع أشجار الغابات وأشجار الزيتون والتفاح والتوت . . . من جبل لبنان وولايتي بيروت ودمشق لاستخدامها وقوداً للقطارات مما أدى إلى هدرٍ كبير من ثروة البلاد الزراعية(٢٥) .

وهكذا فإن الحالة الاقتصادية كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم ، والمواد الغذائية كانت آخذة في النفاد من الأسواق كما أن القيادة العسكرية التركية كانت تمنع استيراد المواد الغذائية من المدن الداخلية كدمشق وحمص وحماة بحجة تموين الجيش الذي كان يدافع عن السلطنة(٢٦) .

= فيها ـ رواية خليل زينية .
الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٥١ .

(٢١) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٧٦ .

(٢٢) المقطم : عدد ٧٨٢٢ ١٤ كانون الأول ١٩١٤ ، بيروت ولبنان وسوريا .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p19

(٢٣) Georges Samné, **La Syrie,**p 158

(٢٤) المقطم : عدد ٧٩٤٤ ، ٨ أيار ١٩١٥ ، الوضع في سوريا ولبنان .
فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٨٤ .

(٢٥) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .
لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٤٣٨ ـ ٤٣٩ .

(٢٦) Antoine Yammine. **Op. cit.** p 23
يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٤٩ .

وفي ١١ آذار ١٩١٥ أعطى جمال باشا أوامره بأن تُنقل بعيداً عن الشاطىء كل البضائع والأمتعة والحيوانات والعربات وأن تضرم النار حالاً في كل ما لا يمكن نقله ، فكان ذلك ضربة قاصمة لكثيرٍ من العائلات التي خسرت منازلها وممتلكاتها مما زاد الأزمة شدة وتعقيداً(٢٧) .

وبالاضافة إلى ذلك فإن حاكم سوريا العام قد أسرف في تسخير النساء والرجال على حدّ سواء ، وانتزع آلاف الفلاحين من مزارعهم وألزمهم بالقيام بشتى الأعمال كشق طريق وبناء جسر وحفر قناة وما شابه ذلك(٢٨) ، كما أرسل بعضهم للقيام بالأعمال الزراعية في مددٍ زمنية كانت تحددها وزارة الزراعة العثمانية ، استناداً إلى قانون أصدرته الحكومة العثمانية في ٢٤ تموز ١٩١٦ والذي خوّل الحكومة التركية سلطة مصادرة الرعايا العثمانيين وغير العثمانيين في السلطنة الذين لم يؤدوا الخدمة العسكرية رجالاً كانوا أم نساء ، وذلك للقيام بالأعمال الزراعية . وهذا النظام عُرف بنظام السخرة(٢٩) .

وبعد أن اندحر جمال باشا في هجومه على مصر ، أخذ يعد العدة لحملة ثانية ، فأمر بتجنيد الرجال القادرين على حمل السلاح وفرض ضرائب جديدة(٣٠) وسنّ قوانين اعتباطية كان من نتيجتها أزمة اقتصادية عنيفة ، زادت في ارتفاع أسعار المواد الأولية بمعدل ١٥٠٪(٣١) .

وبصورة عامة فإن سياسة جمال باشا العسكرية التي اعتمدها في بلاد الشام كانت الضربة التي شلّت قدرة اللبنانيين على الانتاج وقضت على ما تبقى من محاصيل بحيث لم يعد بإمكان أي إنسان الحصول على ما يحتاج إليه من غذاء وكساء(٣٢) .

---

(٢٧) كان جمال باشا يخشى من عملية إنزال على الشاطىء السوري من قبل الحلفاء .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p23

(٢٨) لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٤٣٩ .

(٢٩) André Mandel- Atam: **Le Sort de L'Empire Ottoman,** p148

(٣٠) فرض ضريبة جديدة على المخازن التجارية المستأجرة بنسبة ٢,٥٪ في السنة . المقطم : عدد ٨١٩٤ ، ١ آذار ١٩١٦ ، ضرائب جديدة في لبنان . .

(٣١) Antoine Yammine. **op. Cit** p 21

(٣٢) ثورة العرب ، ص١٨٢ .

٣ ـ دور الاحتكار في الأزمة الاقتصادية :

لعب الاحتكار أيضاً دوراً بارزاً في تفاقم هذه الأزمة التي امتدت إلى نهاية الحرب وقد مارسه بعض الموظفين والتجار المحليين من أهل البلاد حتى جنى ثروات طائلة ملوك « السوق السوداء » الذين استفحل أمرهم(٣٣) . ويبدو أن التجار كانوا يحتكرون كل ما تطاله أيديهم ، حتى أمست كل المؤن الاحتياطية في حوزتهم ، فكل السكر في مدينة كبيروت كان مخزوناً في عنابر تخص تاجراً واحداً ثرياً . وفي أوائل الحرب احتكر تجار يهود أغنياء من حلب أكثر البضائع الصوفية والقطنية في البلاد وأرسلوها إلى بغداد واستامبول وغيرهما ، تاركين بذلك الأسواق الشامية محرومة تماماً من كل ما يمكن ابتياعه للبس والتغطية ولو بثمن فاحش . وكانت الحنطة في بلاد الشام بين شرين ، إما أن تصادرها السلطة العسكرية ، أو أن يشتريها التجار المحتكرون في الحقول . . . وكانت اجازات استيراد وشراء القمح بكمياتٍ كبيرة ، ونقلها تُعطى لكبار التجار الذين مارسوا ألواناً مختلفة من هذا الاحتكار . . . وهكذا حتى أصبح كل القمح الوارد إلى بلاد الشام بأيدي عددٍ قليل من الرجال الموسرين الذين دبّروا مؤامرة الحنطة هذه . . . وراحوا يفرضون أسعارهم على المشتري(٣٤) . وقد نقل الدكتور وجيه كوثراني عن السيد وديع كرم ، الذي كان مسؤولاً عن مستودع توزيع القمح في صوفر أيام الحرب « بأن الحكومة كانت تبيع كيلو القمح بـ٦ قروش بينما كان التجار يبيعون الكيلو بليرة عثمانية ذهبية(٣٥) . كما ذكر عن عمليات تواطؤ بين موظفين وبين تجار لبنانيين لتهريب القمح من المستودعات والاتجار به في « السوق السوداء »(٣٦) . حتى لقد اضطر كثيرون إلى بيع أرزاقهم وبيوتهم بأبخس الأثمان ولكن دون جدوى(٣٧) .

---

(٣٣) لوتسكي ، **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، ص ٤٣٩ .

(٣٤) الحرب العالمية الأولى ، الجزء ١٦ ، ص١٥٨ ـ ١٥٩ .

(٣٥) يذكر « الأمير شكيب أرسلان » أن رطل القمح الواحد الذي يقدّر بحوالي ٣ كيلو ، كان يُباع بـ٢٠ قرشاً ذهبياً خلال الحرب ، بينما كان يُباع بقرشين ذهبيين فقط في الأيام العادية .

Chekib Arslan, (préface) **l'évolution politique de la Syrie sous mandat** (Edmond Rabbath) Paris 1928. p XIII

(٣٦) وجيه كوثراني: « **الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي** ، ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠ ، بيروت ١٩٧٩ . ص ٢٨٩ .

(٣٧) الأب ابراهيم حرفوش ، **دلائل العناية الصمدانية** ، ص٥٥٢ .

ولقد تفاقم أمر هذه الاحتكارات من القمح والشعير والحبوب على اختلاف أنواعها والمواد الغذائية الأخرى ، حتى أصبح معظم الشعب في حالة جوع دائم ومستمر ، وكذلك فقد اختزن التجار مادة الكاز قبل الحرب ، ولما اشتد الحصار ، ولم يعد يستورد منها أية كمية وخلا الجو لأولئك المحتكرين أخذوا يبيعون هذه المادة الضرورية بأغلى الأثمان ، حتى غدا معظم الناس يستخدمون سراجاً صغيراً ، كان يعطي نوراً ضئيلاً لا يزيد عن ربع شمعة(٣٨) . وهكذا فقد استمر الوضع على هذا المنوال طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى حتى ذاق أبناؤه الأمرّين وأصبحوا في ضيقٍ شديد كان من نتيجته هلاك عدد كبير منهم .

٤ ـ الجراد وقضاؤه على المحاصيل :

وإذا كانت أصوات البؤس ترتفع من كل مكان والتجار يزداد جشعهم ، أخذت الصحف تنذر بوصول الجراد إلى سهول يافا في ٢٢ آذار ١٩١٥ ، فقد أدى الشتاء القاسي وتوقف الأمطار عن الهطول منذ أواخر شباط ، ثم استمرار الهواء الحار طيلة عشرين يوماً ، إلى فتح الطريق أمام الجراد ، فغزا بلادنا في التاسع من نيسان(٣٩) . وقد انتشرت هذه الحشرة في كل انحاء البلاد من الشاطىء حتى الجبل ، كما تغلغلت في البيوت فخلفت وراءها القحط واليباس(٤٠) .

وقد تجنّد الجميع من نساء ورجال وشيوخ وأطفال لمحاربة هذا العدو الذي قضى على الغلال لكنهم لم يستطيعوا القضاء عليه إلا جزئياً(٤١) .

وعمّ البلاء بشكلٍ مخيف حينما انقلب الجراد الزاحف جراداً طياراً في ١٥ حزيران من نفس السنة ، ولم يتمكن الأهالي من القضاء عليه قضاء مبرماً ، إلا بعد أن أتى على كل شيء من قمح وشعير وذرة وحمص وعدس وأشجار مثمرة وبساتين خضراء . وندرت

---

(٣٨) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٣٩) الأب ابراهيم حرفوش ، دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٣٦ .

(٤٠) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٠ .

ص عزيز بك؛ سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٦٠ .

(٤١) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p28

المواد الغذائية وأصبحت الأسعار في ارتفاعٍ مستمر مما دفع بالبلاد إلى مزيدٍ من الجوع والبؤس(٤٢) .

٥ ـ النقد الورقي وأثره في تدهور الاقتصاد الوطني :

وفي ذروة الأزمة الاقتصادية في جبل لبنان ، واستناداً إلى قانون ١١ رمضان ١٣٣٢ هجرية(٤٣) ، أصدر الباب العالي على مراحل نقداً ورقياً يُقدّر بملايين الليرات كما هو موضح في الجدول التالي :

---

(٤٢) ثورة العرب ، ص ١٨٢ .

Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p29

علي مروّة ، تاريخ جباع ، ص ٤٣٧ .

(٤٣) أصدرت الحكومة العثمانية في ١١ رمضان ١٣٣٢ هـ ، قانوناً خوّلت بموجبه البنك الأمبراطوري العثماني حق إصدار أوراق نقدية ، على أن لا تتعدى قيمة هذا النقد الأربع ملايين ليرة ذهبية عثمانية ، كما نصّت إرادتا السلطان العثماني اللتان صدرتا في ١٥ و٢٨ أيلول ١٩١٤ . ويمكننا تلخيص هذا القانون بالنقاط التالية :

١ ـ يجب على جميع أفراد الشعب العثماني ، قبول العملة الورقية التي يصدرها البنك الأمبراطوري العثماني ، والتي تكون مساوية للعملة الذهبية .

٢ ـ كل مواطن عثماني يرفض التعامل بالعملة الورقية يدفع غرامة مالية تتراوح ما بين ١ ـ ١٥ ليرة . أو يُحكم عليه بالسجن مدة تتراوح ما بين ٢٤ ساعة وشهر .

٣ ـ يحق للبنك اصدار عملية ورقية طيلة المدة التي يعمل فيها هذا القانون .

٤ ـ يعمل بهذا القانون فور نشره بوسائل الاعلام الرسمية .

٥ ـ يُكلف وزير المالية والعدلية مهمة تنفيذ هذا القانون .

وممّا تجدر الاشارة إليه أنه عندما تلكأ البنك الأمبراطوري العثماني من القيام بواجبه خلال الحرب ، أقدمت الحكومة التركية على هذا العمل منفردة .

Maxime Nicolas, **Questions Monétaires en Syrie,**p. 25- 26

رقم الاصدار	تاريخ الاصدار	قيمة الاصدار المتوقعة	القيمة المصدرة	القيمة المتداولة
١	٣ تموز ١٩١٥	٦,٥٨٣,٠٩٥	٦,٥٨٣,٠٩٤	٣,١٤٧,٩١٩
٢	٤ تشرين الثاني ١٩١٥	٨,١٤٠,٠٠٠	١٦,٥٣٢,٥٢٤	١٠,٣٤٢,١٠٦
٣	٢٥ تموز ١٩١٦	١١,٧١٠,٠٠٠	٣,١٠٦,٨٤٨	٢,٨٧٧,١٠٣
٤	٢١ آب ١٩١٦	٧٧,٩٨١,٤٠٠٠	٧٤,٨٤٥,٩٧٧	٧٤,١٧٠,٩٢٢
٥	٢٢ شباط ١٩١٧	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٣١,٩٦٩,٠٠٠
٦	٤ تشرين الأول ١٩١٧	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٢,٠٠٠,٠٠٠	٣٢,٠٠٠,٠٠٠
٧	٢٥ أيلول١٩١٨	٢٤,٠٠٠,٠٠٠	٢,٤٩٩,٩٢٥	٢,٤٩٩,٩٢٥
		المجمــوع		١٥٩,٠٠٦,٩٧٥ (٤٤)

وقد جعلت الحكومة العثمانية الليرة التركية مرتبطة بأسعار الليرة الذهبية بمعدل مائة قرش ذهب لليرة الورقية أسمياً ، واستمرت الليرة الذهبية أساس النقد المتداول(٤٥) . وقد أحدث ذلك موجة من الذعر بين المواطنين في بلاد الشام ، وخاصة بعد أن حاول جمال باشا فرض العملة الجديدة بالقوة حيث وجّه إلى السكان تهديداً جاء فيه : « إذا لم تُقبل الليرة الورقية بسعر معادل للعملة الذهبية ، فسأُنفي إلى الأناضول والروماللي عشرة من الأغنياء والشخصيات البارزة والتجارة والصناعيين ، يختارون بالقرعة ، وألفت الإنتباه هنا إلى أسمي المديرين للبنك العثماني والبنك الألماني سيكونان في عداد الأسماء التي ستُلقى في صندوق القرعة . وبعد ستة أسابيع من نفي الدفعة الأولى ، ستأخذ دفعة ثانية ، نفس الطريق إلى الأناضول والروملّي ، ثم دفعة ثالثة وهكذا بانتظام حسابي ، إلى أن تصبح الليرة الورقية عملة التداول الطبيعية في المنطقة »(٤٦) .

(٤٤) Maxime Nicolas, **Questions Monétaires en Syrie**,p. 29

(٤٥) سعيد حمادة ، **النظام النقدي والصيرفي في سوريا** ، ترجمة ستيل دموس ، بيروت ١٩٣٦ ، ص٣٦ .

(٤٦) André Mandelstam, **Le Sort de l'Empire Ottoman**,p./ 341

ويستنتج من هذا التهديد أن الليرة الورقية التركية لم تكن مقبولة من سكان سوريا ولبنان ، كما أنها لم تكن مقبولة أيضاً من مديري البنك الألماني والبنك العثماني ، مما زاد في صعوبة وضع الليرة التركية الورقية وأضعف من قيمتها التداولية .

أما الاعتبار الثاني فيؤكد على أن سياسة تركيا في استصدار العملة الورقية قد دفعت الأهالي إلى إدخار ما لديهم من نقود ذهبية وفضية وقد زاد ذلك في مخزون الذهب في سوريا ولبنان . وأدى إلى ضعف في السيولة النقدية فيهما(٤٧) .

وبالرغم من تهديدات جمال باشا فإن السكان في بلاد الشام لم يقبلوا أن يتداولوا بالعملة الورقية الجديدة ، كما لم يقبل الصيارفة أيضاً إبدال هذه العملة بأية قطع نقدية أخرى(٤٨) . وقد برز هذا الرفض بصورة واضحة في المناطق الداخلية كحوران والبقاع وعكار(٤٩) . مما أدى إلى تكدس مبالغ كبيرة من الذهب في الداخل السوري واللبناني(٥٠) . كما أدى إلى تأزم الوضع الاقتصادي في تلك المناطق بشكلٍ خطير ، وهبطت قيمة الليرة الورقية التركية ما بين عامي ١٩١٥ و١٩١٧ ، من مئة قرش ذهبي يوم صدورها عام ١٩١٥ إلى تسعة قروش فقط في كانون الأول عام ١٩١٨(٥١) .

ومن الجدول التالي الذي يُحدّد أسعار بعض المواد الغذائية بالنقد الورقي التركي والنقد الذهبي لعامي ١٩١٤ و١٩١٨ ، يمكننا أن نتبين مدى قيمة العملة الورقية بالنسبة للعملة الذهبية وقيمتها في تلك الحقبة .

---

(٤٧) Maxime Nicolas, Questions Monétaires en Syrie, p. 42

(٤٨) Ibidem, p 46

(٤٩) بولس مسعد ، لبنان وسوريا قبل الانتداب وبعده القاهرة ١٩٢٩ ، ص٥٥ .

(٥٠) بدر الدين السباعي : أضواء على الرأسمال الأجنبي في سوريا ، ص ١٠٨ .

(٥١) سعيد حمادة : النظام النقدي والصيرفي في سوريا ، ص ٤٥ .

وحدة الوزن : الرطل = ٢,٥٦٤١ كلغ
وحدة النقد : قرش تركي (١٠٠ قرش = ليرة واحدة)
عام ١٩١٨ : ليرة ذهبية = ٥,٤٧ ـ ٥,٧٢ ليرات ورقية

سلع غذائية	آب ١٩١٤	شباط ١٩١٨	
	سعر الرطل بالذهب	سعر الرطل بالذهب	سعر الرطل بالنقد الورقي
رز	٧,٢	٣٥,٦	١٩٢
زيت	١٥,٣	٥٣,٧	٢٨٧
حليب	٤,٢	١٩,٤	١٠٩
بطاطا	٣,٢	٨,٩	٤٧
صابون	١٥,٧	٣٨,٩	٢٠٢
ملح	٣,٧	٣,٧	١١

(٥٢)

يظهر بوضوح أن قيمة العملة الورقية التركية كانت متدنية جداً بالقياس إلى قيمة النقد الذهبي ، حتى أصبح الذهب موضوع مضاربة واسعة ، وسيطر الاحتكار على كل شيء وخاصة الحبوب . وقد عانى جبل لبنان والمنطقة الساحلية ، المعتمدان على المناطق الأخرى في الحصول على الحبوب ، الكثير من جراء هذا الاحتكار . وإذ شلّت حركة البيع والشراء وتوقف دولاب العمل في المصانع وأخذ كثير من الفقراء يطحنون حبوب العدس والشعير والذرة والفاصوليا . . . ليصنعوا منها خبزاً(٥٣). كما بدأوا يأكلون أوراق الأشجار الخضراء واليابسة مكان الخضار والفاكهة ، ويتراكضون وراء قشور الموز

(٥٢) Maxime Nicolas, **Questions Monétaires en Syrie**,p. 96
(٥٣) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p38

والليمون . . . ولكن دون أن يجدوا ما يسد الرمق وما يبقي على الحياة(٥٤) .

٦ ـ دور الحلفاء في الأزمة الاقتصادية :

لا شك بأن الحصار البحري الذي ضربه الحلفاء على سواحل بلاد الشام كان له أكبر الأثر في هذه الأزمة الاقتصادية التي حلّت باللبنانيين ، إذ بعد إعلان الحرب بأشهر قليلة أخذ الأسطول الفرنسي يقوم بمراقبة السواحل السورية واللبنانية وكان يساعده في ذلك الطراد الروسي الصغير (اسكولا) الذي أطلق قنابله في ١٧ كانون الأول ١٩١٤ على باخرتين صغيرتين كانتا في مرفأ بيروت ، فأحدث ذلك ذعراً بين سكان المدينة الذين اضطروا لمغادرتها إلى الداخل(٥٥) . وفي ٢٤ نيسان ١٩١٥ أقدمت الدوارع التابعة للأسطول الفرنسي على قصف مستودعات البترول في جونية وأنفة وشكا(٥٦) .

ومن الواضح أن القوات الحليفة لم تمنع فقط وصول البواخر الحربية والتجارية إلى موانىء سوريا ولبنان ، بل منعت أيضاً وصول البواخر التي تحمل المساعدات من الخارج إلى سكان تلك المناطق . والأدلة على ذلك كثيرة نورد منها على سبيل المثال لا الحصر ، الكتاب الذي وجهّه الحبر الأعظم إلى القاصد الرسولي في ميونيخ جواباً على التقرير الذي قدّمه الأمير شكيب أرسلان إلى البابا يصف فيه الحالة التي آلت إليها الأوضاع في بلاد الشام ويطلب من البابا إغاثة أهالي سوريا ولبنان وخاصة المسيحيين منهم وقد ورد في هذا الكتاب ما يلي :

« إن الحبر الأعظم لم ينسَ ولن ينسى مسيحيي سوريا ، وأنه قد سعى مراراً لإغاثتهم وبأخذ الرخصة من الحلفاء ولأجل إرسال الأرزاق التي تخفف من أزمتهم ولكن انكلترا حالت دون إجراء رغبته هذه ولذلك قلب قداسته مجروح من عمل انكلترا هذا وسيعلم المسيحيون في الشرق فيما بعد أن الحبر الأعظم لم يهملهم(٥٧) .

---

(٥٤) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص٥٩١ .

(٥٥) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٥١ .

(٥٦) الأب ابراهيم حرفوش ؛ دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٣٧ .

(٥٧) شكيب أرسلان : سيرة ذاتية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
طلب أنور باشا ، وزير الحربية العثمانية من السفير البابوي في الآستانة أن يقوم البابا بمساعيه الحميدة لإيصال المواد الغذائية إلى سكان بلاد الشام ، وأن الحكومة التركية تتعّهد بدفع ثمنها وتترك أمر توزيعها

وقصة الباخرتين اللتين احتُجزتا في ميناء الاسكندرية معروفة ، ذلك أن السوريين الذين في أميركا كانوا أرسلوا باخرتين مشحونتين مواداً غذائية وملابس إعانة للفقراء من أهل الشام ولا سيما أهل لبنان . وهاتان الباخرتان جاءتا إلى الشرق ولما وصلتا إلى الاسكندرية قاصدتين بيروت منعتهما السلطة الانكليزية من السفر . ولم ينفع تدخل الحكومة الاتحادية في الأمر والإتصال بسفير أميركا في الآستانة ليتدخل ويفك أسر الباخرتين[٥٨] .

ويبدو أن حكومة الولايات المتحدة الأميركية قامت بمحاولات متكررة لفك أسر الباخرتين وإيصال المساعدات إلى سكان سوريا ولبنان ولكن دون جدوى[٥٩] .

وفي مصر أيضاً قامت الجالية السورية واللبنانية ، هناك بجمع بعض الإعانات والمساعدات لابناء وطنهم وأرادوا إرسالها لهم فحالت السلطة الانكليزية دون ذلك ، ولم يُسمح لهم بتوزيع هذه الإعانات والمساعدات إلا بعد أن وضعت الحرب أوزارها . وعند ذاك جاء رفيق العظم وميشيل لطف الله إلى سوريا ولبنان . ووزعا الإعانات وقد اعترف بهذا ميشيل لطف الله نفسه[٦٠] .

= إلى الرؤساء الروحيين في تلك الديار ، لكن لا الفتيكان أجاب على رسالة مثله في استامبول ولا الأرزاق وصلت إلى بلاد الشام .

Chekib Arslan, (préface) **l'évolution politique de la Syrie sous mandat** (Edmond Rabbath) , Paris 1928. p XIII

(٥٨) عزيز بك؛ سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٦٢ .

المقطم عدد ٨٢٧١ ، ٣١ أيار ١٩١٦ ، مساعدة السوريين في أميركا لذويهم في لبنان وسوريا .

استحصل الأمير شكيب أرسلان من طلعت باشا ، وزير الداخلية التركية آنذاك ، كتاباً إلى سفير الولايات المتحدة الأميركية في استامبول السفير « الكوس » M. Alkusse يبدي فيه الوزير استعداده لتسهيل وصول الباخرتين المحتجزتين في ميناء الاسكندرية ويترك إلى قنصل الولايات المتحدة الأميركية في بيروت مهمة الاشراف على توزيع هذه المساعدات على المحتاجين والفقراء من أبناء سوريا ولبنان .

شكيب أرسلان ، سيرة ذاتية ، ص ٢٢٧ - ٢٣١ .

(٥٩) Papers relating to the foreign relations of the United States, tel No 1680-1710-1940-1994. Suppl 1915 p924- 931

(٦٠) شكيب أرسلان ، المصدر السابق ، ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

المقطم ، عدد ٨٢٧٨ ، ٩ حزيران ١٩١٦ « بيان سكرتير العام » للجنة التي تشكلت في مصر من السوريين لمساعدة أقاربهم في سوريا ولبنان .

ويظهر من كل ما سبق أن الحلفاء شاركوا مشاركة كبيرة في تجويع اللبنانيين والسوريين إذ هم الذين منعوا عنهم وصول المواد الغذائية والأدوية من أميركا ومصر وغيرهما وحالوا بينهم وبين يد الخير من أن تمتد لتضميد جراحهم فسببوا لكثيرٍ من العائلات التشرد والفناء .

٧ ـ السلطات التركية ومساعدة الأهالي :

وبالرغم من سياسته العسكرية العرجاء التي سار عليها في لبنان وسوريا قام جمال باشا ، تحت ضغط الرأي العام في داخل البلاد وخارجها ، ببعض المحاولات لمساعدة الأهالي في الحصول على بعض المواد الغذائية الضرورية ، فشكّل لجاناً مؤقتة مهمتها تنظيم عملية البيع والشراء وتوزيع المواد الغذائية على جميع المواطنين . ولكن معظم القائمين على هذه اللجان أساؤوا التصرف إذ عمدوا إلى توزيع عِشر المواد الغذائية وإلى بيع ما تبقى إلى التجار بأسعارٍ مرتفعة(٦١) .

وحاول جمال باشا كذلك تقديم بعض الإعانات إلى الهيئات الدينية وإلى المستشفيات الحكومية والخاصة ، وذلك بأن يعطي هؤلاء ما يحتاجون إليه من مواد غذائية عن سنة كاملة على أن يدفعوا ثمن نصف هذه المواد حسب السعر الذي يدفعه الجيش ويقدّم النصف الآخر لهم مجاناً(٦٢) .

وخصص المؤسسات المارونية ، الخيرية منها والاجتماعية ، بثلاثمائة ألف كيلو من الحبوب دون مقابل ، وقد تسلّمت البطريركية المارونية هذه الكمية في تموز ١٩١٧(٦٣) .

وفي أوائل عام ١٩١٧ أمر جمال باشا بفتح أربع ملاجىء في بيروت لإيواء الأطفال

---

(٦١) لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٣ .
يذكر انطوان يمين اسم أحد موظفي هذه اللجان المدعو جورج مزهر من قرية بصاليم والذي كان مسؤولاً عن لجنة قضاء المتن أنه استطاع في عدة شهور أن يجمع ثروة كبيرة قُدرت بمئة ألف فرنك من الذهب على حساب الشعب المنكوب .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p22

(٦٢) عزيز بك؛ **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص٦١ ـ ٦٢ .

(٦٣) الأب ابراهيم حرفوش؛ **دلائل العناية الصمدانية** ، ص ٥٦٦ .

المشردين في الشوارع ، وبفتح مشغلين للنساء والفتيات يتعلمن فيهما مختلف الأشغال اليدوية ، مع تأمين طعامهن ودفع أجرة رمزية لمن تتقن العمل منهن(٦٤) . وقد صادرت السلطات العسكرية التركية بعض المدارس المغلقة ، بسبب الحرب ، وقدمتها لتكون ملاجىء للأولاد ، كما صادرت بناية كبيرة في برج أبي حيدر ، كانت تخص المدرسة العثمانية قبل الحرب ، وحولتها إلى مشغل لتعليم البنات والسيدات مختلف الأشغال اليدوية(٦٥) . وقد خصّصت غرفة لكل نوع من أنواع العمل ولكل غرفة معلمة ماهرة تُشرف عليها ، فهذه للخياطة وهذه للتطريز وهذه لحياكة الصوف وتلك للمبتدئات وغيرها للرسم والتحضير . وخصّص أجرٍ لكل من تتقن العمل وتتمكن من الإنتاج ، ثم ألحق بالمشغل فرع لحياكة السجاد أشرف عليه معلمون من الأرمن الذين اشتهروا في هذا النوع من العمل . وقد بلغ عدد العاملات فيه حوالي الألف . وكن يتناولن ظهراً طعاماً في المصنع ثم يأخذن رغيفاً من الخبز عند انصرافهن إلى بيوتهن مساء(٦٦) .

أما الملاجىء ، فقد بدأت تجمع الأولاد الجائعين من الطرقات أو من بيوت الفقراء ، حيث تهتم بنظافتهم وصحتهم ، وقد خصّصت غرفة للمرضى منهم وأُلحق الباقون في صفوف يتعلمون فيها شيئاً من القراءة والكتابة(٦٧) .

وكانت حكومة جبل لبنان قد أنشأت في تشرين الأول ١٩١٦ ملاجىء لأولاد اللبنانيين الفقراء ، في مدرسة الآباء العازاريين في عينطورة وفي دير الآباء اليسوعيين في غزير ودير مار انطونيوس خشبو وسلّمت إدارتها إلى القيمين عليها من أساتذة ورجال دين(٦٨) .

أما المتصرف علي منيف ، فقد أنشأ شركة باسم « شركة القمح » تولى إدارتها الطبيب نجيب أصفر(٦٩) . وقد كان مركزها في بعبدا بالقرب من سراي الحكومة ، وأقامت لها مستودعات عديدة للقمح في أكثر أنحاء الجبل ، كان أهمها وأكبرها مستودع

---

(٦٤) عنبرة سلام الخالدي ، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين ، ص١٠٧ .
(٦٥) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
(٦٦) المصدر نفسه ، ص ١٠٧ .
(٦٧) المصدر نفسه ، ص ١١٢ .
(٦٨) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٥٩ .
(٦٩) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٦٦ .

عاليه ومستودع الحدث لوقوعها على خط القطار الحديدي بين بيروت ودمشق(٧٠) . وقد باشرت هذه الشركة أعمالها بأمانة فكانت تبيع الكيلو من القمح بستة قروش(٧١) ، وتعطي الشخص الواحد يومياً كمية من القمح توازي أوقية من الخبز . وقد كان الناس يزدحمون حول بناية الشركة ، فيقضون اليوم بعد اليوم وأحياناً الأسبوع بكامله ليتمكن واحدهم من الحصول على وثيقة من مدير الشركة تخوّله حق الحصول على الكمية المستحقة له حسب عدد أفراد عائلته ، ولكن هذه الكمية قلما كانت تفي بالغرض(٧٢) .

وفي ١١ آذار ١٩١٦ أقام عزمي بك ، والي بيروت ، « مؤسسة الأعمال اليدوية » في بيروت ضمّت حوالي اثنتي عشرة آلة كانت تُدار بواسطة اليد ، كما استوعبت ٧٨ عاملاً من الجنسين ، وكان يعمل هؤلاء في جميع الأعمال اليدوية لقاء أجورٍ متوسطة(٧٣) .

وفي ٢٣ تموز عام ١٩١٧ تأسس ، بإيعاز من الوالي عزمي بك ، نادٍ في بيروت للفتيات المسلمات ، كان مركزه في منزل بشارة الخوري خلف مدرسة البطريركية ، وقد عُيِّن للنادي معلمة للغة العربية لمن ترغب من الأعضاء ، وأخرى للفرنسية ، وثالثة لتعليم العزف على البيانو . وكان النادي يقيم حفلات شهرية يتكلم فيها خطيب أو أديب أو عالم ديني أو اجتماعي . وأُلحق في النادي مدرسة لتعليم أولاد العائلات التي تأثرت بمصائب الحرب كانت تضم الأولاد من الجنسين(٧٤) .

ومن الواضح أن تأسيس هذه المعامل والملاجىء جاء متأخراً ، كما أن عددها كان قليلاً جداً ، بحيث أنها لم تستطع استيعاب سوى عدد ضئيل من المحتاجين والفقراء .

---

(٧٠) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٨٥ .

(٧١) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٨٦ .

(٧٣) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p38- 40

(٧٤) كان يدير المدرسة محمد عمر منيمنة تعاونه معلمات لقاء معاشات مخصصة له ولهنّ شهرياً . كما تطوع بعض أعضاء النادي لإعطاء دروس بالمناوبة وبالإشراف على العمل يومياً وتحضير وجبة غذاء لجميع الطلاب .
عنبرة سلام الخالدي ، **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين** ، ص ١١٣ - ١١٥ .

٨ ـ الأمراض :

ونتيجة لسوء الغذاء والكساء الذي كان يعاني منه معظم سكان جبل لبنان وبسبب كثرة الأوساخ وعدم الاعتناء بالأمور الصحية ، انتشرت الأمراض والأوبئة بشكلٍ رهيب في معظم أنحاء الجبل كحمى التيفوئيد والطاعون والملاريا والزهار والتيفوس(٧٥) . ويبدو أن مرض التيفوس قد انتقل من دمشق إلى جبل لبنان ، وظهرت الإصابة الأولى بهذا المرض في شخصٍ من عائلة حبيقة ، وهكذا أخذ مرض التيفوس ينتشر بين أفراد الشعب وخاصة في السجون ، ففي ملجأ القرية ، قرب بحمدون ، وفي دير الفرنسيسكان هناك ظهرت ١٥٠ اصابة بهذا المرض بين الذكور والإناث(٧٦) .

وكذلك انتشر وباء الجدري وظهرت ٤٠ اصابة منه في الشويفات وإصابات كثيرة في قرية شارون وفي بعض القرى المجاورة(٧٧) .

ويلاحظ أن هذه الأمراض قد فتكت بالأهالي فتكاً ذريعاً ، حتى مات منهم الكثير ، وخصوصاً بعد أن قلّ وجود الأطباء في جبل لبنان وساقت السلطات العسكرية معظمهم مع جنودها إلى ساحات القتال(٧٨) .

٩ ـ نتائج الأزمة الاقتصادية والأمراض :

ولما اشتدت الأزمة الاقتصادية ونضبت المواد الغذائية في المنازل والأسواق ، أخذ الناس يبحثون في الحقول والغابات عن الأعشاب وأوراق الأشجار ليستعيضوا بها عن الغذاء أو ليسدوا بها الرمق(٧٩) . وكانوا يطحنون الشعير مع الحلبة والكرسنة أو الزوان ليصنعوا الخبز(٨٠) . وكانوا يستعيضون عن السكر بالدبس ، وعن القهوة بالحمص

(٧٥) فيليب حتي ، لبنان في التاريخ ، ص ٥٩١ .
(٧٦) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٨١ و٨٨ و٩١ .
(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٧٥ و٨٠ ـ ٨١ .
(٧٨) المقطم ، عدد ٨٢٢١ ، ١ نيسان ١٩١٦ ، الأمراض في سوريا . .
(٧٩) ثورة العرب ، ص ١٨٥ .
(٨٠) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٨٦ .

والذرة البيضاء[81] .

وعندما فرغ المعسرون من بيع متاعهم وطالت المجاعة كل الطبقات ، اتجه بعض الرجال والأولاد من مختلف قرى الجبل وفي المدن الداخلية في سوريا بحثاً عن العمل والغذاء[82] . وهبط قسم آخر إلى المدن الساحلية كبيروت وطرابلس ، حيث انضموا إلى متسوليها ، فكانوا يطوفون على أبواب المخازن والمنازل للاستعطاف . أو كانوا يفتشون في الدمن والمزابل لعلهم يعثرون على ما يشغلون به المعد الفارغة من قشور الموز والبطاطا والليمون والتفاح وألواح الصبير وغير ذلك[83] . وكان بعضهم يقصدون الجيف المنتنة لإلتهامها ، أو يبحثون في بقايا الحيوانات عن حبة شعير يسدون فيها جوعهم[84] .

وقد تحدثت بعض الروايات عن أن بعض الناس في بلاد الشام قد أكلوا لحوم الهررة والكلاب والأطفال[85] .

وهكذا استمرت الحالة على هذا المنوال في لبنان ، طيلة سنوات الحرب العالمية الأولى حتى مات خلالها ثلث أبناء البلاد ، أي حوالي ١٢٠ ألفاً بسبب الجوع ومثل ذلك بالحميات والأمراض . والهالكون من أبناء الشام لا يقل عن ٣٠٠ ألف إنسان[86] .

---

(٨١) سميح وجيه الزين : تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً ، ص ٣٥٠ .

(٨٢) محمد جميل بيهم : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، ص ١٨٧ .

(٨٣) عنبرة سلام الخالدي ، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين ، ص ١٠٦ .

(٨٤) فؤاد غصن : المصدر السابق ، ص ٧٨ .
فيليب حتي : لبنان في التاريخ ، ص ٥٩٠ - ٥٩١ .

(٨٥) علي مروّة ، تاريخ جباع ، ص ٤٣٤ .
لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٧ .
سميح وجه الزين ، تاريخ طرابلس ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ .

(٨٦) محمد كرد علي : خطط الشام ، الجزء الثالث ، ص١٣٥ .
حدّد لوتسكي عدد الهالكين من الجوع في لبنان بمائة ألف شخص .
لوتسكي ، تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٤٣٩ . في حين يرفع فؤاد غصن مع جريدة لسان الحال إلى ١٥٠ ألفاً لسان الحال ، عدد ٧٦٦٣ - ١٥ ، ٣٠ تشرين الأول ١٩١٨ ، عدد موتى الجوع في بيروت ولبنان .
فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٧٨ .

وقد كان عدد دروز لبنان قبل الحرب ٦٢ ألف شخص فأصبحوا ٤٨ ألفاً عام ١٩٢٠(٨٧).

(٨٧) Chekib Arslan, (préface) **l'évolution politique de la Syrie sous mandat** (Edmond Rabbath), p. XIII.

الفصـــل الســابـع

قضاء جمال باشا على المعارضة المحلية في لبنان

١ ـ خطة الاتحاديين في البلاد العربية خلال الحرب :

في الاجتماع السري الذي عُقد في مبنى وزارة الحربية في الآستانة ، بتاريخ ٢٤ كانون الثاني ١٩١٤ وحضره كل من الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ، وحاكم الآستانة العسكري أحمد جمال باشا ومدير الأمن العام عزمي بك ، وضع الاتحاديون القواعد الأولية لسياستهم في البلاد العربية بصورة عامة وسوريا ولبنان بصورة خاصة ، ثم درسوا الخطط والتدابير الواجب اتخاذها لتنفيذ هذه السياسة وانتهوا إلى المقررات التالية :

١ ـ « إقصاء الضباط العرب المقيمين في الآستانة إلى الولايات التركية النائية كتراقيا والأناضول .

٢ ـ إسناد القيادة في الولايات العربية إلى ضباط أتراك وإقصاء الضباط العرب عنها وعن خدمتهم فيها بقدر الإمكان .

٣ ـ الإسراع في تنفيذ سياسة التتريك .

٤ ـ تكليف أحمد جمال باشا بوضع المنهاج اللازم لسياسة التتريك .

٥ ـ القضاء على الحركة الإصلاحية التي ظهرت في بيروت وباريس .

٦ ـ إلغاء الأحزاب العربية كلها وتأليف شعبة سياسية في وزارة الداخلية تُشرف على الشؤون العربية ووضع الخطط الكفيلة بالقضاء على دعاة الإنفصال ومراقبة تحركاتهم بدقّة زائدة .

٧ ـ إبعاد العرب الإصلاحيين من الآستانة وإستمالة من يمكن استمالته منهم .

٨ - تعزيز نفوذ جمعية الاتحاد والترقي في البلاد العربية وزيادة عدد أعضائها[١] .

وقد دعا إلى هذه السياسة ودافع عنها كثير من السياسيين والأدباء الأتراك أمثال الكاتب جلال نوري بك الذي طالب أبناء جنسه بإكراه العرب على ترك أوطانهم ، وبتحويل بلادهم ، ولا سيما اليمن والعراق ، إلى مستعمرات تركية[٢] ، والصحفي أحمد شريف بك الذي ساءه كثيراً أن يتمسك العرب بلغتهم وأن يجهلوا اللغة التركية ، فطالب الحكومة الاتحادية بتعليم العرب لغة الأمة التي تحكمهم ، ثم حذّر بني قومه من عواقب إهمال هذا الواجب لأن « العرب إن لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فإنهم سيعملون عاجلاً أم آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية جديدة على أنقاض دولة الترك[٣] على حد تعبيره . .

ومن أمثال هؤلاء أيضاً ناظم بك الذي وضع أسس النهضة الطورانية الحديثة وأحمد آغايف بك ويوسف بك أقجورا[٤] .

ولما أُعلنت الحرب العالمية الأولى وجد أصحاب العنصرية الطورانية أن الفرصة قد سنحت لمتابعة فصول هذه السياسة ، باستخدام أقصى وأعنف الأساليب لتحقيقها ، فقد اختاروا لهذا الدور أحمد جمال باشا ، أحد الداعين لهذه السياسة وأكثرهم تطرّفاً ، وخاصة بعد أن تعهد لهم بأن يقضي على الروح العربية في سوريا شريطة أن يتركوه حرّاً في العمل وأن لا يعرقلوا مساعيه[٥] .

٢ - دور جمال باشا في تنفيذ خطة الاتحاديين :

والواقع أن جمال باشا وزملاءه الإتحاديين كانوا يعملون للقضاء على العناصر المعارضة لهم في جميع المناطق العثمانية منذ أن استولوا على السلطة في الآستانة . ولذا

---

(١) Ettore Rossi, **docuenti sulle origine egli sviluppi della questione araba (1875- 1944)** Roma 1944, p. 15- 16

نقلاً عن مصطفى طلاس : الثورة العربية الكبرى ، ص ٨٥ - ٨٦ .

(٢) ثورة العرب ، ص ١٥٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٥٩- ١٦٠ .

(٤) المنار ، م١٩ ، ج٤ ، ص ٢٣٦ - ٢٣٨ . الاسلام والطورانية الحديثة .

(٥) شكيب أرسلان : سيرة ذاتية ، ص ١٥٥ .

اغتنم هؤلاء فرصة اشتعال الحرب في أوروبا لتحقيق أهدافهم(٦) ، وقد تولى جمال باشا هذه المهمة في بلاد الشام بينما تولّاها أنور باشا في أرمينيا .

وعندما وطأت قدما جمال باشا أرض دمشق في ٥ كانون الأول ١٩١٤ ، كان في جعبته بالإضافة إلى مشروع احتلال مصر ، مشروعان اثنان :

الأول : إلغاء الامتيازات التي يتمتع بها جبل لبنان منذ ١٨٦١ واخضاعه للسيادة العثمانية .

الثاني : القضاء على الفكرة العربية ودعاتها ومتابعة حركة التتريك في سوريا ولبنان .

وبعد أن حقّق جمال باشا مشروعه الأول ، حيث احتل جبل لبنان وألغى امتيازاته ، باشر في تنفيذ مشروعه الثاني ، فأمر بإقفال المؤسسات التعليمية في جبل لبنان(٧) . وأقام مكانها مدارس عثمانية في بعض مدن لبنان وقراه ، كانت غايتها تدريس تاريخ الأتراك ولغتهم وآدابهم ، ثم عيّن مدرّسين في كل مدرسة منها ليقوما بهذه المهمة(٨) . وانتدبت وزارة المعارف التركية « خالدة أديب » على رأس بعثة من المعلمات التركيات للاستيلاء على مدارس الارساليات الأجنبية وإدارتها(٩) . أما فيما يتعلق بالمؤسسات التعليمية الأميركية في لبنان وسوريا فقد وُضعت تحت المراقبة المباشرة من قبل السلطات العسكرية العثمانية ، وطُلب منها التقيد بالتعليمات والقوانين التي ستصدرها

---

(٦) محمد كرد علي : خطط الشام ، مجلد ثالث ، ص ١٤٢ .
papers relating to the foreign relations of the United States, suppl. 1915, file No 867. 4016/68, p. 980.

(٧) المقطم ، أعداد ٧٧٨٥ و٧٧٩٥ ، ٣٠ تشرين الأول و١٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ، خبر .

(٨) نشرت جريدة لبنان الرسمية بلاغاً ذكرت فيه أسماء القرى التي افتتحت فيها السلطة التركية مدارس ابتدائية وهي : الشويفات وزحلة والهرمل ودير القمر وبعقلين وبشري والدامور وبسكنتا وبيت شباب والبرج وغزير والبترون وحصرون تنورين وأميون ودوما وعاليه وبرجا وشحيم وعبيه وبيت مري والشوير والعبادية وحمانا ورأس المتن وكفرشيما وقرطبة وشمطاء وكفرذبيان وكوسبا .
المقطم ، عدد ٨٢١٤ ـ ٢٤ آذار ١٩١٦ ، ص ٦ . افتتاح المدارس في جبل لبنان .

(٩) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص١٣٦ .

المراجع المختصة بهذا الشأن ، وفُرض على كل مدرسة أن تخبر القيادة عن اسم المسؤول الذي يتولى الإشراف المباشر على شؤونها الإدارية والتعليمية(١٠) .

كما طُلب من هذه المؤسسات إدخال مادتي التاريخ العثماني واللغة التركية في برامجها ، وعدم مضايقة الطلاب المسلمين المنتسبين إليها أو إجبارهم على حضور القداديس أو الصلوات في الكنائس ، ويبدو من رسالة سفير الولايات المتحدة في استامبول إلى وزير خارجية بلاده أن المسؤولين الأميركيين عن هذه المؤسسات قد نفّذوا تعليمات السلطات العثمانية بحذافيرها(١١) .

وفي دمشق أمر جمال باشا بإقفال مدرسة « صف الضباط » التي كان يوجد فيها أكثر من خمسماية ضابط من شباب العرب(١٢) . ثم أخذ يقصي الكتائب العربية عن الشام كلما واتته الفرصة ويستبدل بها كتائب غالبية جنودها من الأتراك(١٣) . كما أقفل الكلية العثمانية في بيروت ، وأرسل صاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهري إلى المنفى بحجة أن أكثر الخونة ، أي الذين كانوا يطالبون بالاستقلال الذاتي للبلاد العربية ، قد تخرجوا من هذه الكلية(١٤) .

ولما كانت المخازن التجارية في لبنان وسوريا تستخدم اللغة الفرنسية أو العربية في

(١٠) Papers relating to the foreign relations of the United States, suppl. 1915, file No 367. 116/317, p. 953- 954

(١١) Papers relating to the foreign relations of the United States, suppl. 1915, file No 367. 116/317. p. 953 954

(١٢) ثورة العرب ، ص ١٦٢ .
فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٨٣ .

(١٣) في حزيران ١٩١٥ طلب أنور باشا من جمال أن يرسل بعض الفرق إلى جبهة غاليبولي فأرسل الفرقة الخامسة والعشرين وجميع أفرادها من العرب وهي إحدى الأركان التي كانت تعتمد عليها جمعية العهد في خطّتها للقيام بالثورة .
ديزموند ستيوارت : تاريخ الشرق الأوسط الحديث ، ص ١٩٠ - ١٩٢ .
في الرسالة التي بعثها الجنرال سيرايان هملتون ، قائد الحملة البريطانية في البحر الأبيض المتوسط ، إلى وزارة الحربية البريطانية ي ٨ أيلول ١٩١٥ ، تبيان شامل للسياسة التركية التي كانت تعتمد على إبعاد الضباط العرب إلى جبهات القتال في غاليبولي وغيرها تحت رقم : F.O. 371, suppl. 2490 . نقلاً عن كتاب الدكتور مكيّ شبيكة .
« العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى » ، الجزء الأول ، ص ١٥٥ - ١٦٠ .

(١٤) يوسف الحكم ، بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٤٨ .

كتابة أسمائها « وآرماتها » فقد أصدر جمال باشا أمراً بأن تُكتب هذه الأسماء باللغة التركية(١٥) .

هذا وأخضع جمال باشا دوائر البريد لمراقبته الخاصة ، وعيّن عليها بعض رجاله الذين كانوا يدقّقون في رسائل المواطنين التي كانت تأتيهم من الخارج(١٦) . ثم نفى تراجمة قناصل الدول الأوروبية ، وهم من اللبنانيين والسوريين ، إلى مدينة قيصرية من أعمال الأناضول(١٧) .

وقد أولى جمال باشا كذلك الصحافة اهتماماً خاصاً ، فأغدق على بعضها الأموال حتى بلغت مخصصاتها في ١٩١٥ خمسماية ليرة ذهبية ، تُصرف على الصحف أقساطاً حسب أهمية الصحيفة وسعة انتشارها ، وساعدها أيضاً بمنحها الورق الخاص بالصحف ، كما أعفى رجالها من الخدمة العسكرية ، أو عمد إلى تأجيل خدمتهم(١٨) . ولّما كانت بعض هذه الصحف مناوئة لسياسته وسياسة الحكومة الاتحادية كجريدة

---

(١٥) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٨١ .
يروي عزيز بك أن جمال باشا ساءه ما رآه من تجار بيروت الذين يستعملون اللغة الفرنسية في كتابة « الآرمات » الموضوعة على مخازنهم . فأمر بإزالتها وإحلال اللغة التركية مكانها. . . ولّما كانت المدة المعيّنة لتحقيق هذا الأمر قصيرة جداً . . . لجأ بعضهم إلى عبارات مضحكة لاستبدال العربية بالتركية مثال ذلك : آرمة أحمد جمال ـ الفوال التي كانت في سوق السراي ، فكانت على الشكل التالي : أحمد جمال ـ الفوال فصارت بعد التحويل : أحمد جمال ـ الفوال سي . أي أن الرجل اعتقد أن مجرد إضافة « سي » على كلمة الفوال حوّلت الكتابة من العربية إلى التركية . وقس على ذلك من مثل هذه الأمور ،
عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص١٥٠ .

(١٦) أعلنت الحكومة العثمانية إلغاء الامتيازات الأجنبية وأقفلت دوائر البريد المختصة بالأجانب ، في ١١ أيلول ١٩١٤ ، وقد أظهر سفير الولايات المتحدة في الآستانة استياءه من ذلك في الرسالة التي بعثها إلى وزير الخارجية في واشنطن في ١٧ كانون الثاني ١٩١٥ .
Papers relating to the foreign relations of the United States, suppl. 1915, file 124. 0665/7 p. 740.

(١٧) وهم السادة : يوسف السبع وسمعان مرقدة من تراجمة القنصلية الروسية والدكتور شاكر القيّم ترجمان قنصل انكلترا ، وحبيب دوناتق وخليل غناجة وتوفيق أواديس وتوفيق بدوي من تراجمة القنصلية الفرنسية .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p9
لطف الله نصرة : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص١٨٥ ـ ١٨٦ .

(١٨) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص١٠١ .

« زحلة الفتاة » و« لسان الحال » و« الثبات » ، فقد أمر بإيقافها ومعاقبة محرّريها بالنفي أو بالإعدام[١٩] .

هذا وأقام جمال باشا طغمة من الجواسيس[٢٠] والمخبرين كان بواسطتهم يراقب تصرفات المشبوهين لديه[٢١] . وقد اهتّم جمال باشا اهتماماً كبيراً بتنظيم دائرة الاستخبارات هذه في لبنان وسوريا ، وفلسطين حتى ناهز عدد المخبرين المائتين ، وكانت أجورهم تتراوح بين الخمس ليرات ذهبية في الشهر الواحد . . . وبين العشر والخمس عشرة ، ومخصصات المخبرين كانت تزداد بحسب أهمية كل منطقة . فدمشق كانت أهم في نظر الباشا من حلب ، ولذلك كانت مخصصاتها أوفر ، وكذلك كان شأن فلسطين لقربها من البادية وحدود مصر[٢٢] .

أما متصرفية جبل لبنان فقد بالغ جمال باشا في الإهتمام بمراقبة أهلها وساكنيها حتى بلغت النفقات المادية اللازمة لذلك ٥٠٠ ليرة ذهبية ، وكان عدد الجواسيس المكلفين رسمياً بهذه المهمة ٢٢ جاسوساً . ولكن الغريب في الأمر هو إقبال اللبنانيين على التجسس على بعضهم حتى بلغت التقارير الواردة في شهر كانون الثاني ١٩١٥ ـ ٤٢٠ تقريراً منها ٢٩٠ تقريراً مقدّمة من ٢٩٠ شخصاً أرسلوها ضد بعضهم وقد ثبت منها فقط أربعة تقارير تتعلق بأشخاص يحملون سلاحاً والتقارير الأخرى كانت صادرة عن أشخاص لهم عداوة على آخرين ، ومع هذا فإن جمال باشا كان يأمر قائد فرقة عالية بأن يدقّق في كل تقرير يرده مع بيان مطالعته عليه[٢٣] . والأهم من ذلك كله هو رغبة

---

(١٩) **المقطم** : عدد ٧٨٢٦ ، ١٨ كانون الأول ١٩١٤ .
كان شكري بخّاش رئيس تحرير جريدة « زحلة الفتاة » قد سافر عند بداية الحرب إلى أوروبا بمساعدة يوسف الحكيم ، وقد حُكم عليه بالإعدام غيابياً بتهمة الاخلال بأمن الدولة الخارجي .
يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ١٤٠ .

(٢٠) كانت دائرة الاستخبارات في العهد العثماني يُطلق عليها اسم دائرة التجسس وأن كلمة استخبارات لم تكن معروفة في ذلك الحين . محمد جميل بيهم : **العهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨ ـ ١٩٢٢** بيروت ١٩٦٨ ، ص ١٩ . .

(٢١) لوتسكي : **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، ص٤٤٢ .
Antoine Yammine: **Quatre and de misère** P 8- 9.

(٢٢) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٢٣) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص١٠٣ ـ ١٠٤ .

جمال باشا في تتبع حركات رجال الدين الموارنة وخصوصاً البطريرك . فأنشأ لهذه الغاية شعبة خاصة عهد بإدارتها إلى رئيس استخباراته عزيز بك ، وأفرد لها ٢٨ شخصاً من رجاله السريين ، كان من بينهم عشرة أشخاص يتولون مراقبة البطريركية المارونية ومطارنة هذه الطائفة ، حتى أن جمال باشا كان شديد الاهتمام بمعرفة ما يدور في خلواتهم وداخل مكاتبهم ، مع الاهتمام أيضاً بمراقبة الإرساليات الأجنبية وخصوصاً رجال الدين التابعين لها . وقد بلغت مخصصات هذه الشعبة أكثر من ثلاثمائة ليرة ذهبية في الشهر[٢٤] . وبالإضافة إلى ذلك فقد أقام حاكم سوريا العام حوله جماعة من المنتفعين الذين كانوا يشكّلون حرساً له وأبواقاً يلهجون باسمه ويعظمونه أمام الناس . ثم حاول أن يقرّب إليه رؤساء بعض القبائل في البادية عن طريق شرائها بالمال ، كما حاول الاعتماد على رجال الدين المسلمين في تأييد سياسته التي كان يسعى إلى تحقيقها في بلاد الشام ، وهي المناداة بنفسه خديوياً على البلاد عندما يحين الوقت ، ولكن الحقيقة أن الباشا لم يستفد من هذه الجماعة قط لأنه عندما اشتد النفور بينه وبين رجال الحكومة المركزية ، لم يجد حوله من هؤلاء من يمكن الإعتماد عليه لتحقيق أهدافه[٢٥] .

وحقيقة الأمر أن قائد الجيش الرابع هو الذي خلق الجاسوسية المنظمة في بلادنا دعماً لمركزه وتوطيداً لسلطاته ، وأن دائرة الاستخبارات قبل عهده كانت اسماً بلا مسمّى ، ذلك أن السلطة العثمانية لم يكن فيها دائرة خاصة للمخابرات السياسية والعسكرية كما هي الحال في بقية البلدان ، ويقول عزيز علي في مذكراته :

« إن دوائر الاستخبارات في العهد التركي خلقت للوشاية ، والتنكيل وكانت أداة اتخذها المسيطرون على مقدرات البلاد للبطش بخصومهم ، وأن الوشايات السافلة لم تكن مقتصرة على بعض المقربين من جمال باشا ، بل هناك مئات غيرهم ، وأنه تلقى في الأسبوع الذي عاد فيه إلى القدس ٣٩٢ تقريراً مرسلاً من السوريين ضد

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢٥) بلغت قيمة الأموال المخصصة لفئة « المنتفعين » حوالي خمسماية ليرة ذهبية ، بينما وصلت قيمة المخصصات التي كانت تُدفع إلى رجال الدين المسلمين إلى الألف ليرة ذهبية ، وممّا يذكره عزيز بك في هذا المجال : الشيخ الوحيد الذي أبى أن يمدّ يده إلى هذه الأموال السريّة هو الشيخ مصطفى نجا مفتي بيروت .
المصدر نفسه ، ص ١٠١ و١٠٤ - ١٠٥ .

إخوانهم »(٢٦) .

وقد غمر جمال باشا اليهود الذين كانوا ضمن حدود ولايته بالحماية والرعاية ، فألغى القرارات الاستثنائية التي أصدرتها الحكومة العثمانية في ما يتعلق بتمليكهم الأراضي في البلاد الفلسطينية وفتح لهم أبواب هذه البلاد للهجرة إليها من كل أنحاء العالم ، وسمح لهم بإنشاء المستعمرات اللازمة لهم ، مقابل مساعدتهم له في تحقيق حلمه بإنشاء مملكة في سوريا(٢٧) .

يتضح من كل ما تقدم أن جمال باشا قام بدور فعّال في تنفيذ خطة الاتحاديين في لبنان وسوريا ، مما أدّى إلى زيادة النفور بين الاصلاحيين العرب من جهة والأتراك من جهة ثانية .

ولمتابعة فصول هذا الدور - المؤامرة - شكّل جمال باشا في لبنان وسوريا وفلسطين محاكم عرفية لأرهاب اللبنانيين والسوريين ، كان أهمها جميعاً محكمة عالية العرفية التي كان مركزها في ساحة البلدة قرب محطة القطار الحديدي(٢٨) .

٣ - المحكمة العرفية في عالية :

ويبدو أن حالة الطوارىء في لبنان وسوريا قد أُعلنت في ٧ آب ١٩١٤ ، وخضع الناس للقوانين العسكرية العرفية في تلك البلاد ، قبل دخول الدولة العثمانية الحرب ، إلى جانب المانيا والنمسا ، بحوالي ثلاثة أشهر(٢٩) . أما المحاكم العرفية التي أقامها جمال باشا في بعض المدن اللبنانية والسورية ، فلم تشكّل إلا بعد أن فشلت الحملة التي

---

(٢٦) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ٦٩ - ٧٠ .
(٢٧) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص١٩٠ - ١٩٤ .
Leonard Stein, **Balfour déclaration,** London 1961, p. 35
Aharon Cohen **Israêl and the Arab World,**London 1970, p. 74
خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ - ١٩١٨ ، بيروت ١٩٧٣ ص ٦٥ .
(٢٨) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٨٢ .
(٢٩) Eugène Jung, **La révolte Arabe,**T 1, p. 105

قادها قائد الفيلق الرابع إلى قناة السويس لانتزاع القطر المصري من الانكليز[٣٠] .

والواقع أن محكمة عالية كانت أهم هذه المحاكم جميعها ، وأبعدها أثراً في تاريخ العلاقات العربية ـ التركية . فهي التي تولّت التحقيق مع الشبان العرب وحكمت على بعضهم بالموت شنقاً وعلى بعضهم الآخر بالنفي إلى مناطق بعيدة نائية في الأناضول[٣١] . وكانت محكمة عالية تتألف من هيئة تحقيق وهيئة قضاة ومدعي عام[٣٢] .

وقد توالى على رئاسة هيئة التحقيق كل من حسن عاصم بك والضابط صلاح الدين ، أما هيئة القضاء فكانت برئاسة فخري بك أولاً ثم برئاسة القائمقام شكري بك بعد ذلك . ومن الذين شغلوا منصب المدعي العام صالح عبد العال ومرتضى أفندي ونور الدين بك[٣٣] .

---

(٣٠) في ٢ شباط ١٩١٥ قام جمال باشا بهجومه على قناة السويس ولكنه مُني بفشلٍ ذريع .
Edmond Rabbath, **La formation historique du Liban...** p. 245
Georges Samné, **La Syrie**,p 449

(٣١) العربي ، عدد ٣٠ أيار ١٩٦١ ، ساطع الحصري ، **شهداء العروبة في الحرب العالمية الأولى بديار الشام** ، ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٣٢) يقول محمد جابر آل صفا الذي اعتُقل مع عبد الكريم الخليل ورضا الصلح وغيرهما ، والذي كتب مذكراته في عاليه بعيد كل جلسة كان يدعى للمحاكمة فيها مع زملائه المعتقلين ، يقول في هذه المذكرات التي نشرها « هاني فرحات في بيروت ١٩٨١ ، كانت هيئة محكمة الديوان العرفي مؤلفة من الرئيس أدهم بك قائمقام عسكري والبكباشي فتحي بك واليوزباشي كمال بك واليوزباشي الثاني كامل بك البغدادي والملازم عبدالله أفندي ، ثم المدعي العمومي صالح عبد العال وكاتب الضبط محمد النبهاني » ولكن بعد أن تجاوزت يضيف محمد جابر « هيئة المحكمة طريق الاعتدال في التحريات استبدلها جمال باشا وحوّل الرئيس أدهم بك إلى الشام ، وعيّن لرئاسة ديوان عاليه فخري بك ولرئاسة التحقيق حسن عاصم بك وعيّن مرتضى أفندي مدعياً عاماً . **محمد جابر آل صفاء ، مذكرات** ، وردت عند هاني فرحات ، الثلاثي العاملي في عصر النهضة ، ص١٨٧ ، و١٩٥ و٢٠٢ .

(٣٣) يوسف مزهر : **تاريخ لبنان العام** ، ج٢ ، ص ٨٣٨ .
أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ٧ و١٣٩ .
ذكر فؤاد غصن أن المحامي مصطفى الحكيم والد النائب السابق عدنان الحكيم . كان محققاً في المجلس العرفي في عاليه .
فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٨٣ .

وحقيقة الأمر أن هذه المحكمة لم تكن تتمشى على سنن المحاكم العرفية المعروفة في ذلك الحين ، فالجلسات التي كانت تُعقد في الليل وبشكلٍ سري(٣٤) ، كانت تتم بطريقة صورية ، وليس هناك مرافعات ولا دفاع بالمعنى القانوني بل كان القضاة يتلقّون الأوامر بالتجريم قبل إعداد القرارات وإعلانها(٣٥) . فكانت هذه المحكمة تصدر أحكامها وفاقاً لمشيئة جمال باشا(٣٦) . وهي أشبه بمحاكم التفتيش في القرون الوسطى فكانت رمزاً للظلم والتعذيب وسوء المصير(٣٧) . ومعظم الذين نجوا من قبضة المحكمة العرفية هم الذين تظاهروا بالبله(٣٨) ، أو أنكروا نسبتهم إلى العروبة أو قدموا هدايا لرجال التحقيق فشهدوا ببلاهتهم أو لجأوا إلى وسائط أخرى للتخلص من شر المحكمة المذكورة(٣٩) .

وقد اعترف شكري بك رئيس المحكمة العرفية بنفسه بعد انفضاض المحكمة أن الحكم في « قضية عالية الثانية قد عُدّل أربع مرات بأمر من جمال باشا ، فكان في كل مرة يخرج أشخاصاً من قائمة المعدومين ويدخل غيرهم ، وفي ٥ أيار ١٩١٦ أي قبل الإعدام بيوم واحد فقط اتخذ القرار شكله النهائي وأرسل للتنفيذ(٤٠) .

---

(٣٤) فوزي القاوقجي : مذكرات ، ص٣٦ .
العربي ، عدد ٣٠ أيار ، ١٩٦١ ، ساطع الحصري ، **شهداء العروبة** ، ص ٢١ .

(٣٥) أدهم الجندي : **المصدر السابق** ص ٥٨ .
عنبرة سلام الخالدي : **جولة في الذكرات بين لبنان وفلسطين** ، ص١٠٢ .
يذكر محمد جابر آل صفا أحد المعتقلين في ذلك الحين أنه حضر عشر جلسات علنية ثم انقطعت المحاكمة العلنية ولم يعد يعرف شيئاً عن هذه المحاكمات التي أخذت منحى جديداً وسرياً ، وإذا كانت الأدلّة المتوفرة غير مقنعة لتجريم المتهم ، أرغم كثير من الشهود على تغيير إفاداتهم والإدلاء بالشهادة الكاذبة ، كما حدث مع رضا الصلح زميله في المحاكمة .
محمد جابر آل صفا ، مذكرات . وردت عند هاني فرحات ص ١٩٠ و٢٠٠ - ٢٠١ .

(٣٦) لوتسكي : **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، ص٤٤٢ .
العربي ، المصدر السابق ، ساطع الحصري ، **شهداء العروبة** ، ص٢١ .

(٣٧) عنبرة سلام الخالدي : **المصدر السابق** ص ١٠٢ .

(٣٨) عارف النعماني : **مذكرات** ، ص ٢ .

(٣٩) أمين سعيد : **الثورة العربية الكبرى** ، ج١ ص٧٥ .

(٤٠) **المصدر نفسه** ، ص ٧٥ .

وذكر الشيخ فريد الخازن في الرسالة التي وجهها إلى زوجته أنه في الاستجواب الذي تم في الثاني من أيار ١٩١٦ ، وهو الاستجواب الوحيد الذي استجوبني فيه المحققون في المجلس العرفي الحربي قد طلبت كتابة أجوبتي خطياً ليسهل ترجمتها فقال لي الرئيس : « لا حاجة إلى الكتابة ، فنحن نريد محادثتك لا استجوابك الآن رسمياً » . وفي معرض الحديث عن التقرير قال الشيخ فريد : « هو ليس مني فابرز المحقق النبذة المطبوعة بالفرنسية بتوقيع فيليب فقلت : هذه لأخي فأسألوه عنها فقالوا إنها ممضاة باسم خازن وهذا يكفي[٤١] .

ومن الدلائل أيضاً على استهتار جمال باشا بأرواح الناس وإنفاذ أحكام الإعدام دون محاكمة ما جرى للثلاثة الذين أُرسلوا إلى أرمينيا من قبل الحكومة لإثارة النعرات الطائفية . ولما تسرب الخبر إلى جرائد أميركا واحتجت الحكومة الأميركية على هذا التصرف[٤٢] ، أسرع جمال باشا وأمر بإلقاء القبض على الأشخاص الثلاثة المذكورين ، وكان ذلك في حلب ، فأرسلهم مخفورين إلى الشام ، وأشار إلى رئيس الديوان بإعدامهم شنقاً في الحال ، ولما حاول إبراهيم بك ، رئيس ديوان دمشق العرفي ، محاكمة هؤلاء الثلاثة وتلكأ في تنفيذ أمر الباشا ، أقاله هذا الأخير ، وأمر الهيئة القضائية بإعدام الثلاثة في الحال محذراً من كشف السر وهكذا كان، إذ عُلقوا في محلة السهل الأخضر وانتهى الأمر[٤٣] .

ومن الواضح أن معظم قضاة المحاكم العرفية كانوا يفضلون الإعتزال من وظائفهم عندما كان جمال باشا يصرّ على تنفيذ أحكام الإعدام بالمسجونين الأبرياء . . . وكثيراً ما كان يلجأ إلى تعيين قضاة جدد ممن ينفذّون أوامره ، ويخضعون لمشيئته[٤٤] .

---

(٤١) من رسالة الشيخ فريد إلى زوجته هند الخازن .
أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٣٧ .

(٤٢) بعث « بريان » Bryan وزير خارجية الولايات المتحدة إلى سفير بلاده في استامبول رسالة في ٢٧ نيسان ١٩١٥ يطلب فيها أن يحثّ الحكومة العثمانية على إستعمال الوسائل الفعالة من أجل حماية الأرمن من خطر العنف الذي يحدق بهم على أيدي أصحاب الديانات الأخرى .
Papers relating to the foreign relations of the United States, suppl. 1915, file No 867. 4016/58a, suppl. 1915, p. 980.

(٤٣) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ١٩٦ - ١٩٧ .

(٤٤) المقطم : عدد ٨٢٢١ ، ١ نيسان ١٩١٦ . **أخبار سوريا ولبنان** .

هذه الوقائع وغيرها تثبت أن المجالس العرفية التي أنشأها جمال باشا في لبنان وسوريا كانت مجالس صورية وأدوات مسخرة بيده ، وأن معظم الذين أُعدموا في سوريا ولبنان ، لم يكن نتيجة محاكمات حقيقية وقرارات استندت إلى جرائم صحيحة ارتكبها هؤلاء بحق الأمة والوطن ، بل إن إعدامهم كان نتيجة سياسة مدروسة انتهجتها « جمعية الاتحاد والترقي » للقضاء على العناصر العربية المعارضة لسياسة الاتحاديين ، منذ أن قبضت هذه الجمعية على أزمة الحكم في الدولة العثمانية . وقد أرسلت جمال باشا إلى بلاد الشام لتكملة فصول تلك السياسة بعد أن سنحت الفرصة لذلك في الحرب العالمية الأولى .

٤ ـ اعتقال الزعماء الوطنيين :

في مساء اليوم الذي وصل فيه جمال إلى دمشق تسلّم من والي دمشق « خلوصي بك » عدة وثائق مهمة ضبطت في قنصليتي فرنسا في بيروت ودمشق في أواخر ١٩١٤[٤٥] . وكانت هذه الوثائق تدين عدداً كبيراً من أبناء العائلات اللبنانية والسورية المرموقة بالتعاون سراً مع فرنسا وبريطانيا ، وكان جورج بيكو قنصل فرنسا العام في بيروت وزميله في دمشق قد أغفلا إحراقها حين أُغلقت القنصليتان أثر دخول تركيا الحرب[٤٦] .

ويبدو أن جريدة « المقطم » التي كانت تصدر في مصر خلال الحرب قد حددت هذه الوثائق بسبع فقط ، ونشرتها في عددها الذي صدر نهار الجمعة في ٤ آب ١٩١٦ .

وتتعلق الوثيقة الأولى بأمر الحكومة الفرنسية الذي وجهته إلى قنصلها العام في دمشق والقاضي بإعطاء عائلة الأمير عبد القادر الجزائري مبلغاً من المال قدره ٣٩٤٠ فرنكاً ، يجري توزيعها على ذات القاعدة التي اتّبعت في شهر تموز الماضي .

---

(٤٥) جمال باشا : مذكرات ، ص ٣٣٥ .

(٤٦) العربي ، عدد ٣٠ أيار ١٩٦١ ، ساطع الحصري ، شهداء العروبة ، ص ٢١ .
عادل اسماعيل : السياسة الدولية ، ج٤ ، ص ٢٠٥ .
الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٤٦ .
لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص٤٤٢ .

وتشير الوثيقة الثانية والثالثة والخامسة إلى العلاقة التي أقامها شفيق المؤيد مع الحكومة الفرنسية ، وإلى الإتصالات التي كان يجريها مع قناصل فرنسا بشأن الإصلاح في سوريا ولبنان . أما الوثيقة الرابعة فتتحدث عن أعمال وأهداف حزب اللامركزية في مصر وعن سعيه الحثيث لجعل سوريا إمارة مستقلة يدير شؤونها أمير مسلم .

بينما تشير الوثيقة السادسة إلى بعض المراجعات التي كان يقوم بها بعض الأشخاص مع قناصل فرنسا في الشرق ، لإثارة المسألة العربية بشكلٍ عام والقضية اللبنانية والسورية بشكلٍ خاص .

في حين كانت الوثيقة السابعة والأخيرة عبارة عن صورة كتاب مرسل من بعض أدباء بيروت إلى القنصل الفرنسي فيها . وهو يتضمن شكوى هؤلاء من تعسّف الحكومة المحلية وشدّة مضايقتها للأهالي بفرضها ضرائب جديدة ، وإكراه الناس على هجرة البلاد إلى الخارج(٤٧) .

والسؤال الذي يرد الآن : كيف توصل الأتراك إلى معرفة هذه الوثائق وضبطها ؟ يقول بعضهم بأن رجال الحكومة في كل من بيروت ودمشق ذهبوا إلى دار القنصل الأميركي وطلبوا منه أن يسمح لهم بتفتيش دار القنصلية الفرنسية والانكليزية لأنهما كانتا تحت اشرافه بعد سفر القنصلين في ابتداء الحرب ، وبعد مراجعة السفير في الآستانة وافق السفير على الطلب ففتشوا غرف الدارين فعثروا على هذه الوثائق في دار القنصل الفرنسي(٤٨) .

---

(٤٧) المقطم : عدد ٨٣٢٥ الجمعة ٤ آب ١٩١٦ الوثائق الفرنسية .
وقد وردت بعض هذه الوثائق في مجموعة الوثائق الفرنسية التي ينشرها المؤرخ عادل اسماعيل تباعاً .
Adel Ismaîl, **Documents**,, T 19, p. 369- 372 et 378- 381 T 20, p. 110- 112 et 246- 247

(٤٨) شكيب أرسلان : **سيرة ذاتية** ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ .
يوسف مزهر : **تاريخ لبنان العام** ، الجزء الثاني ، ص ٨٤٠ .
المقطم : عدد ٧٨٢٦ ، ١٨ كانون الثاني ١٩١٤ ، **الوثائق الفرنسية** .
وقد تم تفتيش قنصلية روسيا كذلك ، ولكن قنصل ايطاليا المولج لحماية هذه القنصلية ، قام بنقل سجلاتها وأوراقها إلى دار القنصلية الايطالية .
المقطم : عدد ٧٨٢٦ ١٨ كانون الثني ١٩١٤ .

أما الوثائق الدبلوماسية للولايات المتحدة الأميركية فتذكر بأن السلطات التركية في كل من بيروت، ودمشق قد دخلت دار القنصليتين عنوة غير مراعية القواعد الدولية ، وانتزعت اثنتين وثلاثين وثيقة من أرشيف القنصلية الفرنسية(٤٩) . وقد احتجت الحكومة الأميركية على هذا الخرق وبعثت بتعليماتها اللازمة إلى سفيرها في الآستانة(٥٠) .

ويُقال أيضاً أن فيليب زلزل ، أحد موظفي القنصلية الفرنسية في بيروت ، هو الذي دلّ على مخبأ أوراقها السياسية التي كان القنصل قبل سفره قد أودعها في جدار من جدران إحدى الغرف وطلي بابه بصورة تحول دون معرفته ، ولدى قيام السلطة العسكرية بكشفه ظهرت فيه وثائق موقعة من زهاء أربعين شخصاً من السوريين واللبنانيين يطلبون فيها المساعدة من فرنسا من أجل استقلال سوريا وصيانة استقلال لبنان وتوسيع حدوده(٥١) .

وأياً كانت الحقيقة فإن هذه الوثائق لم تكن وسيلة جمال باشا الوحيدة في الكشف عن أسماء الزعماء العرب الذين كانوا يطالبون بالإصلاح ، فقد وقعت بين يديه أيضاً كتب حقي العظم الموجهة إلى محمود المحمصاني في بيروت بعد أن صادرتها السلطة العسكرية ، وأوراق الجمعية اللامركزية التي كانت محفوظة لدى حقي العظم في القاهرة(٥٢) ورسائل فريق من المغتربين ضبطها موظفو المراقبة ورفعوها إلى السلطة العسكرية(٥٣) .

ويُقال بأن محمد الشنطي اليافي ، أحد مساعدي حقي العظم وأحد معتمديه ، هو الذي حمل هذه الأوراق إلى الترك أملاً بالتقرب من جمال باشا وأعوانه ، وبتخليص

---

(٤٩) Papers relating to the foreign relations of the United States, suppl. 1916, télegramme, No 1625, p. 818.

(٥٠) Ibidem, Tel. No 1096, p. 815

(٥١) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ص ٢٣٣ - ٢٣٤ .
لحد خاطر : عهد المتصرفين في لبنان . ص٢٠٤ .
محمد جميل بيهم : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢ ، ص ١٨٩ .

(٥٢) يوسف مزهر : تاريخ لبنان العام ، ج٢ ، ص ٨٣٩ - ٨٤٠ .
محمد جميل بيهم : المصدر السابق ص ١٨٨ .

(٥٣) يوسف الحكيم : المصدر نفسه ، ص ٢٣٣ .

نفسه من حبل المشنقة ولكن دون جدوى[٥٤] .

ومن وسائل جمال باشا التي اعتمدها في هذا المجال لجوؤه إلى طريقة التعذيب والإرهاب للمعتلقين لإكراههم على البوح بأسماء أعضاء الجمعيات العربية[٥٥] .

كما لجأ أيضاً إلى أسلوب التجسس والأخذ بالوشاية ، وكانت وسيلته في ذلك الشيخ أسعد الشقيري ، مفتي الجيش الرابع ، الذي أوجد من نفسه دائرة استخبارات مستقلة . فقد أنبأ جمال باشا (حزيران ١٩١٥) أن بذور الثورة بدأت تظهر بوادرها في أفق سوريا ، وأن كامل بك الأسعد ، نائب ولاية بيروت ، يملك معلومات مهمة حول هذا الموضوع[٥٦] . وبالفعل أكد الأسعد لجمال باشا أن رضا الصلح ، نائب سابق لولاية بيروت ، وعبد الكريم الخليل ، يتآمران للقيام بالثورة في جهات صور

---

(٥٤) محمد جابر آل صفا : مذكرات ، وردت عند هاني فرحات ، الثلاثي العاملي ، ص١٩٠ .
أمين سعيد : **الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الأول ، ص٦٦ - ٦٧ .
ورد في الكتاب الذي نشره جمال باشا بعنوان « ايضاحات » ، أن عبد الغني العريسي اعترف بحقائق مهمة جداً عن أعضاء الجمعيات اللبنانية والعربية وأنها ساهمت في الكشف عن أسرارهم وإلقاء القبض عليهم :
ايضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه ، مطبعة طنين ١٣٣٤ ، ص٣ .
والواقع أن عبد الغني العريسي قد دوّن في اعترافاته الحقائق العامة المعروفة لدى الجميع. وممّا يذكره مصطفى الشهابي حول هذا الموضوع أن أخاه عارف ، شريك عبد الغني في المفيد ورفيقه على حبل المشنقة أرسل له من السجن رسالة شفوية ينفي فيها أن يكون العريسي قد باح بأسرارٍ كثيرة ، وقد سمى هذه الأقاويل أكاذيب ملفقة ، وبأن عبد الغني لم يذكر في أجوبته اسم رجل واحد من الاخوان الوطنيين ، وبأنه كان يضلل المحققين بذكر أسماء أناس من الخائنين المعروفين أو ممن لا يمكن أن يدانوا بتهمة سياسية ، أو أشخاص يعيشون خارج أرض الدولة ، ولا سبيل إلى إيذائهم .
مصطفى الشهابي : **القومية العربية** ، ص ٧٦ .

(٥٥) راجع في هذا المجال : وصية رفيق رزق سلوم في الحرب العظمى (١٩١٤ - ١٩١٨) ج٢٧ ، ص ١٤ - ٢٥ ، **مجلة أوراق لبنانية** ، مقال لفائز الخوري ١٩٥٥ ، ص ٢١٦ - ٢١٧ .
فائز الغصين : **مذكراتي عن الثورة العربية** ، ص ٤٩ .
عنبرة سلام الخالدي : **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين** ، ص١٠٢ .

(٥٦) جمال باشا : **المصدر السابق** ص ٢٢٤ .

وصيدا[٥٧] .

على كل حال فإن جمال باشا لم يقدم على تنفيذ السياسة التي انتدب من أجلها في سوريا ولبنان ، إلاّ بعد أن وضع خطة متكاملة لكل مشاريعه السياسية والعسكرية في المنطقة . لذلك احتفظ بهذه الأوراق والوثائق سراً في خزائنه إلى أن يحين الوقت المناسب لكشفها ، ثم سلك مع العرب سلوك القائد المصلح الذي سيحقق كل الأماني العربية في وقت قريب ، فضمن بذلك تأييد جميع اللبنانيين والسوريين لسياسته العسكرية في قناة السويس التي تقوم على طرد الإنكليز من مصر ووضعها تحت سلطانه العتيد[٥٨] . ولكن بعد أن فشل في تحقيق حلمه هذا ، كشّر عن أنيابه وبدأ بنقل الحاميات العربية من سوريا والعراق إلى الجبهات التركية الشمالية واستعاض عنها بوحدات من بني قومه ، ثم ألقى القبض على عدد كبير من أعضاء الجمعيات اللبنانية والعربية ، كأعضاء الجمعية الاصلاحية ، وحزب اللامركزية وجمعية الفتاة والعهد والمنتدى الأدبي وغيرها من الجمعيات والأحزاب التي أنشئت في داخل البلاد وخارجها .

ولولا قيام الشريف حسين بالثورة على الأتراك لقبض جمال باشا على عدد كبير من العائلات اللبنانية والسورية حيث كان من المقرر نفيها إلى الأناضول . ولكن جمال اضطر إلى إصدار العفو عن الشيوخ والأطفال ، وسمح لهم بالعودة إلى أوطانهم . لعلّه بذلك يطفىء نار هذه الثورة أو يخفف من لهيبها . ولكن ذلك لم يجدِ فتيلاً[٥٩] .

---

(٥٧) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

(٥٨) عبد الغني العريسي : **مختارات المفيد** ، ص ١٦٣ .
سليمان موسى : الحركة العربية ، ص١٦٣ .
كانت الحملة التي وجّهها جمال باشا إلى سيناء يقدّر عددها بمائتي ألف رجل ، وقد بدأت بالتحرك في ١٤ كانون الثاني ١٩١٥ وفي ٣ شباط استطاع الانكليز انزال هزيمة شنعاء بها .

Jean- paul Garnier, **La fin de l;Empire Ottoman**,p. 161

(٥٩) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ٥٢ .

Eugène Jung, **La révolte arabe**, T1, p. 135 et T 11, p. 11- 12.

٥ ـ السجن ومآسيه :

وإلى جانب المحكمة العرفية ، أقامت السلطة التركية في عالية سجنين : أحدهما خصّص لأعضاء الجمعيات العربية واللبنانية الذين اعتقلوا بتهمة العمل على سلخ سوريا ولبنان عن السلطنة العثمانية بمساعدة فرنسا وانكلترا ودُعي بالسجن الخاص ، وثانيهما خُصّص لمرتكبي الجرائم الأخرى ودُعي بالسجن العام(٦٠) .

وكانت أبنية هذين السجنين شيّدها أصحابها في هضاب عالية منازل للاصطياف فصادرتها السلطات العسكرية التركية واتخذتها سجوناً للمعتقلين ، وهي عبارة عن دار واسعة تحيط بها عدة غرف كثيرة النوافذ شديدة البرودة ، وكان على المعتقلين أن لا يُطفئوا المصابيح لتسهل مراقبتهم وقد جيء بأكثرهم في فصل الشتاء(٦١) .

وفي الطابق السفلي من البناء الذي يُقيم فيه الديوان العرفي ، غرفة قذرة لها نافذتان وفيها أماكن لوضع القدور والطبخ ، وبجانبها غرف الحمّامات ، كانت مركزاً للمعتقلين الذين يخضعون للمحاكمة ، كما أنها كانت سجناً إضافياً تستخدمه المحكمة العرفية عند الإقتضاء(٦٢) .

وقد أُخضع الموقوفون لمراقبة شديدة ، فمُنع عليهم التدخين والنظر من نوافذ السجن ، والتحدث إلى أي شخص ، وكان يُجلد أكثرهم في الليل بلا هوادة أو يُضرب بعضهم على أرجلهم بالسياط . ويظهر أن أعضاء محكمة عالية قد تفنّنوا في إهانة وتعذيب المعتقلين ، ذلك أن هؤلاء كانوا يخزون الشبان بالأبر ، ولا يدعونهم ينامون ثلاث ليال متتابعة ، ليدفعوهم إلى الإعتراف والإفادة بما يوافق رجال الديوان العرفي في إثبات التهم المعزوة إلى المتهمين ، كما كانوا يحلقون لحى مشايخ القرى ويسجنون الشبان في أماكن مظلمة ويمنعونهم من التكلم مع بعضهم ولا يسمحون لهم بالكتابة ولا بقراءة

---

(٦٠) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p98.

(٦١) محمد جابر آل صفا : مذكرات وردت عند هاني فرحات ، ص ١٩٤ .
فائز الخوري ، مقال « يروي فيه ذكرياته عن سجن عاليه » .
ورد في مجلة أوراق لبنانية : الجزء ٥ ـ نوار ١٩٥٥ ، ص ٢١٤ ـ ٢١٥ .

(٦٢) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية ، ص١٧ .
كان محمد جابر آل صفا وفائز الخوري وفائز الغصين من الذين اعتقلوا في ذلك الحين .

الكتب والمجلات والجرائد . . .[٦٣] . وكانوا كذلك يضعون الحديد والقيود في أرجل المتهمين ويوسعونهم ضرباً ، كما حدث مع المتهم « توفيق البساط » الذي نال نصيبه من الأذى والتعذيب على أيدي رجال جمال باشا[٦٤] . وكما جرى كذلك مع المعتقل رفيق رزق سلوم الذي كتب في وصيته يقول :

« وحينئذ أمرهم بأن يعذبوني فأخذني الضابط « نور الدين » ومعه « بايرام » وجندي آخر إلى غرفة خصوصية وربطوا يديّ ورجلي بالحبال ، وبدأوا يضربونني ضرباً أليماً ، أُغمي عليّ من شدة الضرب ، ثم أفقت فعادوا إلى ضربي ثانية فأُغمي عليّ ثانية ، ثم أفقت فعادوا إلى ضربي حتى تكسرت في أيديهم عدة عصيّ وأُغمي عليّ ثالثة . وأنا أقول لهم لا أعرف شيئاً . ثم أعطاني الضابط نور الدين قلماً وورقة وكلّفني أن أعترف وأعطاني فرصة مقدار ساعة وقال لي : إذا لم تعترف أحضر آلة تقلع الأظافر ، فأقلع أظافرك وأُطيل عذابك حتى تموت وأطرحك في الوادي للوحوش . . . »[٦٥] .

هذا وكانوا يحاولون قتل المساجين جوعاً ، ومن يريدون التضييق عليه يقدمون له قليلاً من الخبز والماء حتى تعرّض بعضهم لمجاعة قاسية[٦٦] .

كما كانت السيدة المولجة تأمين الغذاء لهؤلاء المعتقلين ، تسلب المسجونين أموالهم بطرق شتى[٦٧] .

وهكذا فالداخل إلى سجن عالية ، لا يخرج منه إلا إلى المنفى أو جثة هامدة ، تُعلق في ساحة الإعدام[٦٨] . على حد تعبير فؤاد غصن في مذكراته .

---

(٦٣) عبد الغني العريسي : **مختارات المفيد** ، ص ١٧ .
فائز الغصين : **مذكراتي عن الثورة العربية** ، ص٤٩ .

(٦٤) فائز الخوري : **أوراق لبنانية** ، الجزء الخامس ، نوار ١٩٥٥ ، ص ٢١٧ .

(٦٥) **الحرب العظمى** ، جزء ٢٧ ، ص ١٤ ، وصية رفيق رزق سلوم .

(٦٦) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p98

(٦٧) كانت هذه السيدة تُدعى : « أنيسة كركبة » .
Ibidem, p 103

(٦٨) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٨٢ .

٦ ـ أحكام الديوان العرفي والقضاء على المعارضة المحلية :

قبل البدء بالحديث عن الأشخاص الذين أعدمتهم السلطات التركية في بلاد الشام خلال الحرب العالمية الأولى ، لا بد من الاشارة إلى أن هؤلاء الرجال لم يكونوا جميعهم من اللبنانيين . وبالرغم من ذلك فإننا سنتطرق في دراستنا إلى جميع هذه العناصر ، لبنانية كانت أم غير لبنانية ، لأن الدراسة التاريخية الموضوعية تتطلب معالجة الموضوع من كافة جوانبه وإلقاء الضوء على كافة العناصر الفاعلة فيه ، حيث أننا لا نستطيع فصم عناصر هذه القضية بعضها عن بعض ، لأن فصم عناصر القضية هو إلغاء للقضية أو تعقيد لها ، وهذا يتنافى كلياً مع البحث التاريخي السليم .

أ ـ بدء الإرهاب في لبنان :

لم يكشف جمال باشا القناع عن وجهه دفعة واحدة ، لذلك استخدم أساليب كثيرة للقضاء على المعارضة المحلية ، وكانت أولى هذه الأساليب طريقة الاغتيال التي كان ضحيتها الأولى « الدكتور عزة الجندي »(٦٩) الذي انتسب إلى حزب اللامركزية في مصر ، وتولّى رئاسة لجنته التنفيذية السريّة التي كانت مهمتها طبع المناشير الثورية وتوزيعها وإرسال برقيات الاحتجاج إلى الباب العالي(٧٠) . وكان من عداد الذين اشتركوا في تأسيس الجمعية القحطانية(٧١) . وحقيقة الأمر أن نشاط الجندي كان يتمحور حول هدفين اثنين : الأول علني وهو تطبيق اللامركزية في جميع ولايات الدولة العثمانية . والثاني : خفي وهو انتزاع استقلال البلاد العربية من أيدي الترك الحاكمين . ولتحقيق هذين الهدفين كتب الجندي سلسلة مقالات في صحف القاهرة هاجم فيها سياسة الأتراك الجدد(٧٢) . ثم قام بجولة على بعض البلدان العربية فزار مصر وشبه

---

(٦٩) وُلد عزة الجندي سنة ١٨٨٣ وقُتل ١٩١٤ ، درس الطب ، وهو من أصل سوري ، تنبّأ بانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى ، وكان يخشى إذا ما دخلت تركيا الحرب أن تقع البلاد العربية فريسة الدول المنتصرة .

(٧٠) Adel Ismaïl, **Documents,**, T 19, p. 335

أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ٣٥ .

(٧١) محمد جابر آل صفا : تاريخ جبل عامل ، ص ١٨٩ .

(٧٢) Adel Ismaïl, **op. Cit.** p. 355

الجزيرة العربية ، فاتصل بأمرائها وعلمائها وحثهم على توحيد جهودهم لإنشاء دولة عربية مستقلة . وزار كذلك صديقه أحمد شريف السنوسي في ليبيا وقدم له مساعدات مالية وعسكرية حيث اشترى له السلاح والعتاد . ونصحه بالاستمرار في ثورته ضد الإيطاليين . وعندما وصل جمال باشا إلى حمص استدعاه ، فأتوا به مخفوراً إلى مركز القيادة في دمشق ، وفي مركز القيادة بالذات اغتاله أحد رجال جمال باشا المأجورين(٧٣) .

أما الضحية الثانية التي أصابها سهم حاكم سوريا العام ، فكانت نخلة باشا المطران(٧٤) الذي كان من وجهاء بعلبك البارزين الذين عملوا للقضية اللبنانية وطالبوا بتوسيع حدود لبنان . كما كان من أصحاب النفوذ والحظوة في عاصمة الخلافة ، وقد ازداد هذا النفوذ عندما وُفّق في حلّ المشاكل المستعصية بين فرنسا والدولة العليّة . ولما قامت الثورة الائتلافية في الآستانة حمى رجال جمعية الاتحاد والترقي (أنور وطلعت وجمال وجاويد) في بيته إلى أن زال الخطر(٧٥) . وفي الوثيقة التي أشار إليها في مذكراته يقول جمال باشا : « أن نخلة المطران سُلّم إلى المحكمة العسكرية قبل وصوله مع وثائق خطيرة فحُكم عليه بالسجن المؤبد فسيق مخفوراً إلى ديار بكر وقتله الحرّاس قرب طرابلس لأنه حاول الفرار »(٧٦) . في هذه الوثيقة التي وُجدت في قنصلية فرنسا في دمشق ، يذكر المطران أن الحالة الحاضرة أصبحت لا تطاق وأننا عزمنا على إدماج بعلبك وسهل البقاع في لبنان لإرتباط تلك الجهات جغرافياً . بيد أننا نفتقر لتحقيق هذه العناصر إلى مساعدة الحكومة الفرنسية وحمايتها ، وقد وطّدنا العزم نحن المسلمين والمسيحيين على إدراك النجاح ، وأنا وأسعد حيدر رئيس المتاولة وأكبر الرجال نفوذاً في تلك الجهة ، وعبد الغني الرفاعي زعيم المسلمين ، قد عقدنا النية على أن تكون منطقتنا جزءاً من لبنان(٧٧) .

أما نشاط المطران السياسي فقد برز في مشاركته في الجمعيات والأحزاب التي

---

(٧٣) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ٣٤ - ٣٥ .
(٧٤) وُلد المطران في بعلبك ١٨٧٥ ، وهو ابن حبيب باشا بن يوسف المطران .
(٧٥) لطف الله نصرة البكاسيني : نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ٢٠٥ .
(٧٦) جمال باشا . مذكرات ، ص ٣٣٦ - ٣٣٧ .
(٧٧) La vérité sur la question syriènne, p. 41- 43

أُنشئت في تلك الفترة(٧٨) ، وفي الجولة التي قام بها على بعض عواصم العالم حيث زار باريس واستامبول وأميركا الشمالية . وقد أسس في نيويورك نادياً للمهاجرين اللبنانيين والسوريين(٧٩) . ولما اكتُشفت حركته الثورية في بداية الحرب العالمية الأولى ، أُلقي القبض عليه في دمشق وأُودع السجن . وفي ٦ كانون الثاني ١٩١٥ تلا خلوصي بك ، والي سوريا ، قرار الحكم على المطران بالسجن المؤبد أمام جمعٍ غفير . وبعد أن طافوا به في شوارع دمشق ونال نصيبه من الأذى والتعذيب(٨٠) ، سُجن في قلعة دمشق لمدة ثلاثة أشهر ، نُفي بعدها إلى ديار بكر ، وبينما هو في طريق منفاه قُتل بأمر من السلطة التركية في محل يُدعى التل الأبيض ، قريب من أورفة ، بحجة أنه حاول الفرار(٨١) .

أما الخوري يوسف الحايك(٨٢) الذي أُعدم في ٢٢ آذار ١٩١٥ ، فكان من العاملين لصيانة استقلال لبنان وامتيازاته . وقد قام بجولة في بلاد الاغتراب فزار البرازيل وباريس ومراكش والآستانة . قدّم خلالها خدمات جلّى للبنانيين(٨٣) ، كما زوّد

(٧٨) توفيق برّو : العرب والترك ، ص ٣٣١ .

(٧٩) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ٦٠ - ٦١ .

(٨٠) يروي محمد جميل بيهم قصة نخلة المطران والتشهير اللاإنساني الذي لقيه على أيدي أعوان جمال باشا في شوارع دمشق ، فيقول : « وقد قدّر لي أن أشاهد بنفسي ذلك التشهير اللاإنساني ، لقد أركبوه عربةً مكشوفة ، فطافت به على شوارع المدينة ، وكان أمامه رجل غليظ يحمل نعله ، فكان يصفعه به على وجهه ليديره إلى الجهة اليمنى ، وطوراً يصفعه به على وجهه الآخر ليديره إلى جهة اليسار ، وهو بين هذا وذاك يكيل له السباب والشتائم كيلاً ، ورعاع الناس ، على حافتي الطريق ، يشاركونه في النيل منه ، ويبصقون عليه . هذا فضلاً عن أنهم ألبسوه ثوب كركوز إمعاناً في التحقير » .

محمد جميل بيهم : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، ص ١٩١ - ١٩٢ .

(٨١) المقطم ، عدد ٧٩٧٢ ، ١٠ حزيران ١٩١٥ ، شهداء في المنفى .

Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p149- 151

فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية ، ص٤٨ - ٥٠ .

رواية ايليا الهراوي في زحلة الفتاة الذي كان سائقاً للقطار الحديدي نقلاً عن لطف الله نصرة البكاسيني : نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

(٨٢) وُلد الحايك ١٨٦٩ ، في سن الفيل في متصرفية جبل لبنان ، وفي ٢٧ شباط ١٨٨٨ رقّاه المطران يوسف الدبس إلى درجة الكهنوت .

Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p96- 97

(٨٣) لطف الله نصرة البكاسيني : نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ٢١٥ - ٢١٦ .

الحكومة الفرنسية بكثير من الأخبار عن أوضاع سوريا العسكرية والسياسية(٨٤) . وفي بداية الحرب العالمية الأولى بعث يوسف الحايك ، إلى ابنه انطوان الذي كان موظفاً في الوكالة الفرنسية في مراكش ، رسالة يخبره فيها عن احتلال الأتراك لجبل لبنان ثم تمنّى على السلطة الفرنسية أن توجّه جيشها لتحرير اللبنانيين من النير التركي . وبناء على رغبة الوالد أطلع انطوان السيد « دي شانيل M. De Chanel » ، رئيس المجلس النيابي الفرنسي ، على مضمون الرسالة ووضعه في مجرى الأحداث(٨٥) .

فكان ردّ السيد « دي شانيل »قد جاء برسالة إلى الخوري الحايك يشكره فيها على شعوره تجاه فرنسا(٨٦) . ولسوء حظ الحايك وقعت هذه الرسالة في يد الرقابة التركية(٨٧) ، واستناداً لذلك أُلقي القبض عليه وسيق إلى محكمة عالية العرفية حيث حكمت عليه بالموت(٨٨) . وفي ساحة المرجة في دمشق نُفذ فيه حُكم الإعدام(٨٩) .

(٨٤) يشترك يوسف الحايك في التوقيع على رسالة الجمعية اللبنانية إلى بوانكاريه رئيس الحكومة الفرنسية .
Ade Ismaîl, **Documents,**, T 19, p. 276- 277

(٨٥) يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان** . . . ، ص ٢٣٤ .

(٨٦) أما نص الرسالة فكانت على الشكل التالي : « المعلومات التي أُعطيت عن أحوال سوريا وأوضاعها قد خدمت مصلحتنا بدرجة نهائية في هذه المآزق الحاضرة ، وأوجبت الاستفادة العظيمة . فأشكركم على ذلك شكراً جزيلاً وبنفس الوقت فإني أهنئكم أيضاً على ما أظهرتموه لي بوطنية من الشعائر المحلية . إن سوريا هي فرنسا الشرقية ونحن نعرف صداقتها وارتباطها بفرنسا ونقدر قيمتها ، فأقبل أيها الراهب عربون مشاعر اخلاصي الفائقة » .
لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢١٩ .

(٨٧) يذكر فؤاد غصن أن يوسف الحايك تلقى من ابنه الذي كان يدرس الحقوق في باريس رسالة مع خريطة فرنسا كانت سبباً في إعدامه . فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص٨٢ .

(٨٨) أما نص قرار المحكمة فكان على الشكل التالي : « ورد إشعار من قيادة الفيلق الرابع بأن الشخص المسمّى يوسف الحايك أحد رهبان الطائفة المارونية المقيم في سن الفيل من أعمال جبل لبنان قد ثبت بالمحاكمة لدى ديوان عاليه العرفي مخابرته مع رئيس مجلس النواب الفرنسي الذي يتبع إحدى الدول المعادية ، بما يتعلق بأحوال سوريا الحاضرة وخصوصاً جبل لبنان . إن الخوري المرقوم تجاسر في مخابرته أعداءنا بصورة تضع سلامة الوطن في التهلكة ، لقد حُكم بالإعدام جزاء جرأته على هذا الفعل واقترن حكم الإعدام بالإرادة السنية وأُعطي الأمر لأجل إنفاذه حالاً ، اقتضى إعلان الكيفية ، جريدة الاتحاد العثماني ، ١٦ آذار ١٩١٥ .

(٨٩) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٢٠ - ٢٢٤ .
Edmond Rabbath, **La formation historique du liban..** p250

وقال مستنداً إلى حبل المشنقة : فليحيا لبنان ولتحيا فرنسا[٩٠] . ثم دُفن في مقبرة الموارنة في دمشق ، وبعد أن توقفت الحرب العالمية الأولى نُقل جثمانه إلى لبنان حيث دُفن في سن الفيل[٩١] .

ب ـ أحكام ضحايا القافلة الأولى :

وحينما أخفقت الحملة الأولى على مصر (شباط ١٩١٥) ـ وكان السبب الرئيسي في إخفاقها هو سوء تقدير جمال باشا للموقف العسكري ـ عاد من جبهة سيناء وهو يشعر بالمذلّة والمهانة والانكسار في قرارة نفسه ، وأصبح حاد المزاج ، عصبياً ، كما هي عادة أوساط القادة العسكريين عندما يُصابون بخيبة أمل مريرة . والذي زاد الأمر تعقيداً كثرة التقارير التي كانت ترد إلى مركز القيادة متضمنة سرداً وافياً عن النشاط السري لأعضاء الجمعيات السياسية والخلايا الثورية التي كانت متغلغلة في صفوف الجيش ، وعن عملاء فرنسا وانكلترا الذين كانوا يسرحون ويمرحون في طول البلاد وعرضها[٩٢] .

أزاء هذه الظروف الخطيرة التي كانت تحيط بجمال باشا ، قرر الباشا أن يضرب المعارضين في سوريا ولبنان ضربة قاضية ، فأُلقي القبض على معظم أعضاء المنتدى الأدبي وحزبي « العهد » و« الفتاة » والجمعيات الاصلاحية والأشخاص الذين تدينهم الوثائق السرية المصادرة من قنصلتي فرنسا وساقهم إلى محكمة عالية العرفية التي قضت ، بعد محاكمة شكلية ، على ثلاثة عشر منهم بالموت حكماً وجاهياً وعلى ٧٠ بالإعدام غيابياً[٩٣] ، وعلى مئات آخرين بالسجن أو النفي إلى أقصى مناطق الأناضول وآسيا الصغرى . وفي ٢١ آب ١٩١٥ نفذ حكم الإعدام بالقافلة الأولى من المحكومين في ساحة البرج في بيروت[٩٤] .

وهذه أسماؤهم : عبد الكريم الخليل ومحمد ومحمود المحصماني وعبد القادر

---

(٩٠) Georges Samné, La Syrie, p 442

(٩١) محمد جميل بيهم : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، ص ١٩١ .

(٩٢) عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص١٠٢ ـ ١١١ .

(٩٣) للاطلاع على أسماء الذين حُكموا غيابياً ، راجع :

La vérité sur la question syrienne, p. 166

أمير سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الأول ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٩٤) عادل إسماعيل : السياسة الدولية ، ج٤ ، ص ٢٠٧ .

الخرساء ونور الدين القاضي وسليم عبد الهادي ومحمود نجا العجم ومحمد مسلم عابدين ونايف تللو وصالح حيدر وعلي الأرمنازي(٩٥) .

أما الشخصان اللذان لم يعدما فهما « حافظ السعيد » و« الشيخ سعيد الكرمي » وقد أُبدل حكم الإعدام الصادر عليهما بالسجن المؤبد لتقدمهما في السن . وقد مات الأول في السجن ، وأُفرج عن الثاني في نهاية الحرب بعد إقامته نحو أربع سنوات في قلعة دمشق سجيناً(٩٦) .

ويبدو أن بعض هؤلاء الشهداء قد لعبوا دوراً بارزاً ومؤثراً في الأحداث التي جرت في لبنان وسوريا آنذاك . أمثال حافظ السعيد(٩٧) الذي تدرّج في وظائف الدولة في نواحي فلسطين ، ثم انتُخب مبعوثاً عن القدس في مجلس النواب العثماني (٨ شوال ١٣٢٤ هـ)(٩٨) . ولما وجد تسلط الاتحاديين على الدولة والنواب سعى في تأليف حزب الحرية والائتلاف الذي شارك فيه معظم زعماء العرب من مسلمين ومسيحيين ، كما ساهم فيه عدد كبير من زعماء الأتراك وقد تمكن هذا الحزب من انتزاع السلطة من أيدي الاتحاديين فترة لا تقل عن ستة أشهر (٢١ تموز ١٩١٢ - ٢٣ كانون الثاني ١٩١٣)(٩٩) . وعندما تشكّلت الجمعية الاصلاحية في بيروت عام ١٩١٢ ، وجّه حافظ السعيد إلى الباب العالي رسالة يحثه فيها على القيام بالإصلاحات الضرورية في بلاد الشام(١٠٠) . ومن هؤلاء أيضاً عبد الكريم الخليل(١٠١) الذي نذر نفسه لخدمة

(٩٥) **المقطم** : عدد ٨٠٤٨ ، ٩ أيلول ١٩١٥ .
محمد جميل بيهم : **العهد المخضرم في سوريا ولبنان** ، ص ١٩١ - ١٩٢ .
يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ٢٣٥ .

(٩٦) مصطفى طلاس : **الثورة العربية الكبرى** ، ص ١٨١ .
أمين سعيد : **الثورة العربية الكبرى**، ج ١ ، ص ٦٢ .

(٩٧) هو ابن سعيد بك المصطفى الذي عينه عبدالله باشا حاكماً عاماً على القدس ويافا والرملة وغزة ١٢٥٩ هـ . وكانت أسرته عريقة يعود أصلها إلى إدريس الكبير بن عبدالله من سلالة الحسن بن علي . وُلد حافظ في غزة .

(٩٨) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣١٩ - ٣٢٤ .

(٩٩) Colonel Lamouche, **Histoire de la Turquie**, p. 342

(١٠٠) البكاسيني : **المصدر السابق** ، ص ٣٢٤ - ٣٢٥ .

(١٠١) هو ابن محمود بن يوسف الخليل ، من برج البراجنة التي كانت تابعة ولا تزال لجبل لبنان، ويُقال بأن أصل أسرته من الهند ، درس عبد الكريم الحقوق في جامعة استامبول ومارس مهنة المحاماة .

قضايا أمته ، فقد كان على علاقة وثيقة بوزراء الدولة وعظمائها وخاصة مع جمال باشا الذي قرّبه إليه وعيّنه مفتشاً للجيش الرابع(١٠٢) . وأثناء وجوده في الآستانة ساهم في تأسيس المنتدى الأدبي وانتُخب رئيساً له . وشارك في مؤتمر باريس وفي المفاوضات التي دارت بين الحكومة الاتحادية وممثلي المؤتمر . وكان أحد موقعي الاتفاق مع طلعت باشا عام ١٩١٣(١٠٣) . وقد حذّر طلعت باشا من العواقب الوخيمة إن لم يقبل الأتراك بمنح البلاد العربية استقلالها الذاتي(١٠٤) . وعندما دخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب المانيا كان الخليل يعتقد أن الأتراك لا يستطيعون الثبات أمام قوى الحلفاء ، وأن استقلال العرب ضمن دولة واحدة أمر أصبح معروفاً(١٠٥) . وفي شهر أيار عام ١٩١٥ انتقل إلى صيدا حيث أسّس الجمعية الثورية(١٠٦) . ثم أخذ يعمل مع بعض أحرار سوريا ولبنان على إضرام الثورة هناك بالتعاون مع قوى الحلفاء التي كانت قريبة من شواطىء صور وصيدا(١٠٧) . ويُقال بأنه كان على اتصال بممثلي دول الحلفاء عن طريق الجامعة الأميركية في بيروت(١٠٨) . ومن كلماته التي لفظها لحظة إعدامه : « إننا أمة تريد

---

(١٠٢) المصدر السابق ، ص ٣١٤ .
يوسف الحكيم : **بيروت ولبنان في عهد آل عثمان** ، ص ٢٣٥ .

(١٠٣) راجع الفصل الثالث ص ؟ ؟ ؟ ؟ .

(١٠٤) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ٧٥ - ٧٦ .

(١٠٥) ومما يرويه « صفا » عن عبد الكريم الخليل الذي حضر إلى النبطية في صيف ١٩١٤ سائحاً في الظاهر ومندوباً لجمعية الثورة العربية أنه « كان في الرابعة والعشرين من عمره ، يتوقد ذكاء وفطنة ، واسع الاطلاع دمث الأخلاق أنيس الطلعة ، إلا أنه كان قليل الخبرة ، كثير الوثوق بنفسه وبجماعته من أحرار العرب ، ومتطرفاً في آرائه .
محمد جابر آل صفا : مذكرات نقلاً عن هاني فرحات : **الثلاثي العاملي في عصر النهضة** ، ص ١٨٧ .

(١٠٦) كان من أعضائها : راشد بك عسيران والشيخ عارف الزين وبهاء الدين الزين مفتي صيدا (يومئذٍ) وبهيج الجوهري وأخوه توفيق ومحمد علي حشيشو والشيخ منير عسيران والشيخ محي الدين عسيران ويوسف الزين والسيد محمد إبراهيم . وكان من أعضاء فرع صور : الحاج عبدالله يحيى والحاج اسماعيل الخليل . أما فرع النبطية فقد تألف من الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ضاهر ومحمد جابر .
محمد جابر آل صفا : مذكرات نقلاً عن هاني فرحات : **الثلاثي العاملي في عصر النهضة** ، ص ١٨٨ .

(١٠٧) جمال بشا : مذكرات ، ص ٢٢٤ .
لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣١٤ - ٣١٥ .

(١٠٨) محمد جابر آل صفا ، **المصدر السابق** ، ص ١٨٨ .

الاستقلال ، أننا أمة تسعى إلى الخلاص من نير الأتراك . أنتِ يا أرض الوطن احفظي تذكارنا وأنتِ يا سماء بلادي احملي إلى كل سوري بل إلى كل عربي سلام هؤلاء الأبطال ردّدي عليهم مأساتنا وكلامنا ، قولي لهم أننا عشنا لأجل الاستقلال وها نحن نموت في سبيل الاستقلال »(١٠٩) . من هذه الكلمات يظهر بوضوح أن الهدف الأسمى الذي ضحى عبد الكريم بنفسه من أجله كان يتمثل بتحرير سوريا ولبنان من الحكم التركي .

أما نشاط محمد المحمصاني(١١٠) فلا يقل أهمية عن نشاط عبد الكريم الخليل ، فقد كان المحمصاني من أعضاء حزب اللامركزية والنادي الأهلي في بيروت(١١١) . كما ساهم في تأسيس الجمعية العربية الفتاة(١١٢) . وكان من مقرّري المؤتمر العربي في باريس ١٩١٣ ، ومن أعضاء اللجنة التي حضّرت لأعمال المؤتمر(١١٣) . ومن زعماء العرب المتشدّدين الذين رفضوا قبول أي منصب قبل تحقيق المطالب العربية(١١٤) . وكان من المؤلفين المجيدين ، فكتب عدة مقالات في جريدة « المفيد » ، ووضع كتابين ، كتاب عن « الفكرة الصهيونية » وكتاب عن « التربية » . وقد فُقد الكتابان بعد أن صادرتهما السلطة التركية مع أوراقه الخاصة ١٩١٥ . ومن أعماله الخالدة سعيه المتواصل لتعزيز مدارس البنات حتى يرفع من شأن المرأة ، ومحاربته الشديدة للخرافات والتقاليد القديمة البالية . وقد انتسب إلى جمعية المقاصد الخيرية عام ١٩١٤ وأخذ يسعى بتحسين مدارسها ، وخصوصاً مدرسة البنات الأولى التابعة لها(١١٥) . ومن فوق منصة الإعدام برز موقفه التحرري الاستقلالي حين قال : « إنني مذنب ، إذا كان حب الحرية وإرادة تحرير بلادي ذنباً . التحرر لقد أردته ، وبدلاً من أن أشعر بالندم ، إنني سعيد بأن

---

(١٠٩) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p108- 109

(١١٠) كان من بيروت ، وُلد عام ١٨٨٨ ، درس الحقوق حتى نال شهادة الدكتوراه في باريس .

(١١١) للاطلاع على النادي الأهلي الذي أُسس في بيروت يمكن مراجعة : مذكرات النعماني (عارف) التي نشرتها جريدة الحياة البيروتية .

(١١٢) محمد عزة دروزة ، **حول الحركة العربية الحديثة** ، ج١ ، ص ٢٧ .
محمد جميل بيهم : **العرب والترك** ، ص ١٥٦ .

(١١٣) Adel Ismaïl, **Documents,**, T 20, p. 142

(١١٤) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ٧٨ .

(١١٥) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣٠٧ - ٣٠٩ .

أكون ضحيته الأولى »[١١٦] .

أما عبد القادر الخرساء(*) الذي كان من أقطاب حزب اللامركزية فقد جعل من منزليه الكائنين في بيروت ودمشق مكاناً لإجتماع أعضائه ومركزاً لنشاطه السياسي ، وهو الذي أرسى أسس التعاون بين أعضاء حزب اللامركزية والأمير فيصل لتحرير البلاد العربية من الحكم التركي[١١٧] .

ومن فوق منصة الإعدام اتهم الخرساء جمال باشا بإعدام الشهداء لمجرد الرغبة في الإنتقام والتشفي[١١٨] .

وكان نايف تللو يراسل جريدة « المقتبس » بموضوعات متنوعة[١١٩] . كما أسس محمد مسلم عابدين جريدة « دمشق » التي استمرت سبعة أشهر فقط[١٢٠] . في حين كانت أدوار باقي الشهداء ثانوية ومحدودة جداً وبالرغم من ذلك فإن إرهاب جمال باشا لم يستثنهم أبداً فقد لاقوا نفس المصير الذي لقيه زملاؤهم الآخرون ، مما يدل دلالة واضحة على خطة الاتحاديين التي أرادوا تنفيذها للقضاء على زعماء سوريا ولبنان . وقد حذر الأمير شكيب أرسلان من خطر هذه السياسة على الدولة ، ثم وضع تفسيراً لها حين قال : « إنهم كانوا يريدون القضاء على الوجاهة القديمة ومحو نفوذ أبناء الأصالة » لأن الأتراك كانوا يعتبرون العرب أمة أرستقراطية ويعتبرون أنفسهم أمة ديمقراطية بطبيعتها[١٢١] .

---

(١١٦) André Bruneau, **traditions et politique de la France au levant**, p. 286.

(*) من دمشق ، وُلد عام ١٨٨٥ .

(١١٧) أدهم آل الجندي : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(١١٨) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p110.

(١١٩) وُلد تللو في دمشق ١٨٨٥ وتولى وظيفة محافظ درعا ثم نُقل إلى زحلة ومنها إلى الكرك . أدهم آل الجندي : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(١٢٠) وُلد عابدين في دمشق ١٨٨٩ ، ونشأ في بيئة متدينة ، ثم عُين رئيساً لديوان مديرية الأوقاف العامة في دمشق ولكن أُقصي عن هذه الوظيفة لأسبابٍ سياسية . وعُين بعد ذلك مديراً للأوقاف في اللاذقية ، المرجع نفسه ، ص ٨٣ .

(١٢١) شكيب أرسلان : سيرة ذاتية ، ص ١٥٦ - ١٥٧ .

ومما تجدر الاشارة إليه أن أحكام الإعدام التي صدرت من ديوان عالية العرفي اتهمت هؤلاء الرجال بالانتهاء إلى حزب « اللامركزية الإدارية العثماني » الذي أُنشىء في مصر ١٩١٢ ، وفتح له فروع في معظم مدن سوريا ولبنان(١٢٢) .

ولو سلّمنا دون مناقشة بأن هؤلاء الشباب كانوا أعضاء في حزب اللامركزية ، إلا أننا لا يمكننا التسليم قطعاً بجريمة هذا الانتساب ، لأن هذا الحزب كان حزباً رسمياً ومعترفاً به من قبل السلطات العثمانية نفسها(١٢٣) وهو حزب غير عنصري ولا يدعو إلى الإنفصال عن الدولة ، بل كان هدفه الأساسي اصلاحاً لا مركزياً في كافة إدارات الدولة(١٢٤) ، كما أنه ليس له أية علاقة بالدول الأوروبية ، لأن تشكيله كان بسبب الخوف من احتلال الأجانب للبلاد العربية(١٢٥) ، وخصوصاً بعد أن أهمل الأتراك أمر الدفاع عنها وأخذ الاحتياطات الوقائية ضد هذا الاحتلال ، كما حدث في ليبيا ١٩١١ حيث احتلها الإيطاليون دون أن يكون للاتحاديين فيها أية وسيلة من وسائل الدفاع(١٢٦) .

ج - تنفيذ أحكام الإعدام بضحايا القافلة الأولى :

وفي العشرين من آب ١٩١٥ وعند الساعة السابعة مساء أُخرج المحكومون الأحد عشر من سجن عاليه وأُركبوا عربات أقلّتهم مخفورين بالجنود إلى دائرة الشرطة في

---

(١٢٢) La Vérité sur la question syriènne, p. 159- 165

(١٢٣) العربي ، عدد ٣٠ أيار ، ١٩٦١ ، ساطع الحصري ، **شهداء العروبة** ، ص ٢٢ - ٢٣ .
صبحي العمري : **لورنس كما عرفته** ، ص ١١٧ .

(١٢٤) أنظر المادة الثانية من النظام الداخلي للحزب : ثورة العرب ، ص ٥٧ - ٦٢ ، وراجع أيضاً : برنامج حزب المنار م١٦ - ج٣ ، ص ٢٢٩ - ٢٣١ .
المفيد ، عدد ١٢٠٧ ، ٢٠ شباط ١٩١٣ ، وراجع أيضاً بيان الحزب عن الدواعي التي تستوجب العدول عن طريق المركزية في المملكة العثمانية واتباع اللامركزية الإدارية : المفيد ، ١٢٠٨ - ٢٢ شباط ١٩١٣ وأيضاً : رسالة المفوض الفرنسي في القاهرة إلى جونار وزير الخارجية الفرنسية :
Adel Ismaîl, **Documents**,, T 19, p. 332- 333

(١٢٥) المفيد ، عدد ١٢٠٨ ، ٢٢ شباط ١٩١٣ ، **بيان حزب اللامركزية** . .

(١٢٦) عادل اسماعيل : **السياسة الدولية** ، ج٤ ، ص١٤٢ .
Colonel Lamouche, **Histoire de la Turquie**, p. 340 -341

بيروت ، فوصلوها بعد ساعتين من المسير ، وهناك بلّغوا حكم الإعدام فلم يجزعوا ولم يهنوا . واغتسل معظمهم وقاموا بـواجب الصلاة(١٢٧) .

في حين انتشر الجنود في كل الشوارع والطرقات خوفاً من نشوب ثورة في البلاد(١٢٨) . وبعد ساعة من الزمن كتب المحكومون وصاياهم وتركوها وديعة في دائرة الشرطة لتسلّم إلى ذويهم(١٢٩) .

وكانت ساحة الإعدام خالية ، وقد طُوقت بالجنود من كل الجهات . وكان حاضراً فيها رضا باشا قائد فرقة عالية ، ومحي الدين مدير شرطة بيروت ، وأعضاء محكمة عالية العرفية(١٣٠) . وكانت الساعة تُشير إلى الرابعة صباحاً حينما بدأ الضابط المغربي عبدالله ، عضو المحكمة العرفية يتلو قرارات الإعدام(١٣١) .

وكان أول من صعد إلى منصة الإعدام عبد الكريم الخليل ، ثم تبعه محمد ومحمود المحمصاني فتعانقا طويلاً ، وقد حاول محمد تبرئة رفاقه من تهمة الإعدام وتحمل المسؤولية لوحده ، ولكن دون جدوى . وهكذا أُعدم الأخوان معاً في لحظة واحدة بناء على رغبة محمد(١٣٢) . ثم جيء بعبد القادر الخرساء ونور الدين القاضي. وعند الساعة الخامسة صباحاً كان كل شيء قد انتهى(١٣٣) .

وبعد تنفيذ حكم الإعدام من فجر ذلك اليوم ، أُقفلت أسواق بيروت ، وأقفرت الشوارع من المارة ، ولم تعد ترى أثراً لإنسان سوى رجال الشرطة وجنود

---

(١٢٧) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، م١ ، ص٦٢ .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p105- 106

(١٢٨) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٩٤ .

(١٢٩) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٨٦ .

(١٣٠) المقطم : عدد ٨٠٤٨ ، ٩ أيلول ١٩١٥ ، **الإعدامات في سوريا ولبنان** .
أمين سعيد : **المصدر السابق** ، ص ٨٦ .

(١٣١) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ٩٦ - ٩٧ .

(١٣٢) المقطم : عدد ٨٠٦٢ ، ٢٧ أيلول ١٩١٥ « **أقوال الشهداء أثناء الإعدام** » .
Antoine Yammine **Quatre ans de Misère,** p111

(١٣٣)
لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

السلطة[١٣٤] .

ولم تكن هذه المأساة التي أنزلها جمال باشا ببعض أعضاء الجمعيات الإصلاحيات إلاّ مقدمة لمأساة أكبر نفذها سيد سوريا في ٦ أيار من السنة التالية ، وقد بشّر هو نفسه بذلك حين قال في البيان الذي أذاعه يوم إعدام القافلة الأولى : « إن التحقيقات لا تزال جارية وبصورة دقيقة نحو أعوانهم الأشرار الذين لم يكن قبض عليهم قبلاً »[١٣٥] .

د ـ محاكمات إفرادية :

وفي المدة الفاصلة ما بين إعدام القافلة الأولى من المعتقلين وإعدام القافلة الثانية منهم ، أي من ٢١ آب ١٩١٥ حتى ٦ أيار ١٩١٦ ، أصدرت محكمة عاليه العرفية ثلاثة قرارات بالإعدام على كل من عبدالله الظاهر ويوسف الهاني ومسعود الهليل .

ويبدو أن عبدالله الظاهر[١٣٦] كان على علاقة مع الفرنسيين ، وقد فوّضته القنصلية الفرنسية أن يشتري لها بعض الأراضي الأميرية في حمص[١٣٧] . وعند وصول جمال باشا إلى سوريا أُلقي القبض عليه فسيق إلى سجن بيروت ومنه إلى عاليه حيث قضى فيهما زهاء سنة ، وفي ١٤ آذار ١٩١٦ نُفذ فيه حكم الإعدام شنقاً في ساحة البرج في بيروت[١٣٨] .

أما يوسف الهاني[١٣٩] فقد كان من أعضاء الجمعية الإصلاحية[١٤٠] ومن الذين

---

(١٣٤) المقطم : المصدر السابق .

(١٣٥) أوراق لبنانية ، الجزء الخامس ، نوار ١٩٥٥ ، ص ٣٠٤ ـ ٣٠٥ . جريدة البلاغ عدد ٥٨٥ ، ٦ أيار ١٩١٦ .

(١٣٦) وُلد عام ١٨٥٦ في بلدة القبيات وكان عضواً يمثل منطقته في مجلس إدارة طرابلس ، نزح إلى أميركا الجنوبية مع والديه واشتغل بالتجارة ثم عاد بعد أربع سنوات .

(١٣٧) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣٢٨ .

(١٣٨) لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص٢٠٥ .
أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ٨٩ .

(١٣٩) وُلد في بيروت عام ١٨٧٠ .

(١٤٠) المفيد عدد ١١٧٦ ، ١٤ كانون الثاني ١٩١٣ .
سليم علي سلام : **مذكرات** ، ص ١٣ .

وقّعوا على لائحة المطالب التي رفعتها هذه الجمعية إلى الحكومة التركية(١٤١) . وكان يسعى لإستيلاء فرنسا على سوريا وضم بيروت إلى جبل لبنان ووضعهما تحت الرقابة والحماية الفرنسيتين ، بحجة حماية النصارى من الاضطهاد التركي ومن الضرائب الأميرية المتواصلة ، وقد قدّم مع الأعضاء المسيحيين في اللجنة التنفيذية للجمعية الاصلاحية ، كتاباً بهذا المعنى إلى قنصل فرنسا العام في بيروت في ١٢آذار١٩١٣(١٤٢) وفي منتصف كانون الثاني ١٩١٦ أُلقي القبض عليه فسيق إلى الديوان العرفي في عاليه ، وأثناء المحاكمة اعترف الهاني بحقيقة الكتاب المذيل بتوقيعه(١٤٣) . وبالرغم من توسلات زوجته وطفليه فقد أصدر الديوان حكمه بالإعدام على الهاني ، وفي ٥ نيسان من العام نفسه نُفذ الحكم فيه في ساحة البرج في بيروت جزاء محبته لفرنسا والدعاية لها(١٤٤) .

أما مسعود الهليل(١٤٥) ، فقد كان شديد المحبة لفرنسا وخلال الحرب العالمية الأولى أخذ يدعو أهالي جبل لبنان للتطوع في الجيش الفرنسي ، ثم سافر مع نسيبه أميل الخوري إلى باريس حيث انخرط هناك في سلك الجندية في فرقة الفرسان ، ولما عاد إلى لبنان لتفقد أحوال أهله ومواطنيه ، ألقت السلطات التركية القبض عليه وبعد محاكمة لم تستمر أكثر من يومين في ديوان عاليه العرفي ، ثبت أنه كان يخدم في جيش العدو ، فصدر بحقه حكم الإعدام الذي نُفذ فيه في ٢٥ نيسان ١٩١٦ ، ثم دُفن في مقبرة الموارنة في عالية(١٤٦) .

هـ ـ أحكام وضحايا القافلة الثانية :

وبعد أن ضرب جمال باشا ضربته الأولى استقر في دمشق يحصي على من بقي من

---

(١٤١) الحقيقة، عدد ٥١٣ ، ٦ شباط ١٩١٣ .

(١٤٢) Adel Ismaïl , **Documents,**, T 19, p. 361-365

(١٤٣) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٥٦ .

(١٤٤) Edmond Rabbath , **La formation hitsorique du liban,** p. 250

(١٤٥) وُلد الهليل ١٨٧٠ من عائلة مارونية في وادي شحرور في محافظة جبل لبنان (حاليا) .

(١٤٦) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٥٨ ـ ٢٦١ .
لحد خاطر : **عهد المتصرفين في لبنان** . ص٢٠٥ .

زعماء سوريا ولبنان خطواتهم وأنفاسهم ويهيء الظروف والأسباب للبطش بهم في الوقت المناسب . فمن جهة أخذ يقيم الولائم والحفلات لكبار القوم وذوي المقامات ويوزّع الهدايا والأموال على المشايخ ورجال الدين ليستميلهم أو ليأمن جانبهم على الأقل محاولاً تسكين الأفكار وتهدئة العواطف ، ومن جهة أخرى أخذ يقصي الضباط العرب الذين كانوا لا يزالون في سوريا إلى ميادين القتال المختلفة ، ولم تنقض فترة حتى كانت جميع الوحدات العربية قد أصبحت خارج البلاد(١٤٧) . فخلا الجو بذلك إلى حاكم سوريا العام لكي يتابع قضاءه على المعارضة المحلية ، فخلال شهري آذار ونيسان أرسل جمال باشا أكثر من ٣٠٠ أسرة سورية ولبنانية بكامل أعضائها نساء ورجالاً وأطفالاً إلى الأناضول بعد ما صودرت أملاكهم وأموالهم فوزعوا في مدنه وقراه(١٤٨) . ثم ملأ السجون بالمعتقلين من هؤلاء المعارضين حتى أصبحوا في شهر نيسان ١٩١٦ يعدون بالمئات(١٤٩) . وبعد محاكمة صورية قضت محكمة عاليه العرفية على ٢١ منهم بالإعدام وعلى عددٍ كبير بالسجن أو النفي إلى مناطق بعيدة نائية(١٥٠) . أما الأشخاص الذين أعدموا فهم : شفيق المؤيد العظم ، عبد الحميد الزهراوي ، عمر الجزائري ، شكري العسلي ، عبد الوهاب الإنكليزي ، رفيق رزق سلّوم ، رشدي الشمعة (أُعدموا في دمشق) باترو باولي ، جرجي حداد ، سعيد عقل ، عمر حمد ، عبد الغني العريسي ، الأمير عارف الشهابي ، الشيخ أحمد طباره ، محمد الشنطي اليافي ، توفيق البساط ، سيف الدين الخطيب ، علي الحاج عمر النشاشيبي ، محمود جلال البخاري ، سليم الجزائري ، أمين لطفي الحافظ ، (أُعدموا في بيروت)(١٥١) .

وكان معظم هؤلاء من رجالات لبنان وسوريا المرموقين الذين عملوا للقضية

---

(١٤٧) فوزي القاوقجي : مذكرات ، ص ٣٠ .

(١٤٨) ومن الأسر التي طالـها النفي : أسرة عرنوق والشماط ، ونُفي أيضاً : عثمان العائدي وأسرته ، والأمير محمد سعيد الجزائري مع أسرته وشقيقه عبد القادر وجميع أفراد العائلة ، ونُفي كذلك الشيخ سليم البخاري ، وتوفيق وفؤاد مجيد أرسلان أبناء عمّ الأمير شكيب أرسلان وغيرهم كثير لا مجال لتعداد أسمائهم على ظهر هذه الصفحات . أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، ص ٧٣ ـ ٧٤ .

(١٤٩) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p. 113

(١٥٠) المنار : م ٢٣ ، ج٢ ، ص ١٣٢ ، المشانق في سوريا . .

(١٥١) محمد جميل بيهم : العهد المخضرم في سوريا ولبنان ، ص ١٩٠ .

يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٣٨ .

العربية . كان من بينهم شفيق المؤيد العظم(١٥٢) الذي كان مبعوثاً سابقاً لدمشق في مجلس النواب العثماني ، وقد ساهم في تأسيس جمعية الأخاء العربي العثماني(١٥٣) . وقد دفعته جرأته إلى أن يصفع طلعت باشا في البرلمان اثر حادثة الاغتيال التي تعرض لها أحمد صميم صاحب جريدة « سربستي » وما رافقها من صدام حاد بين طلعت والمؤيد دفع ثمنها الحكم عليه بالإعدام(١٥٤) . وكان شفيق المؤيد يعمل لتحقيق الاصلاحات وتطبيق اللامركزية في ولايات الدولة العثمانية ، وتحويل سوريا (ولايات حلب دمشق بيروت) إلى إمارة مستقلة بمساعدة وحماية فرنسا . وقد طلب من الحكومة الفرنسية إرسال قوات فرنسية إلى حلب لتقيم حاجزاً أمام قوات الأتراك ، إذا ما حاولت حكومة الباب العالي فرض سيطرتها بالقوة هناك(١٥٥) . ويبدو أن المؤيد لم يخف ، أثناء إعدامه ، عاطفته تجاه فرنسا ، فقال : « فليعش العرب ولتعش فرنسا أم الحرية »(١٥٦) .

أما عبد الحميد الزهراوي(١٥٧) فقد انتُخب نائباً عن حمص عام ١٩٠٨ ، وأصدر جريدة « الحضارة » في الآستانة عند افتتاح الدورة الأولى لمجلس النواب العثماني ،

---

(١٥٢) هو ابن أحمد مؤيد باشا وُلد في دمشق ، نبغ في اللغات العربية والفرنسية والتركية وألمّ بالانكليزية ، وكان شاعراً وأديباً في اللغة العربية ، عُيِّن في وظائف مختلفة ، منها مديرية الدفتر الخاقاني في دمشق ومصلحة الجمارك في بيروت ، وبعد سفر والده إلى الآستانة عُيِّن شفيق المؤيد ترجماناً في الباب العالي ، وفي سنة ١٨٩٦ عهد إليه بمفوضية الديوان العامة ، بقي فيها حتى ١٩٠١ عندما اختلف مع السلطان حول إنشاء خط حديد رياق ـ حلب فعيّنته مفوضية الديوان العامة مفوضاً عنها في إدارة حصر الدخان ، بقي فيها حتى إعلان الدستور ١٩٠٨ .
لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ .
Georges Samné, **La Syrie,**p 443

(١٥٣) الإقبال : عدد ٢٦٦ ، ٢٨ أيلول ١٩٠٨ . **بلاغ جمعية الأخاء العربي العثماني** .

(١٥٤) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ٩٥ـ ٩٦ .

(١٥٥) Adel Ismaîl, **Documents,**, T 19, p. 283- 285

(١٥٦) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p133

(١٥٧) هو ابن محمد شاكر بن السيد إبراهيم الزهراوي وُلد في مدينة حمص ١٨٧١ ، وضع عدة مؤلفات منها : كتاب « نظام الحب والبغض » وترجمة السيدة خديجة أم المؤمنين ورسالة في النحو وأخرى في المنطق وبحث في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع ، أدهم آل الجندي ، **المصدر السابق** ، ص٩٨ ـ ٩٩ .

وكتب في جريدتي « المعلومات » و« المؤيد » ووضع عدة رسائل عن الإصلاح نُشرت في مجلة « المنار »[١٥٨] . ثم شارك في تأسيس حزب الحرية والائتلاف المعارض لحزب الاتحاد والترقي ، وفي سنة ١٩١٣ انتُخب رئيساً لمؤتمر باريس ، وبعدها عينه الاتحاديون عضواً في مجلس الأعيان العثماني ليشرف على تطبيق اتفاقية باريس[١٥٩] . ولما كانت محاكمته لا تجوز إلا بأمر من السلطان ، فإن جمال باشا أمر بإعدامه دون محاكمة واقتيد إلى المشنقة دون أن يعرف التهمة الموجهة إليه[١٦٠] .

وكان عمر الجزائري ابن عبد القادر الجزائري الكبير[١٦١] على علاقة بالحكومة الفرنسية ومن العاملين لنشر سياستها في الشرق . وقد تقاضى الأموال من القنصل الفرنسي حتى بداية الحرب العالمية الأولى[١٦٢] . وأعلن ساعة إعدامه محبته لفرنسا ثم بشّر باحتلال سوريا ولبنان من قبل الفرنسيين[١٦٣] .

أما شكري العسلي[١٦٤] فقد انتخب نائباً عن دمشق في كانون الثاني ١٩١١ ، ولما أراد الاتحاديون بيع مساحة كبيرة من أراضي فلسطين (تُقدر بآلاف الدونمات) بواسطة وزير المالية جاويد بك وقف شكري العسلي في وجههم[١٦٥] . كما طالب بحقوق العرب

---

(١٥٨) المنار : م١٩ -ج٣ ، ص ١٦٩ - ١٧٥ . عبد الحميد الزهراوي .

(١٥٩) المنار : م ١٨ ، ج٣ ، ص ١٨٣ - ١٨٦ . عبد الحميد الزهراوي .

(١٦٠) سليمان موسى : **الحركة العربية** ، ص ١١٧ .

(١٦١) وُلد الأمير عمر في دمشق ١٨٧١ . وكان والده قد مدّ يد العون للمسيحيين أثناء حوادث عام ١٨٦٠ المشؤومة ، ولما اعتُقل الأمير عمر استدعى جمال باشا شقيقه الأمير علي باشا الجزائري فأوقفه مع ولده الأمير عبد القادر حتى تم تنفيذ حكم الإعدام بالمحكومين خوفاً من أن يقدم مع رجاله على إنقاذه من الإعدام . وقد صادرت السلطات التركية قصره في دمّر وجعلوا منه مستشفى وأسكنوا في بيوته في حي العمارة بعض مهاجري الأرمن ، كما نُفيت أسرته إلى الأناضول .

لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٢٩٩ - ٣٠٠ .

Georges Samné, **La Syrie**,p 444

(١٦٢) La vérité sur la question syriènne, p. 161

(١٦٣) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p. 134

(١٦٤) هو ابن علي بن محمد العسلي ، وُلد في دمشق عام ١٨٧٨ .

(١٦٥) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٠١ .

Georges Samné, **La Syrie**,p 443

في مجلس النواب العثماني(١٦٦) .

أما عبد الوهاب الانكليزي(١٦٧) فكان من القوميين الذين عملوا لتحقيق المطالب العربية وعند بدء التنكيل بأمراء العرب طلب طلعت باشا من عبد الوهاب الفرار فأبى . فكان نصيبه الإعدام(١٦٨) .

وكان رفيق رزق سلوم(١٦٩) من المشتركين في تأسيس المنتدى الأدبي ، وتولى فيه نيابة الرئاسة(١٧٠) . وفي الحرب العالمية الأولى انتظم في سلك الجندية بصفة ضابط في الجيش التركي ، وفي ٢٧ أيلول ١٩١٥ أُلقي القبض عليه في بيت عمه أنيس سلوم في دمشق(١٧١) .

وقد استقبل رفيق سلوم الموت بشجاعة نادرة ، فقال مخاطباً جثة عبد الحميد الزهراوي التي كانت متدلية في ساحة المرجة : « مرحباً يا أبا الحرية »(١٧٢) . ثم تقدم نحو المشنقة التي أُعدت له ، بخطواتٍ ثابتة ، ومن فوق منصة الإعدام بشّر الثالوث الطاغي (طلعت وأنور وجمال) بسوء المصير ، ثم قال مخاطباً الاتحاديين : « إن نظامكم الرهيب سيعجل في نهاية حكمكم الظالم »(١٧٣) .

أما رشدي الشمعة(١٧٤) فقد انتُخب نائباً عن دمشق في مجلس المبعوثان العثماني ، وكان كاتباً مشهوراً ألّف عدة روايات مُثّلت في دمشق(١٧٥) . وبالإضافة إلى ذلك كان

(١٦٦) La vérité sur la question syrienne, p. 159

(١٦٧) هو ابن أحمد الانكليزي ، وُلد في قرية الملحة في غوطة دمشق وتسلم عدة وظائف .

(١٦٨) La vérité sur la question syrienne, p. 160

(١٦٩) وُلد في حمص عام ١٨٩١ ، ودرس الحقوق ، وكتب عدة مقالات في صحف مختلفة ، وألّف رواية تحت عنوان « أمراض العصر الجديد » ووضع عدة مؤلفات في علمي الحقوق والاقتصاد

(١٧٠) المنار ، م١٩ ، ص١٨٧ ، رفيق رزق سلوم .

(١٧١) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٠٣ .

(١٧٢) العربي ، العدد ٣٠ أيار ١٩٦ . ساطع الحصري ، **شهداء العروبة** ، ص ٢٦ .

(١٧٣) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p134

(١٧٤) هو ابن الوجيه الدمشقي أحمد باشا الشمعة وُلد في دمشق ١٨٥٦ وقد صادرت السلطة التركية قصر والده .

(١٧٥) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٠٧ .

Georges Samné, **La Syrie**,p 442

يلقي محاضرات في قاعات التمثيل تشجع على الاستقلال العربي[١٧٦] . وزار لندن وباريس عام ١٩٠٩ للغاية نفسها[١٧٧] .

والواقع أن هؤلاء الرجال الذين تحدثنا عنهم قد أُعدموا في دمشق . أما الباقون فقد أُعدموا في بيروت . كان من بينهم : باترو باولي[١٧٨] الذي أصدر مع بعض رفاقه جريدة « الوطن » بعد إعلان الدستور ثانية في عام ١٩٠٨[١٧٩] ، ولما انسحب رفاقه ثابر على إصدارها وحيداً . وأخيراً أوقفتها السلطة التركية باعتباره يوناني الجنسية ، وبعدها تولى أعمال التحرير والإدارة في جريدة « المراقب » لصاحبها جرجي عطية ، وقد ظل في عمله الجديد إلى أن توقفت الجريدة عن الصدور بسبب فقدان الورق في الحرب العالمية الأولى[١٨٠] . وقد اتهمته السلطة التركية بأنه كان يدعو لإنشاء مملكة عربية مستقلة[١٨١] .

أما جرجي حداد[١٨٢] فكان من أعضاء الجمعية اللبنانية واشترك في نشاطاتها وكتب عدة مقالات في جريدة « العصر الجديد » دعا فيها إلى إنشاء كيان مستقل للبنان[١٨٣] .

وكان سعيد عقل[١٨٤] من الداعين لاستقلال البلاد العربية عن الدولة العثمانية .

---

(١٧٦) **La vérité sur la question syriènne,** p. 163

(١٧٧) Georges Samné, **op. cit.** p 442

(١٧٨) كان من التابعية اليونانية وُلد في بيروت ١٨٨٦ وكان يتقن اللغة العربية والفرنسية واليونانية وقد برع شاعراً وأديباً وكاتباً . ولما قبضت السلطة التركية عليه ، توسط القنصل اليوناني للإفراج عنه ولكن دون فائدة .

(١٧٩) Georges Samné, **op. cit.** p. 164

(١٨٠) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣٣١ - ٣٣٣ .

(١٨١) **La vérité sur la question syriènne,** p. 164

(١٨٢) هو ابن موسى الحداد ، وُلد في لبنان ، كان أديباً وناثراً بليغاً ، امتهن الصحافة وأقام في دمشق . ولما بدأ جمال باشا ارهابه في سوريا حاول جرجي الحداد الفرار مع الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وتوفيق الحلبي ، لكنه لم يوفق .

عبد الرحمن الشهبندر ، **الثورة السورية الكبرى** ، ص ٢٢ .

(١٨٣) Adel Ismaîl, **Documents,**, T 19, p 276-277.

(١٨٤) هو ابن فاضل بشارة عقل وُلد في الدامور ١٨٨٨ كتب الشعر وهو لا يزال على مقاعد الدراسة فألّف

وقد شارك في تحرير عدة صحف كالأحوال والنصير ولسان الحال والاصلاح والثبات . . . ونشر في جريدته المشهورة « البيرق » مقالات ضد الحكم التركي دفعت السلطة العثمانية إلى إيقاف صدورها(١٨٥) . وذكر عزيز بك في مذكراته أن سعيد عقل كان كثير الحماس للقضية اللبنانية ، فاندفع في سبيل تحقيقها غير حافل بالمصاعب التي تعترضه(١٨٦) . وفي ١٠ شباط ١٩١٦ أُلقي القبض عليه ، وقد اتهمته السلطة التركية بأنه كان يسعى لإنشاء مملكة عربية مستقلة(١٨٧) . ومن فوق منصة الإعدام دعا سعيد عقل ربّه أن يغفر للذين أساؤوا إليه معتبراً أن الموت في سبيل الوطن والاستقلال حياة لبلاده وشرف لعائلته وأولاده(١٨٨) .

ويُعتبر عمر حمد(١٨٩) شاعر القومية العربية دون مزاحم ، فقد ترك لنا شعراً ذاخراً بالوطنية عامراً بمجد العروبة الغابر ، فكان همّه أن يستحث عزائم الأحرار ويحرّك هممهم نحو التضحية والفداء ، ومما قاله في هذا المجال :

= رواية شعرية مُثلّت في برج البراجنة ورواية شعرية أخرى بعنوان « فيرا » . وفي ١٩٠٧ سافر إلى المكسيك وأصدر هناك جريدة صدى المكسيك استمرت نصف سنة في الصدور عاد بعدها إلى بيروت على أثر اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ .

لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣٢٨ - ٣٢٩ .

(١٨٥) Georges Samné, **La Syrie**, p. 164

(١٨٦) عزيز بك : **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ص٢٠٤ .

(١٨٧) La vérité sur la question syriènne, p. 164

(١٨٨) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ١٠٠ . أوراق لبنانية ، نوار ١٩٥٥ ، ص ٢٣٧ .

(١٨٩) هو ابن مصطفى حمد وجده حمد ، مصري الأصل ، وُلد في بيروت ١٨٩٣ ومات والده وهو في التاسعة من عمره ، وأثناء توقيفه في سجن عاليه أرسل إلى صديقه بشير يموت قصيدة نظمها في سجن عاليه جاء فيها :

عقني صحبي وكنت لهم ... في الرزايا أطوع الخدم
كان عقد الود ملتئماً ... غادروه غير ملتئم
أبصروني طوع داهية ... طال من أرزائها ألمي
فانثنوا عني كأنهم ... صحة نزتّ من السقم
يا بشير الأنس أنت كما ... تبتغي العليا أخو كرم
كان مدحي فيك مختصراً ... ووفائي غير مختتم

لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣١٢ - ٣١٣ .

فالعرب أهلي وحسبي ذاك من نسبٍ	أميل نحو حماهم حيثما مالوا
يا ركب حيّ الحمى وقل لهم	هبوا إلى المجد إن النوم قتال

ومن أناشيده أيضاً :

شبّوا على الخصم اللدود	نار الوغى ذات الوقود
يا أيها العرب الكرام	إلى متى أنتم نيام
قوموا إلى الموت الذؤام	وأمشوا له مشي الأسود(١٩٠)

وحذّر عمر حمد الحكومة التركية من مغبّة عملها ، معلناً من تحت حبل المشنقة أن أقدام الأتراك على إعدام أحرار سوريا ولبنان سيكون سبباً في خراب بلادهم وتقويض أركان دولتهم(١٩١) .

وكانت حياة عبد الغني العريسي(١٩٢) نشاطاً دائباً متواصلاً ، وثورة عارمة تريد اقتحام الصعاب .

فلم يكن العريسي يتردد بالتضحية بنفسه في سبيل الوصول إلى أهدافه الوطنية(١٩٣) . ومن أبرز نشاطات عبد الغني اصداره جريدة « المفيد » التي كانت أعظم الجرائد العربية في ذلك الحين(١٩٤) . فعلى صفحات هذه الجريدة كتب العريسي مقالات وطنية عديدة انتقد فيها الحكومة العثمانية وطالبها بإجراء الاصلاحات الضرورية في البلاد العربية(١٩٥) . ولكن السلطات التركية أوقفت صدورها ، فنقلها في ١٩١٤ إلى دمشق وأشترك مع الأمير عارف الشهابي في إصدارها(١٩٦) . ولأهمية « المفيد » فقد

(١٩٠) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ١١٥ ـ ١١٦ .
(١٩١) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الأول ، ص ٨٨ ـ ٨٩ .
(١٩٢) وُلد العريسي في بيروت عام ١٨٩٠ ، تابع دراسته في باريس . وانتظم في المدرسة الحرّة للعلوم السياسية فنال شهاداتها العليا بعد سنتين . وقد ترجم للشاعر حسن حسني الطوبراني ديوانه المسمى « ثمرة الحياة » وعرّب مؤلف «بول دومر» الفرنسي » . المفيد : الأعداد ٩٠٢ و١٠٢٤ و١٣٤٦ ، تاريخ ٧ شباط و٦ تشرين الثاني ١٩١٢ و١٠ آب ١٩١٣ .
(١٩٣) عنبرة سلام الخالدي ، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين ، ص ٩٩ .
(١٩٤) مصطفى الشهابي : القومية العربية ، ص ٧٣ .
(١٩٥) المفيد وخصوصاً سنوات ١٩١١ و١٩١٢ و١٩١٣ و١٩١٤ .
(١٩٦) ناجي علوش : مختارات المفيد ، ص ١٢ .

كانت القنصلية الفرنسية تترجم مقالاتها ، وتعتبرها أحد المنابر التي تحرّك الحملة ضد الصهيونية[197] . وبالإضافة إلى ذلك فقد شارك عبد الغني في تأسيس جمعية العربية الفتاة وفي نشاطاتها الثورية[198] . كما أنه ساهم مساهمة فعّالة في إنجاح المؤتمر العربي في باريس إذ كان عضواً في اللجنة التحضيرية التي أعدت للمؤتمر وأجرت الاتصالات الضرورية لعقده . وأثناء عقد المؤتمر ألقى العريسي خطاباً أعلن فيه أن العرب هم قاعدة الدولة وليسوا أسرى مسخّرين[199] . وقد بشّر عبد الغني وهو يستند إلى حبل المشنقة ، بقيام الثورة العربية ، معلناً أن الدول لا تُبنى على غير الجماجم ، وأن جماجم الشهداء ستكون أساساً لاستقلال البلاد[200] .

أما الأمير عارف الشهابي[201] فقد شارك في تأسيس المنتدى الأدبي ، وكان يلقن شباب العرب في الآستانة قواعد اللغة العربية وآدابها ، ويحضر لهم من مصر ببريد الأجانب المجلات والجرائد التي تبثّ مبادىء القومية العربية كالمقتبس والمقتطف واللواء والمؤيد[202] . وأسس في الآستانة أيضاً جمعية « النهضة العربية » مع شكري الجندي وعبد الكريم الخليل وغيرهم[203]. كما وضع كتاباً في تاريخ العرب والإسلام في ثلاث مجلدات بالإضافة إلى مقالاته الوطنية في جريدة « المفيد » بتوقيع « عبدالله بن قيس »[204] . وترك لنا الشهابي شعراً وطنياً رائعاً نذكر منه الأبيات التالية :

---

(١٩٧) Adel Ismaîl, **Documents,**, T 18, p. 252, 253

(١٩٨) محمد عزة دروزة : **حول الحركة العربية الحديثة** ، المجلد الأول ، ص ٢٧ .
محمد جميل بيهم : **العهد المخضرم في سوريا ولبنان** ، ص ١٥٦ .

(١٩٩) المؤتمر العربي الأول ، ص ٤ ـ ٥ ، و٤٢ ـ ٤٩ .
Adel Ismaîl, **Documents,**, T 20, p. 142

(٢٠٠) فؤاد غصن : **مذكراتي خلال قرن** ، ص ١٠٢ .
Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p. 137

(٢٠١) هو الأمير عارف بن سعيد بن جهجان بن حسين بن محمد بن حسن بن محمد بن قاسم بن منصور من أسرة أمراء بني شهاب ، وُلد في حاصبيا عام ١٨٨٩ . ساهم في تأليف لجنة لتمثيل الروايات الأدبية والوطنية على المسارح في دمشق ورصد ريعها لإعانة الجمعيات الخيرية وتشجيع العلم والأدب . وضع رواية التلميذ وترجم رواية فتح الأندلس للشاعر عبد الحق حامد .

(٢٠٢) لطف الله البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣١٥ ـ ٣١٦ .

(٢٠٣) عادل اسماعيل : **السياسة الدولية** ، ج٤ ، ص١٣٣ .

(٢٠٤) المفيد ، الأعداد التي صدرت عامي ١٩١٤ و١٩١٥ . فتى العرب التي صدرت عام ١٩١٤ .

بني وطني . . . آن وقت القيام ووقت البروز ووقت الزحام
وأن نتمطى بتلك القيود وأن نطلب العيش عيش الكرام
وأن لا نؤول بأوطاننا إلى الأجنبي ، ونبقى نيام
وأن نرفع البؤس عن أمةٍ تُساق إلى الذل سوق السوام
أُجيبكم يا جدود جرت إلى قمم المجد جري السهام(٢٠٥)

وكان الشيخ أحمد طباره(٢٠٦) من دعاة الاصلاح ، وقد شارك في تأسيس الجمعية الاصلاحية في بيروت(٢٠٧) ، وفي مؤتمر باريس أميناً لسره ، وألقى محاضرة أثناء انعقاده طالب فيها الدولة العثمانية بتطبيق اللامركزية في ولايات السلطنة كلها وخاصة الولايات العربية(٢٠٨) . وفي ٢٢ أيلول ١٩٠٨ أصدر طبارة جريدة « الاتحاد العثماني » في بيروت ، ثم جريدة « الاصلاح » ، اللتين كانتا لا تقلان أهمية عن جريدة « المفيد » . وكان على صفحاتها يبث آراءه الوطنية والسياسية(٢٠٩) . وقد اتهمته السلطة التركية بأنه وقع على القرارات المتعلقة بتأسيس امارة عربية مستقلة(٢١٠) .

أما توفيق البساط(٢١١) فكان من أعضاء المنتدى الأدبي اللامعين . وفي خلال الحرب العالمية الأولى اختارته السلطات التركية للخدمة العسكرية الإجبارية مع شكري القوتلي وعز الدين التنوخي ، وقد أكمل دورته التدريبية وتخرّج ضابطاً بالاحتياط . ولما أمر جمال باشا بإرساله مع زملائه الضباط العرب إلى جبهة جناق قلعة ، حاول البساط الهرب ، ولكن دون جدوى(٢١٢) .

(٢٠٥) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ١٢٥ .

(٢٠٦) هو ابن حسن طبارة ، وُلد في بيروت ١٨٧٠ ، وكان خطيباً لجامع النوفرة ، حرّر في جريدة « ثمرات الفنون » وأسس أول مطبعة إسلامية في بيروت ووضع سلسلة من الكتب العلمية والمدرسية المفيدة من أهمها « فتح الرحمن لطلاب آيات القرآن » ونشر مصدراً لكتاب كليلة ودمنة .

(٢٠٧) سليم علي سلام ، مذكرات ، ص ١٣ . ثورة العرب ، ص ٦٢ - ٦٦ .

(٢٠٨) المؤتمر العربي الأول ، ص ٨٣ - ٩٣ .

Adel Ismaïl, **Documents**,, T 20, p. 186

(٢٠٩) الاتحاد العثماني والاصلاح منذ صدورهما حتى إقفالهما في عام ١٩١٥ . مقالات الشيخ أحمد طبارة .

(٢١٠) La vérité sur la question syriènne, p. 161

(٢١١) هو ابن أحمد البساط ، وُلد في صيدا ١٨٨٨ .

(٢١٢) لطف الله نصرة البكاسيني : نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ٢٣٥ .

وكان سيف الدين الخطيب(٢١٣) من أعضاء المنتدى الأدبي أيضاً(٢١٤) . وقد اتهمته السلطة التركية بأنه كان يدعو لإنشاء دولة عربية مستقلة(٢١٥) .

وكان علي الحاج عمر النشاشيبي طبيباً بيطرياً ولكنه انغمس في الشؤون السياسية فانتسب إلى بعض الجمعيات العربية وأبدى نشاطاً ملحوظاً في أعمالها(٢١٦) .

أما محمود جلال البخاري(٢١٧) فقد كان عضواً في المنتدى الأدبي . وفي بداية الحرب العالمية الأولى سيق إلى الخدمة العسكرية والإجبارية فتخرج ضابطاً بالاحتياط ، ثم عُيّن مستشاراً قانونياً في ديوان دمشق العرفي ، وقد اتهمته السلطات التركية بأنه حاول الفرار من الجندية كما سعى لتحقيق الاستقلال العربي(٢١٨) .

أما سليم الجزائري(٢١٩) فقد كان ضابطاً في الجيش العثماني برتبة قائمقام أركان حرب ، وقد أدّى خدمات جلّى للدولة ، وفي إبان الخلاف العربي التركي شارك في تأسيس الجمعيات العربية كالعهد والقحطانية والفتاة ودافع عن حقوق العرب القومية والوطنية وجاهر بطلب الاصلاحات في مؤسسات الدولة العلّية(٢٢٠) . وقد أُلقي القبض عليه أثناء قيامه بالواجب العسكري في أزمير . وقد أُتهم بأنه كان يعمل لفكرة

---

(٢١٣) هو ابن العلاّمة الشيخ أبو النصر الخطيب كبير خطباء دمشق ، وُلد في دمشق وتخرج من جامعة الحقوق في استامبول ثم عُيّن عضواً في محكمة بداية حيفا ، ولما اعتقلته السلطة التركية أقدمت زوجته على الانتحار في بيت أهلها .
Georges Samné, La Syrie, p 442

(٢١٤) علي المحافظة : **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة** ، ص ١٤٠ . عارف النعماني : **مذكرات** ، ص ٢ .

(٢١٥) La vérité sur la question syriènne, p. 159

(٢١٦) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٣٠ .

(٢١٧) وُلد في دمشق ١٨٨٢ ، ثم درس الحقوق في استامبول وفي ١٩١٣ أنهى دراسته وعُيّن بعدها عضواً في محكمة بداية عجلون .

(٢١٨) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣٣٦ .

(٢١٩) هو ابن محمد بن سعيد الجزائري الحسني ، وُلد في دمشق ١٨٧٩ .

(٢٢٠) Khairallah K., **le problème du Levant**, p. 34.
مصطفى الشهابي : **القومية العربية** ، ص ٧٠ .
أمين سعيد : **الثورة العربية الكبرى** ، ج ١ ، ص ٤٦ .

الاستقلال العربي بصفته عضواً مؤسساً في جمعية العهد(٢٢١) .

وكان أمين لطفي الحافظ(٢٢٢) ضابطاً في الجيش العثماني برتبة أميرآلاي ، وقد خدم الدولة بإخلاص ، ولكن شارك زعماء الحركة الاصلاحية نضالهم ضد تعسّف الاتحاديين . فكان يساعد في تأليف وتمثيل الروايات الوطنية . وفي الحرب العالمية الأولى ألقي القبض عليه أثناء قيامه بواجبه العسكري في جبهة القوقاس(٢٢٣) .

أما محمد الشنطي اليافي(٢٢٤) فقد كان يتجسس على أعضاء الحركة الإصلاحية ويسعى للإيقاع بهم ، وهكذا كان ، ففي الحرب العالمية الأولى ، وبعد أن انتسب إلى حزب اللامركزية الإدارية العثماني في مصر ، حمل وثائق هذا الحزب التي سلمه إياها حقي العظم إلى الآستانة وأطلع رجال تركيا عليها(٢٢٥) .

هذا وصدرت مع أحكام رجال القافلة الثانية أحكام بالسجن على بعض المعتقلين وبالنفي على آخرين(٢٢٦) . كما تقرّر منع محاكمة وبراءة عدد من الأشخاص (قدّر عددهم بسبعة وعشرين) ، لأن ديوان عاليه العرفي لم يجد الأدلة الكافية لتجريمهم . علماً بأن بعضهم كانوا أعضاء في الجمعيات الاصلاحية التي تأسست في ذلك الحين ،

---

(٢٢١) La vérité sur la question syrienne, p. 163

(٢٢٢) هو ابن الحاج محمد عبد بن عمر قسومة ، وأسرته شامية الأصل لُقب الحافظ لأن والده حفظ القرآن . وُلد أمين في دمشق ١٨٧٩ ، وتخرّج ضابطاً من المدرسة الحربية العليا في الآستانة من شعبة الأركان مختصاً بقسم الهندسة ، ثم عُيّن ضابطاً في المشيرية العسكرية في دمشق ، اتّقن اللغات الفرنسية ، الانكليزية الأرمنية الفارسية والتركية ، وبرز أديباً باللغة العربية ولكن آثاره حُرقت بأجمعها .

(٢٢٣) أدهم آل الجندي : **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

(٢٢٤) هو ابن حسني الشنطي ابن الشيخ أبي النصر بن عمر اليافي وأصله من فلسطين .

(٢٢٥) لطف الله نصرة البكاسيني : **نبذة من وقائع الحرب الكونية** ، ص ٣١٨ .

(٢٢٦) Georges Samné, **La Syrie**,p 444

ومن هؤلاء المحكومين : محمد سالم بن مصطفى المظلوم (الاعتقال في قلعة بند لمدة خمس سنوات) وتوفيق بن محمد الناطور ويوسف بن مخيبر سليمان حيدر (اعتقال عشر سنوات بالأشغال الشاقة المؤقتة) وحسين بن خليل حيدر (اعتقال خمس عشرة سنة) ورياض بن رضا الصلح (نفي مؤبد) والأمير طاهر بن أحمد الجزائري (اعتقال عشر سنين في قلعة دمشق مع الأشغال الشاقة المؤقتة) ورضا الصلح (بالنفي المؤبد) أسعد حيدر (نفي سنتين) ألبير حمصي (الاعتقال في قلعة بند لمدة خمس سنوات) .

La vérité sur la question syrienne, p. 167

كالدكتور أحمد قدري وياسين الهاشمي ورستم حيدر الذين كانوا أعضاء في جمعية العربية الفتاة(٢٢٧) .

و ـ اصرار جمال باشا على تنفيذ أحكام الإعدام بضحايا القافلة الثانية :

لم يوافق شكري بك ، رئيس محكمة عاليه العرفية جمال باشا على جميع قراراته القضائية ، لأنه كان على يقين ببراءة معظم الذين حُكم عليهم بالموت . وكذلك فإن هيئة الديوان العرفي كانت على يقين بأن عدد الذين يمكن الحكم عليهم بالإعدام لا يتجاوز الثلاثة أو الأربعة على أكثر تقدير(٢٢٨) . ومع هذا فإن جمال باشا أصرّ على إعدام هذا العدد من الرجال ، وهدّد شكري بك بالقتل ، حتى اضطره إلى الإنسحاب ، ثم استحضر إليه هيئة الديوان العرفي وأجبرها على إصدار الحكم وهكذا كان ، ففي ٥ أيار ١٩١٦ صدر الحكم بالإعدام على واحد وعشرين شخصاً فقط(٢٢٩) .

وقد صادف في تلك الأثناء وجود الأمير فيصل ـ النجل الثالث للشريف حسين ـ ومبعوث الحجاز سابقاً في مجلس المبعوثان ، في دمشق ينّسق مع قادة الجمعيات العربية ويطلّع على أسرارها الخفيّة ومراميها البعيدة ، فحاول الشفاعة للمعتقلين ، وألّح في طلب العفو عنهم من جمال باشا ، ولكنه لم يلقَ آذاناً صاغية عند القائد الطاغية فباءت جهوده بالفشل(٢٣٠) . ونتيجة لهذا الإصرار الذي لمسه الأمير فيصل عند جمال باشا أرسل إلى والده الشريف حسين يخبره بالأمر ، فاضطر هذا الأخير إلى التدخل فبعث في ١٦ آذار ١٩١٦ إلى أنور باشا ، وزير الحربية ، ووكيل القائد العام ، برقية حدد فيها شروطه الأساسية لدخوله الحرب إلى جانب الدولة ، كان أهمّها إعلان العفو العام عن المتهمين السياسيين الذين يُحاكمون في ديوان عاليه العرفي ، وقد جاءه الرد من الصدر الأعظم ومن أنور باشا « بضرورة معاقبة الموقوفين »(٢٣١) . ولم يفت جمال باشا الردّ على

---

(٢٢٧) بلاغ جمال باشا الذي أصدره في ختام القضية الثانية ، ورد عند أمين سعيد : **الثورة العربية الكبرى** ، الجزء الأول ، ص ٧١ ـ ٧٣ .

(٢٢٨) ساطع الحصري ، **شهداء العروبة** ، ص ٢٥ .

(٢٢٩) المنار ، م٢٣ ، ج٢ ، ص ١٣٢ .

(٢٣٠) جمال باشا : **مذكرات** ، ص ٣٧٩ .

(٢٣١) عبدالله بن الحسين : **مذكراتي** ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .
أمين سعيد ، **أسرار الثورة العربية الكبرى** ، ص ٥١ ـ ٥٣ .

برقية الشريف ببرقية يبيّن فيها أهمية وضرورة العقاب لمواطنين شاغبوا على الدولة ، كما بيّن صعوبة التفكير بمطالب الشريف في تلك المرحلة الحرجة(٢٣٢) .

ولم يكن طلب الرحمة لسجناء عاليه من شخصيات عربية معارضة لسياسة الحكومة بل جاء أيضاً من شخصيات محسوبة عليها أمثال الأمير شكيب أرسلان الذي كان يعارض جمال باشا أشد المعارضة في فتح هذه المسألة ، لأنها ستكون سبب الإنفصال بين العرب والترك . وقد تكلم معه مراراً في أمر العفو عن هؤلاء المعتقلين وحاول إقناعه بأسباب سياسية فلم يقتنع(٢٣٣) . ولما جاء أنور باشا إلى سوريا قابله الأمير ورجاه باسم مصلحة الدولة أن يتوسط في شأنهم بحيث لا يجري قتل أحد وأن يُبدل القتل بالنفي .

أما جواب أنور فكان حرفياً بالتركي (توصية أيده جكم) أي سأوصي(٢٣٤) . ولكن هذه التوصية لم تجدِ المتهمين فتيلاً ، كما أن جمال باشا استاء من مساعي الأمير هذه ، فأمره بضرورة الكف عنها وعدم التمادي في الشفاعة لأن المسؤولية تقع عليه وحده(٢٣٥) .

وبعد مدة وجيزة نشرت جريدة سوريا الرسمية إعلاناً من القائد العام « بأن بعض ذوي النفوذ يتدخلون بأمر العفو عن المنفيين وأنه غير مسموح لأحد بالتدخل في هذه الشؤون وما شابه ذلك »(٢٣٦) .

إذن لم توقظ نداءات الرحمة ضمير جمال باشا ليوقف مجازره في لبنان وسوريا وفلسطين ولم تحرك عقله ليتبصر بعواقب أعماله وأفعاله وما يمكن أن تجرّه سياسته من ضررٍ على الأمة والوطن . ولهذا تابع سياسة الموت التي انتدب لها ونفذ حكم الإعدام بواحد وعشرين محكوماً . فكان ذلك عاملاً حاسماً في موقف أكثرية الزعماء السوريين

سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد ، ص ٥٢ - ٥٣ .
(٢٣٢) جمال باشا : المصدر السابق ، ص ٣٧٦ - ٣٧٧ .
Eugène Jung, **la révolte Arabe**, T. II, p. 12
(٢٣٣) شكيب أرسلان : سيرة ذاتية ، ص ١٧١ .
(٢٣٤) شكيب أرسلان : سيرة ذاتية ، ص ١٧٥ - ١٧٦ .
(٢٣٥) المصدر نفسه ، ص ١٧٩ - ١٨٢ .
(٢٣٦) المصدر نفسه ، ص ١٨٢ .

واللبنانيين من الاتحاديين ، إذ أنه قضى على كل تردّد ودفع بهم إلى إتخاذ قرار حاسم بالإنفصال التام عن تركيا .

ز ـ تنفيذ حكم الإعدام بضحايا القافلة الثانية

١ ـ في دمشق :

في الخامس من شهر أيار ١٩١٦ غادر مدينة عاليه قطار خاص يقل رجال قافلة دمشق ، انطلق القطار تحت حراسة مشدّدة من الجند ، ولمّا وصل إلى رياق التقى بالقطار الذي ينقل عائلاتهم إلى المنفى في الأناضول ، وكان مشهد اللقاء مؤثراً للغاية(٢٣٧) .

وبعد أن افترق القطاران وصل قطار دمشق إلى محطة البرامكة ، فمنع الجند الناس من الوقوف هناك ثم نقلوا المحكوم عليهم إلى دائرة الشرطة في الليل ، وأحضروا أحد المشايخ يؤهبهم للموت ويشجّعهم ويعزّيهم(٢٣٨) .

وفي الساعة الثالثة من صباح يوم السبت ، في ٦ أيار من عام ١٩١٦ (٤ رجب ١٣٣٤ هـ) جيء بالمحكوم عليهم في ثياب الإعدام وعلى صدورهم خلاصة الحكم(٢٣٩) . فبدأ التنفيذ بشفيق المؤيد ، ثم تلاه عبد الحميد الزهراوي ، فعبد الوهاب الانكليزي فرفيق رزق سلوم ، فرشدي الشمعة ، وهكذا حتى قضى الجميع أمام عين جمال باشا الذي كان على شرفة بناية أحمد عزّة العابد التي صادرتها السلطات العسكرية التركية(٢٤٠) .

٢ ـ في بيروت :

أما المحكومون الباقون فقد نُقلوا إلى دائرة شرطة بيروت قبل منتصف الليل ، فأدركوا المصير وراحوا ينشدون جميعاً نشيد عمر حمد :

---

(٢٣٧) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(٢٣٩) الحرب العظمى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، الجزء ٢٧ ، ص٢٤ ـ ٢٥ .

(٢٣٩) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ٩٣ .

(٢٤٠) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère**, p. 168- 177

نحن أبناءُ الأُلى شادوا مجداً وعلا
نسل قحطان الأبي جدّ كل العرب

ثم أتوهم بأدوات الكتابة ولوازمها فمنهم من كتب وصيته ومنهم من ظل ينشد الأناشيد الوطنية الحماسية ويتمشى في الغرفة(٢٤١) .

أما أمين لطفي الحافظ فقد صاح محتّجاً : « كيف يعدموننا دون أن يحاكمونا أو يسمعوا أقوالنا ؟ » . وقال سليم الجزائري : « أهكذا يعاملون الضباط وأركان الحرب »(٢٤٢) .

وفي الساعة الثالثة بعد منتصف ليل ٦ أيار ١٩١٦ حانت ساعة الإعدام فاستعد الجنود ورجال الشرطة ، ودخل بعضهم وطلبوا سعيد عقل وباترو باولي وجرجي حداد ، وساقوهم إلى ساحة الإعدام ، ثم قام الطبيب بفحص أجسامهم (لأن القانون يقضي بعدم إعدام المريض) ، وبدأ ضابط الديوان العرفي بتلاوة نص قرار الحكم عليهم ، فغضب باولي من هذه التصرفات « والرسميات » وصرخ فيهم : « كان الأولى بكم بدلاً من أن تفحصوا أجسامنا بدقة أن تحاكمونا بعدل . . . »(٢٤٣) . وصعد هو من تلقاء نفسه إلى منصة المشنقة ورفس الكرسي برجله فهوى وقضى . ثم صعد بعده جرجي حداد ، فسعيد عقل ، وهكذا سيق هؤلاء الرجال ثلاثة ثلاثة إلى ساحة الإعدام حتى تم إعدام جميع المحكومين ، ومع طلوع الشمس نُقلت جثثهم من الساحة التي حملت اسمهم إلى أكمة من الرمل في محلة الصنائع ، ودُفنوا في جوار إخوانهم ، رجال القافلة الأولى ، الذين قضوا قبلهم(٢٤٤) .

ويبدو أن هؤلاء الرجال قد استقبلوا الموت بشجاعة فائقة، وكانت الكلمات التي لفظوها ساعة إعدامهم تعبيراً واضحاً عن مشاعرهم الوطنية التي ضحّوا حياتهم من أجلها .

---

(٢٤١) فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ٩٨ - ١٠٠ .
(٢٤٢) أوراق لبنانية ، نوار ١٩٥٥ ، ص ٢٣١ - ٢٣٣ .
(٢٤٣) المصدر نفسه ، ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
(٢٤٤) أمين سعيد ، أسرار الثورة العربية الكبرى ، المجلد الأول ، ص ٨٦ - ٩١ .
فؤاد غصن : مذكراتي خلال قرن ، ص ١٠٣ .
Edmond Rabbath, **Unité Syriènne et devenir Arab** Paris, 1937, p. 115

وعلى أثر تنفيذ أحكام الإعدام غادر جمال باشا دمشق ، خوفاً من أن يلحق به سوء وانتقل إلى جبهة فلسطين ، وهناك أخذ يستطلع مشاعر الضباط العرب ومدى علاقتهم بالجمعيات والحركات العربية واللبنانية السياسية(٢٤٥) .

والواقع أن إقدام جمال باشا على إتخاذ هذه الإجراءات القمعية في سوريا ولبنان قد ساعدت على استتباب الأمن والمحافظة على سلطة الحكومة في هذه البلاد التي سمّمتها الدعاية الانكليزية والفرنسية عدة سنوات(٢٤٦) .

ح ـ أحكام متفرقة بعد ٦ أيار ١٩١٦ :

ورغم إعلان جمال باشا في بيانه الرسمي الصادر يوم ٦ أيار ١٩١٦ ، انتهاء دور المحاكمات السياسية ، ورغم حل محكمة عاليه العرفية وتفرق رجالها ، فقد برزت عدة قضايا جديدة على مسرح السياسة التركية في سوريا حيث صدر عدة أحكام متفرقة على زعماء لبنانيين وسوريين من مختلف المدن نذكر منها :

ـ حكم إعدام الشقيقين فيليب وفريد الخازن :

كان فيليب وفريد الخازن من مواليد بلدة عرمون من أعمال جبل لبنان ، وقد اشتهرا بجريدتهما « الأرز » التي أصدراها ١٨٩٥ ، والتي استمرت زهاء عشرين عاماً . وكان همهما الدفاع عن الامتيازات اللبنانية وحمايتها من قضاء الأتراك عليها(٢٤٧) . ومن أجل ذلك اتصلا بفرنسا لضمان هذه الامتيازات ومساعدة اللبنانيين على الاحتفاظ بها(٢٤٨) .

وفي الرسالة التي كتبها الشيخ فيليب إلى نسيبه الشيخ كسروان الخازن اعتبر أن رجال تركيا الفتاة قوم متعصبون وشديدو التعلق بقوميتهم تعلقاً أعماهم أبصارهم ،

---

(٢٤٥) فوزي القاوقجي : مذكرات ، القسم الأول ، ص٣٠ .

(٢٤٦) جمال باشا : مذكرات ، ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ .

دراسات عن الثورة العربية الكبرى ، دراسة زين نور الدين زين عن أسباب الثورة العربية الكبرى ، ص٦٠ .

(٢٤٧) لطف الله نصرة البكاسيني : نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص٢٤٧ ـ ٢٤٩ .

(٢٤٨) Georges Samné, **La Syrie**,p 442

ولهذا فإنهم يريدون نزع امتيازات لبنان . وهذا ما سبّب الحكم عليهما بالإعدام(٢٤٩) .

وفي أواخر شهر كانون الأول ١٩١٤ صدر الأمر من السلطات التركية بإبعاد فيليب إلى حلب فلحق به شقيقه فريد مختاراً لمرافقته . ومن هناك أُلقي القبض عليهما في ٢٥ آذار ١٩١٦ فسيقا إلى ديوان عاليه العرفي وزجّا في السجن منفردين زهاء شهرين .

وقد تدخّل البطريرك الياس الحويك شخصياً مع جمال باشا لإنقاذهما من حبل المشنقة ولكنه لم يفلح(٢٥٠) . وفي ليلة ٥ حزيران اقتيد الشقيقان من عاليه إلى دائرة الشرطة في بيروت ، وعند الساعة الرابعة من صباح ٦ حزيران ١٩١٦ تلا نور الدين بك في ساحة الاعدام نص الحكم الصادر بحقهما من محكمة عاليه باللغة التركية . وبعد ثلث ساعة ساد الصمت المكان فجثا الأخوان بحركة واحدة وطلبا من الكاهن يوسف اسطفان البركة الأخيرة . ثم وقفا وقبّل أحدهما الآخر وخلال ثوانٍ معدودات كان كل شيء قد انتهى(٢٥١) .

٢ ـ إعدام الأخوين زريق :

كان الأخوان انطوان وتوفيق زريق من خيرة شباب طرابلس وقد هاجر انطوان إلى الولايات المتحدة الأميركية وانشأ هناك جريدة عربية سمّاها « حث السوريين على النهوض من خمولهم والمطالبة بحقوقهم » . وخلال الحرب العالمية الأولى عاد انطوان إلى بلده . ولكن جمال باشا القى القبض على الأخوين بحجة الفرار من الجندية(٢٥٢) والعمل لحساب الدول الأجنبية . فسيقا إلى الديوان العرفي في دمشق ، فحكم عليهما بالإعدام ونُفذ الحكم بحضور الأرشمندريت اغناطيوس خوري الأنطاكي المولد(٢٥٣) .

---

(٢٤٩) أوراق لبنانية ، نوار ١٩٥٥ ، ص ٢٧٢ .

(٢٥٠) الأب ابراهيم حرفوش : دلائل العناية الصمدانية ، ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠ .

(٢٥١) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p146

Edmond Rabbath, **La formation historique du liban,** p. 250

أوراق لبنانية ، المصدر نفسه ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ .

(٢٥٢) لطف الله نصرة البكاسيني : نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ٢٥٧ .

(٢٥٣) يوسف الحكيم : بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، ص ٢٤٠ .

٣ - إعدام بعض شيوخ عشائر الحسنة والموالي والتركي :

على أثر إعلان الثورة العربية الكبرى قام جمال باشا بدرس أوضاع العشائر التابعة لنفوذه . ولما علم من عيونه أن شيوخ عشائر الحسنة والموالي والتركي جاؤوا إلى دمشق للاحتفاء بمقدم الأمير فيصل والإجتماع به وأنهم أظهروا تعصباً لقوميتهم العربية ، علّق على أعواد المشانق محمد الملحم شيخ عشيرة الحسنة ، وفجر الحمود أحد شيوخ عشيرة الموالي ، وشاهد بن رحيل العلي شيخ عشيرة التركي . وقد تمّ ذلك في أوائل ١٩١٧ في ساحة المرجة في دمشق لإرهاب بقية العشائر في سوريا(٢٥٤) .

٤ - إعدام الشيخ أحمد عارف الحسني وولده مصطفى والعبد :

كان الشيخ أحمد عارف مفتي غزة في فلسطين ولكن في الحرب العالمية الأولى أصدر جمال باشا أمره بنفيه إلى الأناضول . فطلب إجازة لتسوية شؤونه العائلية فأُجيب بالإمهال ثم ذهب لوداع أبناء عمه رؤساء قبيلة الوحيدات ولكن الوشاة أبلغوا جمال باشا بأنه التحق بالثورة العربية .

غضب جمال باشا لهذا الخبر فأمر بإحضاره إلى القدس فأطاع قبل اجتياز الحدود إلى الحجاز فسيق بعدها إلى الديوان العرفي ، فحُكم عليه وعلى عبدٍ كان يرافقه للخدمة بالإعدام . وكان ولده ضابطاً في الجيش فحُكم عليه بالإعدام بحجة فراره من الجندية . ولما وقف الأب على كرسي المشنقة أتى الجند بالابن مخفوراً ليُقتل رمياً بالرصاص فكانت لحظة وداع وموت أُعدم فيها الثلاثة الأب والابن والعبد في آنٍ واحد(٢٥٥) .

٥ - ومن القضايا التي برزت آنئذاً في المحاكم العرفية التركية ، قضية جميل المعلوف الذي كان من مدينة زحلة في جبل لبنان ، وقد هاجر إلى نيويورك وأسس هناك مع عمّه يوسف نعمان المعلوف جريدة « الأيام » التي تولت الدفاع عن حقوق اللبنانيين

= يذكر المؤرخ سميح وجيه الزين « أن شهداء طرابلس في الحرب العالمية الأولى كانوا ثمانية ولكن لم يذكر منهم سوى أربعة وهم : ابراهيم العطري ومحمود الشامي ، ومحمد البلطجي ، ورابع من القناقي .
سميح الزين : تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً ، بيروت ١٩٦٩ ، ص٣٥٦ .

(٢٥٤) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ١٤٣ - ١٤٤ .

(٢٥٥) لطف الله نصرة البكاسيني : نبذة من وقائع الحرب الكونية ، ص ٣٣٨ - ٣٣٩ .

والسوريين ، ثم عاد إلى لبنان في عام ١٩١٤ ، ولما تأسس حزب اللامركزية في مصر انتسب إليه وأصبح من عداد أعضائه البارزين . وفي ١٩١٥ أُلقي القبض عليه بأمر من جمال باشا فسيق إلى سجن عاليه ، فلقي من التعذيب والتنكيل ما لا يُحتمل فأُصيب بانحلال عصبي فأفتى شيخ الإسلام بعدم جواز شنق المعتوه فبقي في مستشفى العصفورية حتى عام ١٩١٧ حيث أُطلق سراحه واعتزل في منزله(٢٥٦) .

ومن القضايا أيضاً ، قضية فائز بك العظم الذي تمكن من الهرب ، وقضية زكي المرادي الذي نجا بتهديد من الأمير فيصل لدى دخوله البلاد السورية(٢٥٧) .

وأخيراً كانت قضية شكري الأيوبي ورفاقه أمثال : الشيخ صالح الرافعي وفارس الخوري ، وعمر الرافعي والشيخ عبد القادر كيوان وسعد المنلا ورشيد الرافعي وعبد الغني باشا القلطقجي والدكتور أحمد قدري والسيد شكري القوتلي الذي حاول الانتحار ، فأصدر ديوان دمشق العرفي حكمه ببراءة هؤلاء . ولكن جمال باشا أمره بإبقاء شكري الأيوبي وكيوان وعبد الغني وعمر الرافعي في الاعتقال . وأُطلق سراح الآخرين . وبعد دخول الجيش العربي إلى دمشق أُفرج عن الباقين باسم ملك العرب الشريف حسين(٢٥٨) .

٦ ـ هذا وقد طالت قرارات النفي رعايا دول الحلفاء الذين نفوا إلى أورفا لعدم تنازلهم عن تابعيتهم وقد قُدر عدد هؤلاء بألفي شخص بينهم ٤٤٠ إسرائيلياً . إلا أن جمال باشا سمح لهؤلاء الإسرائيليين بالعودة إلى منازلهم بتأثير من زوجته الإسرائيلية البولندية وبمداخلة الطبيب الإسرائيلي الألماني الذي أجرى عملية الحصى للسلطان العثماني محمد رشاد(٢٥٩) .

ونتيجة لهذه السياسة الإرهابية التي سار عليها جمال باشا طالبت جمعية « النهضة اللبنانية » في الولايات المتحدة الأميركية من الرئيس ولسن التدخل شخصياً لإيقاف

---

(٢٥٦) المرجع نفسه ، ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨ .

(٢٥٧) أدهم آل الجندي : شهداء الحرب العالمية الكبرى ، ص ٩٦ و ١٤٨ .

(٢٥٨) أمين سعيد ، أسرار الثورة العربية الكبرى ، المجلد الأول ، ص ٩٣ ـ ٩٥ .
أحمد قدري : مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى ، ص ٦٠ ـ ٦٢ .

(٢٥٩) المقطم : عدد ٨٠٥٧ و ٨٠٥٩ تاريخ ٢٠ و ٢٢ أيلول ١٩١٥ .

المجازر في لبنان وسوريا ، وقد جاءها الرد من سكريتارية البيت الأبيض بأن الرئيس قد أولى اهتماماً خاصاً بهذا الموضوع(٢٦٠) .

ولا بد لنا أخيراً من الاشارة إلى أن جمال باشا قد نفذ حكم الإعدام لأسباب مختلفة بأُناس آخرين كما نفى عائلات كثيرة إلى خارج البلاد ، حتى تحولت بلاد الشام أرضاً للرعب والموت والاغتصاب على حد ما جاء في رسالة وزير خارجية الولايات المتحدة الأميركية إلى سفير بلاده في استامبول(٢٦١) .

جمال باشا يبرر سياسة الإعدام في سوريا ولبنان :

بعد تنفيذ أحكام الإعدام برجال القافلة الثانية أذاع جمال باشا بياناً في الصحف أبرز فيه الدواعي والأسباب التي دفعته لتنفيذ أحكام الإعدام بهذا العدد من الرجال . وفي عام ١٩١٨ وبعد أن ترك سوريا وعاد إلى بلاده ، نشر كتابه « الإيضاحات » الذي أراد من ورائه أن يثبت عدالة قرارات المحكمة العرفية وأن يرفع عن نفسه أية مسؤولية بحق الرجال الذين أعدمهم .

وحسب هذا «البيان » وهذه الايضاحات ، يكون جمال باشا قد اعتمد في إصدار هذه الأحكام على الأمور التالية :

١ ـ اشتراك المحكوم عليهم في تأسيس الجمعيات الوطنية والمساهمة في نشاطاتها السياسية والقومية .

٢ ـ على الوثاق السياسية التي عُثر عليها في قنصليتي فرنسا في دمشق وبيروت .

٣ ـ وعلى رسائل حقّي العظم إلى بعض هؤلاء الشهداء (محمود المحمصاني خاصة) .

٤ ـ اعترافات بعض المعتقلين ، وخصوصاً اعترافات عبد الغني العريسي ، صاحب

---

(٢٦٠) المقطم : عدد ٨٢٩٢ ٢٦ حزيران ١٩١٦ .

(٢٦١) Papers relating to the foreign relations of the United States suppl. 1916 tel. 2484, P850.

يقدّر الأمير شكيب أرسلان عدد المضطهدين في لبنان وسوريا بمائتي ألف شخص .

Chekib Arslan «préface». L'évolution politique de la syrie sous mandat. (Edmond Rabbath) PXIV.

جريدة المفيد[٢٦٢] .

٥ - اتصال الذين أُعدموا بفرنسا والعمل تحت حمايتها وبارشادها ولمصلحتها .

٦ - سعي المحكوم عليهم لإضرام الثورة في لبنان وسوريا ضد الأتراك وكانت وشاية الشيخ أسعد الشقيري وكامل بك الأسعد كافية لإثبات ذلك[٢٦٣] .

ومن الواضح أن جمال باشا قد استند في إصدار أحكام الإعدام على المادة الثانية من القانون الذي صدر في ١٤ أيار ١٩١٥، والذي يخوّل السلطات العسكرية وقادة الجيوش تنفيذ أحكام الإعدام على الفور في القضايا الطارئة وعندما تقضي بذلك سلامة الوطن[٢٦٤] .

والحقيقة أن هذا القانون قد وُضع لمعالجة الحالات المستعجلة التي قد تحدث في ميادين الحرب والتي تستلزم التنفيذ فوراً . ومن البديهي أن استناد جمال باشا إلى ذلك القانون في تنفيذ الإعدام بأشخاص في قضايا سياسية تعود إلى ما قبل الحرب ، وقد استغرق النظر فيها حوالى عشرة أشهر ، هو استناد باطل ، ولا يمكن الإقرار والتسليم به بأي حال من الأحوال .

٨ - الرد العربي على تصرفات وأقوال جمال باشا :

وأثر نشر البيان وصدور كتاب الإيضاحات ظهرت في البلاد العربية عدة ردود كان أبرزها الرد الذي ركز على النقاط التالية :

١ - إن إنتساب بعض هؤلاء الشهداء والمضطهدين إلى الجمعيات اللبنانية والعربية وخصوصاً جمعية اللامركزية ، لا يعني ذلك أن هؤلاء كانوا يسعون للإنفصال عن

(٢٦٢) راجع : الايضاحات السياسية التي نشرها جمال باشا عام ١٩١٨ ولا سيما الفصل المتعلق بالمحكومين وكذلك بيان جمال باشا تاريخ ٧ أيار ١٩١٦ ، نشر في جريدة البلاغ البيروتية ، عدد ٥٨٥ ، ٦ أيار ١٩١٦ .
المقطم : عدد ٨٣٠٢ ، ٧ تموز ١٩١٦ .
ثورة العرب ، ص ١٦٤ - ١٦٧ .

(٢٦٣) جمال باشا ، مذكرات ، ص ٢٣٥ .

(٢٦٤) البلاغ - عدد ٥٨٥ ، ٧ أيار ١٩١٦ ، بيان جمال باشا .
عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ، ص٢٣١ .

الدولة . وذلك واضح من برامج هذه الجمعيات التي كانت جلّ غايتها الاستقلال الإداري والحكم اللامركزي في ولايات الدولة كلها خصوصاً الولايات العربية .

٢ - إن عدد الأشخاص المضطهدين في سوريا ولبنان لا يتجاوز المائتي نفس (على حدّ ما جاء في بيان جمال باشا) كما أن اتجاهات هؤلاء كانت مختلفة ، فهل بمقدور هؤلاء تحقيق استقلال سوريا والعراق والإنفصال عن السلطنة؟ طبعاً لا ، علماً بأن أحرار سوريا ولبنان كانوا قادرين على القيام بالثورة المسلحة والوقوف في وجه الاتحاديين ، في وقت كانت تركيا فيه خارجة من حرب البلقان ، مضعضعة القوة فاقدة الحول . وبالرغم من ذلك فإنهم استعاضوا عن هذه الثورة بالمؤتمرات وتأسيس الجمعيات المعارضة ، حرصاً على دولتهم « الرجل المريض » من التجزؤ والانهيار .

٣ - يظهر بجلاء أن كثيراً من هؤلاء الذين أُعدموا أو اضطهدوا ليس لهم أية علاقة بحزب من الأحزاب المعروفة في البلاد العربية . وأن هناك أشخاصاً آخرين لم يكونوا في سوريا منذ بضع سنين . وليس لهم علم أو دخل في كل ما هو كان حاصلاً .

٤ - والحقيقة التي يجب أن تُقال هي أن الاتحاديين أرادوا اغتنام فرصة هذه الحرب للقضاء على زعماء سوريا ولبنان ، وخنق الروح القومية التي كانوا يعملون لها(٢٦٥) .

أما الشيخ رشيد رضا فقد أكد أن المحكوم عليهم قد أخذوا بالظن فلم تثبت عليهم أية تهمة وأن الحزب موضوع الاتهام (أي حزب اللامركزية) له برنامج معروف ومطبوع ينطق بكذب التهمة الموجهة إليهم وهي جعل سوريا والعراق وفلسطين مملكة مستقلة بعد سلخها عن راية الدولة(٢٦٦) .

وفي ١٦ آب ١٩١٦ ، نُشر في « المقطم » بيان سياسي أكد فيه صاحبه أن الذين آضطهدوا أو أُعدموا من ضباط ومدنيين لم يكونوا يفكرون بالانضمام إلى دولة أجنبية أو

---

(٢٦٥) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ١١٩ - ١٢٣ .

(٢٦٦) المنار : م١٨ ، ج٣ ، ص ١٨٣ ، المشانق في سوريا .

الانفصال عن الدولة العثمانية[٢٦٧] .

أما ما كتبه صديق الاتحاديين الأمير شكيب أرسلان يستأهل الإمعان والتبصّر : فقد أكّد الأمير على حقيقة هامة وهي أنه لم يكن من مصلحة الدولة إثارة قضية الخلاف بين العرب والترك أثناء الحرب . ولم يكن من الحكمة أيضاً أن يُترك جمال باشا وشأنه في سوريا وأن يُحاكم في ديوان عسكري رجالاً متهمين بجرائم سياسية صرفة . وقد احتج الصدر الأعظم الأمير سعيد حليم باشا على جمال باشا كما أن السلطان محمد رشاد نفسه كان يردّد أنه بريء من دم الذين قتلهم جمال باشا في سوريا .

وبالرغم من أن الأمير قد ذكر بأن جمال باشا لم يشنق جميع من شنقهم ولم ينفِ جميع من نفاهم بحق ولكنه أشار بأصابع الإتهام إلى الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في الوثائق الفرنسية المصادرة .

وقد اعتبر الأمير أن سياسة جمال باشا في سوريا كانت من أعظم المصائب على الدولة العثمانية وعلى الأمة الإسلامية ، وأنه هو المسؤول عنها بالدرجة الأولى وأن طلعت وأنور كانا مسؤولين أيضاً[٢٦٨] .

ومع أن فؤاد باشا رئيس أركان حرب جمال باشا قد اعترف بصحة عمله في إعدام القافلة الأولى من المتّهمين ، حيث استطاع أن يسيطر على الموقف وأن يخنق الثورة العربية في مهدها ، إلا أنه لم يؤيده في متابعة الطريق لإعدام كافة العناصر السورية واللبنانية المعارضة للدولة . وقد اعتبر فؤاد باشا أن عمله هذا كان خطأ فادحاً ارتكبه وجعل العرب في سوريا ولبنان يمقتونه حتى لقّبوه بالسفاح[٢٦٩] .

أضف إلى كل ما سبق أن التهم التي نُسبت إلى المحكوم عليهم ـ الانتساب للجمعيات الإصلاحية ، وبصورة رئيسية لحزب اللامركزية والاشتراك في مؤتمر باريس ـ تعود إلى ما قبل الإتفاق الذي عُقد بين العرب والترك في عام ١٩١٣ ويعود جانب منها إلى ما قبل صدور الإرادة السلطانية في ٢٩ كانون الثاني ١٩١٣ بالعفو عن جميع الجرائم

---

(٢٦٧) المقطم : ١٦ آب ١٩١٦ ، بيان سياسي .
(٢٦٨) الأمير شكيب أرسلان : سيرة ذاتية ، ص ١٣٤ و١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٢٦٩) أمين سعيد ، أسرار الثورة العربية الكبرى ، المجلد الأول ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

السياسية التي ارتكُبت قبل هذا التاريخ[270] .

وأما إعترافات عبد الغني العريسي وسيف الدين الخطيب ورفيق رزق سلّوم ورفقائهم فقد أخذت نتيجة للتعذيب ولم يبح أحد منهم بمعلومات جديدة غير ما كان معروفاً للحقيقة . ولو كان هناك اعترافات حقيقية لباح المتهمون بأسماء زملائهم في جمعية « العهد » و« الفتاة » . والدليل على ذلك أن أشخاصاً مرموقين مثل علي رضا الركابي وياسين الهاشمي ورستم حيدر من زعماء « الفتاة » و« العهد » ، ظلّوا يعملون مع الأتراك حتى نهاية الحرب دون أن يشتبهوا بأمرهم . وأُحيل الدكتور أحمد قدري إلى المحاكمة مرتين ولكن المحققين لم يجدوا أدلة تدينه فأطلقوا سراحه[271] .

ثم إن مجرد رواية يرويها كامل الأسعد عن اشتغال رضا الصلح وعبد الكريم الخليل بإعداد الثورة في جهات صيدا وصور ، وعداوته لهما مشهورة ومعروفة منذ زمنٍ بسبب العنعنات الحزبية المحلية ، لا يجوز أخذها مسلماً بها وإلا فأين هي الوثائق التي تُثبت الخيانة على عبد الكريم الخليل ورضا الصلح لو كان ما اتهمها به صحيحاً ؟ ولماذا لم ينشرها كما نشر الوثائق الأخرى؟[272] .

ومما لا شك فيه أنه كان لبعض الأشخاص علاقات بفرنسا ، وصلة بقناصلها في بيروت ودمشق ، حيث كانوا يسعون للإنضواء تحت حكمها أو يطلبون مساعدتها وحمايتها للوصول إلى أهدافهم البعيدة في التحرر والاستقلال ، أمثال : يوسف الهاني وفيليب وفريد الخازن ونخلة باشا المطران وشفيق المؤيد . إلا أن ذلك لا يجوز أن يُتخذ ذريعة لإتهام الجميع بالخيانة بعدما برهنوا منذ ابتدأت الحركة الاصلاحية في ١٩١٣ حتى بدء عهد الإرهاب في صيف ١٩١٥ على إخلاص ووطنية اعترف جمال باشا بها في أقواله[273] . وكان من هؤلاء الشهيد عبد الغني العريسي الذي انتقد التنفرنس[274] . وطالب الحكومة الاتحادية بتمزيق وحرق لوائح الأنباء البرقية التي كانت تُكتب باللغة

---

(٧٠) سليمان موسى : **الثورة العربية الكبرى** ، وثائق وأسانيد ، ص١٢١ .

(٢٧١) مصطفى الشهابي : **القومية العربية** ، ص ٧٦ .

(٢٧٢) جمال باشا : مذكرات ص ٢٢٤ .

(٢٧٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٢٧٤) المفيد : عدد ١٣٩ ـ ٢٠ تموز ١٩٠٩ . تفرنس العرب .

الفرنسية وجعلها باللغة العربية أو التركية « وإلا ما معنى أرض عربية تلغي لغتها، وتستعمل مكانها لغة أجنبية ؟، إن هذا لهو العجب العجاب »[٢٧٥] . كما كان العريسي يندد بالذين يتصلون بالقناصل الأجنبية ويرفضون المشاركة في الحياة السياسية العثمانية، وقد تعرض لهذه الفئة من اللبنانيين الذين لجأوا إلى القناصل ورفضوا عضوية مجلس المبعوثان[٢٧٦] . وهكذا كان معظم المنفيين والمضطهدين يضنون بدولتهم ويرجون لها الخلاص، في حين كانوا يخافون من مخالب الاستعمار الغربي من أن تمتد إلى بلادهم .

على كل حال فإن كتاب « الايضاحات » والوثائق التي نُشرت فيه لإثبات التهم الموجّهة إلى الرجال الذين نُفذ حكم الإعدام فيهم، لم يؤدِ الغاية المنشودة منه وقوى الانتقادات التي أثيرت ضد جمال باشا، حتى أن طلعت باشا منع توزيع الكتاب بعد طبعه . ولكن جمال باشا ذهب إلى العاصمة محتجاً وأقنع زميله بتوزيع الكتاب[٢٧٧] .

وقد أدرك كثيرون من الأتراك مدى الإساءة التي اقترفها جمال باشا في انتهاج سياسة العنف والبطش في سوريا ولبنان مما أدّى إلى قيام العرب بالثورة . فقدم عدد من النواب بعد انتهاء الحرب مذكرة إلى رئاسة الوزراء طلبوا منها محاكمته على الجرائم التي ارتكبها في هذه البلاد[٢٧٨] .

وكذلك في لبنان فقد تحرّك القضاء اللبناني بدعم من الفرنسيين لإجراء التحقيقات اللازمة بالجرائم التي أُسندت إلى جمال باشا وأعوانه في الحرب واستصدرت النيابة العامة الاستئنائية في بيروت في ٢٦ آذار ١٩١٩ مذكرات إحضار بحق أحمد جمال باشا وعزمي بك وعلي منيف بك[٢٧٩] .

ومع أن هؤلاء قد أفلتوا من يد القضاء فإن جمال باشا كان مصيره الإغتيال على

---

(٢٧٥) المفيد : عدد ١٧٠، ٢٤ آب ١٩٠٩ . اللغة العربية في بيروت .

(٢٧٦) المفيد : عدد ٢٧٠، ٢١ كانون الأول ١٩٠٩ . لبنان يسيء إلى نفسه .

(٢٧٧) سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى، وثائق وأسانيد، ص١٢٠ .

(٢٧٨) المرجع نفسه، ص ١٢١ .

(٢٧٩) حياة رجل (بقلم أحد أفراد عائلة سعيد بك زين الدين الذي كان مدّعي عام استئناف بيروت في تلك الفترة) ص ٧٣ .

أيدي أحد رجال الأرمن في تفليس عام ١٩٢٢[٢٨٠] . والحقيقة أن جمال باشا كان يريد بعمله هذا أن يحرّك قلب سوريا (بما فيها لبنان) كما يريد، أو أن يسكته إلى الأبد[٢٨١] على حد تعبيره . ولكن خاب ظنه ، لأن ذلك القلب لم يسكت بل على العكس فقد انتفض ليشعل الثورة ضد الأتراك ، أو ليُساهم بها بعد أن أخذت سحبها تلمع في سماء الحجاز منذرة متوعدة بقيادة حسين بن علي الذي راح يغازل بريطانيا من مصر لينال منها العون والتأييد ، وهكذا كان .

(٢٨٠) كارل بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٦٠٦ .
العربي ، عدد ٣٠ ، أيار ١٩٦١ . ساطع الحصري ، شهداء العروبة . . . ص ٢٣ .
(٢٨١) فوزي القاوقجي : مذكرات ، ص ٢٩ .

الفصـل الثـامن

قيام الثورة العربية الكبرى
ودور لبنان فيها

١ ـ الإنتقال من طلب الاصلاح إلى طلب الاستقلال :

إن فكرة الإستقلال لم تكن غائبة كلياً عن مسرح السياسة في لبنان وسوريا قبل الحرب العالمية الأولى ، فجبل لبنان وُضع تحت نظام إداري خاص عُرف بنظام المتصرفية منذ عام ١٨٦١ ، منح اللبنانيون بموجبه استقلالاً ذاتياً في تصريف شؤونهم الخاصة . وكانت بعض الجمعيات اللبنانية التي تأسست في تلك الفترة تعمل للمحافظة على هذه الامتيازات وبعضها الآخر كان يسعى لإنشاء دولة مستقلة بحماية أجنبية[١] .

وقد برزت الفكرة الاستقلالية كذلك في المنتدى الأدبي ما بين ١٩٠٩ و١٩١١ عندما بحث بعض مؤسسيه بوضع تصميم لراية العرب القومية ، وقد توصل هؤلاء إلى القول بأن راية المستقبل يجب أن تتألف من الألوان الأربعة : الأبيض والأسود والأخضر والأحمر التي جمعها بيتٌ من الشعر شهير للشاعر صفي الدين الحلي قال فيه :

بيض صنائعنا ، سود وقائعنا خضر مرابعنا ، حمر مواضينا

بالطبع لم يكن هؤلاء الشبان يفكرون جدياً بالإنفصال عن تركيا ، ومع ذلك فقد مضوا في ذلك الموضوع إلى النهاية بحيث أنهم صنعوا راية بهذه الألوان الأربعة ورفعوها داخل بناية المنتدى الأدبي بعد أن كتبوا تحتها بيت الشعر المذكور أعلاه[٢] .

ولم يمت موضوع الراية العربية بانحلال عقد المنتدى الأدبي في الآستانة ، بل ظل فكرة تراود مخيلة زعماء الحركة الوطنية في لبنان وسوريا إلى أن تبلور في قرار اتخذته اللجنة

---

(١) بشارة الخوري ، **حقائق لبنانية** ، الجزء الأول ، ص ٧٠ .

(٢) توفيق السويدي ،مذكراتي ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ٢٤ .

العليا لجمعية « العربية الفتاة » . ففي شهر آذار سنة ١٩١٤ ، وبعد أن أخذت فكرة الإنفصال عن تركيا تُطرح جدياً في الأندية واللقاءات العربية ، عقدت اللجنة العليا للفتاة اجتماعاً في مكتب جريدة « المفيد » في بيروت ، واتخذت قراراً يقضي بأن يكون علم الدولة العربية المستقلة من ثلاثة ألوان : الأبيض ويرمز للدولة الأموية والأسود ويرمز للدولة العباسية ، والأخضر ويرمز للدولة الفاطمية . وفي ٨ آذار بعث عضو الجمعية محمد المحمصاني رسالة إلى زميله محب الدين الخطيب الذي كان مقيماً في القاهرة ، ينبئه فيها بقرار الجمعية وبقرار تكليفه صنع ختم لها بحرفي (ع ـ ف) مع صورة نخلة ، تاركاً لحسن ذوقه اختيار شكل ذلك الختم(٣) .

ولما عرض محب الدين الخطيب هذه الرسالة على زملائه في حزب اللامركزية ، استحسنوا فكرة ألوان العلم العربي ، وقرروا الأخذ بها . وبعث حقي العظم سكرتير الحزب رسالة إلى المحمصاني بهذا المعنى(٤) .

وبعد سنة من إعلان الثورة العربية الكبرى اتخذ الشريف حسين العلم العربي ذا الألوان الأربعة علماً للدولة العربية الجديدة ، نزولاً عند رغبة أعضاء الفتاة السرية وقد نشرت جريدة « القبلة » بياناً رسمياً جاء فيه أنه قد تقرر رفع العلم العربي ذي الألوان الأربعة ابتداء من يوم ٩ شعبان ١٣٣٥ هـ وهو يوم الذكرى الأولى لقيام الثورة(٥) .

ومع هذا كله فإن فئة الإنفصاليين كانت قليلة جداً بحيث أن تأثيرها لم يكن فاعلاً في مجرى السياسة العربية في تلك الفترة على الأقل ، ولهذا كان من الطبيعي أن يسود في الأندية والمؤتمرات العربية آنذاك صوت الكثرة من اللبنانيين والسوريين الذي كان مقتصراً على مطالبة الدولة بالإصلاح وتطبيق اللامركزية في البلاد العربية .

وإن هذا الصوت ، حرصاً منه على كيان الدولة من الإنهيار ، دعا في بداية

---

(٣) سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ١٣٦ .

(٤) رسالتا محمد المحمصاني وحقي العظيم بتاريخ ١٦ أيار و٣ تموز ١٩١٤ .

La Vérité sur la question syriènne, p. 99- 101

(٥) القبلة ، عدد ٨٢ ، ٧ شعبان ١٣٣٥ (٢٨ أيار ١٩١٧) . كانت جريدة القبلة الجريدة الرسمية التي أصدرتها حكومة الحجاز بعد إعلان الثورة العربية الكبرى مباشرة .

الحرب جميع الأحزاب والجمعيات إلى حل نفسها ومؤازرة الدولة في حربها الضروس ضد الاستعمار الغربي[٦] . ولتحقيق هذه الغاية ، عُقد في آذار سنة ١٩١٥ اجتماع سري في منزل شكري باشا الأيوبي حضره الدكتور عبد الرحمن الشهبندر وخالد الحكيم وسليم الشمعة والشيخ تاج الدين الحسني وعبد الكريم الخليل وغيرهم تدارس فيه المجتمعون الموقف من جميع جوانبه وانتهوا إلى موقف موحد يدعو إلى مؤازرة الدولة في حربها وتأليف عصابات من أهل البلاد للدفاع عنها حين يضطر الترك إلى الإنسحاب[٧] . ولكن لا بد لنا من أن نتساءل ، لماذا اتخذ المجتمعون الموقف المسالم من الدولة ؟ في حين كان القيمون على مقدراتها يماطلون في تحقيق الإصلاح في البلاد العربية ؟ .

ويبدو أن الجواب على هذا السؤال يكمن في المطامع الأوروبية الاستعمارية وفي خوف اللبنانيين والسوريين من أن تقع بلادهم فريسة هذه المطامع . وقد كان لهذا الخوف ما يبرره خاصة بعد أن احتلت فرنسا الجزائر سنة ١٨٣٠ وتونس سنة ١٨٨١ ومراكش سنة ١٩١٢ ، واحتلت بريطانيا مصر عام ١٨٨٢ وسيطرت ايطاليا على ليبيا عام ١٩١١[٨] . وبعد أن أخذت الشائعات تتوارد إلى مسامع اللبنانيين والسوريين عن مفاوضات سرية تدور بين بريطانيا وفرنسا لإقتسام ما تبقى من الأجزاء العربية في السلطنة العثمانية[٩] ، ولا ريب فإن الخوف من الحكم الأجنبي كان ذا أثرٍ مقيت في نفوس العرب جميعاً حتى أولئك الذين لم يكونوا يشعرون بالتعصب ضد أوروبا . وكان الزعماء يشاركون العامة شعور النفور من السيادة الأجنبية ، وكانوا يتساءلون : أليس من الأفضل إذا كان لا بدّ لهم من الاختيار ، أن يستمروا تحت الحكم التركي الذي عرفوه بدلاً من أن يقعوا تحت حكم أجنبي شرس يسعى إلى تمزيق بلادهم[١٠] . وقد عبّر عن هذا الخوف القرار الذي اتخذته اللجنة العليا لجمعية « الفتاة » والذي يدعو الشعوب

---

(٦) سليمان فيضي : في غمرة النضال ، ص ٢١٨ - ٢١٩ .

(٧) أمين سعيد ، **أسرار الثورة العربية الكبرى** ، الجزء الأول ، ص ١٠٨ .

(٨) René Pinon, **l'Europe et l'Empire Ottoman,** p. 372

جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ١٣٢ - ١٣٤ .

(٩) فوزي القاوقجي « مذكرات » ، الجزء الأول ، ص ٣٢ .

(١٠) John presland, **deeds Bey,**London 1942, p. 244- 245

العربية للوقوف إلى جانب تركيا خلال الحرب في سبيل مقاومة النفوذ الأوروبي في بلادها مهما كان نوعه(١١) .

وقد التقت مشاعر الخوف وآراء زعماء الفتاة مع مشاعر وآراء أقطاب جمعية « العهد » وخاصة بعد أن تلقوا من مؤسس جمعيتهم عزيز علي المصري من مكان إقامته في مصر رسالة يحذرهم فيها من مغبة القيام بأي عمل عدائي ضد الدولة العثمانية لأن اشتراك تركيا في الحرب سيعرض ، في تلك الحالة ، أجزاءها العربية للاحتلال الأجنبي ، وإن الواجب عليهم أن يقفوا بجانب تركيا إلى أن ينالوا ضمانات قاطعة تحميهم من الأطماع الأوروبية(١٢) . وعلى هذا الأساس جرى في أوائل سنة ١٩١٥ اتصال في دمشق بين الجمعيتين وتولى ياسين الهاشمي العضو البارز في جمعية « العهد » دور المنسق بينهما بعد أن دخل عضواً في جمعية « الفتاة » ، وأصبح همزة وصل بين الزعماء في لبنان وسوريا والعراق(١٣) . هذا الواقع المشوب بالقلق والتردد لم يستمر طويلاً في نفوس اللبنانيين والسوريين ، ذلك أن سياسة الارهاب التي سار عليها جمال باشا بعد هزيمته الأولى في سيناء في شباط سنة ١٩١٥ وما رافقها من إزهاق للأرواح والتشريد للنساء والأطفال والشيوخ لم تترك مجالاً للاختيار عندهم ، إذ ما كادت الصحف تنشر نبأ إعدام رجال القافلة الثانية حتى اهتز العالم العربي للنبأ واتخذ قراره الخطير الذي عبّر عنه الأمير فيصل في دمشق بقوله : « طاب الموت يا عرب »(١٤) . وقد عبر الدبلوماسي الانكليزي السيد ساندرز عن هذه الظاهرة بقوله : « إن الإجراءات الصارمة والقاسية التي اتخذها جمال باشا بحق العرب جعلتهم يتخلون عن تركيا وأفقدتهم كل عطف نحو الأتراك . وأضاف في مكانٍ آخر » . إن سياسة تركيا المؤسفة والمحزنة نحو البلاد العربية قد جعلت من العرب أعداء ألداء »(١٥) . ولاشك أن قرار الثورة بطرد الأتراك من

---

(١١) أحمد قدري : « مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى » ، ص ٣٨ .
عادل اسماعيل : السياسة الدولية ، ج٤ ، ص٢٧٩ .

(١٢) جورج انطونيوس ، يقظة العرب ، ص ٢٤١ .

(١٣) أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص٨٣ .

(١٤) دراسات في الثورة العربية الكبرى ، زين نور الدين زين ، أسباب الثورة العربية الكبرى ، ص ٦٠ - ٦١ .
سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد ، ص٢٢٦ .

(١٥) Liman von sanders, **cinq ans de Turquie,** Paris 1923, p. 166 et 240.

البلاد وتأسيس حكم مستقل للعرب وضع الجمعيات العربية في سوريا ولبنان أمام مسؤوليات جسام تنوء قدراتهم على تحملها خاصة بعد أن ضربهم جمال باشا ضربة موجعة وأرسل الضباط والجنود العرب إلى ميادين القتال البعيدة . لذا بدأوا يبحثون عن حلفاء جدد فاتصلوا بالشيخ نوري الشعلان زعيم قبيلة الرولة الكبيرة التي كانت تسيطر على الصحراء السورية بين دمشق ونجد ، وابنه نواف الشعلان ، وفواز الفايز شيخ قبيلة بني صخر ، ونسيب الأطرش أحد زعماء جبل الدروز البارزين ، ثم ضموا إليهم أمير اللواء المتقاعد علي رضا باشا الركابي الذي كان ناقماً على الأتراك وغيرهم من ذوي النفوذ في البلاد العربية على إختلاف الطبقات والمذاهب[١٦] .

وبالطبع لم تكن هذه الأحلاف قادرة على سد الفراغ القيادي الذي تحتاج إليه الثورة . لذا استمروا في البحث عن حلفاء أكبر وأكثر أهمية ، ولكن لم يطل بحثهم إذ سرعان ما وصل الأمير فيصل[١٧] إلى دمشق قادماً من الحجاز فكان وصوله واجتماعه بهم فرصة سانحة للتباحث معه وعرض الأمر عليه .

٢ ـ التنسيق بين الشريف حسين وزعماء سوريا ولبنان :

وصل الأمير فيصل إلى دمشق في ٢٦ آذار ١٩١٥ ، وكان لمجيئه هدفان ، أحدهما ظاهري وهو عرض شكوى أبيه (الحسين) ، من الوالي وهيب بك[١٨] ، وثانيهما سرّي

---

(١٦) أمين سعيد ، أسرار الثورة العربية الكبرى ، ج١ ، ص ١٠٩ .
سليمان موسى : الثورة العربية الكبرى ، وثائق وأسانيد ، ص١٢٦ .

(١٧) يقول لورنس عن الأمير فيصل بأنه كان رجلاً محبوباً من الجميع ، فقد أعد اعداداً لائقاً وأُنشئ تنشئة صالحة من قبل والده . وإذا كان والده الشريف حسين يخفي نفسية متناقضة ، لأن أمه شركسية وقد نشأ تنشئة تركية ، أما هو فقد كان على العكس من ذلك ، ويبدو أن الأحداث قد صقلته وجعلت منه القائد المنتظر للعرب .
لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ، ص ٤٦ ـ ٤٧ .

(١٨) Jean Pichon, **Le partage du proche- orient,** p. 73
كان وهيب بك والياً على الحجاز في ذلك الحين وبينما كان والأمير علي بن الحسين يسيران في طريقهما من مكة إلى المدينة على رأس القوى النظامية والمتطوعة بقصد الاشتراك في الهجوم على قناة السويس ، وقعت محفظة وهيب بك التي كانت تحتوي الكتب والوثائق الخاصة بشؤون ولايته ، فعثر عليها أحد رجال الأمير وسلمها إليه ففتحها واطلع على ما فيها من أسرار ، فقد كانت تحتوي على مراسلات الوالي مع حكومته في =

وهو الاطلاع على قوة الحركة الإصلاحية في سوريا ولبنان ومعرفة موقفها من المفاوضات التي كانت تدور بين أخيه عبد الله والمندوبين البريطانيين . وقد مكث الأمير فيصل في دمشق أربعة أسابيع اجتمع خلالها بزعماء هذه الحركة وخاصة أركان جمعيتي « العهد » و« الفتاة » أمثال علي رضا الركابي والدكتور عبد الرحمن الشهبندر ومحمد الشريفي وياسين الهاشمي والدكتور أحمد قدري والشيخ بدر الدين الحسني[١٩] . وأثناء هذه الاجتماعات التي كانت سهلة وميسورة خلال الزيارات الترحيبية والتي كانت تتمّ بين الساعة الحادية عشرة والساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، كشف هؤلاء الزعماء عن دخائل نفوسهم للأمير فيصل واطلعوه على تنظيماتهم السريّة وأبلغوه قرار جمعية « الفتاة » الذي اتخذته لجنتها العليا في اجتماع عقدته قبل مجيئه بعدة شهور وبيّنوا له أنهم مستعدون للقيام بالثورة في سوريا لتحرير البلاد العربية من الحكم التركي ، وقالوا أنهم لا يطلبون منه إلاّ أن يكون قائداً لهذه الثورة وزعيمها[٢٠] .

وبدوره أطلعهم الأمير فيصل على مضمون الرسالتين اللتين تلقاهما عبدالله من كتشنر[٢١] ، ثم وافق على الدخول في جمعيتي « العهد » و« الفتاة » وأقسم يمين الولاء والإخلاص لمبادئهما وأهدافهما[٢٢] . وزيادة على ذلك فقد بعثت جمعية « الفتاة » أحد زعمائها ، يوسف حيدر إلى المدينة المنورة فاجتمع فيها بالأمير علي وأطلعه على وجود

الآستانة وهي تدور حول مؤامرة أعدتها الحكومة لاغتيال الشريف وأولاده والقضاء على استقلال الحجاز الذاتي . وقد امتنع الأمير علي عن متابعة المسير بعد أن اكتشف مؤامرة الاتحاديين ، وانتحل بعض الأعذار ، ومكث في المدينة المنورة ، ثم قفل عائداً إلى مكة ومعه الوثائق ، فسلمها إلى أبيه . وبعد أن تمعن الحسين في معانيها قرر إيفاد نجله الثالث الأمير فيصل نيابة عنه إلى الآستانة ليعرض على حكومتها حقيقة ما رأى ، وليقف على نوايا الاتحاديين تجاه مركزه في مكة فأرسل إلى الصدر الأعظم برقية يستأذنه في ذلك ، فجاءه الرد من الصدارة بالإيجاب .

سليمان موسى : **الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى** ، ص ٣٨ .

(١٩) **دراسات في الثورة العربية الكبرى** ، دراسة محمود زايد ، **أحداث الثورة العربية الكبرى** ، ص ٧١ .

Jean Pichon, op. cit, p. 74

(٢٠) عبدالله بن الحسين : **مذكراتي** ، ص ١٠٤ .

أحمد قدري : **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** ، ص ٤٦ .

(٢١) Renée neher- Bernheim, **La déclaration balfour,** julluird 1969, p. 120- 121.

(٢٢) جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ٢٣٧ .

الجمعية وحلّفه يمين الإنتساب إليها[٢٣] . وأوفدت الجمعية أيضاً الشيخ كامل القصاب إلى مكة فاجتمع بالشريف حسين وحدثه عن تطلعات السوريين وأمانيهم ثم حرضه على الثورة ، وقد بقي القصاب في مكة إلى ما بعد إعلان الثورة[٢٤] .

أما الأمير فيصل فقد تابع سفره إلى الآستانة فوصلها في ٩ نيسان ١٩١٥ . وقد استقبله هناك أركان الدولة بحفاوة وتقدير بالغين ، وعقد في هذه الزيارة التي دامت شهراً عدة اجتماعات مع الصدر الأعظم سعيد حليم ووزير الداخلية طلعت باشا ووزير الحربية ، وكيل القائد العام ، أنور باشا ، كما مثل بين يدي السلطان مرتين . وفي هذه اللقاءات عرض فيصل أمام الجميع شكاوي والده من وهيب بك ، ودسائسه المستمرة واطلعهم على الوثائق التي عثروا عليها بطريق العرض ، فكانت هذه الوثائق حججاً دامغة تبعث على الحرج الشديد[٢٥] . وقد أصغى رجال الدولة إلى الأمير وطيبوا خاطره وطمأنوه إلى مصير أسرته وأصدروا أمراً بنقل وهيب بك من الحجاز وعينوا مكانه اللواء غالب باشا الذي كان مشهوراً بطيب سريرته ونصحوه بضرورة التقرب من الشريف والتعاون معه[٢٦] . وكتب الصدر الأعظم وأنور وطلعت رسائل إلى الشريف تتضمن هذا المعنى[٢٧] .

ولدى عودته إلى الحجاز عرج الأمير فيصل على دمشق فوجد زملاءه ، أعضاء جمعيتي « العهد » و« الفتاة » قد وضعوا ميثاقاً أثناء غيابه يتضمن الشروط التي يطالب زعماء سوريا ولبنان بتحقيقها لقاء تحالفهم مع بريطانيا والدخول إلى جانبها في الحرب واتفقوا على أن يحمل الأمير فيصل هذا الميثاق إلى مكة ويقدمه إلى والده الشريف حسين كي يجعله أساساً لمفاوضاته مع بريطانيا ، وبالفعل تسلم فيصل الميثاق مرفقاً بمصور جغرافي وقد تضمن النقاط الصريحة التالية :

١ ـ اعتراف بريطانيا باستقلال البلاد العربية ضمن الحدود التالية :

---

(٢٣) فـائز الغصين : **مذكراتي عن الثورة العربية** ، ص٣٨ .

(٢٤) سليمان موسى : **الثورة العربية الكبرى** ، وثائق وأسانيد ، ص١٢٩ .

(٢٥) Jean Pichon, **le partage du proche- orient**, p. 73- 74.

(٢٦) جمال باشا : **مذكرات** ، ص ٤٠٢ .

(٢٧) عبدالله بن الحسين : **مذكراتي** ص ١٤٢ ـ ١٤٧ .

شمالاً : خط مرسين ، أضنة حتى خط العرض ٣٧ شمالاً ومنها على امتداد خط بريجيك ـ أورفة ـ ماردين ـ مديات ـ جزيرة ابن عمرو ـ عمادية حتى حدود ايران .

شرقاً : على امتداد الحدود الإيرانية إلى الخليج العربي جنوباً .

جنوباً : المحيط الهندي (باستثناء عدن التي تبقى على وضعها الحالي) .

غرباً : البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط حتى مرسين .

٢ ـ إلغاء الامتيازات الأجنبية .

٣ ـ عقد معاهدة دفاعية بين بريطانيا والدولة العربية المستقلة .

٤ ـ تفضيل بريطانيا على غيرها في الشؤون الإقتصادية(٢٨) .

وكان لهذا الميثاق أهمية كبرى ، لا من حيث أن الشريف حسين اعتمده أساساً لمفاوضاته مع بريطانيا فحسب ، بل لأنه كان أول قرار سياسي تتخذه جماعة مسؤولة من العرب بإنشاء دولة عربية مستقلة تتحد مع بريطانيا على أساس الشروط المعروضة فيه . وأظهرت في الوقت ذاته تخاوفها من الأطماع الأوروبية فطالبت بإلغاء الامتيازات الأجنبية . ومع أن الأمير فيصل قد أعرب عن شكوكه في أن يقبل الحلفاء بهذه الشروط إلّا أنه كان يرى فيها الحد الأدنى الذي يمكن أن يقبل العرب به في سبيل قيامهم بالثورة(٢٩) . وعلى هذا الأساس وقبل أن يغادر فيصل مدينة دمشق اجتمع مجدداً بعددٍ آخر من الزعماء السوريين والبدو والدروز الذين انضووا تحت لواء الحزبين الرئيسيين في سوريا « الفتاة » و« العهد » وأقسم ستة من الزعماء الرئيسيين في هذين الحزبين يمين الولاء للشريف حسين وعاهد الجميع من مدنيين وعسكريين الأمير فيصل على إضرام نار الثورة في سوريا إذا ما وافقت بريطانيا على تحقيق الشروط الواردة في ميثاق دمشق . ولتأكيد ذلك العهد أعطى الشيخ بدر الدين الحسني أكبر علماء دمشق وعلي رضا باشا

(٢٨) للاطلاع على ميثاق دمشق يمكن الرجوع إلى :

A. hokayem, M. cl. Bittar, Documents, T1A, p. 3- 4

R. Neher- Bernheim, **La déclaration balfour,** p. 125- 127

عادل اسماعيل : **السياسة الدولية** ، ج٤ ، ص١٨٠ .

جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ٢٤٣ .

(٢٩) جورج انطونيوس ، **يقظة العرب** ، ص ٢٤٤ .

الركابي رئيس البلدية ختميها ليسلمها إلى الشريف رمزاً لثقة أهل الشام به وتأييداً لكل موقف يتخذه[٣٠] . وقد بلغت الحماسة والتفاؤل بعددٍ من السوريين واللبنانيين حداً دفعهم إلى الاعتقاد أن لا لزوم للوفاق مع بريطانيا[٣١] . ولا شك أنه كان لموقف القوميين العرب في سوريا ولبنان أثراً كبيراً في انحياز الشريف حسين إلى فكرة إعلان الثورة على الأتراك ، وقد أشار فيصل إلى ذلك في الخطاب الذي ألقاه في دمشق يوم ٥ أيار سنة ١٩١٩ بقوله : « ولا شك أن المسؤول في الحركة الثورية العربية ، هو أولاً والدي ثم الحجازيون الذين قاموا بها فعلاً ، أما السوريون فإنهم مسؤولون معنا ، لأنهم شوقوا الحجازيين لهذه الحركة . . . لهذا قام والدي بالحركة بعد أن أتيت إلى سوريا وقابلت بعض الرجال الذين منهم كثيرون في مجلسنا هذا سواء من البدو أو من الحضر »[٣٢] .

وصل فيصل إلى مكة في ٣٠ حزيران سنة ١٩١٥ فأفضى إلى أبيه بكل ما سمع من زعماء سوريا ولبنان ثم غادرها إلى الطائف حيث وافاه إليها والده وأخواه علي وعبدالله ، فعقد الأربعة مؤتمراً سرياً بعيداً عن أعين رقباء وجواسيس الأتراك الذين كانوا يحصون عليهم أنفاسهم ويرقبون حركاتهم وسكناتهم ، واتفق الأربعة فيما بينهم أن يتعهدوا أمر الثورة وأن ينجزوا الإتفاق مع بريطانيا[٣٣] .

وهكذا فما كاد الشريف حسين يعود مع أولاده إلى مكة حتى بدأ عهداً جديداً من المفاوضات مع المندوبين البريطانيين لتحقيق التحالف مع حكومتهم على الأسس التي وافق عليها السوريون واللبنانيون .

٣ ـ دخول العرب الحرب إلى جانب الحلفاء :

وحين بدأت الحرب العالمية الأولى في أوروبا وبات مؤكداً أن تركيا ستنضم إلى

---

(٣٠) أمين سعيد ، **أسرار الثورة العربية الكبرى** ، ج١ ، ص ١٠٩ .

(٣١) أوراق الأمير زيد ، **خواطر خاصة كتبها الأمير فيصل في ت٢ ١٩١٩** . نقلاً عن سليمان موسى : **الحركة العربية** ، ص ١٣٣ .

(٣٢) **الحقيقة** ، عدد ١٠٩٢ ، ١٣ أيار ١٩١٩ ، خطاب الأمير فيصل في سراي الحكومة في دمشق .

(٣٣) أوراق الأمير زيد ، نقلاً عن سليمان موسى : **الحركة العربية** ، ص ١٨٩ - ١٩٠ .

دول الوسط ، قرر مجلس الوزراء البريطاني ، بناء على طلب من كتشنر في أواخر أيلول ١٩١٤ ، أن يعهد إلى رونالد ستورز ، السكرتير الشرقي في دار الاعتماد البريطاني في القاهرة للإتصال رسمياً بالشريف حسين والإتفاق معه على أسس الثورة العربية(٣٤) . فدارت بين ستورز والأمير عبدالله عدة رسائل أكدّ فيها ستورز عزم بلاده على حماية مركز الشريف في الحجاز إذا انحاز إلى الحلفاء ، والاعتراف به خليفة على المسلمين إذا بويع بها ، وأن تتعهد بضمان سلامة الأراضي العربية الواقعة تحت الحكم التركي من أي تدخل أجنبي . فأبدى الأمير في رده على هذه الرسائل استعداد والده لخوض الحرب إلى جانب الحلفاء ، والثورة على الترك حين يستوثق من قدرته ومن موقف العرب المؤيد في سوريا ولبنان(٣٥) .

وفيما كانت المراسلات السرية دائرة بين الأمير عبدالله والسيد ستورز راح الموظفون البريطانيون يجرون اتصالات مع زعماء العرب الآخرين في سوريا ولبنان وشبه الجزيرة العربية من ذوي النفوذ والمكانة وعلى الأخص اقطاب حزب اللامركزية أمثال : رفيق العظم والشيخ محمد رشيد رضا واسكندر عمون . وكان حزب اللامركزية على اتصال وثيق بالاتجاهات السياسية في سوريا ولبنان عن طريق فروعه المنتشرة في المدن ، وكان أولئك الزعماء وكثيرون من رفاقهم قد اختاروا منذ عدة سنوات أن يعملوا من أجل بلادهم في مصر حيث لا يطالهم ظلم الإرهاب التركي وحتى يتاح لهم قسط أكبر من حرية العمل . وعند بدء الحرب أوفدت جمعية « الفتاة » في شهر آب سنة ١٩١٤ محمد المحمصاني ، أحد أعضائها البارزين إلى مصر للتشاور مع أعضاء حزب اللامركزية في ما يجب أن يكون عليه موقف العرب إذا ما دخلت تركيا الحرب . وبعد التداول ، قرر هؤلاء الزعماء أن يعرضوا الأمر على أمراء الجزيرة الربية وأخذ رأيهم فيه ، وبناء على هذا القرار ، عاد المحمصاني إلى بيروت ، بينما انتدب حزب اللامركزية محب الدين الخطيب

---

(٣٤) عادل اسماعيل : **السياسة الدولية** ، ج٤ ، ص١٦٩ - ١٧٠ .

(٣٥) P. R. O., F. O. 371/2139-6236.

نقلاً عن زين نور الدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان** ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٦٠ - ٦٥ .

سليمان موسى : **الحركة العربية** ، ص ١٤٦ - ١٥٧ .

R. Neher- Bernheim, **La déclaration balfour**, p. 120-124

لمقابلة ابن سعود وطالب النقيب في مكان تواجدهما في نجد والعراق . وفي شهر تشرين الأول ١٩١٤ سافر الخطيب مع بدوي من نجد يُدعى عبد العزيز العتيقي ، وعند وصوله إلى الكويت اعتقلته السلطات البريطانية وساقته إلى سجن البصرة حيث قضى فيه سبعة أشهر ، أطلق بعدها سراحه وأُعيد إلى مصر ، دون أن يُعرف سبب هذا الإعتقال(٣٦) .

أما ستورز فقد بدأ اتصالاته بأقطاب اللامركزية منذ نشوب الحرب فلمس من هؤلاء تمسكهم باستقلال بلادهم ثم استعدادهم لتأييد كل حركة ترمي إلى استقلال البلاد العربية مهما كان شأنها . وبعد محادثات مستفيضة بين الجانبين كتب اللامركزيون ، شروطهم الخاصة باستقلال العرب وأرسلوها إلى حكومة لندن لإعلان موافقتها عليها رسمياً بواسطة وكالة رويتر ، ولما رفضت بريطانيا الموافقة على شروطهم توقف هؤلاء عن العمل ورفضوا الإشتراك في الحرب إلى جانب الحلفاء(٣٧) .

لم ييأس المسؤولون البريطانيون في مصر من إمكانية الاستفادة من الزعماء العرب الموجودين في القاهرة ولم يقطعوا حبل الإتصال بهم ، إذ لدى وصول أسعد داغر إلى مصر دارت بينه وبين الجنرال كلايتون مدير المخابرات العسكرية في القاهرة ، مناقشات صريحة حول سياسة بريطانيا في الشرق ، فكان داغر يرى أن على بريطانيا أن تؤيد الأحزاب العربية وأن تتوسل بها لمنع تركيا من دخول الحرب ، وأن تتفق مع زعماء العرب على إعلان استقلال البلاد العربية ، وأن تصرح حكومة لندن بأن لا غرض

---

(٣٦) جاء في كتاب أمين سعيد : **الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الأول ، ص١٢٩ ، أن سفر محب الدين الخطيب إلى البصرة ، وسفر الشيخ محمد القلقيلي إلى سوريا وفلسطين كان بناء على اتفاق تم بين الانكليز واللامركزية في مصر . وأمّا ما جاء في كتاب سليمان موسى : **الحركة العربية** ص١٥٩ فيناقض ذلك تماماً ، يقول موسى : إن سفر محب الدين الخطيب إلى نجد والعراق قد جاء بناء على قرار من حزب اللامركزية دون أن يكون هناك اتفاق في هذا الموضوع بينه وبين المسؤولين البريطانيين في مصر . ويضيف بأن محمد القلقيلي الذي ذكر في كتاب سعيد آنفاً كان محرراً في جريدة « الكواكب » التي كانت السلطات البريطانية تصدرها في مصر لأغراض الدعاية . ونحن من جهتنا نؤيد ما جاء في كتاب سليمان موسى ، لأن اعتقال الخطيب في الكويت على أيدي السلطات البريطانية يتنافى مع الرأي القائل بأن الانكليز كانوا على اتفاقٍ مسبق في إيفاده إلى ابن سعود وطالب النقيب .

(٣٧) أمين سعيد ، **أسرار الثورة العربية الكبرى** ، المجلد الأول ، ص ١٢٨ - ١٢٩ .

لهاولا مطمع في أي قطر من أقطارها حتى يقف العرب إلى جانب الحلفاء في الحرب[٣٨] . وقد أجرى كلايتون كذلك إتصال بمؤسس جمعية « العهد » عزيز علي وبمحمد شريف الفاروقي[٣٩] اللذين أبديا استعدادهما للتعاون مع بريطانيا شرط أن تكفل حكومة لندن استقلال العرب[٤٠] .

أدركت الحكومة الانكليزية أن جميع المحاولات التي يقوم بها موظفوها في الشرق لاكتساب ودّ العرب من غير تقديم تعهدات قاطعة لهم إنمّا هي محاولات فاشلة لا جدوى من ورائها ، لذلك كلفّت مكماهون ، معتمدها في القاهرة ، أن يصدر بلاغاً يحدّد فيه موقف الانكليز من البلاد العربية . وقد أصدر مكماهون بلاغاً بالفعل في أوائل حزيران ١٩١٥ جاء فيه :

« إن الحكومة البريطانية قررت أنه عند انتهاء الحرب ستجعل بين شروط الصلح ومواده الرئيسية أن تكون شبه الجزيرة العربية والأراضي المقدسة التي فيها مستقلة ، وألاّ يضم شبر منها إلى أراضينا وأراضي أية دولة أخرى ، ومعنى ذلك أن استقلال بلادكم وتمتّعها بالحرية أصبح محققاً لا ريب فيه » . وأشار البيان إلى « أن بريطانيا العظمى على إستعداد للترحيب بقيام خلافة عربية »[٤١] . وأبلغ الحسين بن علي أنه إذا قبل هذا الحل أُعطي مساعدة مالية قدرها عشرون ألف ليرة استرلينية ذهباً في الشهر ، فضلاً عما يحتاج إليه من عتاد وسلاح[٤٢] .

---

(٣٨) أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٧٤ ـ ٧٥ .

(٣٩) وُلد محمد شريق الفاروقي في الموصل سنة ١٨٩١ وتخرج من المدرسة العسكرية في استامبول كضابط مشاة ، ثم انضم إلى جمعية العهد ثم إلى العربية الفتاة . اعتقله الأتراك في حلب وحقق معه جمال باشا نفسه ، وعندما أطلق سراحه أُرسل إلى جبهة القتال في غاليبولي قائداً لسرية مشاة . هناك اجتاز خط القتال وسلّم نفسه للقوات الانكليزية التي نقلته إلى مصر بناء على طلبه . بعد إعلان الثورة اشترك في العمليات العسكرية ، ثم عيّنه الشريف حسين ممثلاً له في القاهرة ، ولكنه في عام ١٩١٧ استغنى عن خدماته . وفي عام ١٩٢٠ قُتل غيلة في العراق أثناء الثورة .

سليمان موسى : الحركة العربية ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٤٠) أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص ٧٥ .

(٤١) ألقت الطائرات البريطانية هذا البيان على بعض المدن في مصر والحجاز وسوريا ولبنان وفلسطين .

عادل اسماعيل : السياسة الدولية ، ج٤ ، ص١٨٣ .

(٤٢) Jean Pichon, **le Partage du proche- Orient**, p. 76

وجد الشريف حسين في هذا البيان بداية تقارب بينه وبين البريطانيين وأن عليه مسؤولية كبرى في استغلال هذه الفرصة المتاحة للشعوب العربية ، فقرّر أن يضع المطالب العربية التي أنفذها إليه زعماء « العهد والفتاة » في ميثاق دمشق أمام بريطانيا حتى يكتشف بصراحة حقيقة سياستها تجاه البلاد العربية ، وحتى يستوثق من الخطوة التالية التي يتعين عليه أن يخطوها . وهكذا أنفذ أمير مكة إلى مكماهون مذكرته الأولى في ١٤ تموز سنة ١٩١٥ ، أوضح فيها شروط العرب عامة لإعلان الثورة على الترك ، وهي الشروط عينها التي حملها الأمير فيصل من رجال « العهد والفتاة » ، وأضاف إليها شرطاً آخر يتعلق بوجوب إعتراف بريطانيا بالخليفة العربي إذا تمّت مبايعته(٤٣) . واستمرت المراسلات بين الشريف حسين ومكماهون حوالي ثمانية أشهر من ١٤ تموز سنة ١٩١٥ إلى ١٠ آذار سنة ١٩١٦ انتهت بتحالف الحكومة البريطانية مع الشريف حسين لإضرام ثورة في الحجاز ضد القوات التركية(٤٤) . وفي رسالة الشريف الرابعة إلى مكماهون (أول كانون الثاني سنة ١٩١٦) وافق الحسين بغموض على جميع الشروط التي عرضها مكماهون في رسائله السابقة وخاصة ما يتعلق منها بالاتفاقات المعقودة بين الحكومة الفرنسية والحكومة البريطانية بشأن المناطق الساحلية في بلاد الشام . يقول الشريف في رسالته هذه : « أما الأقسام الشمالية وسواحلها ، فقد ذكرنا في كتابنا السابق أقصى ما أمكن من التعديلات وذلك كله إنما كان من أجل إنجاز تلك الأماني التي يشوقنا نيلها بإذن الله سبحانه وتعالى ، وهو ذلك الشعور نفسه ما حدا بنا إلى تجنب ما يخشى أن يضر

---

(٤٣) A. Hokayem et M. cl. Bittar, «documents» l'Empire Ottoman, p. 3- 4.

(٤٤) كانت هذه الرسائل تتألف من ١٠ فقط . ٥ منها إلى مكماهون و٥ أجوبة تلقاها الشريف حسين من مكماهون .

نشر انطوان حكيم وماري بيطار الرسالة الأولى والثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة بنصوصها الانكليزية كما وردت في محفوظات وزارة الخارجية البريطانية .

A. Hokayem et M.cl. Bittar, «Documents» l'Empire Ottoman p. 3- 17.

ونُشرت هذه الرسائل في العديد من الكتب نذكر منها :

الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب أصدرته جريدة « الأيام » ، دمشق ١٩٣٦ ، ص ١ ـ ١٧ .

جورج انطونيوس : **يقظة العرب** ، ص ٥٤٥ ـ ٥٧٧ .

زين نور الدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط** ، ص ٢٨١ ـ ٢٩٨ .

بالتحالف بين بريطانيا العظمى وفرنسا وبالإتفاق المبرم بينهما في هذه الحرب وويلاتها . . . وعليه فليعتقد جناب الوزير الخطير ولتعتقد بريطانيا العظمى أنّا على العزم الذي أُشير إليه ويعلمه منا جناب الأديب الكامل ستورز منذ عامين(٤٥) . وقد أجاب مكماهون في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩١٦ على رسالة الحسين فكرر ما ورد في رسائله السابقة وشكر الشريف لمساعيه الصادقة للتفاهم مع الحلفاء واجتنابه كل ما من شأنه إحراج بريطانيا في علاقاتها مع حليفتها فرنسا ، وأكد وثيق التضامن القائم بين الدولتين ، قال مكماهون :

« وأمّا ما يتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبت ملاحظة عن رغبتكم في تجنب كل ما من شأنه الإساءة إلى تحالف انكلترا وفرنسا ، وسررتُ جداً بإبداء مثل هذه الرغبة . . وأظنكم تعرفون جيداً أننا مقررون قراراً نهائياً بألا نسمح بأي تدخل مهما قلّ شأنه في اتفاقنا المشترك في إيصال هذه الحرب إلى الفوز . ثم متى انتهت الحرب فإن صداقة فرنسا وانكلترا ستقوى وتشتد وهما اللتان بذلتا الدماء الإنكليزية والفرنسية جنباً إلى جنب في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات » . والآن وقد قررت البلاد العربية أن تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق وتعمل معنا في سبيل هذه القضية الهامة ، فإننا لنرجو الله أن تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة ، وهذا التعاون الوطيد صداقة دائمة ، تعود على الجميع بالسرور والغبطة »(٤٦) .

وبناء على هذا الاتفاق ، راح الحسين يعدّ للثورة أسبابها العسكرية ، والمعنوية ، فأرسل ابنه الأمير فيصل إلى دمشق ثانية ليطلع زعماء سوريا ولبنان على شروط الاتفاق الذي تم بينه وبين الحكومة البريطانية ، وليقف على حقيقة الأوضاع المستجدة في تلك البلاد بعدما ضرب جمال باشا ضربته القاتلة ، وليتباحث مع هؤلاء الزعماء في الخطوات التالية المزمع إتخاذها لإشعال الثورة في سوريا والحجاز في آنٍ واحد . . .

٤ ـ فيصل يعّد للثورة في دمشق :

حمل فيصل إلى دمشق أسس الاتفاق الذي تم بين الانكليز ووالده الشريف

---

(٤٥) زين نور الدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط** ، ص ٢٩٤ .
Renée, Neher- Bernheim, **la déclaration Balfour**, 136- 137

(٤٦) الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب . ص١٣ ـ ١٥ .

حسين ، فوصل إلى عاصمة الأمويين في أوائل كانون الثاني سنة ١٩١٦ ومعه ٥٠ فارساً من رجاله[٤٧] .

وعلّل فيصل وجود رجاله معه بأنهم طليعة المجاهدين الذين سيشتركون في الحملة الثانية على القناة ، فقبل جمال باشا هذه العلة على ظاهرها ورحّب بهم أشد الترحيب[٤٨] . وكان هدف فيصل الحقيقي من زيارته لسوريا هو الاعداد لقيام الثورة فيها عندما تتم الترتيبات لذلك في كلا البلدين الشقيقين[٤٩] . ولكن ما أن استقر في دمشق حتى تبين أن الموقف قد تبدّل تبدّلاً كلياً عمّا كان عليه قبل سبعة أشهر ، فقد استطاع جمال باشا سحق التنظيمات الوطنية بصورة تامة وإبادة قادتها البارزين ونقل الحاميات العربية التي كانت لا تزال في سوريا ولبنان وفلسطين إلى مواقع القتال البعيدة في القوقاز والجبهة الغربية ونقل معها أكثر أصدقائه الضباط من جمعية « العهد » واستعاض عنها بفرق تركية خالصة[٥٠] .

وهكذا حتى أصبحت المعارضة اللبنانية والسورية عاجزة عن القيام بأية حركة ثورية مناهضة لحكم جمال باشا ، ويبدو أن فوزي القاوقجي « أحد الضباط العرب في الجيش العثماني ، قد لام الأحزاب العربية لتخاذلها أمام الطاغية جمال واعتقد بفساد الأساليب التي درجت عليها هذه الأحزاب في ذلك الحين معتبراً أن اغتيال جمال باشا كان كافياً لوضع حد للفظائع التي ارتكبها ضد أحرار سوريا ولبنان وكان على يقين بأن الجمعيات العربية في سوريا ولبنان لو عهدت إلى رجلٍ من أعضائها ، ولا سيما من كان منهم في صف الضباط ، بالقيام بمهمة الاغتيال هذه ، لما تأخر أكثرهم ، ولأقدموا على هذا العمل بحرارة وفخر[٥١] .

والواقع أن الأمير فيصل لم يفقد الأمل في إمكان القيام بالثورة في هذه البلاد على أيدي قبائل البدو والدروز بمساعدة المتطوعين الذين كان ينتظر قدومهم من الحجاز

---

(٤٧) أمين سعيد : الثورة العربية الكبرى ، المجلد الأول ، ص١١٠ .

(٤٨) جورج انطونيوس : يقظة العرب ، ص ٢٨١ .

(٤٩) لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ، ص١٣ .

(٥٠) لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

(٥١) فوزي القاوقجي : مذكرات ، القسم الأول ، ص٣٠ .

بفارغ الصبر[٥٢] . وبالرغم من أنه قد تحركت في جبل الدروز وشمالي لبنان ودمشق فرق الأنصار ، التي كانت تكافح الأتراك بحد السيف سنة ١٩١٦ وقامت انتفاضات ضد الترك في مدينتي الشيعة المقدستين ، النجف وكربلاء ، في ربيع تلك السنة ، كما ظهرت انتفاضة في حامية الموصل ،وحاميات أخرى(نيسان سنة ١٩١٦)[٥٣]. نقول بالرغم من حدوث هذه الانتفاضات المتكررة والمتفرّقة في انحاء عدة من مدن سوريا ولبنان والعراق ، إلاّ أن إمكانية قيام ثورة شاملة في تلك الديار كان أمراً متعذراً ويصعب حدوثه في ظل حكم مستبد يمسك السلطة بقبضة حديدية ، وقد عبّر عن هذه الظاهرة الدكتور « هوارد بلس » في البيان الذي ألقاه أمام مؤتمر الصلح في باريس حيث قال : « وكان يستحيل على الناس (في سوريا) الذين عانوا أجيالاً من الترويع والتخويف ، فأصبحوا على شيءٍ من الجبن والاستسلام ، أن يعبروا عن آرائهم السياسية بحرية[٥٤] . لذلك ، ولاشعال الثورة في سوريا كان لا بد من قيام بريطانيا بإنزال قواتها على الساحل السوري وقطع الإمدادات التي سوف تُرسل إلى القوات التركية من الأناضول إلى بلاد العرب فيكون ذلك عملاً حاسماً يعوّض عن تحرك القوات العربية النظامية التي كانت الخطة الأساسية تعتمد عليها[٥٥] . وعلى هذا الأساس ، شدد الشريف حسين ، في رسالته المؤرخة ٦ آذار سنة ١٩١٦ على البريطانيين بأن يشتركوا بالتعرض على أحد سواحل سوريا لتشجيع أهلها والقضاء على القوة التي فيها . وفي رسالته التالية (١٨ نيسان سنة ١٩١٦) عاد الشريف حسين يكرر على مكماهون القول

---

(٥٢) راجع مذكرة نسيب البكري ، عضو جمعية الفتاة إلى الشريف حسين .
سليمان موسى : **الثورة العربية الكبرى** ، وثائق وأسانيد ، ص٤٨ ـ ٥١ .

(٥٣) في عام ١٩١٥ حدثت تظاهرات ي مدن سوريا وفلسطين ، طالب المتظاهرون خلالها بالسلام والخبز وقامت فيها أيضاً انتفاضات عفوية وبصورة متكررة ،
لوتسكي : **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، ص ٤٤٠ .

(٥٤) كان الدكتور بلس رئيس الجامعة الأميركية في بيروت أثناءها ، وللاطلاع على بيان الدكتور بلس راجع :
زين نور الدين زين ، **الصراع الدولي في الشرق الأوسط** ، ص٣١١ .

(٥٥) مذكرة نسيب البكري إلى الشريف حسين ـ نقلاً عن سليمان موسى : **الثورة العربية الكبرى** ، وثائق وأسانيد ، ص ٤٨ ـ ٥١ .
لورنس : **أعمدة الحكمة السبعة** ، ص ١٣ ـ ١٤ .

بضرورة إنزال حملة بريطانية على الساحل السوري ، وبأنه من الضروريات ، بل من الأمور التي لا بدّ منها لزوم تجاوز المقدار الكافي من القوة البريطانية من النقطة التي ترى فيها السهولة والحصول على احتلال الخط الحديدي الموصل سوريا بالأناضول لتسهل الثورة في سوريا(٥٦) .

إلا أن الساسة البريطانيين لم يكونوا يشاركون الشريف حسين الرأي في ذلك ، لأن إشعال الثورة في سوريا كان بنظرهم مثار قلق لحلفائهم الفرنسيين(٥٧) . لذلك كتب مكماهون إلى الشريف حسين يقول : « إني أنصح لدولتكم بإلحاح أن تستدعوا نجلكم من سوريا وأن تباشروا العمل الذي تنوونه في الحجاز والجنوب فقط في الوقت الحاضر »(٥٨) .

شعر الشريف حسين أن الحكومة البريطانية قد نكثت بالعهد ، وأنكرت التزامها ، فاتجه إلى تركيا محاولاً إعادة حبل الود معها فبعث في ١٦ آذار ١٩١٦ برقية إلى أنور باشا حدّد فيها الشروط التي يمكن أن يقبل العرب بها للإشتراك في الحرب المقدسة ، وإذا لم تقبل هذه الشروط قال الشريف : « فأرجوكم أن لا تنتظروا مني الاشتراك في حرب كنت نصحت بأن لا تُثار ولا تشق ، وسأكتفي بالدعاء بالنصر والظفر »(٥٩) . وليس من شك في أن هذه البرقية كانت تبرئة ذمة قدّمها الشريف إلى العالم الإسلامي وشهادة دامغة على حسن نواياه تجاه خليفة المسلمين . ولما جاء ردّ أنور باشا متسماً بالعنف العاجز عن إتخاذ أي تدبير ضده(٦٠) . أخذ الشريف حسين يخطط

---

(٥٦) أوراق الأمير زيد : رسائل الشريف حسين إلى مكماهون بتاريخ ٦ و٢٩ آذار و١٨ نيسان ، توجد ترجمة رسالتي ٦ آذار و١٨ نيسان في أرشيف وزارة الخارجية البريطانية .

Documents Britanniques, P. R.O. 371/6237 and 882/19

(٥٧) **Documents Britanniques,** P. R.O., F.O. 371/6237

(٥٨) **Documents Britanniques,** P. R.O., F.O. 141/461.

(٥٩) عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ١٠٥ .

سليمان موسى : **الثورة العربية الكبرى** ، وثائق وأسانيد ، ص٥٢ .

أرسل الشريف حسين قبل بدء العمليات الحربية رسالة شخصية إلى السلطان محمد رشاد يتوسل فيها إليه أن لا يدخل الحرب إلى جانب المانيا في حربها ضد روسيا وبريطانيا وفرنسا .

عبدالله بن الحسين ، مذكراتي ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٦٠) أمين سعيد : **أسرار الثورة العربية الكبرى** ، ص ٥٣ .

للثورة في الحجاز ، وفي شهر تموز أو آب على أبعد تقدير .

٥ ـ الثورة العربية والعناصر الفاعلة فيها :

عندما ظهرت تحركات مفاجئة (٢ نيسان ١٩١٦) وبعث جمال باشا برقية إلى الحسين ينبئه فيها بوصول قوة عسكرية قوامها ٣٥٠٠ رجل بقيادة فخري باشا إلى الحجاز في طريقها إلى اليمن[٦١] . خاف الشريف حسين ووجّه إلى فيصل رسالة غامضة يقول فيها إن الاستعدادات العسكرية قد أصبحت جاهزة ولهذا يطلب منه الحضور فوراً لتفتيش الوحدات العسكرية قبل إرسالها إلى الجبهة[٦٢] . ولما اطلع فيصل جمال باشا على مضمون الرسالة خامرته الشكوك وطلب من فيصل البقاء في دمشق لمرافقة أنور باشا إلى الحجاز لدى وصوله إلى سوريا[٦٣] . ثم حاول استبقاء فيصل رهينة في سوريا . لكن البرقيات الواردة من الحجاز بوجوب حضور فيصل إلى المدينة المنورة ليحول دون انتشار الفوضى في صفوف الجيش وليكون على رأس « المتطوعين الذين يتوقون للذهاب إلى جبهة القتال »[٦٤] . جعلت جمال باشا مضطراً للسماح لفيصل بالسفر ولكنه احتفظ ببعض رجاله كرهائن في دمشق[٦٥] . وفي ١٦ أيار سنة ١٩١٦ ترك فيصل دمشق مصطحباً معه وفداً مؤلفاً من كاظم بك مفتش المنزل ، وآصف بك ، المستشار العدلي للجيش الرابع ، ونسيب البكري ، والشيخ عبد القادر الخطيب[٦٦] ، الذي كلّفه

---

(٦١) سليمان موسى : **الثورة العربية الكبرى** ، وثائق وأسانيد ، ص١٥ .

(٦٢) لورنس : **أعمدة الحكمة السبعة** ، ص ١٥ .

(٦٣) قام أنور لدى وصوله إلى سوريا ، مع جمال وفيصل بزيارة المدينة المنورة برفقة وفد من العلماء من بينهم الشيخ أسعد الشقيري ، مفتي الجيش الرابع . وقد حاول رؤساء العشائر هناك قتل أنور وجمال لكن الأمير فيصل حال دون اتمام هذا الأمر .
لورنس : **المصدر السابق** ، ص ١٦ .

(٦٤) أمين الريحاني ،**فيصل الأول**،الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٣٤ .

(٦٥) الأمير سعيد الجزائري ، **مذكرات** وردت عند محمد جميل بيهم ، **العهد المخضرم** ص٣٤ .

(٦٦) سليمان موسى : **الحركة العربية** ، ص ٢٦٨ .

جمال باشا مراقبة تصرفات الأمير في الحجاز[٦٧] .

ولدى وصول الأمير فيصل إلى الحجاز قرّر مع أخيه علي مغادرة المدينة المنورة على أثر خلافهما مع والي المدينة « فخري باشا » . واثناء انطلاقهما على الطريق وقعت بينهما وبين الجنود العثمانيين مناوشات بسيطة لم يكن لها أية نتيجة تذكر[٦٨] .

وفي تلك الأثناء تسلم غالب باشا ، قائد القوات التركية في مكة ، برقية من جمال باشا يأمره فيها بإقامة وليمة للشريف حسين يقبض خلالها عليه بالقوة ويسوقه مخفوراً إلى دمشق . ويبدو أن الشريف حسين قد علم بالمؤامرة ، فغادر مكة . وعندما تعرّض جند الأتراك لقصره كشف القناع عن وجهه وعاد إلى مكة فاتحاً وأسر القائد التركي[٦٩] .

وفي ١٠ حزيران من عام ١٩١٦ أطلق الرصاصة الأولى من قصره في مكة إيذاناً بإعلان الثورة العربية في الحجاز[٧٠] . وفي ٣٠ تشرين الأول ، نادى بنفسه « ملكاً » على العرب لكن الفرنسيين والبريطانيين لم يعترفوا به إلا « ملكاً على الحجاز »[٧١] .

ويبدو أن الثوار العرب كانوا من أبناء العشائر الحجازية بصورة رئيسية . وكان

---

(٦٧) الأمير سعيد الجزائري ، مذكرات ص ٣٤ .

(٦٨) الأمير سعيد الجزائري ، مذكرات ، ص٣٥ .

وقد عاد الأمير فيصل بعد قيام الثورة في الحجاز إلى المدينة على رأس قوة كبيرة تُقدر بثلاثة آلاف رجل وحاصرها وخرّب قسماً من سكة الحديد قرب العلا ليؤخر وصول النجدات من الشمال إلى العدو .

أمين الريحاني ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

Eugène Jung, la révolte Arabe, T.II, p. 11

(٦٩) الأمير سعيد الجزائري ، مذكرات ، ص ٣٥ .

(٧٠) Eugène Jung, la révolte Arabe, T.II, p. 11

عمر الديراوي ، الحرب العالمية الأولى ، الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٧٩ ، ص٤٨٥ .

(٧١) Jean pichon, **le partage du proche- orient**, p.115

يذكر لورنس « أن الرأي العام في مكة وجدة كان ضد الحكومة العربية التي تشكلت في الحجاز ، برئاسة الأمير علي » .

لورنس : أعمدة الحكمة السبعة ، ص ٢٨ .

أولاد الشريف الأربعة علي وعبدالله وفيصل وزيد ، يتولون قيادتهم في جبهات القتال[٧٢] . ولكن بعد أن انتشر خبر الثورة في البلاد العربية الأخرى أقبلت قبائل البدو التي كانت تتنقل بين سوريا والعراق للالتحاق بالثورة[٧٣] . وكذلك فعلت بعض عناصر من الجنود والضباط العرب الذين كانوا يخدمون في الجيش العثماني . أمثال الضابط عزيز علي المصري الذي سعى جهده لتأسيس جيش قوي ومنظم في الحجاز ، يستطيع بواسطته العرب تحرير بلادهم من غير أن يستعينوا بقوى الحلفاء ، ولكن بريطانيا حالت دون تحقيق ذلك . وبأمرٍ من الشريف حسين عاد عزيز علي إلى مصر[٧٤] .

وكان الضابط مولود المخلص أول الضباط العرب الذين تطوعوا للقتال في جيش فيصل وقد اتخذه الأمير فيصل مرافقاً خاصاً له[٧٥] . ثم التحق بعد ذلك جعفر العسكري الذي تولى قيادة جيش الأمير فيصل ، ونوري السعيد الذي كان رئيساً للأركان . وعلي جودت الأيوبي ، مدير شعبة الحركات في هذا الجيش ورشيد المدفعي قائد مقر الكوبرة ، وجودت البغدادي ، وصبحي العمري الذي عُيّن مرافقاً لنوري السعيد في بادىء الأمر ، ثم قائداً لسرية رشاش لواء الهاشمي الخيال بعد

---

(٧٢) كان عدد الثوار يقدّر بخمسين ألف مقاتل من البدو الذين كانوا يحاربون من فوق صهوة خيولهم . . . ويبدو أن هؤلاء لا يعرفون القتال بالسلاح الأبيض وليس لديهم أية حيلة أمام المدافع والرشاشات . وكانت مفارزهم تفتقر إلى الانضباط وأسلحتهم محصورة بالبنادق القديمة التي يقدّر عددها بعشرة آلاف بندقية فقط .

لوتسكي : **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، ص ٤٥٧ .

(٧٣) Eugène Jung, la révolte Arabe,T.II , p. 12

(٧٤) سافر عزيز علي إلى الحجاز على نفقته الخاصة ولدى وصوله إلى هناك عينه الشريف بضغطٍ من الضباط العرب ، قائداً لجيش الثورة وخوله مهمة تنظيم هذا الجيش ، ولكن الانكليز ضغطوا على الشريف كي يبعده ، وهكذا كان فبعد مدة وجيزة تلقى عزيز علي أمراً من الشريف حسين بوجوب السفر إلى مصر لاختيار الأسلحة التي يراها لازمة للجيش ، وعندما وصل إلى مصر تلقى أمراً آخر من الانكليز بوجوب الخروج منها . وخيروه بين السفر إلى اسبانيا أو إلى سويسرا ، فاختار اسبانيا خوفاً من اعتقاله في مالطة من قبل السلطات البريطانية فيها .

أسعد داغر ، **مذكراتي على هامش القضية العربية** ، ص ٨٩ - ٩١ .

(٧٥) لورنس : **أعمدة الحكمة السبعة** ، ص ٤٣ .

ذلك(٧٦) . . . وغيرهم .

وقد كان معظم هؤلاء المتطوعين من الأسرى الذين وقعوا في يد الإنكليز أو من الذين تركوا صفوف الجيش العثماني ، والتحقوا بالثورة بمساعدة القوات الانكليزية ، وقد قام الانكليز بدور فعّال في هذا المجال وقدّموا مساعدات كثيرة لهؤلاء المتطوعين وأجروا حملات تحريضية بين الأسرى للالتحاق بالثورة بملء إرادتهم كاشفين لهم عسف الأتراك وأساليب جمال باشا الارهابية(٧٧) . ولم يقتصر دور القيادة البريطانية على إيصال المتطوعين إلى الحجاز وتحريضهم بل تعدته إلى إرسال ضباط إنكليز لتدريب الثوار العرب وتوجيههم نحو الغاية التي يسعون إليها والإشتراك في القتال بشكلٍ فعلي عند الضرورة(٧٨) . هذا وكانت الحكومة البريطانية تُرسل للشريف حسين المال(٧٩) والسلاح ، ولكنها لم تكن تمنحه السلاح ، إلاّ بقدر ومن النوع الرديء(٨٠) . ولما كانت الوسائل المادية والمالية في يد الانكليز فقد تمكنت القيادة البريطانية من جعل جيش الأمير فيصل رديفاً تابعاً لقيادة الجنرال اللنبي في فلسطين ، وعملت من الجيش الأمير علي والأمير عبدالله أدوات طيعة في أيدي الضباط الانكليز(٨١) .

---

(٧٦) صبحي العمري ، لورنس كما عرفته ، ص ١٣٨ - ١٤١ .
يروي العمري قصة هربه من الجيش التركي والتحاقه بالثورة العربية . ويُشير بشيءٍ من التفصيل إلى الصعوبات التي اعترضت طريقه وإلى المخاطر التي اجتازها .
المصدر نفسه ، ص ١٢١ وما بعدها .

(٧٧) فائز الغصين ، مذكراتي عن الثورة العربية ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .
كان الغصين في عداد اللاجئين السياسيين الذين فروا إلى الهند هرباً من بطش جمال باشا وقد شاهد عدداً من اللقاءات التي كان ينظمها الانكليز في أوساط الأسرى العسكريين العرب لتحريضهم ضد الأتراك .

(٧٨) لوتسكي : تاريخ الأقطار العربية الحديث ، ص ٤٥٧ .

(٧٩) يذكر رونالد ستورز أن مجموع نفقات الثورة العربية التي تكبدتها الخزينة البريطانية بلغ ١١ مليوناً من الجنيهات الاسترلينية . . . وبالاضافة إلى المبلغ الذي تسلمه من الخزينة فإن الشريف كان يتسلم كل شهر بدءاً من ٨ آب ١٩١٦ (١٢٥) ألف ليرة استرلينية .
Ronald stors, Orientations, p. 153

(٨٠) أرسلت القيادة البريطانية إلى الشريف حسين حوالي ٢٠٠٠٠ بندقية وبعض المدافع العتيقة .
Jean pichon, **le partage du proche- orient**, p. 112- 113

(٨١) فوزي القاوقجي ، مذكرات ، القسم الأول ، ص ٣١ .

٦ ـ دور لبنان واللبنانيين في الثورة :

عيّن الشريف حسين في رسالته الأولى إلى مكماهون حدود الدولة العربية العتيدة وهي الحدود عينها التي وردت في ميثاق دمشق . ومن المفيد نقلها حرفياً كما وردت في هذه الرسالة . يقول أمير مكة : « على بريطانيا أن تعترف باستقلال البلاد العربية من مرسين ـ أدنة ، حتى الخليج الفارسي شمالاً ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقاً . ومن المحيط الهندي للجزيرة جنوباً يستثنى من ذلك عدن التي تبقى كما هي ومن البحر الأحمر ، والبحر المتوسط حتى سيناء غرباً[٨٢] .

وبهذا التحديد يكون لبنان قد دخل فعلاً في نطاق هذه الدولة وأصبح جزءاً من كيان هذا المولود المنتظر . وقد اعتبر الحسين في رسالته الثانية إلى مكماهون أنها « مطالب شعب يعتقد أن حياته في هذه الحدود » وهو ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافقة بريطانيا أو رفضها هذه الحدود[٨٣] .

وقبل أن يبعث مكماهون برده على رسالة الشريف حسين تسنى للمسؤولين البريطانيين في القاهرة الاطلاع على مدى قوة ونشاط زعماء سوريا ولبنان وذلك بفضل « محمد الشريف الفاروقي » ، أحد الضباط العرب المنتمين إلى جمعية « العهد ».. وكان قد فرّ من الجيش التركي في جبهة غاليبولي[٨٤] . وكانت المعلومات التي حصل عليها الانكليز عن طريق هذا الضابط من العوامل التي ساعدت مكماهون على تفهم سبب إصرار الشريف حسين على التمسك بميثاق دمشق ، وعلى إدراك أهمية تلبية مطالب العرب نظراً لجدية قواهم المنظمة في سوريا وإصرارهم على نيل استقلالهم . ومن هنا تضمنت رسالة مكماهون الثانية ٢٤ تشرين الأول ١٩١٥ تعهدات بريطانيا التاريخية نحو الحركة الوطنية العربية بشأن الاستقلال العربي . ففي هذه الرسالة ذكر مكماهون : « أن مرسين واسكندرونة وبعض الأقسام السورية الواقعة في غرب دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يُقال عنها أنها عربية محضة . فيجب أن تُستثنى من الحدود التي

---

(٨٢) A. Hokayem et M. cl. Bittar **«Docuemnts» l'Empire Ottoman**, p. 3- 4.

(٨٣) Ibidem, p 6- 7

(٨٤) أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص٨٣ .

ذكرتموها . ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على أساس هذه التعديلات على أن لا تنقض شيئاً من اتفاقاتنا مع الزعماء العرب . أما الأراضي التي تستطيع انكلترا العمل فيها بملء الحرية ودون أن توقع ضرراً بحليفتها فرنسا ، فإن لي السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أُعطيكم المواثيق التالية : « أن انكلترا مستعدة ـ على أساس تلك التعديلات ـ أن تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم في الحدود التي اقترحها شريف مكة »(٨٥) .

يبدو واضحاً من تحفظات مكماهون أن الموقف البريطاني تجاه لبنان وبعض المناطق السورية لم يلتقِ مع رغبات الحسين وزعماء العرب في سوريا ولبنان . ويكون بذلك قد أخذ لبنان يخرج من دائرة التحالفات العربية ـ البريطانية ليدخل في دائرة التحالفات البريطانية ـ الفرنسية (اتفاقية سايكس ـ بيكو) التي أوصلته في نهاية المطاف إلى أحضان الإنتداب الفرنسي في مؤتمر سان ريمو(٨٦) .

ويعتقد أن الشريف حسين كان على معرفة بمضمون اتفاقية سايكس ـ بيكو ، التي عُقدت بين فرنسا وبريطانيا وروسيا والتي نصت على تقسيم البلاد العربية بين فرنسا وبريطانيا ، وخصوصاً بعد أن توجه السيدان مارك سايكس وجورج بيكو إلى جدة وأجريا مع الشريف حسين مفاوضات مستفيضة طيلة ثلاثة أيام متتالية ، بشأن هذه الاتفاقية في محاولة لاقناعه بضرورة الموافقة على مضمونها(٨٧) . والشيء الظاهر أن الشريف حسين قد أصرّ على موقفه المعارض بكل تجزئة تطال الأراضي العربية التي شملتها حدود ميثاق دمشق . وهذا ما أكدته الرسالة الثانية (٥ تشرين الثاني ١٩١٥) للشريف حسين إلى مكماهون حيث جاء فيها : « إننا نتنازل عن إصرارنا في ضم مرسين وأدنة إلى المملكة العربية . أما قضية حلب وبيروت وسواحلهما فهي عربية صرفاً وليس هناك فرق بين المسلم العربي والمسيحي العربي ، فكلاهما من نسلٍ واحد »(٨٨) .

---

(٨٥) A. Hokayem et M. cl. Bittar «Docuemnts» **l'Empire Ottoman,** p. 9- 12.

(٨٦) Edmond Rabbath, **l'évolution politique de la Syrie sous mandat,** p. 264- 265.

(٨٧) أسعد داغر : مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص٩٦ ـ ٩٧ .

(٨٨) Hokayem et Bittar: **(Documents) L'Empire Ottoman,** P12- 15

وبالرغم من ذلك فقد استمر التحفظ البريطاني بشأن ولايتي حلب وبيروت ، ففي رسالته الثالثة إلى الحسين (١٤ كانون الأول ١٩١٥) حاول مكماهون إفهام الشريف أن الحكومة البريطانية أدركت مقاصده بشأنها وسجّلت ذلك عندها بعناية ولكنها ارتأت في الوقت نفسه « إرجاء البحث في هذه المسألة للوقت المناسب وذلك بسبب ما لفرنسا من مصالح فيهما »(٨٩) .

أما الحسين الذي كان يرغب في إنهاء المفاوضات بينه وبين مكماهون بشكلٍ يضمن تحالفه مع بريطانيا ، فقد اكتفى في رسالته الجوابية إلى مكماهون (١ كانون الثاني ١٩١٦) بالرد التالي : « عند أول فرصة تضع فيها أوزارها هذه الحرب سنطالبكم بما نغض الطرف عنه اليوم لفرنسا في بيروت وسواحلها ولا أرى لزوماً الآن بأن نحيطكم بما في هذا أيضاً من تأمين المنافع البريطانية وصيانة حقوقها، هو أهم وأكبر ممّا يعود إلينا »(٩٠) .

يظهر جلياً أن المسألة اللبنانية لم تحسم نهائياً وبشكلٍ واضح في مراسلات الحسين - مكماهون . وعلى الرغم من ذلك فقد تابع الحسين تحالفه مع بريطانيا وأعلن الثورة في الحجاز كما ذكرنا سابقاً .

ومن الضروري التذكير هنا أن الثورة في سوريا ولبنان وكذلك التطوع عبرهما كان قد أصبحا أمرين مستحيلين بسبب التدابير الاحترازية التي اتخذها جمال باشا قبل إعلان الثورة وبعدها .

ولكن لا يعني هذا أن اشتراك اللبنانيين بالثورة كان أمراً معدوماً . فقد قام بعض اللبنانيين الهاربين من بطش جمال باشا ، بدور بارز فيها وقدّموا خدمات جلى للحركة العربية في تلك الظروف ، وخصوصاً بعد أن وجّه الحسين دعوة إلى مواطنيه العرب من مسلمين ومسيحيين لمدّ يد العون للثورة العربية التي انطلقت في الحجاز(٩١) . وبالأخص عندما أعلن ملك الحجاز أن سياسة حكومته تقوم على التمسك بالمبادىء التي رسمها لنا السلف مستلهمين أشكال الأنظمة الأوروبية والحضارة الغربية الحديثة ، وبكل ما يجعلنا

(٨٩) Ibidem, p 15- 16

(٩٠) Renée, Neher- Bernheim, **la déclaration Balfour**, p. 136- 137

(٩١) Eugène Jung, **la révolte arabe**, T.II, p. 24

أمة بمستوى الأمم الراقية ، ولهذا فنحن بحاجة إلى مساعدة جميع العرب من مسلمين وغير مسلمين للإستفادة من خبراتها ، وذلك أن تقاليدنا العربية ومبادئنا الدينية لا تمنعان علينا من الانتفاع بخدمات اخواننا من أصحاب الديانات الأخرى الذين يتمتّعون بنفس حقوقنا في ظلّ حكومتنا الجديدة فالجميع متساوون أمام القانون(٩٢) . وكان من بين هؤلاء اسكندر عمون ، رئيس الاتحاد اللبناني في القاهرة سابقاً(٩٣) . والشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الذي ألقى خطاباً في جموع الحجاج ، ندّد فيه بسياسة الاتحاديين الإلحادية والاستسلامية ، التي كانت وبالاً على العرب وعلى الإسلام نفسه ، وأفتى بوجوب الثورة وبضرورة قيامها ، وأثنى على الحسين الذي هبّ لإنقاذ « الحجاز مهد الإسلام ومشرق نوره . . . وإنقاذ غيره مما يمكن إنقاذه من البلاد العربية ليكون ذلك بيّنة لحفظ الاستقلال الإسلامي وعدم زواله بما يخشى ويتوقع أن يحلّ بالدولة العثمانية والعياذ بالله تعالى »(٩٤) .

---

(٩٢) Eugène Jung, **la révolte arabe,** T.II, p. 24

(٩٣) وقد تولى رئاسة الاتحاد بعد ذلك أوغست أديب باشا .
استقلال لبنان والاتحاد اللبناني بالاسكندرية، ص ٥١ .
إن موقف اسكندر عمون لا يعبّر بالضرورة عن موقف « الاتحاد اللبناني واللجان اللبنانية في انحاء العالم . فقد انفرد اسكندر عمون بموقفه المؤيد لحركة الشريف حسين . وتابعت اللجان اللبنانية حركة المطالبة بتوسيع حدود لبنان واستقلاله . أمّا بمساعدة الحلفاء جميعهم (حالة جمعية الاتحاد اللبناني في مصر : راجع ، استقلال لبنان والاتحاد اللبناني بالاسكندرية ص ١١١ - ١١٢) أو بمساعدة ووصاية فرنسا ، (موقف البطريرك الماروني :راجع الأب إبراهيم حرفوش : **دلائل العناية الصمدانية** ، ص ٥٩٨ - ٥٩٩) .
على كل حال أثار موقف اسكندر عمون في حينه ردود فعل مضادة من قبل انصار وأصدقاء فرنسا ، كتب جورج سمنة : « إن السوريين تلقوا باندهاش البيان الذي نشره اللبناني المدعو اسكندر عمون والذي يصرح فيه بأن لبنان لا هدف له سوى الانضمام إلى مملكة الحجاز . . . » بعد التشهير بهذا الموقف يهاجم « جورج سمنة » عمون « ويتهمه بأنه نال ثمن هذا الموقف بأن « أصبح موظفاً لدى الشريف حسين » راجع
Georges Samné, **La Syrie,** p. 513

(٩٥) راجع نص الخطاب الذي ألقاه الشيخ رشيد رضا في اجتماع الحجاج المسلمين في ٩ تشرين الأول ١٩١٦ .
فائز الغصين : **مذكراتي عن الثورة العربية** ، ص ٢١٤ - ٢٢٠ .

والدكتور أمين المعلوف من زحلة الذي كان يشرف على الأمور الصحية في جدة[٩٥] . وفائز الغصين المسيحي اللبناني الذي شغل منصب كاتب الأمير فيصل الخاص[٩٦] . والشيخ فؤاد الخطيب[٩٧] شاعر الثورة العربية الذي قال مخاطباً الحسين :

يا صاحب الهمة الشماء أنت لها　　إن كان غيرك يرضى الأين والسأما
واسمع قصائد ثارت من مكامنها　　إن شئتها شهباً أو شئتها رجما
من شاعرٍ عربيٍّ غير ذي عوج　　قد بارك الله منه النفس والكلما

***

يا آل جنكيز* إن تثقل مظالمكم　　على الشعوب فقد كانت لهم نعما
فالظلم أيقظ منهم كل ذي سنة　　ما كان ينهض لولا أنه ظلما
أرهقتم الشعب ضرباً في مقاتله　　حتى استفاق وسلّ السيف منتقما
فالشنق عن حنقٍ منكم وموجدة　　قد أرهف العزمات الشم والهمما
هيهات يصفح عنكم أو يصافحكم　　حرّ ولو عبد الطاغوت والصنما

***

وكيف أقعد عن ثأر وأندبهم　　ندب العجائز حلس الدار مهتضما
هيهات أكتب منذ اليوم مرثية　　إلا إذا كان حد السيف لي قلما
فمن يكن من أباة الضيم في صمم　　فليسمع اليوم صوتاً يحسم الصمما
فقد تكلم صوت النار مرتفعاً　　من الحجاز فشقّ البيد والأكما

***

يا من ألح علينا في ملامته　　بعض الملام وجرّب مثلنا الألما
لو كان من يسمع الشكوى كصاحبها　　مضنى لما ضجّ بالزعم الذي زعما

***

ايه بني العرب الأحرار إن لكم　　فجراً أطل على الأكوان مبتسما

---

(٩٥) Eugène Jung, la révolte Arabe, T.II . p. 24

(٩٦) صبحي العمري ، لورنس كما عرفته ، ص ١٣٩ .

(٩٧) كان من مواليد بلدة شحيم التابعة لقضاء الشوف في لبنان .

(*) آل جنكيز : يقصد بها الشاعر الاتحاديين وهي التسمية التي اختاروها لأنفسهم ووضعوا فيها الأغاني والأناشيد .

من ذلك البيت من تلك البطاح على | تلك الطريق مشت أجدادكم قدماً
إلى الشآم إلى أرض العراق إلى | أقصى الجزيرة سيروا واحملوا العلما(٩٨)

* * *

بيد أن جهود اللبنانيين الفردية ما لبثت أن تنظمت في مصر في أواخر عام ١٩١٧ في هيئة قومية تعمل لدعم الثورة سياسياً وتحض السوريين واللبنانيين على الالتفاف حولها وتأييدها . وقد قام بالخطوة الأولى كامل القصاب الذي تسلم بعد إعلان الثورة إدارة المعارف الحجازية . ولكن خلافه مع الشريف حسين حول الأنماط التي أراد تطبيقها في هذه الإدارة ، اضطره إلى ترك الحجاز والسفر إلى القاهرة في أواخر ١٩١٧ للعمل هناك في المجال القومي(٩٩) . وهناك لاحظ وجود نشاط كبير يبديه أنصار فرنسا في المحيط السوري ـ اللبناني لإقناع هؤلاء وأولئك بأن مصير بلادهم صار مقرراً ، وأنها ستكون من نصيب فرنسا(١٠٠) . كما لاحظ خلو الميدان من هيئة قومية . . . تتعاون مع الثورة وتدعو لها .

وللوقوف في وجه النشاط الفرنسي ، أُلّفت ، بمبادرة من القصاب ، هيئة قومية ضمت الدكتور عبد الرحمن الشهبندر والسيد محمد رشيد رضا ورفيق العظم وأحمد مختار الصلح وحسن حمادة المحامي وغيرهم جعلت شعارها : « تأييد الثورة العربية ومقاومة الاستعمار الفرنسي »(١٠١) .

وحاولت هذه الهيئة ، بعد أخذ موافقة الأمير فيصل ، إيفاد وفد إلى أوروبا وأميركا ليقوم بدور دعائي للثورة العربية . وتشكّل الوفد فعلاً برئاسة اسكندر عمون ـ المسيحي اللبناني ـ وكانت مهمته طرح القضية العربية على الرأي العام الأوروبي والأميركي .

ولكن قيام بعض المشتغلين في القضية العربية ، بتوجيه رسائل إلى الشريف

---

(٩٨) فائز الغصين : مذكراتي عن الثورة العربية ، ص ١٨٨ ـ ١٩١ .
(٩٩) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٥ ـ ٢٣٧ .
(١٠٠) استقلال لبنان والاتحاد اللبناني بالاسكندري ، ص ٢٠ ـ ٢٣ .
(١٠١) أمين سعيد : أسرارالثورة العربية الكبرى ، ص ٢٣٧ .

حسين يعلنون فيها أن فيصلاً يريد أن يستقل عنه في سوريا ، وإنه يستخدم الوفد لبث الدعوى لشخصه في أوروبا وأميركا ، كان كافياً لإقناع الشريف بمعارضة الوفد ومن ثم إحباط المهمة والتوقف عن السفر(١٠٢) . وصادف في تلك الأثناء نشوب خلاف بين الضباط السوريين والضباط العراقيين الذين كانوا يشكلون الأكثرية في الجيش العربي حول مسألة القيادة(١٠٣) . فكان ذلك عاملاً جديداً يضاف إلى العوامل السابقة التي دفعت السوريين واللبنانيين ما بين آذار - نيسان ١٩١٨ إلى طرح قضية بلادهم بمعزل عن حركة الشريف حسين في الحجاز . وبناء عليه دعا القصاب وإخوانه السوريون في القاهرة إلى إجتماع عام درسوا فيه الموقف ووافقوا على إنشاء حزب سياسي سوري . . . ووقع الاختيار على السيد ميشال لطف الله من أعيان السوريين المسيحيين رئيساً للحزب الجديد والسيد رشيد رضا وكيلاً للحزب ، والسيد سليم سركيس ، صحافي سوري سكرتيراً له . وتألّفت اللجنة الإدارية كما يلي : رفيق العظم وكامل القصاب والدكتور عبد الرحمن الشهبندر والدكتور خليل مشاقة والمحامون اسكندر عمون ووهبة العيسى وحسن حمادة أعضاء(١٠٤) .

أما المبادىء العامة للحزب فكانت على الشكل التالي :

١) - العمل على استقلال سوريا بوحدتها الطبيعية والقومية (سوريا ، لبنان ، فلسطين ، شرق الأردن) بضمانة جامعة الأمم .

٢) - تُرسم حدود سوريا كما يلي : جبال طوروس شمالاً ، ونهر الخابور والفرات شرقاً ، والصحراء فمداين صالح جنوباً ، والبحر الأحمر فخليج العقبة ورفح فالبحر المتوسط غرباً .

٣) - يكون الحكم فيها على مبدأ اللامركزية ويكون أساس قوانينها وأحكامها مدنياً ما عدا الأحوال الشخصية فإنها تبقى كما هي .

٤) - وأن يكون دستورها على مبدأ اللامركزية ضامناً لحقوق الأقليات(١٠٥) .

---

(١٠٢) أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص٩٤ .

(١٠٣) أسعد داغر ، مذكراتي على هامش القضية العربية ، ص٩١ .

(١٠٤) أمين سعيد : أسرار الثورة العربية الكبرى ، ص ٢٤٢ .

(١٠٥) المرجع نفسه ، ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .

وقد بدأ الحزب السوري نشاطه بتقديم بيان بمطالبه إلى المندوب البريطاني في مصر فجاءه الرد من الحكومة البريطانية في ١٦ حزيران ١٩١٨ حاملاً العبارات التالية : « إن حكومة جلالة الملك ترغب في أن تكون عامة الشعوب التي تتكلم اللغة العربية منقذة من السلطة التركية وأن تعيش فيما بعد وعليها الحكومة العربية التي ترغب فيه »(١٠٦) .

ثم أرسل المسؤولون البريطانيون رد حكومتهم إلى الشريف حسين لأخذ موافقته عليه ، وأرسل القصاب نسخة عنه إلى الأمير فيصل لكن لا الحسين رد على الإنكليز ولا فيصل رد على القصاب(١٠٧) .

وهكذا اختلفت الاتجاهات والآراء السياسية حول شكل وتنظيم دولة المستقبل الوطنية فبعضهم كان ينتظر الخلاص من جهة الحجاز وبعضهم الآخر كان يحلم بدولة سورية ديمقراطية مستقلة وفريق كان يمني النفس بقيام دولة سورية أو لبنانية تحت الحماية الفرنسية . ولكن لا هذه الفئة ولا تلك ولا غيرها أخذت بعين الاعتبار مطامع الدول الاستعمارية وتوازناتها في ما بينها وفّق صيغ أبعد ما تكون عن التمنيات والوعود ذلك أن مطامع هذه الدول كانت هي العامل الحاسم في رسم الحدود ووضع الأنظمة للشعوب الضعيفة ، فمصالحها وحدها هي التي أخذت بعين الاعتبار في الحلول النهائية لمؤتمر الصلح .

---

(١٠٦) المرجع نفسه ، ص ٢٤٥ .

(١٠٧) المرجع نفسه ، ص ٢٤٦ .

الخاتمة

مرت الدولة العثمانية خلال العشرة سنوات الأخيرة من عمرها (١٩٠٨ - ١٩١٨) في مرحلة تتميز بالتغير والتحول. فقد جاءت الأحداث متسارعة لتزيدها ضعفاً على ضعف، ولتضعها أمام مخاطر جسام، عجزت مؤسساتها العسكرية والسياسية والاقتصادية عن مجابهتها، مما أدّى بها لأن تسير نحو الانهيار والتفكك، ومن ثم الانكفاء عن مساحة كبيرة من الأرض، حتى انحصرت، في نهاية المطاف، ضمن حدود الجمهورية التركية الحالية.

وكان أبرز هذه الأحداث وأهمها خلال هذه الحقبة:

١ ـ فوز جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ وتطبيق دستور ١٨٧٦.

٢ ـ الحرب العالمية الأولى واشتراك تركيا فيها إلى جانب المانيا والنمسا.

وقد كان للحدث الأول ظروف وأسباب كثيرة، داخلية وخارجية. ففي الداخل كان سلاطين القرن الأخير من تاريخ العثمانيين، يعيشون على أمجاد أسلافهم، إذ انزووا في قصورهم غير عابئين بما وصل إليه العلم من تقدم في أوروبا. في حين كان الشعب، الذي أخذ يصحو من كبوته بفعل التيارات الفكرية الجديدة التي كانت تهب من هنا وهناك، يتطلع بكثيرٍ من الألم نحو مؤسساته التي أفسدتها الرشوة وتحكّمت برجالها المحسوبيات وسوء التدبير. فحاول الشعب إصلاحها لتواكب ركب التقدم العلمي والثورة الصناعية التي قامت في الغرب.

وقد لمس زعماء جمعية الاتحاد والترقي حقيقة ما يجري في البلاد، فراحوا يعملون لقلب النظام، ولفرض دستور ١٨٧٦ الذي كان على نسق الدساتير الأوروبية الغربية

وفي الخارج كانت الدول الأوروبية تشد أزر الاتحاديين وتدعم حركاتهم . وإرضاء لهذه الدول وتحت ضغط الثورة الداخلية أصدر السلطان عبد الحميد الثاني إرادته السنية بإعلان الدستور عام ١٩٠٨ .

وأمام هذه الثورة التي هزت أركان السلطنة العثمانية وقلبت الأوضاع فيها رأساً على عقب ، وقفت جمعية الاتحاد والترقي لترسم للدولة سياستها وتضع مفاهيمها القومية . وبالرغم من أن هذه الثورة قد قيّدت حكم السلاطين بدستور وضعي ونفحت في البلاد روحاً قومية جديدة . هي القومية الطورانية المتزمتة ، ووضعت الشعب في أجواء الاصلاحات ، فإن الاتحاديين الذين اعتمدوا سياسة مركزية عنصرية صارمة قد أوقعوا البلاد في خضم الصراعات القومية ووضعوا العلاقات العربية ـ التركية في مأزق حرج ، وبخاصة العلاقات اللبنانية ـ التركية منها ، حيث أخذ الحكام الجدد يتدخلون في شؤون اللبنانيين الداخلية وراحوا يعملون للقضاء على امتيازات جبل لبنان بفرض أحكام الدستور العثماني على شعبه المتمسك باستقلاله الإداري .

فانبرى اللبنانيون يقاومون هذه السياسة بكل الوسائل المتاحة لديهم وتعاونوا مع إخوانهم السوريين في هذا السبيل ، فأسسوا الجمعيات والأحزاب السياسية لتتضافر القوى والجهود ولتتوحد المرامي والأهداف كالجمعية « القحطانية » التي تأسست في استامبول ، و« الجمعية الاصلاحية » في بيروت ، و« الجمعية اللبنانية » في باريس ونيويورك وبيروت ، وجمعية « الاتحاد اللبناني » في القاهرة والاسكندرية وكندا ، كما هو مفصّل في سياق هذه الدراسة .

ومن برامج هذه الجمعيات ترتسم أمام الباحث حقائق واضحة : أهمها إصلاح مؤسسات السلطنة العثمانية والوقوف في وجه سياسة التتريك التي اعتمدها الاتحاديون في الحكم ، ثم اشتراك جميع القوميات في الدولة العثمانية ومنها العربية في إدارة شؤونها ورسم سياستها . ثم إعطاء الولايات العربية استقلالها الإداري والمحافظة على استقلال جبل لبنان الداخلي وعدم المس بامتيازات حرص اللبنانيون ، خلال هذه الفترة ، على التمسك بها والدفاع عنها .

وعندما اشتعلت الحرب العالمية الأولى التي كانت من أبرز أسبابها الصراع بين الدول الكبرى على اقتسام مناطق النفوذ في العالم ، وقع جبل لبنان تحت حكم جمال باشا

المباشر فقضى على نظام المتصرفية وعلى امتيازات اللبنانيين .

وفي هذه الحرب التي استمرت أربع سنوات متتالية تعرّض اللبنانيون لمجاعة قاسية أودت بحياة عددٍ كبير منهم .

لهذه الأسباب جميعها بدأ اللبنانيون مع اخوانهم السوريين يبحثون عن الخلاص ويعدّون العدة للثورة على الأتراك ، فتعاونوا مع الشريف حسين والحلفاء الذين وجهوا ضربة قاسمة إلى تركيا أدّت ، في نهاية الأمر إلى اقتسامها بين الحلفاء المنتصرين ، فكان لبنان وسوريا من نصيب فرنسا .

ولقد كان نظام متصرفية جبل لبنان النواة لدولة لبنان الكبير فيما بعد ، فهذه التجربة في جميع أبعادها السياسية والإدارية والمالية والقضائية ، يمكن القول أنها كانت الركيزة لمؤسسات الجمهورية اللبنانية الحالية . ففي هذه الحقبة عرف لبنان مؤسسات سياسية وإدارية واقتصادية وعسكرية خاصة باللبنانيين .

فالمتصرف الذي كان يُعيّن من المسيحيين العثمانيين ، كان يستقلّ في إدارة شؤون الجبل ويحفظ الأمن والنظام ويجبي الضرائب ويعين القضاة وسائر الموظفين ويعزلهم ، وينفّذ قرارات المحاكم إلا ما تعلق منها بعقوبة الإعدام .

وكان مجلس الإدارة يساعد الحاكم في توزيع التكاليف والتدقيق في واردات الجبل ونفقاته ، وفي تقديم المشورة له في القضايا التي يعرضها عليه .

أما أعضاء مجلس الإدارة فكانوا ينتخبون على أساس الأكثرية الطائفية في كل قضاء .

وكان تعيين الموظفين يخضع للمعيار الطائفي أيضاً . فقائمقام القضاء والمدير في الناحية كانا على مذهب أكثرية سكانها . وهكذا بالنسبة لسائر الموظفين في المركز والملحقات . ولم يخرج قادة الجند اللبناني وتشكيل المحاكم عن هذه القاعدة .

وقد جعل ذلك من الطائفية ركناً من أركان لبنان السياسية في الماضي والحاضر . وطابعاً يميز مؤسساته في عهدي المتصرفية والجمهورية اللبنانية الحالية .

ومع اعترافنا بأهمية التجربة الطائفية في تاريخنا الحديث والمعاصر ، إلّا أنه لا بدّ

من القول بأن الطائفية كان لها نتائج سلبية ، فقد باعدت بين اللبنانيين، وزادت في حدّة الصراعات المحلية التي قامت في لبنان وخصوصاً ثورة ١٩٥٨ وأحداث ١٩٧٥ - ١٩٧٦ .

على كل حال فإن تجربة المتصرفية بحسناتها وسيئاتها كانت مثالاً يُحتذى في مختلف أنحاء الدولة العثمانية إذ طالبت بعض ولايات هذه الدولة أن يعاملوا أسوة بما عومل به اللبنانيون .

هذه هي أهم مظاهر الحقبة موضوع الدراسة . وقد جهدت أن أصل إلى الغاية التي وضعتها نصب عيني . وهي الكشف عن أبعاد التاريخ اللبناني في المرحلة الأخيرة لمتصرفية جبل لبنان . ومن ثم دراسة العلاقات العربية - التركية بما يخدم الهدف الأسمى ، وذلك عن طريق الاستعانة بوثائق جديدة ، أجنبية ومحلية ، ومصادر ومراجع يمكن الركون إليها والاعتماد عليها . وأرجو أن أكون قد وفقت لما فيه خير العباد والبلاد .

الملاحق

ملحق رقم ١

منشور جمعية بيروت السرّية الذي علّق على الجدران في مدينة طرابلس . في ٣١ كانون الأول ١٨٨٠ .

وقد أرسل M. Sienkiewices ، قنصل فرنسا العام في بيروت آنذاك ، نسخة منه ، بعد ترجمتها ، إلى M. Bartherlemy- Saint- Hilaire وزير الشئون الخارجية الفرنسية[١] . وها نحن نثبت هذا المنشور في باب الملاحق بعد ترجمة نصّه حرفياً من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية .

(١) Adel Isma'il Documents, t14, p275- 276.

ترجمة المنشور الذي عُلق على جدران مدينة طرابلس

في ٣١ كانون الأول ١٨٨٠ مع صورة سيف

أيها المواطنون ،

إنكم تعرفون وقاحة الأتراك وطغيانهم وطبعهم الاجتماعي كما تعرفون أن حفنة من رجال هذا العرق تسيطر عليكم وتخضعكم لنيرها وتستبيح وجودكم وأرزاقكم . لقد سلبوا جميع حقوقكم وحطموا كرامتكم ولم يحترموا كتبكم المقدّسة . وقد وضعوا أنظمة تحكم على لغتكم الشريفة بالنسيان . ويستخدمون جميع الوسائل ليفرّقوا بينكم ويضعفوا قواكم ، إنهم يغتصبون ثمرة أتعابكم ويحرمونكم من حرية التنقّل في بلادكم وحرية التصرّف بأملاككم . وأخيراً لقد سدوا عليكم كل سبل التقدم ، إنهم يشتمونكم ويذلونكم ويعاملونكم كالعبيد كما لو لم تكونوا بشراً .

ولكن ، تذكّروا أنكم كنتم الأسياد ، وأنكم أنجبتم رجالاً لامعين في كل فروع المعرفة والنشاط الإنساني ، وأنكم أنشأتم المدارس وعمّرتم البلاد وقمتم بفتوحات واسعة ، وأن على أسس لغتكم شيّدت الخلافة التي سلبكم الأتراك إياها .

أنظروا حولكم وشاهدوا كيف يتعرّض مواطنيكم للموت وإلى أية معاملة يخضعون ، وأنظروا إلى حال أوقافكم ، تأملوا هذه الأراضي الشاسعة التي أضحت صحاري . ويجب أن تفكروا بالوسائل الكفيلة بتخليص بلادكم من الدمار . فإلى الأمام على درب تحطيم النير والتحرير ، واعلموا أن الساعة التي فيها تُستعاد حقوقنا قد أزفت . فلنتحرك من جمودنا ، فلنتوحد ولنمش على ضوء الحقيقة والعدالة ، وتشجعوا مثل إخوانكم الذين أقسموا ألا يتراجعوا قبل تحقيق هدف تحرير الوطن من أيدي

المغتصبين أو أن نضحي بحياتنا الغالية على مذبح الحرية . وإذا كان هناك تضحية تتّسم بالقدسية فهذه هي التضحية .

والآن ، وبعد المداولة قرّرت اللجنة التنفيذية ما يلي قبل اللجوء إلى تحكيم السيف . فإذا حصلتم على ما يحقق أمانيكم فإننا سنهتم بتنظيمكم وإلا سوف ندع الأقاويل جانباً والآهات والمطالب العقيمة وسنحتّكم إلى رؤوس الرماح .

وإليكم ما عزمت الهيئة التنفيذية على المطالبة به :

١ ـ استقلال يشمل جميع إخواننا اللبنانيين ويضمن مصالح الوطن وسعادة الشعب .

٢ ـ استخدام اللغة العربية كلغة رسمية ، والحرية الكاملة للفكر والصحافة : من مؤلفات وصحف ومنشورات من كل الأنواع ، ثم حرية العمل وفقاً لمتطلبات التقدم والحضارة .

٣ ـ استخدام جنودنا فقط لخدمة الوطن ، لتحريرهم من استعباد الأتراك .

حول هذه النقاط ونقاط أخرى سنثبت في الوقت المناسب حقّنا في امتيازاتنا وفي تعديلات نناقشها في حينه .

Annexe à la dépêche n° 51 du 15 janvier 1881

TRADUCTION DU PLACARD TROUVÉ AFFICHÉ SUR LES MURS DE TRIPOLI, LE 31 DÉCEMBRE 1880, AVEC IMAGE D'UN SABRE.

Compatriotes,

Vous connaissez l'insolence des Turcs, leur tyrannie, leur caractère insociable; vous savez qu'une poignée d'hommes de cette race vous domine, vous assujettit à son joug et fait bon marché de vos existences et de vos biens. Ils ont confisqué tous vos droits, détruit votre honneur et le respect dû à vos Livres (croyances). Ils ont créé des règlements qui condamnent votre noble langue à l'oubli, et ils emploient tous les moyens pour vous désunir et affaiblir vos forces. Ils usurpent le fruit de vos fatigues, vous privent de la libre circulation dans votre pays et de la libre disposition de vos biens. Enfin, ils vous ont fermé toutes les voies du progrès, ils vous insultent, vous asservissent et vous traitent en esclaves comme si vous n'étiez pas des hommes.

Mais, à votre tour, souvenez-vous que vous avez été les maîtres: que vous avez produit des hommes illustres dans toutes les branches des connaissances et de l'activité humaines; que vous avez relevé les écoles, peuplé le pays, fait de vastes conquêtes et que c'est sur les bases de votre langue qu'a été édifié le Khalifat dont les Turcs vous ont ensuite dépouillé.

Regardez autour de vous. Voyez comment vos compatriotes sont exposés à la mort et quels traitements on leur fait subir;

voyez de quelle manière sont vos wakoufs; contemplez ces immenses terrains devenus déserts.

Il faut songer aux moyens de relever votre pays des ruines. En avant pour briser le joug et nous émanciper. Apprenez que les temps sont venus où nous devons reprendre nos droits! Secouons notre torpeur. Unissons-nous et marchons à la lumière de la vérité et de la justice.

Enhardissez-vous à l'exemple de vos frères qui ont juré de ne pas reculer avant d'atteindre le but qu'ils poursuivent de délivrer la patrie des mains des usurpateurs ou de sacrifier des existences précieuses sur l'autel de la liberté. Offrande pour un sacrifice sacré s'il en fût.

Et maintenant, après délibération, le comité exécutif a décidé ce qui suit avant de recourir à l'arbitrage de l'épée. Si vous obtenez qu'on se rende à vos vœux, nous nous occuperons de votre organisation, sinon, nous laisserons de côté les paroles, les regrets, les réclamations stériles et nous ferons valoir nos réclamations à la pointe de l'épée.

Voici les chefs que le comité exécutif a décidé de demander:

1°– Indépendance en commun avec nos frères Libanais; nous garantissant les intérêts de la patrie et le bonheur du peuple.

2° – L'emploi de l'arabe comme langue officielle. Liberté complète de la pensée et de la presse: ouvrages, journaux, publications de toute sorte. Liberté d'action enfin, suivant les besoins du progrès et de la civilisation.

3° – Emploi de nos soldats au seul service de la patrie pour les soustraire à la servitude des Turcs.

Sur ces points et sur d'autres, nous aurons encore à faire valoir des privilèges et des remaniements que nous nous réservons de discuter à temps.

(suivent quelques beaux vers résumant les idées et les appels contenus dans ce placard)

ملحق رقم ٢

الفرمان السلطاني
بتعيين يوسف فرنكو باشا متصرفاً على الجبل
« نموذج لتعيين المتصرفين »

(*) الاقبال ، عدد ٢٠٨ ، ٥ آب ١٩٠٧ .

صورة

الفرمان السلطاني العالي الشان

المؤذن بتفويض متصرفية جبل لبنان لعهدة دولتلو

يوسف فرنقو باشا

الدستور المكرم والمشير المفخم نظام العالم مدبر امور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأى الصائب الممهد بنيان الدولة والاقبال المشيد اركان السعادة والاجلال المحفوف بصنوف عواطف الملك الاعلى ومن اعاظم رجال دولتى العلية مدير القلم المخصوص بنظارة خارجيتي المحسن لعهدة استيهاله برتبة الوزارة السامية والموجهة اليه متصرفية جبل لبنان الحائز والحامل نيشاني العثماني والمجيدي ذوي الشان من الرتبة الاولى وزيري يوسف فرنقو باشا ادام الله تعالى اجلاله · انه لدى وصول توقيعى هذا الهمايوني الرفيع فليكن معلوماً انه لما كان بالنظر لوقوع وفاة مظفر باشا متصرف جبل لبنان قد وجد مستلزماً تعيين بدل منه وكان كما هو مستغن عن البيان ان اقدم افكار ملوكانيتى العادلة استحصال واستكمال اسباب امنية جميع صنوف تبعتي السلطانية المودعة لذات خلافتي الشاهانية من قبل العزة الالهية وكان

مطلوباً وملتزماً لدى سلطنتي مضاعفة حصول عمران الجبل المذكور ايضاً وتزييد ثروة وسعادة اهاليه وكان مأمولا منك انت انت ايها المشار اليه ظهور الخدمات الحسنة الموافقة لرضاى الملوكاني العادل والمطابقة لقوانين العداية المؤسسة ونظامات دولتنا العليـة وذلك بمقتضى ما انت متصف به من الدراية واللياقة وكانت توجهات مكارمنا السلطانية هي ظاهرة ومشمولة بحقك قد وجه واحسن لعهدة درايتك في اليوم الثامن والعشرين من شهر جمادى الاولى لسنة ثلاثمائة وخمس وعشرين برتبة الوزارة السامية مع تفويض واحالة متصرفية جبل لبنان بموجب امرى السلطاني المقرون بالعنـاية الذى صار شرف صدوره من عواطف شاهانيتى السنيه وعوارف سلطنتى الجليلة وبناء عليه اصدر امري هـذا الجليل القدر المتضمن مأموريتك من ديواني الهمايوني فـانت ايضاً بمقتضى درايتك ومأموريتك يجب في حال وصولك الى محل مأموريتك تجتهد بوقاية نظامات دولتنا العلية الموضوعة للجبل المذكور من الخلل مع حسن ادارة الاهالى المتوطنين فيه تطبيقاً لاحكام النظامات المذكورة وباستحصال اسباب رفاهيتهم وامنيتهم على كل حـال وتستجلب من افـواه جميعهم الدعوات الخيرية لجانب سلطنتي الاشرف والحاصل ان تصرف ما في وسعك وطاقتك بامر ضبط وربط البلاد وتأمين الراحة واستراحة الاهالى مظهراً الاحوال والاثار المقبولة الموجبة لرضاى السلطانى المقرون بالسعادة والمستوجبة لتمارس مأموريتك وتثابر حيناً بعد حين على تحرير واشعار المواد اللازم الانهاء بشأنها لباب ملوكانيتي مقر العدالة تحريراً في اليوم الثاني من شهر جمادى الاخرى لسنة خمس وعشرين وثلاثمائة والف

اهـ نقلا عن الترجمة الرسمية

ملحق رقم ٣

بيان جمعية الإتحاد والترقي
إلى السلطان ووالي مناستر والمفتش العام في الروملي
بضرورة إعادة الدستور
في ٢٠ حزيران ٣٢٤

(*) أحمد نيازي ، خواطر نيازي ، ص ٨٣ - ٨٥ .

صورة البيان متقدمة بحسب ترتيبها

سلم الى باشكتابة المابين الهمايونى الى التفتيش العام بروم ايلى الى ولاية منلستر

٢٠ حزيران سنة ٣٢٤ يوم الجمعة

الافكار العامة متجهة الى اعادة القانون الاساسي، المظالم التي وقعت في ارضروم

تلك الامة ، وربما شاقها وشجعتها . والامة مستعدة لخدمة الذات السلطانية وهي تعاتبه على ما سلف من السيئات . والمقصد الاصلى هو تأسيس صورة ادارة بعد لا تشبه الدول المتمدنية وان نقي من التقسيم الذى وقع فيه منذ ثلاثين عاما ، وطننا المقدس الذى يعادل كل جزء من أجزائه قطرة من دمائنا ، ورفع التشتيت الفكري الذى باتت فيه الامة وأحكام الاساس لآتينا الذى لايزال يرى مرتبكا ومظلما . وبينا يعمل كل الناس على انجازهذا المقصد فى سكون وسكوت ، تهافت على سلانيك جماعة من الجواسيس وأخذوا في استحضار مايخل بالامن . ولما كان تغاضي عن هؤلاء رضاء بتفاقم الخطب على الامة تجاه الاغيار ، نظرت الامة في أمرهم . ومن هذا القبيل شرعت اليوم (رسنه) في العمل بمائتي فدائى مسلمين ببنادق ماوزر) . وقد قام الآن ثلاث عصابات من عناصر متعددة بأمرة ضباط مختلفين. ومقصدنا تأديب الجواسيس الخائنين الذين يجلبون العار للجيش ولاصدقاء الوطن . فما لم يسافر الثلاثة او الاربعة باشاوات من الجواسيس ، الذين أتوا الى سلانيك ومن كان على شاكلتهم ممن قيدت أسماؤهم في الدفتر الخاص ولم يندفعوا بالقطار المعد لهم ، فأهل الشرف في كل جهة سيشتركون معنا في نهضتنا . نحن نريد ان ينفذ القانون الاساسي هذا اليوم . فان كانت الحكومة لا تهبه فالامة تأخذه عنوة . واجتماعنا هو من أجل ذلك ثم لنيل حريتنا واظهارا للقوة وسيرى هذا عن قريب . فان كان لا يوافق الحكومة ولا الامة فتح باب لوقائع مؤلمة ، فعليها ان تدفع الاشخاص المفسدين المتقدم ذكرهم وان تبادر الى افتتاح مجلس المبعوثين . والجمعية المدهشة المطالبة اليوم بذلك تضمن اتم الضمان بقاء الذات الشاهانية وحفظها في مقام شرفها الباهر ، واذا لم يكن ذلك فالاثم على أولى الامر .

ملحق رقم ٤

فرمان السلطان عبد الحميد الثاني
بمنح الدستور إلى المواطنين العثمانيين عام ١٩٠٨

(*) الاقبال ، عدد ٢٦١ ، ٣ آب ١٩٠٨ .

ت بعض
احتجاجاً
س رسالة
سا في
وسية
لا انهُ قد
كيا عن
ويل على
الحكومة
تأويلاً
ج تجتاز
تحدث
سا كنا
الوطنيين
وغيره
إه ووقوا

... من سنة ...

الاجانب في خطر فتقع تبعة هذه الحوادث على الدول المتداخلة

الخط الهمايوني

صورة الفرمان السلطاني المخاطب به سعيد باشا يوم منح الدستور للرعية العثمانية نقلاً عن جريدة «غزته» التي تنشر في دار السعاده

ان من اللازم قيام الافراد التي تشكل دولتنا بصيانة حقوقهم تماما ومن احكام القوانين الطبيعيه والموضوعة شمول العدالة على طريق المساواة في الحقوق بلا فرق بين فرد وآخر او صنف من الرعيه وغيره الا انه خلافا لمقصدنا طرأ الضعف على هذه الاحكام في بعض المحال منذ مدة وكذلك لوظائف العائدة لادارة دولتنا العموميه ولجميع شعبات الادارة وان كانت معينه بالنظامات المخصوصه لم تجر مراعاة بعضها بصورة حسنه وذلك داع للمضرات فاقتضى تأييد الاحكام المتعلقه بالحقوق العموميه ووظائف الحكومه واتمام بعض النواقص المحقق وجودها في كلا الامرين «بهذه المواد»

اولاً كل فرد من التبعة مالك الحرية الشخصية ويتساو في حقوق المملكة وتكاليفها من اي قوم كان وفي اي مذهب ذهب

ثانياً لا يجازى احد بالاستنطاق والتوقيف والحبس وغير ذلك فيما عدا الاحوال التي نص عليها القانون

ثالثاً لاتشكل محاكم ومجالس فوق العادة باي صفة وباي اسم كان ولا يجلب احد لغير دائرة الاستنطاق والمحكمة

المرعيتين قانوناً ·

رابعاً تصان دار كل فرد من التعرض فلا يجوز دخولها ولا ترصدها بصورة غير التي عينها القانون ·

خامساً لا يجوز لمأموري الضابطة او غيرهم باي اسم كانوا ان يعقبوا احداً من الناس فيما عدا الاصول المعينة قانوناً·

سادساً يسوغ لافراد التبعه السفرلاي محل شاؤا بقصد التجارة او السياحة ويحق لهم الاختلاط والاجتماع مع من احبوا

سابعاً لا تعرض المطبوعات لمعاينة الحكومه قبل الطبع ولا توقف المكاتيب الشخصية او المطبوعات الموقوته في ادارة البريد · وتنظر تهم المطبوعات في المحاكم العادية

ثامناً التعليم والتدريس حر ·

تاسعاً لا يجوز تعيين احد للمامورية بدون رضاه الا صنوف العسكريه · والمأمورون مجبورون على اتباع الاوامر التي تعطى لهم مخالفة للقوانين ويختارون في الاستعفاء اي وقت شاؤا ولذلك يكونون مسئولين في جميع الامور التي يعملونها·

عاشراً ينتخب الصدر الاعظم الوكلاء ما عدا شيخ الاسلام وناظري البحرية والحربية ويعرضها على تصديقنا · وينتخب ايضاً سفراء الدول بانضمام رأي ناظر الخارجية والولاة بانضمام رأي ناظر الداخليه واعضاء شورى الدولة بانضمام رأى رئيسها· ويكون انتخاب جميع المامورين في النظارات والولايات وتبديلهم عند الحاجه ومنحهم الرتب الوسامات وسائر انواع المكافاة بتصويب رئيس الادارة وانضمام رأي الصدارة ·

حادى عشر كل مأمور يراجع من فوقه شفاهاً او تحريراً ولا تجوز مراجعة لغير مرجعه كما ان كل آمر من دونه ولا يسوغ اعطاء امر شفاهاً او تحريراً لمأمور غير مرجعه ولا مفاوضته

ثاني عشر اذا وجد خطأ في انتخاب وتبديل مأموري الدولة فاصلاح الخطأ مع بيان اسبابه من وظائف الصدارة وكذلك اذا ظهر من المأمورين عدم اقتدار في وظائفهم او

تحريراً ولا تجوز مراجعة لغير مرجعه كما ان كل آمر من دونه ولا يسوغ اعطاء امر شفاهاً او تحريراً لمأمور غير مرجعه ولا مفاوضته

ثاني عشر اذا وجد خطأ في انتخاب وتبديل مأموري الدولة فاصلاح الخطأ مع بيان اسبابه من وظائف الصدارة وكذلك اذا ظهر من المأمورين عدم اقتدار في وظائفهم او
سوء حركة فالنظارة ان تتخذ التدابير لاجل تبديلهم عند الحاجة من وظائف الصدارة ايضاً

ثالث عشر يقتضي اعلان موازنة واردات الدولة ومصاريفها العادية وغير العادية بعينها مطلقاً في اول كل سنة مالية وتعلن موازنة كل ولاية ودائرة مع الموازنة العمومية ايضاً

رابع عشر لاجل النظر في القوانين والنظامات المختلفة المبينة كيفية تشكيل النظارات والولايات ووظائفهم وتعديل تلك القوانين حسب الاحتياجات الحاضرة تنظيم لوائح النظامات لتعطي لمجلس المبعوثان الذي سينعقد قريباً

خامس عشر لما كان اعظم اسباب قوة الدولة هي القوة العسكرية السلطانيه الزمنا ترقية العسكرية وتكميل الاسلحة وسائر التجهيزات واصدرنا الاوامر المخصوصة بذلك لنظارة الحربيه · فنطلب منكم تشكيل الوزارة الجديدة وعرضها علينا وسعيكم متحدين مع رفقائكم لاجراء المواد المشروحة والنظر في مصالح الدولة في ٤ رجب سنة ١٣٢٦

❊ التوقيع السلطاني ❊

وقد اعترضت رصيفتنا جريدة (طنين) على بعض ماجاء في هذا الخط قائلة مامؤداه

اذا عينت الحضرة السلطانية ناظري البحرية والحربية فان رئيس الوكلاء بالطبع لايكون مسئولاً عن اجرآتهما في مستقبل وظيفتهما ولا عن اخلاقهما في ماضيهما فاذا سرق ناظر البحرية · او اطعم العسكرية ممنامنتنا

ملحق رقم ٥

البرنامج السياسي
لجمعية الإتحاد والترقّي

(*) المنار، م١١، ج٨، ص٦٣٨ - ٦٤٠.

—٣٥٣—

البرنامج السياسي

﴿ لجمعية الاتحاد والترقي ﴾

نشرت جرائد الاستانة هذا البرنامج ليكون محورا تدور عليه سياسة الدولة فأحببنا نقله عنها لقراء المنار وهذه ترجمته بالحرف :

١ — جعل الوزارة مسئولة بصورة مطلقة أمام مجلس المبعوثان وعلى ذلك تعد الوزارة مستقيلة اذا لم تحز اكثر الأصوات في المجلس

٢ — لا يكون مجلس الاعيان (الشيوخ) مقيداً بالمادة ٦٢ ولا يزيد عدد اعضائه عن ثلث اعضاء مجلس المبعوثان ويعين السلطان ثلث اعضائه وتنتخب الامة ثلثيه لمدة معينة

٣ — سيطلب ان يكون لكل من بلغ سن العشرين من الذكور حق الانتخاب للدرجة الاولى سواء أ كان من أصحاب الاملاك أو لم يكن بشرط ان يكون من تبعة الدولة ماعدا الذين سقطوا من الحقوق المدنية فليس لهم هذا الحق

٤ — سيطلب اضافة مادة صريحة صراحة تامة للقانون الاساسي تبيح الحرية في انشاء جمعيات سياسية بشرط ان تراعي في ذلك المادة الاولى من القانون الاساسي

٥ — سيطلب وضع قوانين خاصة لوجوب تنفيذ قانون توسيع السلطة الادارية في الولايات الوارد ذكرها في المادة ١٠٨ من القانون الاساسي بشرط ان لاتحل الرابطة الموجودة الآن في ادارة الولايات

٦ — يتوقف تعديل وتبديل التقسيمات الادارية في الولايات الآن على رأي مجلس المبعوثان وإنما يجب الاسراع في بعض التعديلات من حيث قرب القرى والنواحي أو بعدها باعتبار مواقعها مما يسهل ادارة الامور

٧ — ان لغة الدولة هي التركية وستكون جميع مخابرات الحكومة بهذه اللغة

٨ — أن يكون لمجلس المبعوثان حق وضع القوانين من غير قيد بشرط أن يطلب ذلك عشرة من اعضاء المجلس على الاقل

٩ — كل شخص له أن يتمتع بالحرية التامة والمساواة مع كل الرعايا بصرف النظر عن جنسه ومذهبه وهو مكلف بما يكلف به كل عثماني بصرف النظر عن جنسه ومذهبه . وبما ان كل الرعايا العثمانيين متساوون أمام القانون ولهم الحق في وظائف الحكومة فكل فرد تتوفر فيه شروط الكفاءة يوظف في الحكومة بحسب مقدرته وكفاءته كما ان الرعايا غير المسلمين ينتظمون في سلك الجندية

١٠ — الاديان حرة وستبقى الامتيازات الدينية المعطاة للطوائف المختلفة على ما كانت عليه

١١ — سيطلب تنظيم القوى الحربية والبحرية حسب ما يقتضيه الزمان والمكان ومركز الدولة السياسي بين الدول وسيطلب تقليل مدة الخدمة العسكرية بشرط أن لا تضر بتمرين الجيش واستكماله لاسباب القوة

١٢ — إلغاء الفقرة الاخيرة من المادة ١١٣ الواردة في القانون الأساسي النافية للحرية الشخصية

١٣ — اقتراح وضع قوانين تعين حقوق العمال وأصحاب الاعمال المتقابلة

١٤ — سيطلب التذرع بالوسائل الموصلة الى توزيع الاراضي على الفلاحين

٦٤٠ البرنامج السياسي لجمعية الاتحاد والترقي (المنارج ٨ م ١١)

بشرط ان لا يخل ذلك بحقوق تصرف ملاك الأراضي المعترف بها قانونا وان تسهل السبيل لاقتراض الفلاحين النقود بأرباح قليلة

١٥ — سيطلب قبول أصول (التخميس) في أمور الاعشار بصفة موقتة بشرط ان تبنى على أساس صحيح وتجرب في الحال وفي الجهات القابلة لمثل هذه التجربة وتطبق فيما بعد أصول (قاداسزو) بالتدريج

١٦ — التعليم حر البتة فكل عثماني له ان ينشيء المدارس حسب القانون الخاص بذلك كما ورد في القانون الاساسي

١٧ — كل المدارس تكون تحت اشراف الدولة والامل صيرورة تربية الرعايا العثمانيين كلهم على نسق واحد ونظام تام فتنشأ مدارس مختلطة حرة عمومية تفتح ابوابها لكل العناصر ويكون فيها التدريس حرا وتعليم اللغة التركية في القسم الابتدائي اجباريا والتعليم الابتدائي مجانا في المدارس الرسمية وأما التدريس الثانوي (الاعدادي) والعالي فانه سيكون في المدارس العمومية الرسمية المار ذكرها بشرط ان يكون التعليم باللغة التركية ويتسرع بالوسائل الجدية لوضع بروغرامات تتكفل بالمصلحة وايجاد معامات ومعلمين اكفاء . وتنشأ مدارس للتجارة والصناعة والزراعة لترقية أحوال الدولة الاقتصادية. أما المدارس المنوط بها تعليم الدين بصورة خاصة فانها مستثناة مما ذكر

١٨ — توجه العناية الى ترقية احوال الامة والمملكة الزراعية والاقتصادية والعمرانية ويتوسل الى ذلك بالاسباب المؤدية الى المطلوب

١٩ — سيقترح تعديل انتخاب المبعوثان وجعله موافقا لهذا البرنامج بحيث لا يبقى أقل ملاحظة من قبل الحكومة تعرقل سير الانتخابات عن السير بكل حرية

٢٠ — سيقترح أن يكون لكل عثماني حائز الاوصاف المطلوبة الحق في ترشيح نفسه لعضوية مجلس المبعوثان في أي بلد من البلاد العثمانية

٢١ — يمكن تعديل مواد هذا البرنامج حسب ما تقتضيه احوال الزمان وبقرار اجتماع عمومي ويمكن أيضا إلغاء بعض المواد أو اضافة مواد أخرى عليه

ملحق رقم ٦

الخطاب الذي ألقاه السلطان عبد الحميد الثاني
في مجلس الأمة العثماني بمناسبة افتتاح هذا المجلس

(*) الاقبال عدد ٢٧٨ ، ٢٨ [illegible] ١٩٠[illegible] .

خطاب السلطان الدستوري

في مجلس الامـة

ذكرنا في العدد السابق وصف الاحتفالات التي قامت بها الامة العثمانيه في العاصمة والولايات بافتتاح مجلس نوابها او برلمانها العثماني وذكرنا ان جلالة السلطان الاعظم القى خطاباً افتتاحياً في المجلس رددت صداه البرقيات والانباء العامه واقتطفت منه جملاً مجملة

وقد اطلعنا الآن على الخطاب برمته فآثرنا نشر ترجمته على صفحات الاقبال لاننا نعلم علم اليقين ان جميع القراء يتوقون الى الاطلاع على خطاب مليكهم الدستوري في حياتهم الدستوريه وهذه هي الترجمة الحرفيه « بدون تعريب »

ايها الاعيان ايها المبعوثان

« انه بالنظر للمشاكل العظيمة التي صادفت اعلان القانون الاساسي الذي »
« وضعته حين جلوسي ، وللمصاعب التي اعترضت وضعه موضع التطبيق ، اظهر »
« لي رجال دولتي في ذلك الزمان لزوم تعطيل مجلس المبعوثان موقتاً لحين ان »
« تصل قابلية الاهالي الى الدرجة المطلوبة بترقي المعارف في ممالكي الشاهانيــة »
« وارجؤني بتأخير اجراء القانون المذكور ، حينئذ علقت تكرار اجتماع المبعوثان »
« على الوقت المرهون وصرفت اهتمامي لتأسيس المكاتب وترقية المعارف في كل »
« جهة من جهات ممالكي الشاهانية »

« فلله الحمد والشكر الآن بحصول هذا المقصد وبواسطة انتشار المعارف »
«ترقي استعداد صنوف الاهالى ، فاجابة للرغبة التى اظهرتها الامة ، وبناء على »
« اطمئناني بان تحقيق هذه الرغبة مما سيوجب سعادة مملكتنا حالاً واستقبالاً »
« اعلنت القانون الاساسي بلا تردد وعلى الرغم من المخالفين لهذا الرأي ، وبموجب »
« هذا القانون اصدرت ارادتي باعادة الانتخابات ودعوة مجلس المبعوثان للاجتماع »
« وعند تبدل اصول الادارة وجهت مسند الصدارة لعهدة كامل باشا »
« وتشكلت تحت رئاسته هيئة الوكلاء ولكن بينما كانت هذه الهيئة الجديدة »
« مشتغلة بتشكيلات الادارة الشورويه الجديدة وتنظيماتها ، حصل ان البرنس »
« فرديناند امير بلغاريا ووالي الروملي الشرقي انحرف عن جادة الصداقة لدولتنا »
« العلية لسبب ما واعلن استقلال بلغاريا وعقب ذلك حالاً الحقت دولة اوستريا »
« والمجر باملاكها ايالة البوسنه والهرسك التى كانت موجودة تحت احتلالها »

سنة ١٣٢٤ وفي ٢٨ كانون اول سنة ١٩٠٨

« وادارتها المؤقتة بموجب معاهدة برلين ، وبلغت ذلك الى الباب العالي والى »
« وزارات الدول المعظمة الاخرى ، فهاتان الحادثتان المهمتان اوجبتا تأسفنا للغاية »
« ولما كانتا من الحوادث التى هي فوق العادة اودعنا لهمة وزرائنا اجراء الواجب »
« بخصوص هذه التجاوزات مع المحافظة على حقوق دولتنا ، وعلى كل حال ارغب »
« معاونة ومظاهرة المجلس العمومي بهذا الشان »
« وحيث ان المصافاة والمناسبات التى بين الدول العظمى بالاجمال وبين »
« دولتنا العليه هي على غاية مايرام فنؤمل كثيراً انه بمعاونة الدول المعظمة المتحابة »
« ستنفصل المسائل السياسية الواقعة بالصورة الحسنة »
« ولما كان تنظيم الامور المالية وحصول التوازن بين الواردات والمصارفات »

« وتزييد عمران المملكة واستكمال اسباب الرفاهية والسعادة لكل صنوف تبعتي »
« الشاهانيه وتعميم وانتشار العلوم والمعارف والحرف والصنائع بواسطة تكثير »
« المكاتب وتنظيمها . وايصال قوانا البريه والبحرية الى درجة الكمال كل ذلك »
« من الامور المهمة الملتزمة لدينا جداً . فمأمولنا ان يصرف مجلس المبعوثان همته »
«لتدقيق القوانين واللوائح التي ستقدم له من دوائر الحكومة بهذا الشأن وتنظيم »
« القوانين اللائقة لتصديق مجلس الاعيان »

« انني افتتح اليوم مجلس المبعوثان مع التمني ان تكون دولتنا العلية مسعودة »
« وممالكنا ميمونة . اني سعيد بمشاهدة مبعوثي ملتي في حضوري وعزمي بخصوص »
« ادارة مملكتنا بالقانون الاساسي قطعي لايتغير »
هنا تصفيق طويل وصياح متكرر « چوق يشا » ابتداءً من لوج الصحافة واشترك فيها المجلس كله
(وان شاء الله تكون اجراآت مجلس مبعوثانا خيرية لدولتنا وامتنا و ينال)

(وطننا العزيز جميع انواع السعادة . اللهم اجعلنا جميعاً مظهراً للتوفيقات الصمدانيه)
في ٢٣ من ذي القعدة سنة ١٣٢٤ و٤ من كانون الاول سنة ١٣٢٦؛

ومما يذكر ان جلالة السلطان بعد تلاوة النطق وافتتاح المجلس واطلاق المدافع بقي واقفاً متأملاً بضع ثوان ثم نظر الى الاقربين منه من المبعوثين وقال لهم بصوت منخفض * لقد اصبحت ممنوناً جداً من افتتاح مجلسنا واطلب من الله حسن توفيقه اللهم وفقه بالخير * ثم خرج من المجلس بعد ان سلم بيده على الحاضرين

وان من جملة برقيات التهاني برقية جاءت من البارلمان الانكليزي جاء في آخرها (برلمانكم دخل في الاسرة البارلمانيه الكبيرة كابن ثورة سلمية ونحن واثقون ان مساعيكم واعمال مجلسكم ستؤكد السعادة والرفاهة لجميع عناصر السلطنة)

ملحق رقم ٧

قانون الجمعيات الذي أصدرته الحكومة العثمانية في ٣ آب ١٩٠٩

(*) جرجي تامر ، الهدية الوطنية في نظامات لبنان والآثار الدستورية ، ص٦٤ - ١٧٠

قانون الجمعيات

أصدرته الحكومة العثمانية في ٢٩ رجب ١٣٢٧ هـ (٣ آب ١٩٠٩) .

المادة الأولى : الجمعية هي هيئة مؤلفة من عدة أشخاص لتوحيد معلوماتهم أو مساعيهم بصورة دائمة ولغرض لا يُقصد به اقتسام الربح .

المادة الثانية : إن تأليف الجمعية لا يحتاج إلى نوال الرخصة في أول الأمر ولكنه يلزم في كل حال بمقتضى المادة السادسة إعلام الحكومة بها بعد تأسيسها .

المادة الثالثة : لا يجوز تأليف جمعيات مستندة على أساس غير مشروع مخالف لاحكام القوانين والآداب العمومية أو على قصد الإخلال براحة المملكة وبكمال ملكية الدولة أو تغيير شكل الحكومة الحاضرة أو التفريق سياسة بين العناصر العثمانية المختلفة .

المادة الرابعة : من الممنوع تأليف جمعيات سياسية أساسها أو عنوانها القومية والجنسية .

المادة الخامسة : إن عضو الجمعية يشترط فيه أن لا يكون سنه دون العشرين وأن لا يكون محكوماً عليه بجناية أو محروماً من الحقوق المدنية .

المادة السادسة : يُمنع منعاً قطعياً تأليف الجمعيات السرية فبناء عليه يجب عند تأليف الجمعية أن يعطي مؤسسوها إلى نظارة الداخلية إذا كان مركزها في دار السعادة[1]

(١) أي العاصمة العثمانية الآستانة (القسطنطينية) .

وإلى أكبر مأموري الملكية في المحل إذ كان مركزها في الخارج بياناً ممضى ومختوماً منهم يحتوي على عنوان الجمعية وبيان مقصدها ومركز إداراتها وأسماء المكلفين بأمور الإدارة وصفتهم ومحل إقامتهم ويُعطي لهم مقابلة لذلك علم وخبر ، ويربط بهذا البيان نسختان من نظام الجمعية الأساسي مصادق عليها بخاتم الجمعية الرسمي .

وبعد أخذ العلم والخبر تعلن الكيفية من قبل المؤسسين . ويتحتم على الجمعيات أن تعلم الحكومة في الحال بما يقع من التعديل والتبديل في نظامها الأساسي أو في هيئة إدارتها ومحل إقامتها .

وهذا التعديل والتبديل إنما ينفذ حكمه على شخص ثالث من يوم إعلام الحكومة به . وهذا التعديل والتبديل يرقم [1] في دفتر مخصوص وأي وقت طلبته جهة العدلية أو جهة الملكية ينبغي إبرازه لها .

المادة السابعة : يُشترط أن يوجد في مركز كل جمعية هيئة إدارية تؤلف من شخصين على الأقل وإن كان لها شِعب فيكون أيضاً لكل شعبة هيئة إدارية مربوطة بالهيئة المركزية ويُشترط على هذه الهيئات أولاً : أن تمسك دفتراً تسطر فيه هوية أعضاء الجمعية وتاريخ دخولهم . ثانياً : أن تمسك دفتراً آخر تُرقم فيه مقررات الهيئة الادارية ومخابراتها وتبليغاتها . ثالثاً : أن تمسك دفتراً آخر تُرقم فيه الواردات العائدة للجمعية ومفردات المصارفات[2] ونوعها ومقدارها وأن تُبرز هذه الدفاتر إلى الجهة العدلية والملكية أي وقت طلبت .

المادة الثامنة : كل جمعية أعطت بياناً وفقاً للمادة السادسة يمكنها أن تتقدم إلى المحاكم بالواسطة بصفة مدعٍ أومدعى عليه على ما سيأتي التاسعة وأن تدير وتتصرف فيما عدا الإعانات التي تقع من قِبل الدول لدى الإيجاب أولاً بالحصص النقدية التي تُعطى من الأعضاء بشرط أن لا تتجاوز الحصة أربعة وعشرين ذهباً في السنة . ثانياً بالمحل المخصص لإدارة الجمعية واجتماع أعضائها . ثالثاً بالأموال غير المنقولة اللازمة لإجراء الغرض المقصود وذلك وفقاً لنظامها المخصوص ويمتنع على الجمعيات أن تتصرف فيما

---

(١) يسجل .

(٢) المصروفات .

سوى ذلك من الأموال غير المنقولة .

المادة التاسعة : إن المراجعات والمطالبات التي تُرفع باسم الجمعيات لأجل المصالح العائدة للجمعية إلى المأمورين والمحاكم والمجالس الرسمية لا يمكن أن تُجرى إلا بواسطة استدعاء ذي تمغا[1] يمضيه ويختمه المدير باسم الجمعية يصرح بها في النظام الأساسي .

المادة العاشرة : يمكن لعضو الجمعية أن ينفصل عنها أي وقت أراد ولو شرط في نظامها الأساسي عكس ذلك بعد أن يؤدي فقط الحصة النقدية العائدة إلى السنة وقد حل أجلها .

المادة الحادية عشرة : كل نوع من الأسلحة النارية والجارحة يمتنع على الجمعيات إدخاله وحفظه في محال اجتماعها غير أنه يمكن أن يوجد بمعرفة الضابطة في المنتديات المخصصة لتعلم الصيد ولعب السيف ما يلزمها فقط من الأسلحة بحسب الإيجاب .

المادة الثانية عشرة : إن الجمعيات التي لا تُعلن أمرها وتُنبىء الحكومة بإعطاء البيان وفقاً للمادتين الثانية والسادسة فكما أنه بعد منعها من قبل الحكومة يجازي مؤسسها وهيئة إدارتها وصاحب محل اجتماعها أو مستأجره بالجزاء النقدي من خمس ذهبات[2] إلى خمس وعشرين ذهباً فكذا إذا كانت هذه الجمعية قد تألفت لغرض من الأغراض المضرة والممنوعة المبينة في المادة الثالثة أو في قانون الجزاء يُحكم على حدة بالجزاء المعين في القانون المذكور .

المادة الثالثة عشرة : من خالف أحكام المواد الرابعة والخامسة والسابعة والتاسعة وما لا تعلق له بالأخبار والإعلان من أحكام المادة السادسة يُجازى بالجزاء النقدي من ذهبين إلى عشر ذهبات وعند التكرار يُعاقب بضعفي هذا القدر . ومن أبقى خلافاً لهذا القانون جمعية مُنعت بمقتضى المادة الثانية عشرة أو جدد تأسيسها وإدارتها يُعاقب بالجزاء النقدي من عشر ذهبات إلى خمسين ذهباً وبالحبس من شهرين إلى سنة ويُعاقب بهذا الجزاء من جعل محلاً له مكاناً لإجتماع أعضاء جمعية ممنوعة .

المادة الرابعة عشرة : إن الأموال العائدة لجمعية منعتها الحكومة أو فُسخت برضاء

---

(١) ورقة دمغة رسمية .

(٢) العملة النقدية الذهبية العثمانية .

أعضائها واختيارهم أو بحكم نظامها الداخلي إذا وُجد بشأنها نص في نظام تلك الجمعية الأساسي عمل به وإلا عمل بموجب القرار الذي يعطي من هيئة الجمعية العمومية . إن الجمعية التي مُنعت إذا كانت من الجمعيات المؤسسة لغرض من الأغراض المضرة والممنوعة السابق ذكرها في المادة الثالثة فتأخذ الحكومة أموالها وتضبطها .

المادة الخامسة عشرة : إن المنتديات أيضاً هي من قبيل الجمعيات المُحكى عنها في هذا الفصل .

المادة السادسة عشرة : إن الجمعيات الموجودة الآن يتحتم عليها في مدة شهرين اعتباراً من تاريخ نشر هذا القانون أن تعطي البيان وتوفي شرط الإعلان وفقاً للمادتين الثانية والسادسة وأن توفق العمل على أحكام سائر المواد .

المادة السابعة عشرة : إن عد الجمعية خادمة للمنافع العامة يتوقف على مصادقة الدولة بقرار من شورى الدولة ويمكن لمثل هذه الجمعية أن تجري جميع المعاملات الحقوقية غير الممنوعة بنظامها الأساسي . والأسهم والتحاويل التي تتملكها الجمعية ينبغي في كل حال أن يُرقم ويُحول باسمها ما كان منها عائداً لحامله . أما الأموال الموهوبة والموصى بها فلا يمكن للجمعية قبولها إلا برخصة مخصوصة من الحكومة . وإذا كان الموهوب أو الموصى به مالاً غير منقول ولم يكن إليه حاجة للقيام بوظيفة الجمعية فيُباع ويُصرح في القرار الذي يُعطى بقبوله بالمدة التي يجب أن يُباع فيها أما بدل المال الذي يُبع فيُسلم إلى صندوق الجمعية .

المادة الثامنة عشرة : يحق للضابطة أن تفتش الجمعيات والمنتديات فعليها من ثم أن تفتح محال اجتماعها في كل وقت لمأموري الضابطة ولكن حتى يثبت مأمورو الضابطة لدى الحاجة إن دخولهم محل الاجتماعات كان مستنداً إلى لزوم حقيقي فيلزمهم إبراز ورقة رسمية تتضمن الأمر أو الإجازة بدخول ذلك المحل تُعطى لهم في دار السعادة من ناظر الضابطة وفي الولايات من أكبر مأموري الملكية المحليين أو من وكيله .

المادة التاسعة عشرة : إن نظارتي الداخلية والعدلية مأمورتان بإجراء هذا القانون .

في ٢٩ رجب سنة ٣٢٧ وفي ٣ أغوستوس سنة ٣٢٥ .

ملحق رقم ٨

لائحة الإصلاح التي أعدّتها لجنة الجمعية
برنامج حزب اللامركزية الإدارية العثماني
المُنتخبة في الجلسة المنعقدة في دار البلدية ،
يوم الأحد في ٤ صفر ١١٣١ (١٢ كانون الثاني ١٩١٣)

(*) المفيد ، عدد ١١٩٠ ، ٣٠ كانون الثاني ١٩١٣ .

مادة أساسية ـ الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية
(الإدارة)

المادة الأولى ـ تُقسم إدارة الولاية إلى قسمين :

القسم الأول : هو المشتمل على الأعمال المتعلقة بكيان السلطنة وشؤونها الأساسية وهي المسائل الخارجية والعسكرية والجمارك والبوسطة والتلغراف وسنّ القوانين ووضع المكوس .

والقسم الثاني : هو المشتمل على الأعمال المتعلقة بشؤون الولاية الداخلية الخاصة .

فكل ما يتعلق بالقسم الأول منوط تقريره وإجراؤه بالحكومة المركزية .

وكل ما يتعلق بالقسم الثاني منوط تقريره بمجلس الولاية العمومي .

(الوالي ـ حقوقه ووظائفه)

المادة الثانية ـ للوالي صفتان قانونيتان :

الأولى تمثيل الحكومة المركزية وبهذه الصفة يتولى إجراء جميع الأعمال المتعلقة بالقسم الأول طبقاً لقرارات الحكومة المركزية .

والثانية تمثيل حكومة الولاية التي يرأسها وبهذه الصفة يتولى تنفيذ جميع الأعمال المتعلقة بالقسم الثاني طبقاً لقرارات المجلس العمومي . أما حقوق الوالي ووظائفه فهي :

أولاً : تنفيذ قرارات المجلس العمومي .

ثانياً : الاعتراض على قرارات المجلس العمومي على الشروط الآتي بيانها في باب « الوالي والمجلس العمومي » .

ثالثاً : الاطلاع على لوائح المشاريع التي تعدها « لجنة المجلس العمومي » لإبداء ملحوظته عليها قبل تقديمها إلى المجلس .

رابعاً : تعيين المتصرفين والقائمقامين والمديرين بعد عرض أسمائهم على الحكومة المركزية وفقاً لنظام يضعه المجلس العمومي .

خامساً : تعيين الطلاب الممتحنين الذين تعرض عليه لجنة الامتحان أسماؤهم لأجل التوظيف .

سادساً : دعوة المجلس العمومي في الميعاد المعين لإجتماعه . ويمكنه دعوته لاجتماع فوق العادة بمصادقة لجنة المجلس أو « مجلس المستشارين » .

(المجلس العمومي ـ حقوقه ووظائفه)

المادة الثالثة ـ يُؤلف في الولاية مجلس عمومي من ثلاثين عضواً يُنتخب نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين لمدة أربع سنوات وهم ينتخبون منهم رئيساً لهم بالاقتراع السرّي . (أما سائر الانتخابات العمومية فتُبنى على قاعدة التمثيل النسبي العددي في دوائر الانتخابات) .

أما حقوق المجلس العمومي ووظائفه فهي :

أولاً ـ تقرير جميع أعمال الولاية الداخلية والمذاكرة في ما يعرض عليه من قبل الوالي أو لجنة المجلس أو عشرة من أعضائه .

ثانياً ـ وضع الأنظمة الداخلية بشرط أن لا تمسّ شؤون السلطنة الأساسية .

ثالثاً ـ عقد القروض التي لا تتجاوز قيمتها نصف الواردات المختصة بالولاية . أما القروض التي تتجاوز هذا المبلغ فيلزم لها مصادقة الحكومة المركزية .

رابعاً ـ إعطاء رخص لتأليف شركات مساهمة (آنونيم) عثمانية للمشاريع العمومية النافعة للتجارة والصناعة والزراعة وسائر الشؤون العمرانية داخل الولاية على

شرط أن لا تتضمن امتيازاً . أما المشاريخ التي تتضمن امتيازاً فيجب مصادقة الحكومة المركزية عليها . وتخول هذه الشركات الشخصية المعنوية بمعنى أن يكون لها حق التملّك .

خامساً ـ تقرير الضمائم الكسورية على المكوس المقررة .

سادساً ـ تقرير رواتب موظفي ومستشاري الدوائر التي هي بإدارة حكومة الولاية .

سابعاً ـ حق استيضاح الوالي وطلب عمله . لا يتدخل المجلس العمومي في الشؤون السياسية العامة مطلقاً .

الوالي والمجلس العمومي)

المادة الرابعة ـ قرارات المجلس العمومي نافذة ما لم يُعترض عليها الوالي بمصادقة مجلس المستشارين خلال أسبوع من تاريخ تبليغه إياها فيُعيد المجلس النظر في قراره وإذا أصر عليه أكثرية ثلثي الأصوات يكتسب القرار الصفة القانونية القطعية وعلى الوالي تنفيذه .

(لجنة المجلس العمومي)

المادة الخامسة ـ يُنتخب المجلس العمومي بالاقتراع السرّي لجنة من ستة أعضاء واحد منهم من كل لواء واثنان من مركز الولاية لمدة سنة واحدة فتجتمع بإدارة مستشار المجلس العمومي .

أما وظائف اللجنة فهي :

أولاً ـ مراقبة تنفيذ قرارات المجلس .

ثانياً ـ درس المشاريع اللازمة للولاية وإعداد لوائحها .

ثالثاً ـ تعيين مهندسين اختصاصيين للاستعانة بهم في أعمالها .

رابعاً ـ حق الاعتراض على الممتحنين الذين تقدم إليها « لجنة الامتحان » أسماءهم قبل عرضها على الوالي .

خامساً ـ دعوة المجلس العمومي لاجتماع فوق العادة بإتفاق ثلثي أعضائه ومصادقة مستشار المجلس .

(الموظفون ـ تعيينهم وعزلهم)

المادة السادسة ـ الوالي وحاكم الشرع في مركز الولاية والدفتردار وباشمدير البوسطة والتلغراف وقومندان الجندرمة وضباطها تعينهم الحكومة المركزية على شرط معرفتهم اللغة العربية معرفة تامة ، ويُستثنى من هذا الشرط والي الولاية لمدة خمس سنوات من تاريخ وضع مواد هذه اللائحة موضع الإجراء .

أما بقية الموظفين فينبغي أن يكونوا من أهالي البلاد ويجري تعيينهم على الوجه الآتي بيانه :

تعيين الموظفين :

يمتحن طالبو الوظيفة أمام لجنة مؤلفة من مستشار ورئيس الدائرة التي يطلبون الدخول فيها فتقدم لجنة الامتحان اسمي الممتازين منهم إلى لجنة المجلس العمومي وبعد مصادقتها يعرضان على الوالي فيعين أحدهما . ولدى تعيينه يبلغ الوالي اسمه للنظارة المنسوب إليها فيقيد في سجلّها محافظة على حقوق ترقيته وتقاعده . وأما رؤساء العدلية فيعينون وفقاً لنظام يضعه المجلس العمومي .

عزل الموظفين :

الموظفون المعينون من قِبل الولاية عدا رؤساء العدلية تكف يدهم بناء على طلب المستشار ورئيس الدائرة المنسوبين إليها معاً . وأما رؤساء العدلية فتكف يدهم بناء على طلب المستشار ومصادقة مجلس المستشارين . وقرار كف اليد في كلا الحالين ينفذه الوالي . وللموظف المكفوفة يده الحق بمراجعة الوالي في خلال سبعة أيام من تاريخ تبليغه ذلك إذا كان موظفاً في مركز الولاية وخمسة عشر يوماً إذا كان خارج المركز . فيُحيل الوالي دعواه إلى مجلس المستشارين ليحكم في وجوب العزل أو عدمه . والموظف الذي يحكم مجلس المستشارين بعزله لا يجوز استخدامه في دوائر الحكومة ولا يُعطى معاش معزولية . أما محاكمة المعزول جزائياً فتُجرى في المحاكم العدلية بمذكرة خاصة من المستشار إلى المدعي العمومي .

وأما موظفو الحكومة المركزية فتكف يدهم بطلب المستشار ومصادقة الوالي الذي يطلب عزلهم بعد حكم مجلس المستشارين عليهم من النظارة المنسوبين إليها وينبغي أن

يعين خلفهم في مدة ثلاثين يوماً .

وأما المفتشون والمستشارون فيكون عزلهم بطلب الوالي من مجلس المستشارين وبحكم صادر من هذا المجلس .

وأما الوالي فيكون عزله بناءً على قرار المجلس العمومي بأكثرية ثلثي مجموع أعضائه فتعين الحكومة المركزية خلفه في مدة أربعين يوماً .

(المستشارون والمفتشون

المادة السابعة ـ تعين الحكومة المركزية مستشارين من الأجانب على شرط معرفتهم إحدى اللغات الثلاث العربية أو التركية أو الفرنسوية وذلك للدوائر الآتية في مركز الولاية وهي الجندرمة والمالية (وتُلحق بها غرفة التجارة) والبوسطة والتلغراف والجمرك . وتعين أيضاً مفتشاً أجنبياً عاماً لكل لواء من الولاية يخول حق تفتيش أية دائرة كانت في اللواء ويكون مرجعه مستشار مركز الولاية الداخلة تلك المسألة المراجع فيها ضمن دائرة اختصاصه .

ويعين المجلس العمومي من الدول التي ترضاها الحكومة المركزية مستشارين للدوائر الآتية :

وهي مجلس الولاية العمومي والعدلية والنافعة والمعارف والبلدية والبولس . ويلبس هؤلاء المستشارون الشعار العثماني في أوقات العمل . أما مدة الاستشارة والتفتيش فخمس عشرة سنة ويمكن تجديدها .

(مالية الولاية

المادة الثامنة ـ واردات الولاية على نوعين : أحدهما يعود برمته إلى مركز السلطنة وهو حاصلات الجمارك والبوسطة والتلغراف والبدلات العسكرية . والآخر وهو عدا ما ذكر من الواردات يعود برمته إلى الولاية .

(رواتب الموظفين)

المادة التاسعة ـ ينظم المجلس العمومي ميزانية الولاية السنوية فيدخل فيها رواتب جميع الموظفين والمستشارين عدا موظفي ومستشاري الجمارك والبوسطة والتلغراف .

(الأراضي المحلولة والأملاك الأميرية)

المادة العاشرة ـ تسلم الأراضي المحلولة والأملاك الأميرية الداخلة ضمن الولاية إلى المجلس العمومي وتكون برمتها ملكاً للولاية .

(الأوقاف)

المادة الحادية عشرة ـ لا علاقة للإدارة ولا للمجلس العمومي في الأوقاف بل يسلم كل وقف إلى مجلس الملة المنسوب إليها لاستخدامه بموجب قانونها (بناء عليه جميع أوقاف المسلمين في الولاية تُسلم إلى مجلس ملتهم أسوة بباقي الطوائف .

(البلديات)

المادة الثانية عشرة ـ البلديات مستقلة بجميع أعمالها . ولها الحق بوضع الرسوم البلدية بمصادقة المجلس العمومي دون مراجعة الحكومة المركزية .

(المفتشين)

المادة الثالثة عشرة ـ يؤلف مجلس يُسمى مجلس المفتشين ويكون أعضاؤه : رئيس المجلس العمومي وجميع مستشاري الدوائر في مركز الولاية .

أما وظائف هذا المجلس فهي :

أولاً ـ تفسير مواد النظام الذي تضعه الحكومة المركزية (بناء على هذه اللائحة) كدستور لحكومة الولاية ومجلسها العمومي .

ثانياً ـ تفسير القرارات والأنظمة التي يضعها المجلس العمومي .

ثالثاً ـ النظر والحكم في وجوب عزل الموظف أو عدمه .

رابعاً ـ النظر والحكم بناء على طلب الوالي أو أحد المستشارين في كل خلاف في الرأي يقع بين أحد المستشارين والمجلس العمومي أو إحدى لجانه أو أية دائرة كانت ويكون حكمه مبرماً ويرأس هذا المجلس والي الولاية وينوب عليه في غيابه رئيس المجلس العمومي أو مستشار هذا المجلس .

(اللغة المحلية)

المادة الرابعة عشرة - إن اللغة العربية تُعتبر اللغة الرسمية في جميع المعاملات داخل الولاية . وتُعتبر أيضاً لغة رسمية كاللغة التركية في مجلسي النواب والأعيان .

(الخدمة العسكرية)

المادة الخامسة عشرة - تُخفض الخدمة العسكرية إلى سنتين وتقضي الخدمة أيام السلم في الولاية . وتُنزل قيمة البدل النقـدي للنظامية إلى ثلاثين ليرة عثمانية وللرديف والاحتياط إلى عشرين ليرة .

(الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت)

ملحق رقم ٩

بيان حزب اللامركزية الإدارية العثماني

(*) المفيد ـ عدد ١٢٠٨، ٢٠ شباط ١٩١٣.

(المادة الأولى) ـ الدولة العلية العثمانية دولة دستورية نيابية . وكل ولاية من ولايتها تُعد جزءاً من السلطنة لا ينفك عنها بحال من الأحوال وإنما تُبنى إدارة هذه الولايات على أساس اللامركزية الإدارية والسلطان الأعظم هو الذي يُعين الوالي وقاضي القضاة .

(المادة الثانية) ـ قاضي القضاة يُعين القضاة الشرعيين والوالي يُعين سائر الموظفين بعد اختيار مجلس الإدارة لهم (وفاقاً للمادة السابعة) ولا يجوز عزل موظف إلا بحكم من مجلس تأديب . ومن عزل لا يجوز استخدامه ولا يُعطى معاش معزولية .

(المادة الثالثة) ـ يوضع نظام خاص لترقية عمال الحكومة وتأديبهم وتقاعدهم وما يتعلق بذلك .

(المادة الرابعة) ـ يكون في مركز كل ولاية مجلس عمومي ومجلس إداري ومجلس معارف ومجلس أوقاف .

(المادة الخامسة) ـ جميع قرارات المجلس العمومي تكون نافذة .

(المادة السادسة) ـ من حقوق المجلس العمومي للولاية المراقبة على حكومتها والنظر في جميع شؤون الإدارة المحلية من تقرير ميزانية الولاية وأمور الأمن العام والمعارف والنافعة والأوقاف والبلدية وتقرير ما يراه فيها وسنّ النظامات لها . وأما ما كان من أمور النافعة يتعلق من بعض الوجوه بالأمور العسكرية أو السياسية الخارجية كسكك الحديد فيرفعه بعد إبداء رأيه فيه إلى العاصمة .

(المادة السابعة) ـ من حقوق مجلس إدارة الولاية وضع ميزانيتها وانتخاب جميع

موظفيها .

(المادة الثامنة) - من حقوق مجلس معارف الولاية وضع برنامج التعليم والنظر في جميع شؤونها ووضع ميزانية خاصة لها يُراعى فيها حصة المعارف التي تضاف على الأعشار والويركو وما يقرّره المجلس العمومي من الضرائب لها وما لها من الأملاك والأوقاف .

(المادة التاسعة) - من حقوق مجلس أوقاف الولاية وضع ميزانية خاصة لها والنظر في جميع شؤونها فما كان منها له شروط تجب مراعاتها يكون العمل بحسب شروطه وما كان منها غير ذلك يصرف فاضل ريعه على إقامة الشعائر ثم على التعليم الإسلامي .

(المادة العاشرة) - جميع أعضاء هذه المجالس تكون بالانتخاب إلا مجلس الإدارة فإن نصف أعضائه ينتخبهم الشعب والنصف الآخر من رؤساء المصالح .

(المادة الحادية عشرة) - تعدل طريقة الانتخاب لهذه المجالس ولمجلس المبعوثين وللمجالس البلدية بحيث تكون حرّة وممثلة لجميع عناصر الشعب .

(المادة الثانية عشرة) - ما جرى عليه العرف في بعض البلاد والأقاليم التي لا تنفذ فيها قوانين الحكومة وأحكامها يبقى على ما كان عليه الآن . ويراعى في تغيير الإدارة في كل بلاد رضاء أهلها به .

(المادة الثالثة عشرة) - ينظر الحزب في قانون تعديل الأراضي على الوجه الذي ينمي الثروة العامة وفي تحضير القبائل البدوية لأجل تنمية الثروة وترقية الأمة .

(المادة الرابعة عشرة) - يكون في كل ولاية لغتان رسميتان التركية واللغة المحلية .

(المادة الخامسة عشرة) - يجب تعميم التعليم في كل ولاية بلغة أهلها .

(المادة السادسة عشرة) - أهل كل ولاية يؤدون الخدمة العسكرية في ولايتهم ويكون عسكرها على قدم الاستعداد للدفاع عنها زمن السلم وأما سوق الجنود في زمن الحرب فهو منوط بنظارة الحربية وحينئذٍ يجب على المجلس العمومي أن يتّخذ الوسائل للدفاع عن الولاية .

ملحق رقم ١٠

بيان حزب اللامركزية الإدارية العثماني
الذي يبيّن فيه الدواعي التي تستوجب العدول عن الحكم المركزي وإعتماد الحكم اللامركزي في الولايات العثمانية

(*) المفيد، عدد ١٢٠٩، ٢٢ شباط ١٩١٣.

في الولايات لقوة مختارة ، علاج الوطن لقوة انكارية

ادارة الجريدة — في مطبعة المفيد — بوابة ادريس
المدير المسؤول : فؤاد حنتس

بيروت السبت في ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٣١ — الموافق ٩ شباط شرقي سنة ١٣٢٨ — ٢٢ شباط سنة ١٩١٣

اللامركزية الادارية

نشرنا في العدد الاخير برنامج حزب اللامركزية الادارية الجديدة المؤلف من افاضل السوريين في القاهرة والآن نورد للقراء البيان الذي نشره الحزب اشار فيه على الدواعي التي تستوجب العدول عن طريقة المركزية في المملكة واتباع اللامركزية الادارية واليك نص البيان :

ان غرض الامم الذي ترمي اليه في هذا الوجود انما هو الحياة : الحياة الاجتماعية والحياة السياسية . اي ان يكون لها وجود اجتماعي راقٍ ، ووجود سياسي ثابت . ومن الضروري ان تسعى الامة لكلا الوجودين في منهجها القويم الموصل الى الغاية وتعنى بها جميعاً ولا تقصر مجهوداتها على بلوغ غاية احدهما دون الآخر ، لئلا يكون متوقف على شكل الحكومة فكلما كانت مشاركة الشعب للحكومة اكثر كان ذلك لدوام وجوده اضمن

لهذا السبب تكاد تكون سائر الحكومات التي للامم المستقلة اليوم دستورية شعبية لا شأن فيها للسلطة الافراد بل الشأن لعامة الامة ومشاركتها الحكومة في كل جليل وحقير من الشؤون العامة ، الا انها تتفاوت في ذلك منازل ودرجات وتختلف في الشكل اختلافاً روعي فيه الاجتهاد والنظر الى حالة الشعوب الاجتماعية والعرقية والقابلية والاستعداد

ومما ثبت بالتجارب لهذا العهد ان افضل شكل من اشكال الحكومات هو الدستوري ، وافضل اشكال الدستوري هو اللامركزية خصوصاً الوقوع فيه . ذلك لانه مسير بارادة غيره ، لا سلطة له على ولا على نفسه ، لانها محكوم عليها ان تسير في السبيل الذي يريده غيره وان خالف رغبته ومصلحته وهواه

فاللامركزية توزع التبعة على افراد الامة بمقدار ما تعطيهم من السيطرة على مصالح الوطن ، وبسبب ذلك تنزع عنهم ثوب الحياة الاتكالية الخلق انقرت حياة الاعتماد على غير النفس ، وتفسح امام كل فرد مجال العمل الواسع في جهاد الحياة ، وتمهد للشعب بلوغ غايات المدنية والترقي والعمران من اقرب سبيل وفي وقت قصير ، والعكس بالعكس

مثاله ما نراه لهذا العهد من الفرق بين السلطنة العثمانية التي تحكم بالمركزية وبين سويسرا التي تحكم باللامركزية . ففي هذه يرى فيها من آثار العمران والمدنية والحياة الدالة الصحيحة والوفاق في الغالب

والمثال على ذلك قوانين التعليم مثلاً فانها على تعسها وعدم وفائها بالحاجة تحتم ان يكون التعليم في عدة اقطار بغير لسان اهلها وعلى برنامج واحد غير مراعى فيه حاجة كل ولاية واستعداد اهلها ، ثم ان المركز لا يعطي المال اللازم للتعليم لكل ولاية الا بقدر محدود هو دون الحاجة فينشأ عن هذا وذاك نقص في التعليم وضعف في العلم وتضييق على الراغبين فيه فتعم الجهالة وتحرم البلاد من المعارف العالية التي هي ام اسباب الترقي والحياة والسؤدد في كل امة من الامم الحية الى هذا العهد

وعلى هذا فقس سائر الاعمال النافعة التي يتوفر بها العمران في الولايات العثمانية فانها لتوقف صدورها على المركز بطيئة ضعيفة بل تكاد بعض الولايات تحرم منها البتة عرضة للخطر بهذه الحكومة المركزية مهددة بفقد الاستقلال الذي يعده كل عثماني باعز شيء لديه وهو النفس ويتمنى كل شعب تظلله راية الهلال بقاءه ليبقى عزيزاً في وطنه ابداً من تسلط المغيرين عليه

اذا تمهد هذا فقد علمنا ان المركزية اصبحت في مثل هذا العصر عصر التنازع الشديد في ميدان الحياة لا تصلح لرقي الامة العثمانية المرغوب ، ولا تضمن لها الحياة السياسية والاجتماعية ولا البقاء لاسيما اذا اضفنا الى هذا حاجة الشعوب العثمانية الى الراحة من القواتل السياسية والفتن الداخلية ، التي توالت على الدولة في العهدين عهد الحكومة المطلقة وعهد الحكومة الدستورية ، واصيبت بسببها الدولة بفاجعة الحرب البلقانية ، وانفكاك [illegible] ولاياتها عن جسم السلطنة العثمانية ، بفساد سياسة المركزية وسياسة مزج العناصر التي

مثلها كمثل من علم بركاز من الذهب في مكان فاسرع اليه بكل ماتصل اليه قوته وجهده فلما بلغه، لم يجد معه اداة لاستخراج ذلك الركاز فرجع القهقرى من حيث جاء واهي القوى خائب الامل والرجاء

فالقوانين الاجتماعية مهما كانت راقية قل ان تضمن الحياة لامة اذا لم تكن قائمة على اساس متين هو القوانين السياسية . ومهما عنيت الحكومة بتنظيم قوانين الحياة الاجتماعية للامة واكثرت من مشروعات الاصلاح في المملكة في التعليم والاقتصاد والادارة والقضاء ونحو ذلك فانها لاتخرج في هذا كله من معنى الوصاية على محجور عليه لا يملك التصرف بشؤون حياته الخصوصية ليثبت لنفسه وجوداً صحيحاً بين الناس ويصل لسعادته بجهد العامل المجد .

وقد اصبح لهذا العهد شكل الحكومات التي تقوم به الحياة السياسية لكل امة هم جميع الامم وصار من المسلّم بالبداهة ان وجود الامة السياسي والاجتماعي بين مجاميع الانسان الحية في الممالك التي تتعدد فيها الفروق والمذاهب واللغات ، واختلفت العوائد والتقاليد والاخلاق ، فكان من المتعذر ان تساس بقانون واحد لم تراع فيه تلك الاحوال ، ولم ينظر معه في الحاجة والزمان والمكان

ثبت ذلك بالتجارب كما ثبت ان اللامركزية هي افضل مدرب لافراد الامة على الاستقلال الذاتي الذي هو خير وسيلة لترقي الامم ، لانها اي اللامركزية تأبى بطبيعتها ان تكون تبعة الحكم مقصورة على افراد قليلين تصدر عنهم القوة والعمل الى كل ناحية من انحاء المملكة فيكونوا كالمحرك في آلة كبيرة جداً اذا اصابه عطب او ضعف تعطلت اجزاء سائر الآلة عن العمل دون ان يكون لاي جزء من هذه الاجزاء قوة ذاتية تعمل بها بنفسه ودون ان يكون مسؤولاً عن تبعة وقوفه عن العمل

ومن البديهي ان الشعب غير المسؤول عن اي خطأ يصدر عن حكومته لا يشعر كل فرد منه بالتبعة فلا يهتم بنتائج خطأ الحكومة الا بعد الشامل لكل العناصر التي تقطن هذه المملكة الصغيرة مالا يرى مثله حتى في كثير من الممالك المتمدنة الراقية بفضل توزيع السلطة على اقسامها الثلاثة العنصرية واطلاق حرية التعليم لكل عنصر من العناصر الثلاثة المؤلفة للامة السويسرية بلسانه وبما يوافق رغباته واطلاق حرية العمل لكل ولاية منها فيما يبني عمرانها ويرقي سكانها على الوجه الذي يناسب مركزها الاقتصادي والاجتماعي بحيث صار يضرب المثل بترقي هذه البلاد الجبلية وترقي اهلها البالغين منتهى ما يريده قوم من السعادة والرفاه

اما السلطنة العثمانية التي تحكم بالمركزية فعلى نقيض ذلك اذ نرى المعارف فيها منحطة والعمران قليلاً في بعض جهاتها مفقوداً في بعض آخر ، ووسائل الترقي الصحيح معدومة البتة ، لان حياة الاتكال على المركز في كل شيء مستحوذة على الشعوب العثمانية دقة ، والمركز مقيد لكل ولاية بقيود تمنعها عن الحركة نحو الاصلاح المطلوب الا ببطء وبما لا يوافق الحال والحاجة

زد على ذلك انا نرى هذه الحكومة المركزية قد اعجزها تنائي اطراف المملكة واختلاف لغات واجناس ومشارب اهلها عن ان تنفذ قوانينها في كل ولاياتها فان كثيراً من الاقطار العثمانية ليس فيها للدولة ديوان اداري ولا محكمة ولا مدرسة ولا ثكنة ولا قلعة ولا حصن ، ومنها مالا يؤخذ منه الجنود ، فبعض هذه الاقطار عالة في حمايته من المغيرين عليه على الولايات الاخرى ، عملاً بمبدأ الاتكالية الممقوت ، واعتماداً على المركز . ولذا نرى هذه الحكومة المركزية لا تقدر على الدفاع عن اكثر البلاد العثمانية اذا هاجمها عدو اجنبي كما ظهر ذلك في مسألة طرابلس الغرب ومثلها كثير ، ناهيك بتوالي الفتن والثورات في انحاء السلطنة وعجزها عن اخمادها وبالاحرى عجزها عن تلافيها قبل ظهورها بما يمنع حدوثها او امتدادها حتى ان قطراً من الاقطار وهو اليمن لا يزال مع الدولة في حرب مستمرة منذ دخل اول عثماني فيه الى عهد قريب

وقد ظهر البيان ان المملكة كلها ذهب اليها فريق من المتهوسين بالسيادة بجرّوا على المملكة من المصائب مالا يحتاج الى برهان ، بعد الذي حدث وكان

ولكي تأمن الامة العثمانية على حياتها السياسية في المستقبل وعلى سلامة الدولة من غوائل الفتن والمشاغبات الداخلية والصدمات الخارجية التي [illegible] عناصر العثمانية واتفاقها بالاخلاص حول النقطة الجامعة وهي العرش العثماني الرفيع الذي اصبح وجود الامة السياسي لازماً لوجوده مرتبطاً به — لكي تأمن الامة على ذلك صار من المحتم على كل عثماني صادق الوطنية النظر في الاسباب التي تتماسك بها اعضاء هذا الجسم الذي تفكك بتوالي الجذب والدفع بين المركز والاطراف ودخله الوهن والضعف المؤديان الى الانحلال . وهذا ما دعا فريقاً من العثمانيين الى تأليف حزب اللامركزية الادارية بعد البحث والتروي الكثيرين فيما يضمن سلامة المملكة وتضامن كافة شعوبها واتحادهم على العمل الانفع لعمران البلاد وسعادتها وقوة الدولة وبقائها .

ملحق رقم ١١

بلاغ والي بيروت بإلغاء الجمعية البيروتية الإصلاحية وإقفال ناديها

(*) المفيد ، عدد ١٢٤٨ ، ٩ نيسان ١٩١٣ .

(**) الحقيقة ، عدد ٥٢٠ ، ١٠ نيسان ١٩١٣ .

كل يوم — ثمنها متليك

في بيروت اربعة ريالات

في الولايات ... خارج الوطن ليرة انكليزية

المفيد

ادارة الجريدة — في مطبعة المفيد — بوابة ادريس

المدير المسؤول : فؤاد حنتس

بيروت الاربعاء في ٣ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ — الموافق ٢٧ آذار سنة ١٣٢٩ — ٩ نيسان سنة ١٩١٣

الغاء الجمعية الاصلاحية البيروتية

واقفال النادي الاصلاحي

بلاغ رسمي

بما ان الجمعية التي تشكلت منذ شهرين ونصف من بعض الذوات في بيروت باسم الجمعية العمومية الاصلاحية والتي اتفق ان اعطي لها علم وخبر من مقام الولاية قد كان تشكلها مغايراً اساساً للنوعية الصريحة التي نص عليها قانون الجمعيات فضلاً عن ان بعض المطالب التي اخذ هؤلاء يطالبون بها باسم الاصلاحات هي منافية ايضاً لاحكام القانون الاساسي. وبناء عليه فقد صار من الطبيعي منع دوام واجتماع هذه الجمعية

هذا وقد شرع بتطبيق قانون ادارة الولايات الذي نظمته الحكومة السنية وفقاً لقاعدة توسيع المأذونية وتفريق الوظائف التي نصت عليها المادة المائة والثامنة من القانون الاساسي وصدرت ارادة الحضرة الشاهانية السلطانية بمراعاة احكامه لجاء جامعاً للمساعدات الواسعة التي تطلبها الاصلاحات المطلوبة لبيروت ولسائر الولايات العثمانية ومتضمناً الاحكام المخصوصة التي تؤمن الاحتياجات الخصوصية لكل ولاية

على انه من الثابت فعلاً بنشر مثل هذا القانون المخصوص المتكفل بحصول الاصلاحات التي تود الحكومة السنية انفاذها بصورة جدية -- انه اذا وجدت بعض النواقص عند تطبيق احكامه الفرعية فلا شك ان الحكومة السنية تتم هذا النقص بالاشتراك مع مجلس المبعوثين الذي سيجتمع قريباً ان شاء الله . وبناء عليه نعلن انه قد منع بموجب القانون اجتماع الجمعية المذكورة التي ليس لها ذاتاً كيان قانوني ولم يبق محل وحاجة لدوامها بعد الآن واذا تصدى القائمون بها للاجتماع خلافاً للأمر فتضطر الحكومة لاجراء ما يقتضيه القانون بحقهم من المعاملات.

في ٢٦ مارت سنة ٣٢٩

والي

ابو بكر حازم

ملحق رقم ١٢

احتجاج الأهالي في بيروت
واحتجاج لجنة الجمعية العمومية الإصلاحية
على إلغاء الجمعية الإصلاحية وإقفال ناديها

(*) المفيد، عدد ١٢٥٠، ١٢ نيسان ١٩١٣.

(**) الحقيقة، عدد ٥٣٠، ١٤ نيسان ١٩١٣.

تصدر الجريدة كل يوم ما عدا ...

قيمة الاشتراك في بيروت اربعة ريالات

في الولايات ... وفي الخارج ...

المفيد

انشئت الجريدة في ١٨ محرم سنة ١٣٢٧

ادارة الجريدة — في مطبعة المفيد — بوابة ادريس

المدير المسؤول : فؤاد حنتس

السبت ٦ جمادى الاولى سنة ١٣٣١ | الموافق ٣٠ آذار شرقي سنة ١٣٢٩ | ١٢ نيسان سنة ١٩١٣

الاحتجاج الكبير

من اهل البيروتيين

على مصادرة الجمعية الاصلاحية واقفال النادي الاصلاحي

الى مقام الصدارة ونظارة الداخليــة ونسخة منها الى جريدة اقدام

« نحن الموقعين بذيله ملاكين وتجار وصيارف واطباء ومحامين وصحافيين وادباء وغيرهم من كافة طبقات الشعب وجميع الطوائف في بيروت نعرض لفخامتكم ان الحكومة المحلية اصدرت في ٢٦ مارت سنة ٣٢٩ امراً ادارياً بحل الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت وباقفال ناديها بحجة « ان تشكيلها كان مغايراً للنوعية الصريحة التي نص عليها قانون الجمعيات (١٢) وان العلم والخبر المعطى لها من مقام الولاية كان اعطاؤه اتفاقاً » فضلاً عن ان بعض المطالب التي طالبت بها باسم الاصلاحات هي منافية ايضاً لاحكام القانون الاساسي . على ان الحقيقة هي ان الجمعية المشار اليها ليس في القانون ما يمنع تشكيلها وهي قد تألفت برضى الحكومة المحلية ونالت منها الاجازة الرسمية . وقد كان انتخابها من قبل المجالس الملية والرؤساء الروحيين لجميع الطوائف في بيروت واعضاؤها من خيرة ابناء العائلات الذين ما زالوا منذ مئات من السنين يخدمون الدولة بنيات صادقة وبكل قوائم . اما دعوى الحكومة بان بعض المطالب التي ذكرتها الجمعية في لائحتها الاصلاحية مغايرة للقانون الاساسي فضلاً عن انه لا دليل على صحتها ولا المطالب المنوه عنها معينة لترد عنها رداً خاصاً فليست لائحة الاصلاح الا مجرد حاجيات وضعتها اللجنة اظهاراً لرغائب الاهالي وعرضها على حكومتهم

فبناء على ما تقدم يتضح لفخامتكم ان الامر الذي استصدرته الولاية بحل الجمعية مبني على افتراضات واوهام لا اساس لها فضلاً عن انه منافٍ لاحكام القانون الاساسي منافاة تامة ولآمال الامة ولمصلحة السلطنة ولذلك فنحن نحتج على هذا العمل بكل قوانا ونلتمس اصدار امركم العاجل الى مقام الولاية بالغاء امرها بمنع الجمعية عن الاجتماع صوناً لحرمة القانون الاساسي الذي باسمه قد اجريت هذه المغايرة القانونية ومحافظة على اسم الحكومة الدستورية وكرامة الامة التي يؤسفها مثل هذا العمل »

احتجاج

لجنة الجمعية العمومية الاصلاحية في بيروت
على الامر الصادر بحلها من حضرة الوالي

ان الخطوب التي الـمّت بالوطن العثماني تخففت من عظمته وذهبت بشطره لم يكن لها سبب غير التمادي في سوء الادارة والاصرار على الخطأ في السياسة · ولما تفاقم هذا الامر واستولى الخوف على قلوب المخلصين من رجال الدستور في عهد الوزارة السابقة من استطالة الاطماع الى بقية الاطراف السالمة حتى الآن بادروا الى الرجوع عن الغلط وهمّوا بسلوك الطريقة المثلى في الحكم ونشر الاصلاح الاداري في كل قطر من اقطار المملكة سداً للذريعة وقطعاً للاسباب التي تتمسك بها اصحاب الاغراض من الاجانب

ولقد كانت لبيروت فضيلة السبق الى التصريح بحقيقة الحال فلقي تصريحها من رجال الوزارة اذ ذاك آذاناً مصغية وقلوباً واعية · وبذلك الباعث ولهذا الغرض تألفت جمعيتنا العمومية بانتخاب المجالس الملية ووضعت برنامجها واخذت الرخصة القانونية وعقدت اجتماعاتها الاولى في دار المجلس البلدي على مرأى من الحكومة ومسمع

فمصادرة الحرية الاجتماعية وخنق الفكرة الاصلاحية على النحو الذي جرى عليه حضرة الوالي بحل الجمعية الاصلاحية فضلاً عن انه مناف لاحكام القانون الاساسي فهو يعتبر بنظر العالم المتمدن ضغطاً على الاستقلال الشخصي وحرية الفكر

ان الجمعية الاصلاحية في بيروت جمعية فكرية لا جمعية انفاذ بالقوة والعنف · فلى فرض مخالفة رأيها في الاصلاح لرأي الحكومة فانما يحق للحكومة عدم العمل بآرائها ولكن لا حق لها بمصادرتها

لذلك نحن نحتج امام الوطن والتاريخ على عمل حضرة الوالي هذا الذي عبث فيه بمصلحة الوطن وخالف به احكام الدستور ونيات جلالة السلطان الاعظم

محمد ابراهيم طباره ، جان حبيب بسترس ، سليم علي سلام ، كامل الصلح ، مختار بيهم ، رزق الله ارقش ، احمد حسن طباره ، حسن الناطور ، عبد الباسط فتح الله ، خليل زينيه ، البير سرسق ، محمد الفاخوري ، يوسف المالي ، سليم البواب ، جميل الحسامي ، حبيب فرعون ، بترو طراد ، عبد الحميد الغندور ، جان تقلا ، اسكندر العازار ، ابراهيم الحكيم ، الدكتور ايوب ثابت ، جرجي رزق الله ، فؤاد حنتس ،

وأما جان بك تويني فهو مسافر في اوروبا

ملحــق رقــم ١٣

لائحة الإصلاح التي وضعتها
الجمعية الاصلاحية في البصرة

(١) المفيد ، عدد ١٣٧٨ ، ٤ أيلول ١٩١٣ .

اللائحة الاصلاحية

البصرية

المادة ١ ان يكون وطننا العزيز ملكاً عثمانياً خالصاً تحت راية الهلال

المادة ٢ ان لا تعطى امتيازات للاجانب في بلادنا ووجوب الدفاع عنها وصيانتها من الدسائس الاجنبية ومنع النفوذ الاجنبي فيها باي صورة كانت

المادة ٣ الدولة العلية هي دولة اسلامية تحت سلطة خليفة المسلمين السلطان الاعظم وليست (بامبراطورية كما يزعم عديمو المروءة)

المادة ٤ ان الاعمال المتعلقة بكيان السلطنة وشؤونها الاساسية وهي الامور الخارجية والعسكرية والجمارك والبريد والبرق وسن القوانين والنظامات ووضع الرسوم والضرائب

الولاية وتأسيس المدارس النهارية والليلية وتطهير الانهار وتجفيف المستنقعات وانشاء سكك حديدية واستخراج معادن واعطاء امتياز بذلك وانشاء طرق ومعابر وتأسيس مستودعات للآلات الزراعية ومكاتب الزراعة ومعاونة الزراع وتوزيع البذور المكن زرعها والاعتناء بالصناعة وتعميم الصنائع اللازمة للبلاد وتأسيس مكاتب لها وتأسيس غرف تجارية وبورصات والاعتناء بتوسيع التجارة واعمال مسابقات زراعية وايجاد متاحف صنائعية وتأسيس مستشفيات ودور للايتام ومأوى للعجزة الى غير ذلك من الضروريات

[illegible] اصلاح [illegible] ما يجب تمهيده ولوازم [illegible] الحالة على العشائر [illegible] [illegible] وان كانت [illegible] [illegible] النفوس

المادة ١٣ [illegible] المسلمين في الولاية لتسليم الى مجلس ملتهم كسائر الملل وتدار شؤونها بواسطة لجنة تنتخب لمدة معينة من اهل العفة والديانة لتصرف غلتها على ما هي موقوفة عليه من الجوامع والمساجد والمدارس العلمية وفضلتها تنفق على المعارف

المادة ١٤ للحكومة المركزية حق تعيين الوالي رأساً وان يكون عراقياً لوقوفه التام على احوال وامزجة العشائر المحلية وتعيين القاضي والدفتردار والمتصرفين ومدير الرسومات ومديري البريد والبرق بالاستشارة مع المجلس العمومي بواسطة الوالي على شرائط معرفة الوالي والمأمورين المذكورين اللغة العربيـة معرفة تامة واما بقية

الى الولايات ويصرف فيها

المادة ١٨ من الواجب على الحكومة تأليف المحاكم الصلحية المصرح بها في القانون

المادة ١٩ يجب ان تكون اللغة الرسمية في جميع الدوائر داخل الولاية وبين افراد الاهالي باللسان المحلي العربي ويجري ذلك بتمامه في جميع المحاكم وتنظم الاعلامات بالعربية

المادة ٢٠ يجب على الحكومة تطبيق القوانين الحقوقية والجزائية على احكام الشرع الشريف مهما امكن

المادة ٢١ يجب تأليف محكمة تمييز داخل الولاية لاجل المواد الحقوقية والجزائية واما الاعلامات الشرعية فمرجع تمييزها « باب الفتوى » و (مجلس التدقيقات)

المادة ٢٢ تعيين رجال من اهل العفة والاختصاص العارفين باللغة العربية والعادات المحلية لاجل تفتيش

العمومية عائد للحكومة المركزية واما الاعمال المحلية المتعلقة بشؤون الولاية الداخلية وادارتها واستكمال الاسباب الموجبة لرقيها وعمرانها فهو عائد الى مجلس الولاية العمومي

المادة ٥ وظيفة الوالي تنفيذ قرارات الحكومة المركزية وقرارات المجلس العمومي وتعيين الموظفين الذين يتقرر تعيينهم من قبل المجلس العمومي الى غير ذلك من المواد التي يعينها نظام مخصوص

المادة ٦ ينتخب في كل ولاية اعضاء للمجلس العمومي بنسبة النفوس عن كل «٥٠٠٠٠» نسمة عضو لمدة اربع سنوات تحت رئاسة احدهم

المادة ٧ للمجلس العمومي صلاحية واسعة في المذاكرات بجميع ما يعود نفعه على الولاية الداخلية واعطاء المقررات بذلك ووضع النظامات الداخلية وتأليف شركات «انونيم» للتجارة والصناعة والزراعة وسائر الشؤون العمرانية واعطاء امتياز بذلك وتقدير رواتب الموظفين والغاء الوظائف التي لا لزوم لها والاستيضاح من الوالي عما يروقه مناسباً وطلب عزله عند الايجاب وتنظيم ميزانية

المادة ٨ للمجلس العمومي حق تزييد عدد الدرك والشرطة وتأسيس مخافر في المحلات اللازمة وان يرجح تعيين افراد الدرك من الذين اتموا الخدمة العسكرية واجراء مساحة في الولاية وربط الاملاك [illegible] بسندات خاقانية وتغيير شكل وصورة جباية الاعشار وسائر التكاليف مع مراعاة الحد الوسطي

المادة ٩ المجلس العمومي مستقل بجميع اعماله ويكون له السلطة على الوالي وجميع المأمورين ولا ينتخب لعضويته الموظف والحاكم في الولاية وجميع الملتزمين والمقاولين والمتعهدين ايضاً

المادة ١٠ ينتخب المجلس العمومي [illegible] لجنة من اعضائه لمدة سنة مركبة من اربعة وجوه رئيسهم احدهم

المادة ١١ وظائف هذه اللجنة مراقبة تنفيذ القرارات وبيان المشاريع اللازمة للولاية وتنظيم اللوائح وتعيين مهندسين ودعوة المجلس العمومي فوق العادة واتخاذ قرارات في المواد المستعجلة اثناء عدم اجتماع المجلس

المادة ١٢ لزوم تسليم الاراضي المحلولة والاملاك الاميرية داخل الولاية الى المجلس العمومي يباع منها ما كان

الموظفين والحكام من جميع الاصناف فيجب ان يكونوا من اهل البلاد الواقفين على اللغة المحلية والعوائد الوطنية فيجري تعيينهم من قبل الوالي بعد اجراء الامتحان وحصول قرار المجلس العمومي او لجنته وينهي بهم الى الاستانة ومن تاريخ الانهاء لمدة اربعين يوماً اذا لم تصدر الارادة والامر بقبول تعيينهم فيكون تعيينهم نافذاً قطعاً

المادة ١٥ للوالي سلطة بكف يد المأمور من الوظيفة ابتداء ويجب عليه حالاً تقديم اوراق التحقيقات الاولية الى المجلس العمومي او لجنته فان وجد ذلك المأمور معذوراً فتقرر اعادته والا ان وجدت الاسباب كافية لاخذه تحت المحاكمة فتحال الاوراق على المحاكم العدلية العمومية

المادة ١٦ تعيين الموظفين داخل الولاية وعزلهم سيبين بنظام مخصوص واما الوالي فيكون عزله بناء على قرار المجلس العمومي باكثرية ثلثي مجموع الاعضاء

المادة ١٧ واردات الولاية على نوعين احدهما يعود جميعه الى مركز السلطنة وهو حاصلات الجمارك والبريد والبرق والبدلات العسكرية والآخر هو ما عدا ما ذكر من الواردات يعود بأجمعه

محاكم العدلية والدوائر الملكية

المادة ٢٣ يجب استخدام افراد النظامية داخل ولايتهم اثناء السلم واما حين الحرب فللحكومة حق ان ترسلهم الى اي محل شاءت

المادة ٢٤ استخدام الضباط العارفين باللغة العربية في بلادهم حذراً من وقوع سوء التفاهم بين الامة وجيشها الذي [illegible]

المادة ٢٥ ان تدرس جميع العلوم والفنون في مدارسنا باللغة العربية ويعتنى باللغة التركية وبالعلوم الدينية اعتناء تاماً

المادة ٢٦ ان يحصل عفو عمومي لمن يشتغلون بالزراعة من العسكرية عشرون سنة والذين يتمون العمر منهم ثلاثون سنة

المادة ٢٧ تفويض المجلس العمومي بترتيب نظام يكون دستور العمل في جميع الدوائر والمحاكم لاجل رفع التصعبات التي يشاهدها الاهلون من تكثير المخابرات الرسمية على المعاملات البسيطة وتعقيب اصول التسهيل والاختصار في ذلك

المادة ٢٨ منع النساء المسلمات من عمل الحشيش منعاً قطعياً

ملحق رقم ١٤

بلاغ جمال باشا إلى أهالي لبنان

بعد أن احتلت القوات التركية جبل لبنان في أواخر تشرين الثاني ١٩١٤ أذاع جمال باشا على سكّانه البلاغ الآتي :

« السلام عليكم يا أهل لبنان المعدودين من أثمن أجزاء الوطن العثماني ، إني أدعوكم إلى الإلتفاف حول العرش العثماني للمدافعة عن الوطن المهدّد من غارات العدو الخارجي .

« إن أحكام التنظيمات التي أحسنت بها الدولة عليكم لتأمين رفاهيتكم ستبقى محفوظة من حيث مبادئها الأساسية . وإني موكل بالمحافظة على هذه التنظيمات وبصفتي أحد مواطنيكم العثمانيين آمل أن أرى اللبنانيين يقدّرون هذه النعمة حق قدرها فيرسمون لأنفسهم خطة تناسب أهمية هذه النعمة . . .

« وبما أن وجود الإدارة العرفية في جميع أنحاء المناطق العثمانية تشمل لبنان أيضاً ، وبما أن وجود الأحكام العرفية يستدعي تأجيل بعض أحكام القوانين العدلية والملكية مؤقتاً ما دامت الأحكام العرفية قائمة . . . أود أن أُعلن لكم هذه الحقيقة بكل صراحة وإخلاص منعاً لحدوث أقل سوء تفاهم .

« إن جميع الأحكام التي لم تتقيد بأحكام الإدارة العرفية وعلى الخصوص المعفاة من الخدمة العسكرية ومن دفع « الويركو » ستبقى مرعية الإجراء رغم وجود الإدارة

العرفية . . .

« ولقد أرسلت مفرزة من الجند للدفاع عن لبنان لدى الحاجة ضد غارات العدو الخارجي ، وللمحافظة على شرف الأهالي وحياتهم وأموالهم ، وإني لأدعو أهالي لبنان فيما إذا حاول العدو القيام بأي محاولة ضد سواحل لبنان وبيروت للانضواء تحت العلم الممثل للجيش الهمايوني ومشاركة الجنود في تضحية النفس والنفيس لإحباط أعمال العدو ، ولتأمين هذه الغاية يجب العمل بمقتضى أوامر قومندان هذه المفرزة العسكرية وتلبية طلباته . . .

« إن كل من يحاول من اللبنانيين كائناً من كان الإخلال بسلامة المملكة والأمن العام والقيام بأية حركة . . . وكل من يبدي أقل مظهر من مظاهر المحبة والعطف نحو أعدائنا الفرنسيين والانكليز والروس يُحاكم فوراً أمام ديوان حرب عرفي ليلقى جزاءه من العقاب . وبما أن قومندان المفرزة العسكرية الميرالاي رضا بك سيعين ، في بلاغ آخر سينشره . . . جميع أنواع وصور الحركات والأعمال الماسة بسلامة المملكة ، أخطر جميع الأهالي باجتناب هذه الأفعال كل الاجتناب . . .

« وإن الحكومة المحلية ستحتل جميع المؤسسات والمكاتب التابعة للدول العدوة لنا والكائنة في جبل لبنان . . . وتحول حالاً كل ما لم تر الجهة العسكربية لزومه لإقامة الجند مؤقتاً ، إلى معاهد علمية ، وطنية لترقية المعارف اللبنانية وعقب انتهاء الحرب يسلم الجزء المحتل بالجنود لتحويله إلى هذه الغاية أيضاً » .

قائد الجيش الهمايوني الرابع وناظر البحرية

أحمد جمال

---

(١) Antoine Yammine. **Quatre ans de Misère,** p12

ملحـــق رقـم ١٥

الفرمان الذي منحه السلطان محمد الخامس للبطريك الماروني في لبنان في ٢٧ صفر ١٣٣٣ (٣ أيار ١٩١٥)

الديار ، ص٣٨٢ .

محمد رشاد الخامس بن عبد المجيد الفرمان الشريف العالي الشأن السامي المكان السلطاني المتوج بالطفراء الخاقانية المنيرة الدنيا .

سبب إعطاء الفرمان :

حيث حصل الاستدعاء من جانب الياس افندي البطريرك الماروني حامل براءتي الهمايونية هذه لإصدار وإعطاء براءة عالية الشأن له ، تتضمن مأموريته كالرؤساء الروحانيين لسائر الطوائف الكاثوليكية الموجودين من تبعة دولتي العلية .

فعليه وحيث حصل الإشعار والإنهاء من طرف نظارتنا العدلية والمذاهب لإيفاء المقتضى حسب هذا الاستدعاء ، وحيث لدى تدقيق الكيفية في مجلس الوكلاء الفخام المخصوص ، رؤي أن إتباع الأصول المرعية بخصوص امر إنتخاب وصورة تعيين الرؤساء الروحانيين لطائفة المارونية حسب أمثالهم ، وتعهدهم بإيفاء الوظائف المكلف بها خلافهم من الرؤساء الروحانيين لخلاف جماعات تجاه دولتي العلية بموجب الأمور الحسنة فصارت المذاكرة والتنسيب بإعطاء براءتي هذه العلية الشأن للبطريركية المذكورة .

الشروط التي يتضمنها الفرمان :

ولدى الاستئذان سنحت بكمال الشرف وسطرت إرادتي الملوكانية السنية بالوجه المشروع وأعطيت براءتي الهمايونية هذه مندرجاً بها الشروط الآتي بيانها ، والمسطرة في البرآت العالية المعطاة للبطاركة العثمانيين على سائر الجماعات الذين هم من المذهب الكاثوليكي ، وبها آمر .

عند انتخاب خلف للبطريرك المتوفي :

إنه عند انحلال مقام البطريركية ينتخب أحد المطارين الذين هم من تبعة دولتي العلية ويكون مناسباً ، لكن مأموريته لا تعرف إذا لم تكن مصدقة من طرفي السلطاني ، وأن تملك بيع إدارة الأموال المربوطة بالبطريركية أو بالكنائس والأديرة وسائر المبرات يكون تابعاً في كل وقت للقوانين والنظامات الجارية في دولتي العلية .

وبما أنه من الأصول والشروط المرعية بصورة عمومية بأن لا يجب المداخلة من أحد بصورة تأسيس وإدارة الخستخانات ودور القرباء والأديرة والمكاتب التي سبق تأسيسها أو تؤسس بعد الآن ولا بالمصالح اللازم تسويتها بين البطريركية والباب العالي .

فعلى الياس افندي أن يدير البطريركية على الوجه المشروع ، وإذا لم يظهر منه حله أو حركة تغاير قواعد المذهب الكاثوليكي وتنافي قوانين ونظامات دولتي العلية والشروط المحررة أعلاه فلا يعزل ما دام في قيد الحياة .

ويقتضي على كافة مطارين جماعة الموارنة القاطنين في المحلات التالية من القديم للبطريركية وعلى عموم الكهنة كبيراً وصغيراً أن يعرفوه بطريركاً عليهم ويراجعوه بأمورهم المتعلقة بالبطريركية ولا يتجاوزون حكمه الصادر في محله ولا يقصرون بالطاعة والانقياد إليه . .

الحرية المذهبية في حماية السلطان :

ويقتضي أن تحصل الدقة والاهتمام دائماً من جانب الولاة وعموم المأمورين لدى إقامته وإقامة جماعته احتفالاته الدينية بلا مانع ولا مزاحم وأن لا يحصل تعرض ومداخلة من طرف أحد للكنائس والأديرة المختصة بهم .

ويقتضي رعاية أحوالهم المذهبية في مواد الزيجات وعدم تجويز ما يخالفها والمنازعات التي تتكون بين أفراد الجماعات المذكورة ، بحق عقد الزيجات وفسخها ، ترى وتساوي بمعرفة البطريرك أو وكلائه تطبيقاً لأحكامهم المذهبية كما في السابق .

ولا يلزم أن تحصل المداخلة والتعرض بخلاف المعتاد القديم على الأوراق التي

تُعطى من طرف البطريركية بخصوص ارتداد الأشخاص المتهمين حسب اعتقادهم ، وبما أنه بمقتضى عقائدهم عدم رفع الأشخاص الذين يموتون بحال إجرائهم حركة مخالفة لمذهبهم فلا يحصل التعرض يجبر الكهنة على رفع المتوفين على هذه الصورة ، كما لا يحصل التعرض من طرف أحد لموجودات الأديرة ، ولا يمكن أخذ أو قبض شيء من ذلك بصورة الرهن ، وإذ وجد أحد من الجماعة المرموقة أوصى بحال حياته للبطريركية والرهبان والخوارنة شيئاً لأجل فقراء كنائسهم ، فبمعونة الشرع يؤخذ من الوارثين ، وإذا ترك أشياء أو حيوانات وكل شيء عن كاهن أو راهب أو قسيس أو راهبة أو متوفين بلا وارث فأخذه وقبضه من طرف البطريرك المومى إليه لأجل الميري (عائدات) فلا يحق قطعياً مداخلة بيت المال وقسامي الميراث وعموم المتوفين بشأنه ، والذين يتركون وارثاً فلا توضع اليد على نقودهم وأموالهم وأشيائهم ، وإذا أوصى أحد المتوفين من المطارين والرهبان والقسس والراهبات وخلافهم لفقراء كنائسهم أو بطاركتهم حسب مقتضيات مذهبهم فكل ما يوصون به يكون نافذاً ومقبولاً .

إعفاء مستوردات الكنائس من رسوم الجمرك :

ويقتضي استماع شهود الموارنة شرعاً من جماعتهم حسب قواعد مذهبهم ، ويمنع تعدي وجبر ذوي الاقتدار من قولهم أرسل هذا الخوري للمحل الفلاني أو اعطِ هذه الكنيسة لهذا الخوري ، ولا يؤخذ كمرك أو باج في الأساكل والأبواب من الأشياء العائدة إلى الكنائس ، ولا تُطلب رسم كمرك أو خلافه عن محصولات الكروم الحاصلة لمأكول البطريرك، أو من شراب العنب (شيره) والسمن والعسل وعموم التركات والأشياء التي ترد إلى الأساكل والأبواب وتكون معطاة من طرف الموارنة صدقة، ويكون ضبط وتصرف البطاركة بكافة كروم وبساتين وزراعات وسليخ وأراضي سليخ وطواحين الكنائس والأديرة ودور الشموع المستقلة للكنائس والبيوت والدكاكين والأموال والأشجار المثمرة وغير المثمرة وتعلقاتها دستوراً للعمل لا يتدخل فيها أحد .

وعلى الجماعة المذكورة أن لا تتردد بإعطاء الرسومات الأميرية اللازم والمقرر عليها إعطاؤنا سنوياً ونقود الصدقات وسائر الرسوم البطريركية .

وأن لا تحصل المداخلة بإجراء الطقوس الدينية في الكنائس والأديرة وسائر المعابد التابعة للبطريركية المومى إليها ، ولا بالمداخلة بحجة القول أن ارفعوا ميتكم هكذا أر

اقروا هكذا .

ولا يكلف بجعل بيت سكن البطريرك منزلاً للعساكر ولخلافهم من أهل العرف ، ولا لكسوته ولا لحمل عصاه بيده ، وتكون شروط براءتي هذه دستوراً للعمل وربطه بكمال الحرية ، وبكل وجه في الأمور البطريركية .

في ٢٧ صفر ١٣٣٣

ملحق رقم ١٦

خطاب الأمير فيصل بن الشريف حسين
في سراي الحكومة في دمشق لدى عودته من
أوروبا بعد حضوره مؤتمر الصلح في باريس

(*) الحقيقة ، عدد ١٠٩٢ و١٠٩٣ ، ١٢ و١٣ أيار ١٩١٩ .

الحقيقة

تصدر ما عدا يومي الجمعة والاحد موقتاً

الخطاب التاريخي

لسمو الامير فيصل

القاه في يوم عطر المكرمة بدمشق في الحفل المؤلف من رجال الوفود واعيان الناحية

ايها القسم لكم بشرف على صحة كل يقوله على مسامعكم الكريمة من الكلام الذي سيكون تاريخياً في حياة الامة العربية ماضيها ومستقبلها وارجو العفو والصفح اذا سمعتم بعض اغلاط لغوية تقع مني اثناء الحديث لاني لست من رجال هذه المواقف فاقول :

ما اكثر هؤلاء الذوات الذين يعرف بعضهم م يجتمعون هنا من كافة انحاء سوريا اتوا الى يبرهنوا لاستقبالي وتحيتي باسم جميع مواطنيهم ثم ليسمعوا مني ما حصل في الغرب اي في مؤتمر السلام بشأن بلاد العرب عامة وسوريا خاصة . ولا شك اني جئت على الفسطاط

الاتراك تريد الاستقلال في حين ان الامة العربية غير مهيأة للقيام بهذا الامر العظيم لا في دمشق ولا في غيرها . ولما وصلت دمشق ورأيت ما رأيته وجهت الحجاز والشرق ... بواجبه ولكن تقدير الباري جعل السوريين في موقف لا يساعدهم على المطوية لضغط الاتراك عليها يسطره التاريخ اني استشهد من السوريين بخطباء

ثم والحق وما ذكر في ما يصيب الحجاز من الترك الى ان يسر البارسية وانجلى الترك من سوريا

وقبل ان يحل والحق اني بذكرات

على البلاد وعلى العهود قلم حتى النهاية ... بالصلح ... الترك قسمت سوريا الى ثلاث مناطق لتنفيذ الخطط العسكرية ليس الا ... الحكومة العربية الحاضرة هي عسكرية موقتة ليست دائمة

... حقيقة لاهالي البلاد على بلادهم ومستقبلهم وان كنت في بعض الاحاديث لا يمكنني ان اصرح كل التصريح لبعض الموانع السياسية التي لا تجبر على مراعاتها الى ان يحين وقت الاعراب عنها

الخلاف الذي تثبت الفرق والاكل بين البلاد ... ولا تحكمهم الطرق والمواصلات من جبل البلاد امة واحدة مع ان اهل كل قطر عربي يريدون الاستقلال فقلت تستقل الحجاز وحدها مع نجد وبقية البلاد التابعة لها . اما سوريا فقطعة يسكنها العرب ويريدون استقلالها وكذلك اهل العراق عرب يريدون الاستقلال

لا تريد ان تبيع استقلال سوريا بما تحتاج اليه من معاونات بل نشتري ما تحتاج اليه من المعاونة بدراهم معدودات لان الامة تريد الاستقلال بتمامه — هكذا كان دفاعي عن سوريا ولا حاجة الى ذكر غير ذلك لان عملي هذا هو خاص بسوريا فقط لا اتكلم عن سواها

قلت ان السوريين يطلبون الاستقلال لسوريا بحوافها وحدودها الطبيعية وان اهلها لا يريدون ان يشاركها احداً فتوقفت لذلك وقد الحد

وقلت ان العراق تريد الاستقلال وحدها فتكون سوريا بلا عراق وتكون العراق بلا سوريا مع كل الاقطار العربية هي واحدة بالنسبة للتاريخ والجغرافيا . بل تكون سككها وتجارتها

بريد الغرب

اسرى الالمان

قالت جريدة (الايرته) ان وزراء خارجيات الدول حلوا مسألة تسريح الاسرى الالمان وسيطلق سراحهم تدريجاً بعد توقيع شروط الصلح ويكون ذلك على نسبة عدد العمال الملكيين الذين ترسلهم المانيا لتعمير ما خرب في فرنسا والبلجيك

المجر ودول الاتفاق

عرض المجريون المصالحة على دول الاتفاق وطلبوا نفي آل هبسبرج وتأليف حكومة جمهورية اشتراكية

مطالب اهالي فيوم

ارسلت مدن سبالاتو وفيوم وسبنيكو وزارا وترو وبراز وجميع بلديات مدن كوارنيرو تلغرافات الى مجلس النواب الايطالي ...

قابل المجلس رسائل تلك المدن الدلماتية الجيدة بالهتاف

عودة المندوبين الايطاليين

جيشاع في الدوائر السياسية ان المندوبين الايطاليين سيعودون الى باريس ومركزهم وطيد بما قرره البرلمان الايطالي

حول المؤ...

معاهدة الصلح

باريس في ... نيسان

الاثنين تسليم نص معاهدة المندوبين الالمان

الاسلاك البرقية الال...

باريس في ... : قرر ال...

والمسيو كليمانسو ، ستراتوبيا

بني زمني هل تطمعوا

يرى البعض خير الحكل في

وذا شأن من باع الحلا

ويأبى من في عيرنا الدا

فلا فضل الا فضل هذ

وما فضل نحر بر الشعوب

وان انت حاويت البشر

وان انت سلت الجهو

فلا تأمنن الجهل بالغد

العصر

ثورة الحجاز

ولما كان اكثر الاشخاص لا يعلمون حقيقة الثورة العربية التي قامت في الحجاز منذ سنوات كان بعض من لا يعرفون الحركات السياسية يتهمون القائمين بها بتهم لا محل لها من رميهم بالخيانة للوطن او الامة او الجامعة العثمانية التي كانوا من افرادها ولكن انكسار الترك والاتحاد الجرماني علم الجمهور ان القائمين بالثورة هم رجال تبعوا سير الحركة السياسية والعسكرية في العالم وان عملهم كان للمحافظة على قسم من البلاد العثمانية لما [illegible] بعد الحرب

ولا شك ان المسؤولين عن هذه الحركة العربية هم اولاً — والدي وثانياً الحجازيون مادة لانهم هم القائمون بها فعلاً والسوريون الذين شوقوهم القيام بها [illegible] ولان الشرف ولله الحمد عائد الجميع لان هذه الثورة ملية لا يمكن نسبتها لفريق خاص من الامة

ثم ان والدي قام بالثورة في اثناء الجدال الدموي العظيم الذي ادخل الاتلاف فيه الاتراك الحرب لانه رأى ان دوام الحرب [illegible] البلاد طريق تخليص الامة العربية في فرصة كهذه من الظلم والرجوع الى التاريخ فقام بالحركة بعدما [illegible] سوريا مواجهة بعض رجال من [illegible] ربما [illegible] وأرأيت الاكثر السورية تريد الاستقلال عن [illegible]

في باريس

ثم توجهت الى باريز لتوزيع الحقوق على الامم فاجتمعت الامم لتأخذ كل مستحق دخلت الى المؤتمر واجريت ما امكنني من بث رغائب الشعب على قدر اجتهادي رأيت اهل الغرب جاهلين حالة العرب فهم يعلمون ان العرب من امم التاريخ ولا يعرفون عنهم سوى حكايات الف ليلة وليلة ويظنونهم عبارة عن الامم السائلة غير عارفين بالمتفرعين من السوريين وسواهم ولا عن الافكار السياسية والنهضة القومية ويظنونهم عبارة عن عرب البادية ولا يعدون سكان المعمورة عرباً • فاقتضى الامر صرف وقت طويل لتنوير افكارهم وافهامهم ان العرب يقطنون بلاداً واحدة لها حدود واحدة هي ثلاثة ابحر من الغرب والشرق والجنوب ومن الشمال جبال طوروس ويتكلمون بلسان واحد ولتنويرهم عن قصد العرب [illegible] بالحرب وبعد اطلاعهم على [illegible] العرب [illegible] في الحرب [illegible] استقلال العرب مبدئياً ولكنهم [illegible] الامة من [illegible] والسياسي [illegible] في البلاد [illegible] لجنة دولية في [illegible]

[illegible] (١) ان العرب [illegible] ولا [illegible]
(٢) [illegible] العربية

موحدة لا حاجز بينها

هكذا دافعت عنكم وقد كانت الامم تنظر بارتياح وقبول لمدافعتي • ولعدم علم غالبية الامم بحالة العرب وخوفاً من انفجار وحدوث ما لا تحمد عقباه من الشقاق الذي لا تستحسن مغبته والذي بذره الترك ولان كل ما يحدثه الترك يظنونه من العرب لعدم معرفتهم بالعرب — اعترضوا اولاً — وما ذلك لا لعدم الرغبة • ولما علموا بحسن مقاصد السوريين لاحوا واعطوا العهود بكل مطاليبهم وها انا آت اليكم ابلغكم ذلك وستصل لجنة دولية قريباً تؤيد ذلك وتطلب منكم الاعراب عن ضمائركم باية صورة كانت لان الامم لا تريد ان تحكم امة بدون ارادتها

— العرب في جمعية الامم —

ليست الامم جمعاء تتبع الحرب وكانت هذه الجمعية بحل ما يقع من الخلاف بين الامم • والعرب منضوب فيها وتنظر في ما يحصل بين الامم من الخلاف

— الاستقلال بايديكم —

بعد رجوع هذه اللجنة الى الغرب سيجوز طلب كل شعب كان تحت حكم الترك وتسليمهم بمطالبه بحسب حكم المؤتمر بموجبها اما [illegible] وما استقلال بحسب [illegible] الامم المستقلة فالامر بيدكم

[illegible] ولما [illegible] بعد [illegible]

(البقية تأتي)

المارشال فوش والمسألة الايطالية

قدم المارشال فوش مذكرة [illegible] كليمانسو اوضح فيها اهمية المونة [illegible] بالنظر الى ضمانة تأمين فرنسا و[illegible] السلام الاوربي

فيوم

املت الالمان بمعونة اموال اميركية يمكن يوغوسلاف من الحصول على ميناء آخر غير فيوم وان يعطى هذا المرفأ لايطاليا

في اسبانيا

ابى الملك ان يقبل استقالة المسيو مورا وحل البرلمان

حدث اضطراب في تارانسون بسبب الغلاء

مشكلة الادرياتيك

رومه في ٣٠ نيسان: نظرت الماجور في المسألة وقدرت ان فرنسا وبريطانيا العظمى والولايات المتحدة ستحترم ارادة ايطاليا التي اظهرت منتهى الوفاء والامانة حتى لا يحبط مشروع جمعية الامم

رفيق (تورتان)

باريس في ٤ مايس: قبض على شاب اسمه كورميلون عمره ١٩ سنة بقرب منزل المسيو كليمنصو فوجد معه خنجر واعترف بانه لم يكن ينوي قتل المسيو كليمنصو وانما اراد [illegible] به • وقد عرف كورميلون [illegible] الذي اطلق الرصاص على المسيو كليمنصو [illegible] المصالح [illegible]

تكون الاسلاك [illegible] الا استولوا عليها

[illegible] المالية البلد [illegible] في منه [illegible] الثلاثة [illegible] للندو بين الاجـ[illegible] صر[illegible] الرضى في شأن فبلغوا حكو[illegible] نتيجة [illegible] تسليم شروط الصلح للا[illegible]

باريس في ٣ منه • و[illegible] بركدرف رنتزو وسائر المندو الى فرسايل والمرجح [illegible] كليمانسو اليهم المجلد الضخم [illegible] شروط الصلح المقبل اليوم في [illegible] في قصر التريانو

ماذا

لسان الحال — بيروت

اماني اللبنانيين

• • • وليس من ينكر على [illegible] انه حياة ثابتة كصخوره [illegible] ولكننا ننكر التجزئة والتقسيم [illegible] ان يفصل من جسم سوريا و[illegible] شاطئ البحر بانفصاله عن بلاد المصلحة والجوار

ان لبنان مستقل واستقلاله • [illegible] سوريا المستقلة استقلا[illegible] وحدة سوريا المنشودة وتكون [illegible] هذه الوحدة

[illegible]

(بيروت) الثلاثاء في ١٣ شعبان سنة ١٣٣٧

تصدر كل يوم ما عدا يومي الجمعة والاحد موقتاً

الخطاب التاريخي

لسمو الامير فيصل

القاه في بهو دار الحكومة بدمشق في الحفل المؤلف من رجال الوفود واعيان العاصمة

٣

سأتكلم الآن عن ما يجب علينا وقبل كل شيء نرجع الى الوراء ونقول قام رجال الثورة بأمورهم دون ان يستشيروا احداً لعدم مساعدة الوقت لهم على الشورى فتحملوا المسؤولية في ماكانهم وتحملوها حتى هذه الساعة . واريد ان ابث افكاري الى من حضر من ممثلي الامة الذين لا يطلبون الا برهانهم الاولي قبلاً سموا وطلب منهم ان يصرحوا الآن ان كان ما فعلناه في الماضي حسن ام لا ؟ (اصوات : نعم حسن . تصفيق)

وهل كان موافقاً ام لا ؟ (اصوات : نعم تصفيق)

وهل ان اعمالنا مقرونة برضاء الامة ام لا ؟ (اصوات : نعم . تصفيق . كل الرضا . فوق الرضا)

هذه اعمالنا ولكن يجب علينا ان نصرح ان رجال الثورة او رجال الحكومة الحاضرة ...

اساسية وحيث ان الوقت ... واجتمع هؤلاء الذوات اريد منهم ان ... على ... يجوز ان نتداوم على عملنا ام لا ؟ « اصوات نعم »

وهل الامة مصممة على ... ؟

« اصوات : نعم »

وهل تسمح الامة بأن ادير المركة السياسية الداخلية والخارجية ؟ « اصوات : نعم نعم - تصفيق شديد » هتاف (فليحي ابونا فيصل . فليحي مليكنا فيصل)

اشكر هذه الهمة والعواطف ... الى من الارتياح والامتنان ...

لا شك ان كل ... لا يمكنه ان ... في ...

هل الامة تؤيد كل ... في الداخل وفي الخارج ؟ وهل تساعدون على ... كل ما اطلبه منكم بدون قيد ولا شرط « اصوات نعم »

لا شك ان هذه ... الاساسية ...

...

بين بيروت والشام

سفر سمو الامير فيصل

لكاتب « طارت »

تحرك القطار يوم السبت في ٣ ايار من محطة بيروت ناقلاً سمو الامير فيصل ورجال الوفود الذين سافروا بمعيته الى دمشق بعد حفلة الوداع ...

في بحمدون

فلما بلغ القطار محطة بحمدون ... الحكومة ... قرة من ... الموسيقى ...

في عاليه

ما كاد القطار ...

ملحق رقم ١٧

خريطة متصرفية جبل لبنان السياسية وطرق المواصلات

ـ حدود المتصرفية
ـ حدود القضاء
ـ طريق العربات
ـ سكة حديد
ـ الأنهر

(*) لبنان ، مباحث علمية واجتماعية ، الجزء الثاني ، ص ٨٠٤ .

دولت علیهٔ عثمانیه
جبل لبنان متصرفلغی
مقیاس ۱ / ۲۰۰۰۰۰
کیلو متر ۱ ۲ ۳ ٤ ٥ ٦ ۷ ۸ ۹ ۱۰
حدود المتصرفیة
حدود القضاء
طریق العربات
طریق
سکة حدید
الانهر
القره قول
الادیرة
الکورة
البترون
کسروان
المتن
الشوف
جزین
البقاع
البحر المتوسط
ناحیة الهرمل
مقیاس ۱ / ۲۰۰۰۰۰
طرابلس
بیروت
صیدا
جبیل
جونیه
زحلة
الهرمل

المصادر والمراجع

١ ـ الوثائق

أ ـ الوثائق باللغة العربية :

ـ سجل محرّرات القائمقامية النصرانية في جبل لبنان ، المديرية العامة للآثار ، تحقيق الدكتور سليم حسن هشي الجزء الأول بيروت ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥ .

ـ سجل محرّرات القائمقامية النصرانية في جبل لبنان ، المديرية العامة للآثار ، تحقيق الدكتور سليم حسن هشي الجزء الثاني ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ .

ـ سجل محرّرات القائمقامية النصرانية في جبل لبنان ، المديرية العامة للآثار ، تحقيق الدكتور سليم حسن هشي الجزء الثالث ١٩٧٧ ـ ١٩٧٨ .

المراسلات الاجتماعية والاقتصادية لزعماء جبل لبنان خلال ثلاثة قرون (١٦٠٠ ـ ١٩٠٠) المديرية العامة للآثار ، نقحها الدكتور سليم حسن هشي بيروت الجزء الأول ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ .

ـ نوار ، عبد العزيز ـ وثائق سياسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ ـ ١٩٢٠ ، بيروت ١٩٧٤ ، (هذه الوثائق مأخوذة من مصادر عديدة مطبوعة) .

ـ الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب ، أصدرته جريدة « الأيام » دمشق ١٩٣٧ .

ب ـ الوثائق باللغة الأجنبية :

- Chambre de commerce de Marseille, Note sur la valeur économique de la Syrie, Mars 1915.

- Great Britain, Mesopotamia Commission- oppornted Under an «A et of parliamen» in August 1916, London, H. M. S. O. 1917.

- Hokayem, Antoine et Bittar, Marie Claude, L'Empire Ottoman, Les Arabes et les Grande Puissances, 1914-1920. T. VI Beyrouth 1981.

- A) La correspondance MCMAHON- HUSSEIN (textes 1A- 11).

- B) Anglais et Francais et le proget de constitution d'un Etat arabe en 1915 (textes 2A- 2f).

- C) L'Avenir du LIBAN dans les entretiens sykes- Picot en 1915 (textes 5A - 5B).

- D) Lex accords SYKES- PICOT (textes 5A - 6F).

- E) L'administration des provinces arabes Libérées (textes 10A- 10I).

- F) Les Mémorandums des délégations (textes 11A- 11F).

- G) Clémenceau, Feysal et Lawrence .. (Textes 12A- 12 g).

- H) La Commission King- crane (textes 13 A- 13 C).

- 1) San Remo et les mandats «A» (textes 19A- 19H).

- Huvelin. Paul, Que vaut la Syrie. Documents économiques politiques publiés par «l'Asie Francaise» décembre 1921.

- Ismaîl. Adel, Documents Diplomatiques et consulaires Relatifs A l'histoire du LIBAN. Tomes II-20 BEYROUTH 1978- 1979.

- PAPERS relating to the Foreing relations of the United States. Suppl. 1913- 1917 Newyork 1969.

٢ ـ المصادر :

أ ـ باللغة العربية :

ـ ابراهيم . حافظ ـ ديوان ، نشر محمود توفيق مصر ١٩٢٢ .

ـ أرسلان ، شكيب ـ سيرة ذاتية ، بيروت ١٩٦٩ .

ـ آل صفا . محمد جابر ـ ٥٣ يوماً في عاليه ، نشرها هاني فرحات: الثلاثي العاملي في عصر النهضة ، بيروت ١٩٨١ .

ـ باز ، رستم ـ مذكرات رستم باز نشر وتحقيق فؤاد افرام البستاني طبعة ثانية بيروت

. ١٩٦٨

ـ التميمي ، رفيق ـ بهجت ، محمد . **ولاية بيروت ـ الجزء الأول والثاني** بيروت ١٣٣٥ هـ (١٩١٦ م) م (**مشاهدات ومذكرات**) .

ـ الجزائري ، الأمير سعيد ، **جهاد نصف قرن (مذكرات عن القضايا العربية والعالم الإسلامي)** ، طبعة ثانية ، الجزائر ١٩٦٨ .

ـ جمعية المقاصد الإسلامية في بيروت ، **الفجر الصادق** ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ الحسين ، عبدالله بن ، **مذكراتي** ، القدس ١٩٤٥ .

ـ الحصري ، ساطع ـ **يوم ميسلون** ـ بيروت (لا تاريخ) (في هذا الكتاب مذكرات شخصية ومواقف عاشها المؤلف) .

ـ حمد ، عمر ، **ديوان** ـ بيروت ١٩٢٩ .

ـ الخالدي ، عنبرة سلام ، **جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين** ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ داغر ، أسعد ، **مذكراتي على هامش القضية العربية** ، القاهرة (لا تاريخ) .

ـ رضا ، محمد رشيد **رحلات** ـ جمعها وحققها الدكتور يوسف ابش ، بيروت ١٩٧١ .

ـ سلام سليم علي ، **مذكرات** (ميكروفيلم الجامعة الأميركية في بيروت) .

ـ السويدي ، توفيق ، **مذكراتي** ـ بيروت ١٩٦٩ .

ـ الشويري . الياس ، **مذكرات** ، بيروت ، نشرتها جريدة الحياة في الأعداد (٢١١١ ـ ٢١٥٣) في ١٩٥٣ .

ـ الصلح ، سامي ، **احتكم إلى التاريخ** بيروت ، ١٩٧٠ .

ـ ضعون ، توفيق ، **ذكرى الهجرة** ، رسالة المهاجرين السوريين واللبنانيين إلى إخوانهم المتخلفين سان باولو (لا تاريخ) .

ـ العريسي ، عبد الغني ، **مختارات المفيد** ، قدّم لها ونشرها ناجي علوش بيروت ١٩٨١ .

ـ عيتاني **مذكرات بيروتي** ـ بيروت ١٩٧٧ .

ـ غصن ، فؤاد ، **مذكراتي خلال قرن** ، بيروت ١٩٦٧ .
ـ الغصين ، فائز ، **مذكراتي عن الثورة العربية** ، دمشق ١٩٥٦ .
ـ فريد محمد ، **مذكراتي بعد الهجرة** ، (١٩٠٤ - ١٩١٩) . المجلد الأول ، القاهرة (لا تاريخ) .
ـ فيضي ، سليمان ، **في غمرة النضال** ، (مذكرات سليمان فيضي) بغداد ١٩٥٢ .
ـ القاوقجي ، فوزي ، **مذكرات ١٩١٤ - ١٩٣٢** ، الجزء الأول بيروت ١٩٧٥ .
ـ قدري أحمد ، **مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى** ، دمشق ١٩٥٦ .
ـ الكواكبي ، عبد الرحمن ، **أم القرى** ، القاهرة ١٩٢٢ .
ـ الكواكبي ، **طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد** ، القاهرة ١٩٣١ .
ـ المديرية العامة للآثار ، **يوميات لبناني في أيام المتصرفية** ، نظر فيها ونقحها ووضع فهارسها الدكتور سليم حسن هشي .
ـ **المؤتمر العربي الأول** ، صدر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية في مصر ، القاهرة ١٩١٣ .

ب ـ باللغة الأجنبية .

- Constitution Ottomane, Constant inople 1876.
- D Jamal,Pacha *La Vérité sur la question syrienne* Stamboule 1916.
- Lawrence, T.E.X. *Seven Pillars of Wisdom,* LONDON,.1935.
- Lioyd Georges, David, *War memoris.* vol IV LONDON 1933- 1936.
- Shoucair, Saîd, *Rapport sur les Finance du LIBAN,* Le 6 Octobre 1913.
- Storrs, Ronald *Orientations,* LONDON 1937.
- VON SANDERS, *liman, cinq ans de turquie,* Paris 1923.
- Wingate, rondald, *Wingate of the Sudan* LONDON 1955.
- Yammine, ANTOINE, *quatre ans de misère,* 1922.

٣ ـ كتب مترجمة :

أ ـ المصـادر :

ـ جمال باشا أحمد ، **مذكرات** . ترجمة علي أحمد شكري ، القاهرة ١٩٢٣ .

ـ السلطان ، عبد الحميد الثاني ، **مذكراتي السياسية** ، (لم يُذكر اسم المترجم) ، نشر مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٧٧ .

ـ عزيز بك ، **سوريا ولبنان في الحرب العالمية** ، ترجمة فؤاد ميداني ، بيروت ١٩٣٣ (فيه مشاهدات ومواقف شخصية للمؤلف ـ لأنه كان يشغل منصب رئيس استخبارات الجيش الرابع) .

ـ نيازي ، أحمد ، **خواطر نيازي أو صفحة من تاريخ الإنقلاب العثماني الكبير** ، ترجمة ولي الدين يكن القاهرة ١٩٠٩ (يحتوي وثائق جمعية الاتحاد والترقي والثورة التي قامت بها) .

ب ـ المراجع :

ـ انطونيوس جورج ، **يقظة العرب** ، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٩ .

ـ بروكلمان ، كارل ، **تاريخ الشعوب الإسلامية** ، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي ، الطبعة السابعة بيروت ١٩٧٧ .

ـ جمال باشا (الصغير) ، **كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب** ، ترجمة فؤاد ميداني ، بيروت ١٩٣٢ .

ـ حتي ، فيليب ، **لبنان في التاريخ** ، ترجمة الدكتور أنيس فريحة ، بيروت ١٩٥٩ .

ـ رامزور ، أرنست ، **تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨** ، ترجمة صالح أحمد العلي قدم له وراجعة نقولا زيادة ، بيروت ١٩٦٠ .

ـ ستودارد ، لوثروب ، **حاضر العالم الإسلامي** ، نقله إلى العربية عجاج نويهض ، طبعة ثانية القاهرة ١٣٤٣ هـ .

ـ ستيورت ، دزموند ، **تاريخ الشرق الأوسط الحديث** ، ترجمة زهدي جار الله ،

بيروت ١٩٧٤ .

- عازوي ، نجيب ، **يقظة الأمة العربية** ، ترجمة أحمد أبو ملحم ، بيروت (لا تاريخ) .

- فيشر ، **تاريخ أوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠)** ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع . الطبعة السادسة ، مصر ١٩٧٢ .

- كارمن ، جون ، **رحلة في لبنان في الثلث الأول من القرن التاسع عشر** ، ترجمة رئيف خوري .

- كولان ، جاك ، **الحركة النقابية في لبنان ١٩١٩ - ١٩٤٦** ، ترجمة نبيل حاوي ، تقديم جان بيرك ، بيروت ١٩٧٤ .

- لورنس ، **أعمدة الحكمة السبعة** ، (لم يُذكر اسم المترجم) منشورات المكتبة الأهلية - طبعة ثانية بيروت ١٩٧١ .

- لوتسكي ، **تاريخ الأقطار العربية الحديث** ، ترجمة عفيف البستاني ، موسكو (لا تاريخ) .

- ز . ل . ليفين ، **الفكر الإجتماعي والسياسي الحديث في لبنان وسوريا ومصر** ، ترجمة بشير السباعي، بيروت ١٩٧٨ .

- ماركس ، **المسألة الشرقية حول القوميات في الدولة العثمانية** ، ترجمة جوزيف عبدالله ، مراجعة الدكتور سهيل القش ، بيروت ١٩٨٠ .

- هاسلب ، جون - **السلطان الأحمر عبد الحميد** - ترجمة فيليب عطاالله ، بيروت ١٩٧٤ .

أطروحات غير منشورة :

- ISMAIL, MOUNIR: *Le Liban sous les Mutasarrifs- Situation intérieure et politique internationale* (thèse de doctorat) D'Etat- La sorbonne).

- Labaki, Boutros: *Sericiculture et Commerce extérieur, deus aspects de L'impact europeen sur l'économie du Liban et son Environnement arabe en*

fin de période Ottomane (1840- 1914) (Thèse de doctorat du troisième Cycle France 1974).

٥ ـ المراجع :

أ ـ مراجع باللغة العربية :

ـ إباظة ، فاروق عثمان ، **الحكم العثماني في اليمن** ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٩ .

ـ إبراهيم ، محسن ، الهندي ، هاني ـ **إسرائيل : فكرة ، حركة ، دولة** ، بيروت ١٩٥٦ .

ـ **استقلال لبنان والاتحاد اللبناني بالاسكندرية** ـ مصر ١٩٢٢ .

ـ اسماعيل ، عادل ـ **السياسة الدولية في الشرق العربي** ، خمسة أجزاء وخاصة الجزاءن الرابع والخامس ، بيروت ١٩٦٤ و١٩٧٠ .

ـ الأسود ، ابراهيم ـ **تنوير الأذهان في تاريخ لبنان** ـ بيروت ١٩٢٥ .

ـ آل الجندي ، أدهم ـ **شهداء الحرب العالمية الكبرى** ـ دمشق ١٩٦٠ .

ـ آل صفا ، محمد جابر ـ **تاريخ جبل عامل** ـ بيروت (لا تاريخ) .

ـ أمين ، أحمد ـ **زعماء الإصلاح في العصر الحديث** ـ القاهرة ١٩٤٨ .

ـ أنيس ، محمد ـ **الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر** ، القاهرة (لا تاريخ) .

ـ **أوراق لبنانية** ، ١٩٥٥ ، الجزء الخامس ، نوار ١٩٥٥ .

ـ بـرّو ، توفيق ، **العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨ ـ ١٩١٤** ، القاهرة ١٩٦٠ .

ـ البستاني ، سليمان ، عبرة وذكرى ، **الدولة العثمانية قبل الدستور وبعده** ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ البكاسيني ، لطف الله نصر الله ، نبذة من وقائع الحرب الكونية ، سنة ١٩٢٢ .

(استناداً إلى مقال لفاضل سعيد عقل ، ملحق النهار تاريخ ١٤ /٥ /١٩٧٢) .
– البويزي ، بشارة - أربع سنين الحرب ، بيروت ١٩٢٦ .
– البواري ، الياس - تاريخ الحركة العمالية والنقابية في لبنان ١٩٠٨ - ١٩٤٦ ، الجزء الأول بيرت ١٩٧٩ .
– بيهّم ، محمد جميل - قوافل العروبة ومواكبها خلال العصور ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٥٠ .
– بيهم ، فلسفة التاريخ العثماني ، الكتاب الثاني ، بيروت ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م .
– بيهم ، العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب ، بيروت ١٩٥٧ .
– بيهم ، العهد المخضرم في سوريا ولبنان ١٩١٨ - ١٩٢٢ ، بيروت ١٩٦٨ .
– بيهم ثورة العرب ، بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية القاهرة ١٩١٦ .
– جامعة الدول العربية - دراسات في تاريخ النهضة العربية الحديثة ، القاهرة (لاتاريخ) .
– حقي ، اسماعيل ، لبنان مباحث علمية واجتماعية ، تحقيق الدكتور فؤاد إفرام البستاني ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٧٠ .
– حرفوش ، الأب إبراهيم ، دلائل العناية الصمدانية في ترجمة حياة البطريرك الياس الحويك ، جونية لبنان ١٩٣٥ .
– الحصري ، ساطع - البلاد العربية والدولة العثمانية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٦٥ .
– الحكيم ، يوسف ، سورية والعهد العثماني ، بيروت ١٩٦٦ (مشاهدات مواقف شخصية للمؤلف) .
– الحكيم بيروت ولبنان في عهد آل عثمان ، الطبعة الثانية بيروت ، ١٩٨٠ (مشاهدات ومواقف شخصية للمؤلف) .
– الحكيم سورية والعهد الفيصلي ، بيروت ١٩٦٦ (مشاهدات ومواقف شخصية للمؤلف) .
– حنا عبدالله - القضية الزراعية والحركات الفلاحية في سوريا ولبنان ١٨٢٠ -

١٩٠٩ ، بيروت ١٩٧٥ .

ـ حلاق حسان علي ، **موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩** ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ حوراني ، البرت ـ **الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ ـ ١٩٣٩** ، طبعة ثانية . بيروت ١٩٧٧ .

ـ **حياة رجل** ، بقلم (أحد أفراد عائلة سعيد بك زين الدين الذي كان مدعي عام استئناف بيروت عام ١٩١٨)بيروت (لا تاريخ) .

ـ خاطر ، لحد ، **عهد المتصرفين في لبنان ١٨٦١ ـ ١٩١٨** ، بيروت ١٩٦٧ .

ـ خدوري ، مجيد ، **عرب معاصرون أدوار القادة في السياسة** ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ **دراسات في الثورة العربية الكبرى** ـ عمان ١٩٦٧ (الكاتب مجهول) .

ـ دروزة ، محمد عزة ، **حول الحركة العربية الحديثة** ، الجزء الأول ـ صيدا ـ ١٩٥٠ .

ـ الديراوي ، عمر ـ **الحرب العالمية الأولى** ، الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٧٩ .

ـ رستم ، أسد ، **لبنان في عهد المتصرفية** ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ الريحاني ، أمين ، **ملوك العرب** ، بيروت ١٩٢٤ .

ـ زايد ، محمود ـ **من أحمد عرابي إلى جمال عبد الناصر** ، بيروت ١٩٧٣ .

ـ الزغبي ، محمد علي ـ **حقيقة الماسونية** ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ الزغبي ، محمد علي ـ **الماسونية منشئة ملك إسرائيل** ، القسم الأول بيروت ١٩٥٦ .

ـ زيدان ، جرجي ـ **تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر** ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٢٨ .

ـ زيادة ، نقولا ـ **أبعاد التاريخ اللبناني الحديث** ، القاهرة ١٩٧٢ .

ـ الزين ، سميح وجيه ـ**تاريخ طرابلس قديماً وحديثاً** ـ بيروت ١٩٦٩ .

ـ زين نور الدين زين ـ **الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا**

ولبنان ، بيروت ۱۹۷۱ .

ـ زين ، نور الدين زين ـ **نشوء القومية العربية** ـ بيروت ۱۹۷۲ .

ـ السباعي ، بدر الدين ـ **أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠ ـ ١٩٥٨** ، دمشق ١٩٦٧ .

ـ السعيد ، رفعت ، **ثلاثة لبنانيين في القاهرة** ، بيروت ۱۹۷۳ .

ـ سعيد ، أمين ـ **أسرار الثورة العربية الكبرى** ـ بيروت (لا تاريخ) .

ـ سعيد ، أمين ـ **الثورة العربية الكبرى** ، المجلدان الأول والثاني ، القاهرة (لا تاريخ) .

ـ شبيكة ، مكي ـ **العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى** ، القسمين الأول والثاني بيروت ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ .

ـ الشهابي ، الأمير مصطفى ـ **القومية العربية** ، (معهد الدراسات العربية العليا ، جامعة الدول العربية) . طبعة ثانية القاهرة ١٩٦١ .

ـ شهاب ، الأمير موريس ـ **دور لبنان في تاريخ الحرير** ـ بيروت ١٩٦٨ .

ـ صالح ، يحيى بن ـ **تاريخ بيروت** ، أشرف على تحقيقه فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي بيروت ١٩٦٩ .

ـ الصلح ، عادل ـ **سطور من الرسالة تاريخ حركة استقلالية قامت في الشرق العربي عام ١٨٧٧** ، بيروت ١٩٦٦ .

ـ الصليبي كمال ، **تاريخ لبنان الحديث** ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٧٨ .

ـ ضاهر ، مسعود ، **الجذور التاريخية للمسألة الطائفية اللبنانية ١٦٩٧ ـ ١٨٦١** ، بيروت ١٩٨١ .

ـ ضاهر ، مسعود ، **تاريخ لبنان الاجتماعي ١٩١٤ ـ ١٩٢٦** ، بيروت ١٩٧٤ .

ـ ضاهر ، مسعود ـ **الاستقلال الميثاق والصيغة** ـ بيروت ١٩٧٧ .

ـ طرازي ، فيليب دي ـ **تاريخ الصحافة العربية** ، بيروت ١٩١٣ .

ـ طربين ، أحمد ـ **لبنان منذ عهد المتصرفية إلى بداية الانتداب** ، جامعة الدول العربية

القاهرة ١٩٦٨ .
ـ طلاس ، مصطفى ـ **الثورة العربية الكبرى** ، بيروت (لا تاريخ) .
ـ عبد الكريم ، أحمد عزت ـ **دراسات في تاريخ العرب الحديث** ، بيروت ١٩٧٠ .
ـ العمري ، صبحي ـ لورانس كما عرفته ، بيروت ١٩٦٩ .
ـ العظمة ، ع ـ **تطور المصرف التجاري في نطاق سوريا الاقتصادي** ، دمشق (لا تاريخ) .
ـ علي ، محمد كرد ـ **خطط الشام** ، الجزءان الثالث والخامس دمشق ١٩٢٥ و١٩٢٧ .
ـ **الحرب العظمى** (١٩١٤ ـ ١٩١٨) ، بيروت (لا تاريخ) .
ـ عوض ، عبد العزيز ، ـ **الإدارة العثمانية في ولاية سوريا** ، القاهرة ١٩٦٩ .
ـ فرحات ، هاني ـ **الثلاثي العاملي في عصر النهضة** ، بيروت ١٩٨١ .
ـ قاسمية ، خيرية ـ **النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨ ـ ١٩١٨** ، بيروت ، ١٩٧٣ .
ـ قربان ، ملحم ـ **تاريخ لبنان السياسي الحديث** ، بيروت ١٩٨١ .
ـ قرقوط ، ذوقان ـ **تطور الحركة الوطنية في سورية ١٩٢٠ ـ ١٩٣٩** ، بيروت ١٩٧٥ .
ـ كشك ، جلال ـ الثورة والغزو الفكري ، الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٦٧ .
ـ كوثراني ، وجيه ـ **الاتجاهات الاجتماعية ـ السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي ١٨٦٠ ـ ١٩٢٠** ، بيروت ١٩٧٦ .
ـ كوثراني ، وجيه ـ **بلاد الشام** ، (يحوي وثائق فرنسية) ، بيروت ١٩٨٠ .
ـ الكيالي ، عبد الوهاب ـ تاريخ فلسطين الحديث ، الطبعة السابعة . بيروت ١٩٧٩ .
ـ المحافظة ، علي ـ **الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة ١٧٧٢ ـ ١٩٧٤** ، طبعة ثالثة بيروت ١٩٨٠ .
ـ المحامي محمد فريد بك ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ـ تحقيق إحسان حقي ،

بيروت ١٩٨١ .

- المخزومي ، محمد باشا - خاطرات جمال الدين الأفغاني ، بيروت ١٩٦٥ .

- مسعد بولس - قبل الانتداب وبعده ، القاهرة ١٩٢٩ .

- مظفر باشا في لبنان ، (المؤلف مجهول) الاسكندرية ١٩٠٧ .

- منسى ، محمد صالح - حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي ، الجزء الأول القاهرة ١٩٧٢ .

- موسى سليمان - الحسين بن علي والثورة العربية الكبرى - عمان ١٩٥٧ .

- موسى سليمان - الثورة العربية الكبرى وثائق وأسانيد - عمان ١٩٥٧ .

- موسى سليمان - الحركة العربية المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة ١٩٠٨ - ١٩٢٤ - الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٧ .

- نهرا ، لطف الله - تاريخ الحرب في سوريا ولبنان - بيروت ١٩٢٠ .

- نوار ، عبد العزيز - تاريخ العرب المعاصر - بيروت ١٩٧٣ .

- الولي ، طه - تاريخ المساجد والجوامع الشريفة في بيروت ، بيروت ١٩٧٣ .

- يارد ، نازك سابا - الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة - بيروت ١٩٧٩ .

ب - مراجع باللغة الأجنبية :

- Achard ed. c., *Notes sur la cilicie et notes sur la syrie Supplement L'Asie frnacaise,* juillet- août 1982.

- Arslan, chekib, *l'évoloution politique de la syrie sous mandat (pré-face),* Paris 1928 (Edmondrabbath).

- Ayoub, Charles, *les mandats orientaux,* siney, Paris 1924.

- Berard, Victore, *les sultans, l'Islam et les puissances,* Paris, 1907.

- Berget, Levrault, *La Syrie et le Liban sous l'occupation et le mandat francais 1919- 1927,* Paris, Nancy 1929.

- Bergue, Jacques, *Les Arabes d'hier à demain,* Paris 1961.

- Brémond, Edouard, *le hedjaz dans la guerre mondiale,* Paris, 1931.

- Breuneau, André, *Traditions et politiques de la France au Levant,* Paris 1931.

- Cheradamd, André, *Le chemin de fer de Baghdad,* Paris 1903.

- Chevallier, dominique, *la société du mont liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe,* Paris 1971.

- Chevallier, *Lyon et la Syrie en 1919, les bases d'une intervention Revue historique* Octobre-décembre 1960.

- Churchill, *Winston, The world crisis 1911- 1918,* vol. I London 1939.

- Cohen, Aharon, *Israel and the Arabe World,* London 1970.

- Couland, Jacques, *Le mouvement syndical au Liban 1919- 1946, éditions sociales,* Paris 1970.

- Croizat, M. *Rapport sur la séricicult ure en Syrie établi par M. Croizat à la suite de la mission envoyée en syrie par les chambres de commerce de Lyon et de* Marseille 1919.

- Cuinet, Vital, Syrie, *Liban et Palestine,* Paris 1896.

- Djuvara, T. G., *Cent projets de partage de la Turquie, 1281- 1913,* Paris 1914.

- Ducousso, Gaston, *l'industrie de la soie en syrie et au Liban,* Paris-Beyrouth 1913.

- Edib, Halide, *conflict of East and West in Turkey,* Lahore 1935.

- Edib, Halide, *Turkey faces West,* New haven 1930.

- Elfteriades, Eleuthere, *Les chemeins de fer en Syrie et au Liban,* Beyrouth 1944.

- Eversley, Georges, *John show- le fevre, baron (1832- 1928) The turkish empire 1288 to 1924 by lord Eversley and from 1914, to 1922, by Sir Valentine Chirol,* London 1923.

- Falles, Cyril, *History of the great war, military operations egypt and Palestine, from June 1917 to the end of the Wart Parts I and II,* London 1930.

- Fesh, Paul, *constantinople aux derniers jours d'Abadal Hamid,* Paris 1907.

- Ganem, Chekri, *(préface) la Syrie,* Paris 1920 (Georges Samné).

- Garnier, Jean- Paul, *la fin de l'empire ottoman,* Paris.

- Goblet, Y. m. *La vie politique orientale en 1909,* Paris 1910.

- Gontant- Biron, *conte R. de, :comment la france s'est installée en Syrie 1918- 1919,* Paris, 1992.

- Haidar Midhat Bey, Ali, *the life of Midhat Pasha, a record of his services political freforme, banishement, and judicial murder, derived, from private documents and reminiscences, by his son Ali Haïdar Midhat Bey,* London-1903.

- Huvelin, Paul, *Que vaut la Syrie? L'Asie francaise,* Decembre 1921.

- Ismaîle, Adel, *histoire du Liban de XVII siècle à nos jours,* Paris, 1955.

- Issawi, charles, *the economic history of the Middle East 1800- 1914,* Beirut 1966.

- Jouplain, M., *la question du Liban,* Paris 1908.

- Jung, Eugène, *la révolte arabe, T. I et II,* Paris 1952.

- Kair, Antoine, *Le montacarrifat du Mont- Liban,* Beyrouth 1973.

- Kairallah, Kairallah, *La question du Liban,* Paris 1915.

- Kairallah, Kairallah, *Les régions arabes libérées,* Paris, 1919.

- Kallen, H. M. *Zionism and world politics,* London 1921.

- Lamouche (colonel), *Histoire de la Turquie,* Paris 1953.

- Lohac, Lyné, *Daoud Ammoun et la création de l'etat* Libanais Paris 1978.

- Mandelstam André, *le sort de l'empire ottoman,* Paris 1917.

- Mandelstan; André, *La société des nations et les puissances devant le problème arménien. association Libanaise des universitaires armeniens,* Beyrouth 1970.

- Mémassa, Gabriel, *Plan de reconstruction de l'économie libanaise et de réforme de l'etat,* Beyrouth 1948.

- Miller William , *the attoman empire and its successors, 1801- 1927,* London 1936.

- Moutran, Nadra, *La syrie de demain, France et Syrie,* Paris 1916.

- Neher- Bernheim, Renée, *la déclaration Balfour,* Julluird 1969.

- Nations Unies, *L'évolution économique de moyen orient 1945 à 1954, supplément au rapport sur l'économie mondiale* 1953- 1954.

- Jean Pichon- *sur la route des indes, un siècle après Bonaparte,* Paris 1932.

- Jean Pichon- *Les origines orientales de la guerre mondiale,* Paris, 1937.

- Jean Pichon- *Le partage du proche- orient,* Paris 1938.

- Pingaud, Albert: *histoire diplomatique de la france pendant la gran- de grande guerre, les neutralités et les tentatives de paix, T. III,* Paris, 1940.

- Pinon, René, *L'Europe et l'Empire ottoman,* Paris 1917.

- Presland, John, *Deedes Bey, Astudy of sir wyndhau deedes, 1883- 1923,* London 1942.

- Rabbath, Edmond- *L'evolution politique de la syrie sous mandat de 1920- 1925,* Paris, 1928.

- Rabbath, Edmond- *Unité syrienne et devenir arabe,* Paris 1937.

- Rabbath, Edmond- *La formation historique du Liban politique et constitutionnel,* Beyrouth 1973.

- Ramasaur, Ernest, *Edomonston, the young turks, prelude to the revolution of 1908,* Princeton 1957.

- Rondot, Pierre, *les chretiens d'orient,* Paris 1955.

- Roy (Gilles)- *Abdel- Hamid, le sultan rouge,* Paris 1936.

- Safa- Elie, *l'emigration libanaise,* Beyrouth, 1960.

- Saab, Hassan, *the arab fedéralistes of ottoman empire,* Amesterdam, 1958.

- Samné, Georges, *la syrie,* Paris 1920.

- Samné, Christian, *le docteur georges Samne, correspondance d'O- rient, 3ème année,* No 191- 192 novembre et décembre 1938.

- Seton- Watson, W. *the Rise of nationality in the Balkans,* London 1917.

- Stein, Leonard, *Balfour déclaration,* London 1961.

- Touma, Toufic, *Paysans et institutions féodales, chez les Druses et les marounites du liban de XVII[e] siècle A 1971, T. I,* Beyrouth 1971.

- Toymbee, Arnold, *survey of international affaires, the islamic world sincethe peace conference, 1925,* Oxford 1927.

- Vaulande, rené, *le chambardement oriental, Turquie, Liban, Syrie, Palestine, Trans jordame, Iraq,* Paris 1932.

- Weuleresse, Jacques, *paysans de syrie et du proche- oriend,* Paris 1946.

٦ - الجرائد والمجلات :

- الاتحاد العثماني ، ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٤ - ١٩١٥ .

- الاصلاح - الاتحاد العثماني ، ١٩١٣ .

- الإقبال ، ١٩٠٢ - ١٩٠٣ - ١٩٠٤ - ١٩٠٥ - ١٩٠٦ - ١٩٠٧ - ١٩٠٨ - ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ .

- الأهرام ، ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩١٥ - ١٩١٦ .

- البرق ، ١٩١٠ - ١٩١١ .

- البشير ، ١٨٧٨ .

- البلاغ ، ١٩١٦ .

- البيرق ، ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ .

- ثمرات الفنون ، ١٨٧٥ - ١٨٧٦ - ١٨٧٧ - ١٨٧٨ - ١٩٠٨ - ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ .

- الجوائب ، ١٨٧٨ .

- الحقيقة ، ١٩٠٨ - ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ .

- الشرق الثائر ، مجلة ، ١٩٣٦ .

- العربي ، مجلة ، أيار ١٩٦١ .

- العرفان ، مجلة ، مجلد ١ - ٢ - ٣ - ٤ .

ـ العصر الجديد ، ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ .
ـ فتى العرب ، ١٩١٤ .
ـ القبلة ١٣٣٥ هـ (١٩١٧ م) .
ـ لسان الاتحاد ، ١٩٠٩ .
ـ لسان الحال ، ١٩١٦ - ١٩١٧ - ١٩١٨ .
ـ المؤيد ، ١٩١٨ .
ـ المقتطف ، مجلة ، مجلد ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ .
ـ المشرق ، مجلة ، مجلد ١٥ .
ـ المراقب ، ١٩١٣ - ١٩١٤ .
ـ المقطم ، سنوات ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩١٥ - ١٩١٦ - ١٩١٧ - ١٩١٨ .
ـ المفيد ، ١٩٠٨ - ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ .
ـ المنار ، مجلة ، مجلد . ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ .
ـ المواقف ، مجلة ، سنة ١٨٧٦ .
ـ الواقع ، مجلة ، العدد الثالث ، شهر تشرين الثاني ١٩٨١ .
ـ الهلال ، مجلة ، سنة ١٩٢٢ .

Revue de monde musulman, 1918- 1919.

الفهـــرس

المقدمة ٥

الفصل الأول : لبنان منذ اعتلاء عبد الحميد العرش حتى سقوطه

١ ـ لبنان في ظل العهد الحميدي ١١
٢ ـ النهضة الفكرية والأدبية في لبنان خلال عهد المتصرفية ٩١
٣ ـ الحركات المناهضة للحكم الحميدي في بلاد الشام ٢٦
أ ـ جمعية بيروت السرية ٢٧
ب ـ مؤتمر دمشق السرّي وحركة أحمد الصلح ٣٣
ج ـ جمعية النهضة العربية ٣٥
٤ ـ جمعية الإتحاد والترقي ٣٦
٥ ـ ثورة ١٩٠٨ وإعادة الدستور ٤٠
٦ ـ الثورة المضادة وسقوط عبد الحميد الثاني ٤٢

الفصل الثاني : لبنان والعهد الدستوري العثماني

١ ـ موقف اللبنانيين والسوريين من إعلان الدستور ٤٩
أ ـ جمعية الأخاء العربي العثماني ٥٠
ب ـ الجامعة العثمانية ٥٢
٢ ـ الإتحاديون وسياسة تتريك لبنان وسوريا ٥٤
٣ ـ لبنان في ظل الإتحاديين ٦٢

الفصل الثالث : الجمعيات الإصلاحية وسياسة المؤتمرات

أولاً : الجمعيات الإصلاحية ٧٥
أ ـ الجمعيات السياسية السرية ٧٥

١ ـ الجمعية القحطانية ٧٧
٢ ـ جمعية العربية الفتاة ٧٨
٣ ـ جمعية العهد ٨٠
ب ـ الجمعيات السياسية العلنية ٨٢
١ ـ المنتدى الأدبي ٨٣
٢ ـ الجمعيات اللبنانية :
أ ـ الإتحاد اللبناني بالقاهرة ٨٥
ب ـ الإتحاد اللبناني بالإسكندرية ٨٩
ج ـ الجمعية اللبنانية ٩٢
د ـ جمعية الأرز ٩٤
هـ ـ جمعيات لبنانية أخرى ٩٥
٣ ـ حزب اللامركزية ٩٥
٤ ـ جمعية بيروت الإصلاحية ٩٧
٥ ـ ردود الفعل في بيروت وبقية المدن العربية ١٠٣
ثانياً : سياسة المؤتمرات وموقف الدولة العثمانية منها ١٠٩
١ ـ تحوير الإتفاق وفقدان الثقة بالأتراك الجدد ١١٨

الفصل الرابع : الوضع الإقتصادي في لبنان

١ ـ الوضع الجغرافي والسكاني ١٢٣
٢ ـ التطور الإقتصادي في لبنان من عام ١٨٦١ ـ ١٩٠٧ .... ١٢٤
٣ ـ مقومات الإقتصاد اللبناني ١٣٠
أ ـ الزراعة ١٣٠
١ ـ الحبوب ١٣٢
٢ ـ الزيتون ١٣٣
٣ ـ الأشجار المثمرة ١٣٤
٤ ـ البقول والخضار ١٣٥
٥ ـ زراعة التوت وتربية دود القز ١٣٥
٦ ـ التبغ والتنباك ١٣٩
٧ ـ الأحراج ١٤٠
٨ ـ تربية النحل ١٤١
ب ـ المعادن ١٤٣
ج ـ الصناعة ١٤٤

١ ـ صناعة المواد الغذائية ١٤٤
٢ ـ صناعة الصابون ١٤٥
٣ ـ صناعة الخمور ١٤٦
٤ ـ صناعة الصباغة والدباغة ١٤٦
٦ ـ صناعة النسيج ١٥٠
٧ ـ صناعة حياكة الشعر والسلال ١٥٢
٨ ـ صناعة الكلس والحجارة والقرميد ١٥٢
٩ ـ صناعات أخرى ١٥٣
د ـ التجارة ١٥٤
١ ـ التجارة الداخلية ١٥٤
٢ ـ التجارة الخارجية ١٥٥
و ـ البنوك ودورها في الإقتصاد اللبناني ١٥٩
ز ـ حركة النقل والمواصلات ١٦٥
ح ـ الهجرة اللبنانية وأثرها على الإقتصاد اللبناني ١٦٩
خ ـ مدخول جبل لبنان السنوي ١٧٤

الفصل الخامس : لبنان تحت الحكم التركي المباشر

١ ـ مواقف اللبنانيين السياسية في بداية الحرب ١٧٩
٢ ـ جمال باشا حاكماً عاماً لسوريا ١٨٦
٣ ـ تقرب جمال باشا من العرب ١٩٢
٤ ـ احتلال جمال باشا لبنان ١٩٩
٥ ـ سياسة جمال باشا في لبنان وإلغاء نظام المتصرفية ٢٠٦
٦ ـ المتصرفون الأتراك ٢١٢
أ ـ علي منيف بك ٢١٢
ب ـ اسماعيل حقي بك ٢١٦
ج ـ ممتاز بك ٢١٧

الفصل السادس : الإقتصاد اللبناني وسياسة التجويع خلال الحرب

١ ـ الوضع الإقتصادي في لبنان خلال الحرب ٢٢١
٢ ـ سياسة جمال باشا العسكرية وأثرها على الإقتصاد اللبناني ٢٢٤
٣ ـ دور الإحتكار في الأزمة الإقتصادية ٢٢٧

٤ ـ الجراد وقضاؤه على المحاصيل ٢٢٨
٥ ـ النقد الورقي وأثره في تدهور الإقتصاد الوطني ٢٢٩
٦ ـ دور الحلفاء في الأزمة الإقتصادية ٢٣٣
٧ ـ السلطات التركية ومساعدة الأهالي ٢٣٥
٨ ـ الأمراض ٢٣٨
٩ ـ نتائج الأزمة الإقتصادية والأمراض ٢٣٨

الفصل السابع : قضاء جمال باشا على المعارضة المحلية في لبنان

١ ـ خطة الإتحاديين في البلاد العربية خلال الحرب ٢٤٣
٢ ـ دور جمال باشا في تنفيذ خطة الإتحاديين ٢٤٤
٣ ـ المحكمة العرفية في عالية ٢٥٠
٤ ـ اعتقال الزعماء الوطنيين ٢٥٤
٥ ـ السجن ومآسيه ٢٥٩
٦ ـ أحكام الديوان العرفي والقضاء على المعارضة المحلية ٢٦١
أ ـ بدء الإرهاب في لبنان ٢٦١
ب ـ أحكام ضحايا القافلة الأولى ٢٦٥
ج ـ تنفيذ أحكام الإعدام بالقافلة الأولى ٢٧٠
د ـ محاكمات إفرادية ٢٦٢
هـ ـ أحكام وضحايا القافلة الثانية ٢٧٣
و ـ إصرار جمال باشا على تنفيذ أحكام الإعدام ٢٨٥
ز ـ تنفيذ حكم الإعدام بضحايا القافلة الثانية ٢٨٧
ح ـ أحكام متفرقة بعد ٦ أيار ١٩١٦ .... ٢٨٩
٧ ـ جمال باشا يبرر سياسة الإعدام في سوريا ولبنان ٢٩٣
٨ ـ الرد العربي على تصرفات وأقوال جمال باشا ٢٩٤

الفصل الثامن : قيام الثورة العربية الكبرى ودور لبنان فيها

١ ـ الإنتقال من طلب الإصلاح إلى طلب الإستقلال ٣٠٣
٢ ـ التنسيق بين الشريف حسين وزعماء سوريا ولبنان ٣٠٧
٣ ـ دخول العرب الحرب إلى جانب الحلفاء ٣١١
٤ ـ فيصل يعّد للثورة في دمشق ٣١٦

٥ ـ الثورة العربية والعناصر الفاعلة فيها ٣٢٠
٦ ـ دور لبنان واللبنانيين في الثورة ٣٢٤
الخاتمة ٣٣٣
الملاحق ٣٣٧
المصادر والمراجع ٤١٣
الفهرس ٤٣١

طُبِعَ عَلَى مَطَابِعِ

مُؤَسَّسَة عِزّ الدِّين للطباعة والنشر

الإدارة: ٨٣٤٧٤٨/٩ ~ ٨٢١٨٤٣ ـ المخازن: ٨٣١٦٤٠ ~ المطابع: ٨٣٧١٤٢٠

فاكس: ٨٢٠٣٧٨ ـ تلكس: ٢٠٣٩٣

بناية لاندترايد ـ بئر حسن ـ ص.ب: ١٣/٥٢٥١ ـ بيروت ـ لبنان

IL-USRA
$R3.500